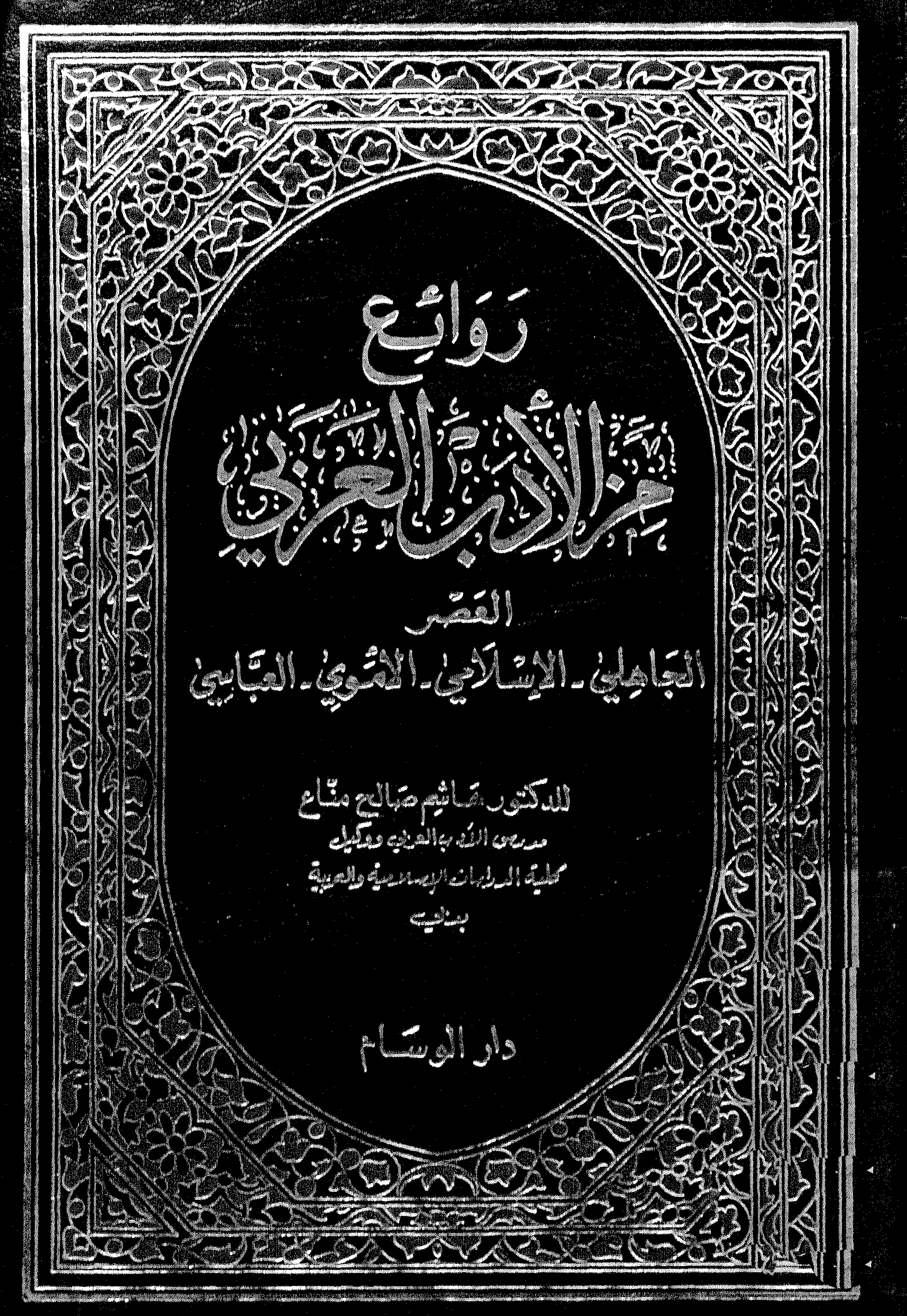

روائع
من الأدب العربي
العصر
الجاهلي - الإسلامي - الأموي - العباسي
للدكتور هاشم صالح منّاع
مدرس الأدب العربي ووكيل
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بدبي
دار الوسام

روائع

من الأدب العربي

العصر: الجاهلي - الإسلامي - الأموي - العباسي

روائع
من الأدب العربي

العصر : الجاهلي - الإسلامي - الأموي - العباسي

الدكتور هاشم صالح منّاع
مدرّس الأدب العربي
وكيل كلية الدراسات الإسلامية
والعربية بدبي

دار الوسام
بيروت

دار ومكتبة الهلال
بيروت

الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م

الطبعة الثانية ١٤٤١ هـ - ١٩٩١م

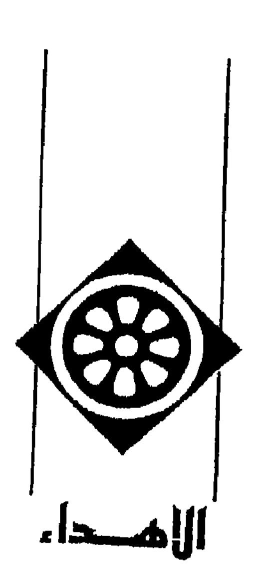
طبع على مطابع

دار ومكتبة الهلال

بيروت

ص.ب ٥٠٠٣ / ١٥

بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

إلى . . . .

زوجتي العزيزة شفاء

مع . . . . . .

التقدير والوفاء

هاشم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين، وبعد..

كان مشروع هذا الكتاب، فكرة تتردد على مخيلتي بين الحين والآخر، مذ كنت طالباً جامعياً. ولكني عجزت عن تنفيذها، لانشغالي بمتابعة دراستي العليا. وما إن فرغت منها حتّى أخذت أعدّ العدّة، لتحقيق ما كنت أظنه خيالاً بعيداً، فبدأت الخطوات الأولى بأن وكلت أمري إلى الله ـ وما خاب من على الله اتكل ـ فمنّ عليّ بالصبر، الذي يستلزمه هذا الكتاب، وأخذ بيدي وأعانني على البحث الدؤوب، والمواصلة الحثيثة، والسير في الطريق الذي رسمته لنفسي من بدئه إلى منتهاه: فرحت أجمع المادة الأدبية من مظانها ـ رغم صعوبة الحصول عليها، وعدم توافرها دائماً ـ فتجمع لديّ مادة غزيرة: شعرية ونثرية، فحرت في أمرها، لأنها جميعها تنمّ على عبقرية الشعراء في عصورهم المختلفة، وتدلّ على موهبة فذّة، وبلاغة تكاد تكون سحراً، فتعطي صورة رائعة لابتكارهم المعاني ونسجهم التشبيهات، وتحفل بتسجيل الحياة في عصورهم تسجيلاً حيّاً صادقاً. فكان لا بدّ من نظر فاحص متأمل، ورأي صائب متفهم، ونفس بعيدة عن الأهواء، غير مشفقة على ما حصل بها من عناء أو لحق بها من جهد. حينئذٍ أخذت أدرسها دراسة وافية، فأشرح غموض معانيها، ثم أوازن بينها، فأنخلها نخلاً، وأختار من هذا المنخّل بقدر اجتهادي. وقد راعيت في هذه العملية أن اختار نصاً واحداً على الأقل لكل شاعر أو ناثر، وحرصت على تعدد الأغراض في عملية الاختيار هذه.

وبهذا أصبح الحلم حقيقة، والخيال واقعاً بإصدار هذا الكتاب الذي أسميته (روائع

متن الأدب العربي) لأن ما تجمع لدي كان كلّه رائعاً، فانتقيت منه أروع الروائع في نظري وصنفته في كتابي هذا.

وقدمت للكتاب بمقدمة تعرف الأدب، وتذكر أقسامه إلى جانب تقسيم العصور الأدبية.

وعنيت بتعريف بعض الظواهر الأدبية: كالوصايا، والحكم، والأمثال، والنقائض، والمقامات، والتوقيعات. . .

ووضعت ترجمة موجزة عن حياة كل شاعر أو ناثر.

وحرصت على الإشارة إلى أهم المصادر والمراجع التي يمكن الرجوع إليها في الأغراض أو الشعراء أو الكتاب.

ونهجت في ترتيب الشعراء والكتاب نهجاً يعتمد على الترتيب الزمني لسني وفياتهم دون النظر إلى ترتيبهم حسب أغراضهم الأدبية: كشعراء النقائض أو شعراء الغزل العذري والعمري والنسيب. . . أو شعراء الاتجاهات السياسية في العصر الأموي. .

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من: أستاذي الفاضل الدكتور مازن المبارك ـ رئيس قسم اللغة العربية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ـ والأخ الجليل الدكتور غازي طليمات، والوالدين الكريمين: الأستاذ مأمون ياسين، والأستاذة عفت وصال حمزة على ما قدّموه لي من: رأي حكيم، أو توجيه مثمر، أو مراجعة دقيقة، جزاهم اللّه عنى كلّ خير، داعياً اللّه أن يديمهم سنداً وذخراً.

واللّه ولي التوفيق.

د. هاشم صالح مناع

تمهيد

تعريف الأدب:

قبل أن ندخل في تحديد ماهية الأدب وأنواعه أو فنونه، لا بدّ من تتبع تطور هذه اللفظة عبر العصور، منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحاضر. إن لفظة الأدب واحدة كغيرها من الألفاظ التي نمت وتجددت في اللغة العربية، واللغة، كما هو معروف:

كائن حي - تنمو باستمرار وتتأثر بالظروف التي تمرّ بها، من سياسية واجتماعية واقتصادية... ويقترن مصطلح الأدب بمدلولات تقليدية وموروثة ومستحدثة ومعاصرة.. بمعنى أن هذا الاصطلاح مرّ بمعان أو مدلولات عدة أخذت معناها الذي نعرفه اليوم.

التعريف اللغوي:

إذا ما رجعنا إلى معاجم اللغة، فإننا لا نجد التعريف الشافي الذي يسعفنا في تحديد هذا المصطلح، ففي لسان العرب[١] وتاج العروس[٢]: الأدب: الذي يتأدَّبُ به الأديبُ من النّاس، سمّي به لأنه يأْدُبُ النّاس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدبِ: الدعاءُ، ويقول: الأدب: ملكةٌ تَعْصِم مَنْ قام به عما يَشينُه. وفي

(١) ابن منظور، مادة «أدب».

(٢) الزبيدي، مادة «أدب».

المصباح المنير[1]: أدَبْتُه أدباً: علَّمتُه رياضة النفس ومحاسن الأخلاق. وأدّبته تأديباً مبالغةً وتكثير.

هذا ما ذهب إليه أصحاب اللغة في توضيح معنى هذا المصطلح... ومهما يكن من أمر فإن المعاجم لها ظروفها الخاصة، التي ألفت فيها، وعلينا تجاوزها، وتتبع هذه اللفظة، من خلال النصوص على اختلاف أنواعها، للوقوف على مفهومها.

تطور لفظة الأدب:

كان حريّاً بالعصر الجاهلي أن يعرّفنا مدلول هذه اللفظة، لأن ما عهدناه من شعر في هذا العصر، لدليل قاطع على أن الشعراء قد عنوها، وأوردوها في أشعارهم، ولا يخفى على أحد، أن كثيراً من الأشعار أو النصوص الشعرية والنثرية قد ضاعت وفقدت، ولم يصل إلينا إلا قلّة قليلة من أعمالهم عن طريق الرّواية وليس عن طريق التدوين[2]، والدليل على ذلك أن خلافاً كبيراً يدور حول تسمية المعلقات بهذا الاسم... يقول ابن النحاس: «لم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة[3]» فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى المعلقات المشهورة، فما الحال بالنسبة إلى بقية الأشعار؟ ولعل الخبر الذي يورده صاحب العقد الفريد، يسلط الضوء على التساؤل القائم، هل استخدمت لفظة «الأدب» في العصر الجاهلي خلافاً لما هو معروف عن استخدامها في ذلك العصر؟ والخبر الذي يروى أن النعمان بن المنذر أرسل وفداً إلى كسرى، حاملاً معه رسالة، يقول فيها النعمان: «وقد أوفدت أيها الملك (أي: كسرى) رهطاً من العرب، لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم»[4] إن صحّت هذه الرواية: فإننا نكون قد شارفنا على التوافق اللفظي والمعنوي لهذه اللفظة في العصرين الإسلامي والأموي ـ كما سنرى ـ أليس من حقنا الآن أن نقول إن المعنى التهذيبي والخلقي قد قصد هنا؟ أو ليس من حقنا أيضاً أن

---

(١) الفيومي، مادة «أدب».

(٢) انظر ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ص ١٠.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ٩/٢٦٦.

(٤) أحمد بن عبد ربه ١/٢٨٠.

نقرر أبعد من هذا المعنى، ألا وهو المعنى الأدبي - الشعر والنثر - الذي اشتهر به العرب، الذين عرفوا بالفصاحة والبلاغة؟ لننظر إلى نص آخر يدعم ما ذهبنا إليه. . . .

وهو يدخل في سياق الخبر الأول حين قدم الوفد على كسرى، وكان يجمع نخبة من علية القوم وأدبائهم: أكثم بن صيفي وحاجب بن زُرارة التميميّين، والحارث بن عُباد وقيس بن مسعود البكريّين، وخالد بن جعفر وعلقمة بن معد يكرب الزبيدي وغيرهم. . . فأخذ كلّ واحد يقول ما جادت به قريحته[1]، ونصل إلى علقمة بن عُلاثة العامري الذي مثل أمام كسرى، وخطب: «فليسَ مَنْ حَضَرَكَ مِنّا بأفضلَ ممن عَزَب (غاب) عنك، بل لو قِسْتَ كلّ رجل منهم وعلمت منهم ما علمنا، لوجدت له في آبائه دُنْيا أنداداً وأكفاء، كلهم إلى الفضل منسوب، وبالشرف والسؤدد موصوف، وبالرأي الفاضل والأدب النافذ معروف»[2]. ولو تقصينا مثل هذه الأخبار المنثورة هنا وهناك لضاق المجال بنا، وعلى أية حال، فإننا نقف عند هذين الخبرين لننفذ من خلالهما ببصيص الأمل إلى بلاغة العصر الجاهلي، الذي لا نظنّ أنه قد أهمل مثل هذه اللفظة التي كانت وعاء لفصاحته وبلاغته ورجاحة عقله الأدبي. . . وبعد، فإنه من المستحسن أن نقف عند تطوّر هذه اللفظة عبر العصور المختلفة:

١ - العصر الجاهلي: لم نجد في هذا العصر - إذا ما تجاوزنا الخبر السابق - ما يدلّ على استخدام لفظة الأدب، وإنما نجد اسم الفاعل منها «آدب» أي الدّاعي إلى الطّعام أو صانع المأدبة، وهذا واضح في قول طَرَفة بن العبد (من الرمل):

نحنُ في المشتاةِ نَدْعُو ٱلجَفَلَى ... لا تَـرَى الآدِبَ فِينَـا يَنْتَقِـرْ[3]

ولم تتجاوز هذه اللفظة في نطاق العصر الجاهلي المعنى الحسي.

٢ - العصر الإسلامي: لم ترد لفظة «أدب» في القرآن الكريم، ولكن أخذت هذه الكلمة في العصر الإسلامي معنى ذهنياً بدلاً من المعنى الحسي، وهو المعنى

---

(١) العقد الفريد ١/٢٧٤-٢٨٨.

(٢) المصدر السابق ١/٢٨٤.

(٣) الديوان، ص ٥٥ (المشتاة: الشتاء. ندعو الجفلى: أي نعم بدعوتنا إلى الطعام، ولا نخص أحداً. وضد الجفلى النقرى: وهي أن يخص الآدب، لا أن يعم. والآدب: الداعي إلى الطعام، أو صانع المأدبة. كل طعام صنع لدعوة أو عرس مأدُبةٌ ومَأدَبَةٌ).

التهذيبي الخلقي، وهذا واضح في قول الرسول ﷺ: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي»[1]. أي علّمني رياضة النفس ومحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة. والأدب ما يحصل للنفس من الأخلاق الحسنة والعلوم المكتسبة[2]. وأغلب الظن أن هذه اللفظة قد عنت أيضاً العلم، بدليل قول علي بن أبي طالب، رضي اللّه عنه: يا رسول اللّه إنك تكلم الوفود (وفد بني نهد) بكلام أو لسان لا نفهم أكثره، فقال: إنّ اللّه أدّبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد، فقال له عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: يا رسول اللّه كلّنا من العرب فما بالك أفصحنا؟ فقال: أتاني جبريل بلغة إسماعيل وغيرها من اللغات فعلّمني إيّاها[3]. إذن نحن أمام ظاهرة علمية إلى جانب المعنى الخلقي التهذيبي.. وقد وردت لفظة الأدب بمعنى «التدريب والتعليم»، وهذا واضح في قول الرسول ﷺ: «أدّبوا أولادكم على ثلاثِ خصالٍ: حبِّ نبيِّكم، وحبِّ بيتِه، وقراءةِ القرآنِ، فإنَّ حَمَلَةَ القرآنِ في ظلِّ اللّهِ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه مع أنبيائِهِ وأصفيائِهِ[4]». ويقول الرسول ﷺ: «لأن يؤدِّب الرَّجلُ ولدَهُ خيرٌ له مِنْ أنْ يتصدَّق بصاع»[5] أي: عندما يبلغ من السّنّ والعقل مبلغاً يحتمل ذلك بأن ينشئه على أخلاق صلحاء المؤمنين، ويصونه عن مخالطة المفسدين ويعلمه القرآن والأدب، ولسان العرب، ويسمعه السنن، وأقاويل السلف، ويعلمه من أحكام الدين ما لا غنى عنه[6]. ونمضي مع هذا المعنى أيضاً في قول الرسول ﷺ: «ما نَحَلَ والدٌ ولدَهُ مِنْ نَحْلٍ أفضلَ من أدب حسنٍ»[7]. أي: لا يعطي ولده عطية أفضل من تعليمه الأدب الحسن[8] ولو أردنا تتبع هذه الأحاديث لطال بنا المقام، ونختم حديثنا بقول

---

(١) الجامع الصغير للسيوطي ١/٢٢٤.

(٢) المناوى، فيض القدير ١/٢٢٤.

(٣) المصدر السابق ١/٢٢٥. قيل الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب لأن من ساء أدبه ضاع نسبه ومن ضلّ عقله ضلّ أصله. وقيل: بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصلح العمل وبالعمل تنال الحكمة.

(٤) الجامع الصغير للسيوطي ١/٢٢٦.

(٥) سنن الترمذى ٨/١٣١ (باب ما جاء في أدب الولد).

(٦) المناوى، فيض القدير ٥/٢٥٧.

(٧) سنن الترمذى ٨/١٣١ (باب ما جاء في أدب الولد).

(٨) المناوى، فيض القدير ٥/٢٥٧.

الرسول ﷺ: «مَنْ عَالَ ثلاثَ بناتٍ فأدَّبهنّ وزوَّجهنَّ وأحْسَنَ إليهن فَلَهُ الجنة[1]» أي من قام بما يحتجنه من نحو نفقة وكسوة وغيرهما وأدبهن بآداب الشريعة الإسلامية وعلمهن أمور دينهن وزوجهن من كفء وأحسن إليهن بعد الزواج فله الجنة[2]، وقد ورد معنى حسن الأخلاق، وفعل المكارم في قول سهم بن حنظلة الغنوي: (من البسيط):

لا يَمْنَعُ النَّاسُ منِّي ما أردتُ وَلَا ... أُعطيهِمُ ما أرادوا، حُسْنَ ذَا أدَبَا[3]

والأدب هنا هو السيرة والطريقة. يقول الدكتور شوقي ضيف: «وذهب نالينو إلى أنها (كلمة الأدب) استخدمت في الجاهلية بمعنى السنة وسيرة الآباء مفترضاً أنها مقلوب دأب، فقد جمع العرب دأباً على آداب كما جمعوا بئراً على آبار ورأياً على آراء، ثم عادوا فتوهموا أن آداباً جمع أدب، فدارت في لسانهم كما دارت كلمة دأب بمعنى السنة والسيرة، ودلوا بها على محاسن الأخلاق والشيم. وهو فرض بعيد، وأقرب منه أن تكون الكلمة انتقلت من معنى حسي وهو الدعوة إلى الطعام إلى معنى ذهني وهو الدعوة إلى المحامد والمكارم، شأنها في ذلك شأن بقية الكلمات المعنوية التي تستخدم أولاً في معنى حسي حقيقي، ثم تخرج منه إلى معنى ذهني مجازي»[4]. وعلى كل حال فإنه من السهل العثور على بعض الأبيات التي تدل على المعنى الخلقي التجريدي، فهذه شاعرة من بني هزان تقول في ابن لها عقّها: (من البسيط)

أَنْشَا يُمَزِّقُ أثْوَابِي، يُؤَدِّبُنِي ... أَبَعْدَ شيبي عِنْدِي يَبْتَغِي الأَدَبَا[5]

---

(١) سنن أبي داود ٤/٣٣٨ (رقم ٥١٤٧).

(٢) المناوي، فيض القدير ٦/١٧٨.

(٣) انظر: الأصمعيات، ص ٥٦. ولسان العرب (مادة حسن) وفيه: «لم يمنع» والمعنى: «لا يمنع النّاس منّي ما أردت من مالهم ومعونتهم مع بذلي لهم ما يريدون منّي من مال ومعونة» وقد جعل هذا أدبا حسنا. وقد يكون بمعنى: «أنه يقهر الناس فيمنعهم ما يريدون منه، ولا يستطيعون أن يمنعوه مما يريد منهم لعزته وسطوته وقد جعل هذا أدبا حسنا».

(٤) العصر الجاهلي، ص ٨.

(٥) التبريزي، شرح ديوان الحماسة ١/٣١٦، والبيت من الشواهد النحوية في قطر الندى لابن هشام، ص ١٣٥ شاهد رقم ٤٥.

وهذا شاعر آخر من الفزاريين يقول: (من البسيط).

أُكْنِيهِ حينَ أُنادِيهِ لأُكْرِمَهُ ... وَلَا أُلَقِّبُهُ، والسَّوْأَةَ اللَّقَبَا
كَذَاكَ أُدِّبْتُ حَتَّى صارَ مِنْ خُلُقِي ... أَنِّي وَجَدْتُ مِلَاكَ الشِّيمَةِ الأَدَبَا[1]

٣ ـ وأخذت لفظة «الأدب» معنى آخر أضيف إلى رصيدها المعجمي في العصر الأموي حين استقرت الأمور في هذا العصر وعمّت الخيرات، وبخاصة العائدات الاقتصادية للفتوحات الإسلامية على الحياة الاجتماعية وانتشرت الثقافة، واشتغل الناس بالعلم، حينذاك راح الخلفاء يتّخذون لأبنائهم المعلمين، وعهدوا إليهم بتربيتهم فعُرِفوا بالمؤدبين، ويبدو أن الخلفاء قد وضعوا شروطاً لاختيار المؤدبين، «وكان عبد الملك بن مروان أكثر خلفاء بني أمية اهتماماً باختيار المؤدبين لأبنائه، وقد انعكس ذلك الأثر على التاريخ الأموي بشكل عام»[2]. وهكذا اكتسبت اللفظة مدلولاً جديداً، وهو التعليم، وبذلك يكون التطور التدريجي لهذه اللفظة على النحو التالي: المادي ثمّ الخلقي ثمّ التعليمي. وتجدر الإشارة إلى طبيعة عمل المؤدبين، فقد كانوا يلقّنون أولاد الخلفاء أنواع العلوم: من شعر وخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام وما يتّصل بالشريعة الإسلامية من تفسير للقرآن الكريم، وحفظ للأحاديث النبوية، ومسائل فقهية[3]. وقد سار الخلفاء

= وروايته:

أضحى يمزِّقُ أثوابي، ويضربُني ... أبَعْدَ شيبي يبغي عندي الأدبا

إن هذا الرجل قد صارت حاله إلى أن يعتدى علي، ويهينني بتمزيق ثوبي وبضربي، وإني قد كبرت فلا قدرة لي على تأديبه وردعه، وقد يكون انه يحاول تأديبي من بعد أن جاوزت العمر الذي يصلح فيه التأديب. والمعنى الأخير أصوب. وانظر: جمهرة الأمثال ٢/٤٠، ٢٧٩.

(١) التبريزي، شرح ديوان الحماسة ٢/١٨. والبيت الثاني من الشواهد النحوية في أوضح المسالك ١/٣٢٠ رقم ١٨٩. وشرح ابن عقيل ٢/٤٩ رقم ١٣٠. والشاهد في البيت «وجدت ملاك الشيمة الأدب» فإن ظاهره أنه ألغى «وجدت» مع تقدمه، لأنه لو أعلمه لنصب «ملاك» و «الأدب» وهذا ما أثبتناه.

(٢) د. محمد صالحية، «مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الثالث، المجلد الأول، ١٩٨١ الكويت ص ٤٠.

(٣) المرجع السابق نفسه.

في العصر العباسي على نهج أسلافهم في اختيار المؤدبين، الذين انعكس تأثيرهم على السلوكين السياسي والاجتماعي للخلفاء، ولا سيما أن العصر العباسي شهد ظهور العديد من التيارات الفكرية... منها: تيار الزندقة والشعوبية ومسألة خلق القرآن الكريم[1]...

٤ ـ أما في صدر العصر العباسي، فقد أخذ الأدب يشمل المعنيين معاً: التهذيبي والتعليمي مع استبعاد للمعنى الحسي الذي ذكرناه. وهذا يتضح جلياً عند ابن المقفع (ت ١٤٢ هـ / ٧٥٩م) في كتابيه: «الأدب الصغير والأدب الكبير» وهما في السياسة والأخلاق.

ويكاد يكون هذا المفهوم قد رست مدلولاته منذ القرن الهجري الأول إلى يومنا هذا مع تغيير بسيط بسبب الظروف العصرية التي تلته، يقول صاحب اللسان: الأدب: أدب النفس وأدب الدرس[2] ولا أحسب أن هذا المعنى قد برح هذين المدلولين، إلّا أنه قد أخذ في عصور متأخرة يتخصص ببعض العلوم كما سنرى.

٥ ـ وإذا ما انتقلنا إلى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجريين، فسنجد أن مدلول لفظة الأدب قد أخذت مفهومها الطبيعي نتيجة لما يطرأ على الحياة من نمو وتغير وتطور... إذ أصبحت تتصل اتصالاً وثيقاً بالأدب الذي نعرفه تقريباً، فهذا أبو تمام (ت ١٣١ هـ/ ٨٤٥ م) يفرد باباً خاصاً في ديوان الحماسة سمّاه باب الأدب، ويجمع فيه مختارات من طرائف الشعر. وهذا المعنى ـ التهذيبي والتعليمي ـ أورده البخاري (ت ٢٥٦/ ٨٧٠) في كتاب الأدب في مؤلفه المشهور في الحديث والمعروف باسم الجامع الصحيح، وكذلك الأمر بالنسبة إلى كتاب الأدب الذي صنفه ابن المعتز (ت ٢٩٦/ ٩٠٨). وهناك طائفة كبيرة اختصت بهذا المعنى، منها: البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥/ ٨٦٨) الذي يجمع ألواناً من الأخبار والأشعار والخطب والنوادر، مع ملاحظات نقدية وبلاغية. وكتاب «الكامل في اللغة والأدب» للمبرد (ت ٢٨٥/ ٨٩٨) الذي وجه اهتمامه إلى اللغة لا إلى البلاغة والنقد، وقد قدم فيه

---

(١) د. محمد صالحية، «مؤدبو الخلفاء في العصر العباسي الأول»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الخامس، المجلد الثاني ١٩٨٢ الكويت.

(٢) لسان العرب مادة «أدب».

صوراً من الرسائل النثرية التي ارتقت صناعتها في تلك العصور، ومن المؤلفات الأدبية أيضاً كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة (ت ٢٧٦/٨٨٩) وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨/٩٣٩) وزهر الآداب للحصري (ت ٤٥٣/١٠٦١). ونجد أيضاً إخوان الصفا في القرن الرابع الهجري قد دلّوا برسائلهم المعنى الواسع للأدب من علوم اللغة والبيان والتأريخ والأخبار على علوم السحر والكيمياء والحساب والمعاملات. . . أي جميع المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان اجتماعياً وثقافياً[1].

٦ ـ وبعد ذلك نصل إلى عصر ابن خلدون (ت ٨٠٨/١٤٠٥) الذي اتسع فيه مفهوم الأدب كما هو الحال بالنسبة إلى إخوان الصّفا، وجاء تعريف ابن خلدون لعلم الأدب تعريفاً مقنّناً جامعاً شاملاً يقول: «الأدب: هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف»[2].

٧ ـ أخذت الكلمة منذ أواسط القرن الماضي تدل على معنيين: معنى عام يقابل معنى كلمة Literature في الإنجليزية و Litterature في الفرنسية التي تطلق على كلّ شيء قيد الطبع، أو هو كل ما يكتب في اللغة مهما يكن موضوعه ومهما يكن أسلوبه، وبناء على هذا التعريف نستطيع دراسة «مهنة الطب في القرن الرابع عشر» أو «حركة الكواكب في بداية العصور الوسطى» أو «مهنة السحر في انجلترا قديماً وحديثاً» وبهذا يكون كلّ ما ينتجه العقل والشعور يسمى أدباً[3]. ويعتبر هذا التعريف قاصراً عن تعريف الأدب، لأنه لا بدّ أن يشمل الأدب المنطوق أو الشفهي[4]. وهناك معنى خاص هو «الأدب الخالص الذي لا يـراد به إلاّ مجـرد التعبير عن معنى من المعاني، بل يراد به أيضاً أن يكون جميلاً بحيث يؤثر في عواطف القارىء والسامع

---

(١) انظر: شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ٨ـ١٠.
(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٢٢.
(٣) انظر: أوستن وارين ورينيه ويليك، نظرية الأدب، ص ١٩ ، ٢٢ (ترجمة محيي الدين صبحي). ود. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ١٠. ود. عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، ص ١٤.
(٤) نظرية الأدب، ص ٢٢.

على نحو ما هو معروف في صناعتي الشعر وفنون النثر الأدبية مثل الخطابة والأمثال والقصص والمسرحيات والمقامات»[1].

وقبل أن نضع التعريف الاصطلاحي للفظة الأدب رأينا أن نذكر بإيجاز تطورها:

١ ـ المعنى الحسي، الدّاعي إلى الطعام أو صانع المأدبة في العصر الجاهلي.

٢ ـ التهذيب والخلق، كقول الرسول ﷺ «أدبني ربي فأحسن تأديبي» في العصر الإسلامي.

٣ ـ التعليم، واشتق منه بهذا المعنى «المؤدبون» في العصر الأموي.

٤ ـ التهذيب والتعليم معاً كما هو الحال في «الأدب الكبير والأدب الصغير» لابن المقفع في العصر العباسي.

٥ ـ المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان اجتماعياً وثقافياً كما هو عند إخوان الصّفا في القرن الرابع الهجري.

٦ ـ جميع المعارف دينية وغير دينية كما عرّفه ابن خلدون في القرن التاسع الهجري.

٧ ـ كل ما ينتجه العقل والشعور، منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

٨ ـ أخذت هذه اللفظة تتحدد أكثر فأكثر إلى أن بلغت تعريفاً محدداً معاصراً يتبادر إلى الأذهان بمجرد نطقها.

التعريف الاصطلاحي:

عرف الدكتور شوقي ضيف الأدب بقوله: «هو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين، سواء أكان شعراً أم نثراً»[2] في حين يعرفه الدكتور محمد حسن عبد اللّه بقوله: «إنه التعبير عن تجربة إنسانية بلغة تصويرية هدفها التأثير، وفي شكل فني جمالي قادر على توصيل تلك التجربة»[3].

---

(١) د. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ١٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٧.

(٣) د. محمد حسن عبد الله، مقدمة في النقد الأدبي، ص ٢٨.

ومهما يكن من أمر فإنه من العسير أن يتفق المؤرخون والأدباء والنقاد على وضع تعريف موحد للأدب، على الرغم من محاولاتهم العديدة، ومع ذلك، فإنهم قد يتفقون في مفهومهم للأدب دون أن يدوّنوه، وحين يقومون بتدوينه فإنهم يتفقون في المعنى ويختلفون في اللفظ. وإني راغب في تدوين محاولة لتعريف الأدب لعلّه يكون شاملاً وجامعاً، وإن لم يختلف في المعنى، فإنه يضاف إلى جملة التعريفات السابقة، فالأدب: هو العمل الفني على اختلاف أنواعه ـ شعراً أو نثراً ـ يبرزه الأديب من خلال اللغة المعبرة القادرة على التوغل في عقل السامع وقلب القارىء بطريقة ناجحة مؤثّرة يستطيع من خلالها تجسيد العمل الفني وإحداث التفاعل ـ عند المتلقي ـ الذي ينتج المتعة. وباختصار: فهو الصياغة الفنية لتجربة إنسانية.

الشعر والنثر:

ونكون هنا قد شارفنا تحديد الأدب بأنه الشعر والنثر. . . ولنطرح مجموعة من الأسئلة هنا: **ما الشعر وما النثر؟ وما الفرق بينهما؟** وأيهما أسبق؟ ولماذا يعبّر الشاعر عن فنه بالشعر ولا يعبّر بالنثر؟ أو لماذا يعبّر الكاتب أو الأديب عن فنه بالنثر ولا يعبّر بالشعر؟ وهل يستطيع كل منهما ـ الشاعر أو الأديب ـ التعبير بالشعر والنثر ولكنه يفضل أحد الفنين على الآخر؟ ولمعرفة الإجابة عن هذه الأسئلة لا بدّ من أن نفرد الحديث عن كل واحد منهما.

١ ـ الشعر: هو، في الإصطلاح المأثور، وفي مقابل النثر، الكلام الموزون المقفى، وأحد قسمي الأدب، وقبل أن نستعرض جملة من التعريفات الخاصة بالشعر رأينا أن نوضح أن «الشعر بوصفه تعبيراً إبداعيّاً، بلغة اللسان، عن معاناة إنسانية، هو أحد أنواع الفنون الجميلة الخمسة: الرسم، والرقص، والموسيقى، والنحت، والشعر. وهو مثلها جميعاً صناعة فنية، يُعَبَّرُ بها التعبير الجميل عن حالات النفس البشرية، في كل ما تضطرب به من أشتات الرُؤى، وخواطر الفكر والوجدان. إلاّ أن الشعر، والأدب الفني بعامة، يتميز بمادة التعبير، التي هي ألفاظ اللغة وأساليبها، أما مادة التعبير فهي الأشكال في النحت والعمارة، والحركات في الرقص، والأنغام في الموسيقى، والألوان والخطوط في الرسم[1]». ومن الصعب أن نجد تعريفاً موحداً عند

---

(١) المعجم المفصل في اللغة والأدب ٢/٧٣٧.

الأدباء أو العلماء، ولا نظنّ أنها متفقة كل الاتفاق أو مختلفة كل الاختلاف، فمن الشعر قائم وموجود، وصاحبه يقول، ولكنه عاجز عن تعريفه، مثلما يعبّر عن شعوره بالكلمات، إذن الفن كفن نستطيع التعبير عنه، ولا نستطيع تعريفه، ومع ذلك فإن هناك العديد من المحاولات التي استطاعت أن تقترب من تعريف الشعر، وسنعرض لبعضها على سبيل المثال لا الحصر لنخرج بتعريف واحد منها.

يقول صاحب اللسان: «وليتَ شعري، أي ليت علمي أو ليتني علمت، وليت شعري من ذلك أي: ليتني شعرتُ... وفي الحديث: ليت شعري[1] ما صنع فلان: أي: ليت علمي حاضر أو محيط بما صنع... وفي التنزيل: «وما يُشْعِرُكُم أنَّها إذا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ[2]» أي: وما يدريكم. وأشعرتُه فَشَعَر أي أدْرَيْتُه فَدَرَى، والشعر: منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كلُّ علم شعراً...[3]».

إذن، الشعر علم، وهو ضرب من الكلام المنغم المثير تتعاطاه طائفة ممتازة، عرفوا بالشعراء، يقول الدكتور محمد محمد حسين: «ولم تكن فتنتهم (العرب) بهذا الضرب من ضروب القول الذي سموه شعراً، لما فيه من وزن وتنغيم فحسب، ولكنهم فتنوا أيضاً بما تميّز به من النفاذ إلى حقائق الأشياء، وأسرار الكون وحكمة الدهور. فلم يكن عجيباً أن يسمّوا هذه الطائفة «شعراء». فقد كانوا هم العلماء حقاً. فالحكيم الذي ينطق بالعبرة والأمثال شاعر. والكاهن الذي ينفذ إلى حجب الغيب شاعر، والرجل الذي يصور ما خفي ودقّ من مواطن الجمال وخفايا النفوس شاعر أيضاً[4]».

وهذا الضرب من الفن كانت العرب تحفظه وتتناقله، وترويه جيلاً بعد جيل قبل الإسلام، حتّى دوّنت هذه الأشعار، واكتشف الدارسون «أن في شعرهم نوعاً من الوزن، حاولوا تحديده وضبطه، فسموا ما استقام على هذه الموازين شعراً، وأخرجوا ما لم يستقم عليها فسموه سجعاً أو أمثالاً، وأصلحوا بعضه حتى يستقيم على ما عرفوا

---

(١) شرح الجامع الصغير للسيوطي ٥/ ٣٥٠ (رقم ٧٥٤٣).

(٢) من آية رقم ١٠٩ سورة الأنعام.

(٣) لسان العرب مادة «شعر».

(٤) الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص ٥٣.

من أوزان[1]». ويتضح من هذا القول أن العرب أصبحت تميّز بين هذا الفن وغيره من الفنون. ولعل قدامة بن جعفر (ت ٩٨٧/٣٧٧) في تعريفه للشعر يحدد الإطار العام له، يقول: «إنه قول موزون مقفى يدل على معنى»[2]، ويفسر لنا قوله هذا بقوله: «قولٌ» دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر، وقولنا: «موزون» يفصله مما ليس بموزون، إذ كان من القول موزون وغير موزون، وقولنا: «مقفى» فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع، وقولنا: «يدل على معنى» يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى ممّا جرى على ذلك من غير دلالة على معنى[3].

ويبدو أن تعريف ابن قدامة كان أساساً للتعريفات التي تلت... فهذا ابن رشيق القيرواني (ت ١٠٧٠/٤٦٣) يعرّف الشعر بقوله: «الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء، وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حدّ الشعر، لأن من الكلام موزوناً مقفى وليس بشعر، لعدم القصد والنية، كأشياء اتزنت من القرآن، ومن كلام النبي ﷺ، وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر..»[4].

ويذهب الزمخشري (ت ١١٤٣/٥٣٨) إلى تعريف الشعر بقوله: «إن حدّ الشعر لفظ موزون، مقفى، يدل على معنى»[5]. والذي نلاحظه هنا أن الشعر لا يقوم على الوزن والقافية بل من أساسياته المعنى أيضاً... لأنه ـ أي الشعر ـ يجيش في النفوس، فتقذفه على الألسن، أو يجيش في النفوس، ثم يدوّن. ونحن لا نقصد من رصدنا لهذه الجملة من التعريفات إلا رصد المفهوم العام للشعر، والتي تتحد في المعنى وتختلف في اللفظ أو في طريقة التناول أو الصياغة... وهذا ما نلاحظه في طبيعة عمل الشاعر إذ إن كلّ شاعر يعرف عمله، وكل الشعراء يعرفون طبيعة عملهم لأنهم شعراء وأصحاب مهنة واحدة، ينهلون من مورد واحد ألا وهو اللغة، ولكنهم ـ

---

(١) المرجع السابق نفسه.
(٢) نقد الشعر، ص ٦٤.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) العمدة ١/١١٩ـ١٢٠.
(٥) القسطاس، ص ٢١.

أي الشعراء ـ يختلفون من حيث استخدامهم اللغة في تعبيرهم. . . والشعراء شأنهم شأن الرسامين الذين من أساس موادهم الألـوان والخطوط وهم متفقـون على هذا المبدأ، ومختلفون في طريقة تعبيرهم الفني. . . فالشاعر إنسان، والإنسان بطبيعته يميل إلى نمط في حياته دون الآخر، فإذا اتفقنا على هذا نكون قد وصلنا إلى بداية الطريق التي تُوصِلنا إلى أن الشعراء ينهلون من مورد واحد ولكن كل واحد يختار ما يناسبه من هذا المورد حسب موهبته وثقافته. . بدليل أننا لو افترضنا دعوة مجموعة من الشعراء في مناسبة ما، فإننا سنجد كل واحد منهم يختلف عن الآخر في طريقة التعبير والمعـالجة، مـع العلم أن الموضـوع واحد، والأسس أو العنـاصر العـامة للشعـر واحدة. . .

والآن، أليس من حقنا أن نضع إطاراً عاماً نحاول فيه تعريف الشعر؟؟؟

أعتقد أن الفرصة مواتية لهذه المحاولة، نقول إن الشعر: هو الإحساس الذي ينطلق من سجية الشاعر عن طريق التعبير باللغة القادرة على توصيل إحساسه لغيره مع توافق هذا التعبير مع عناصر الأدب أو الشعر المعروفة.

النثر:

هناك من يقول بأن النثر أقدم الأنواع الأدبية، ونحن لا نستطيع أن نقرر هذا إلاّ بعد أن نطّلع على أي الفنين أقدم الشعر أم النثر؟ وليس أمامنا ـ الآن ـ إلا أن نسوق جملة من التعريفات حتى نتعرف النثر. . . فما النثر؟

يقول صاحب اللسان: «النثر نثرك الشيء بيدك ترمي به متفرقاً مثل نثر الجوز واللوز والسكر، وكذلك نَثْرُ الحبِّ إذا بذر، وهو النِّثارُ، وقد نَثَرَه ينثُره وينثِره نَثْراً وَنِثاراً ونَثَّره فانْتَثَرَ وتناثَرَ، والنُّثارة: ما تناثر منه»[1] فالمعنى اللغوي كما هو واضح، يعني الشيء المبعثر المتفرق، الذي لا يقوم على أساس في تفرقه وبعثرته، أي: لا يقوم على أساس من حيث الكيف والكم أو الاتساع.

والنثر: أدب إنشائي، وهو نوعان: الأول: النثر العادي الذي يدور في كلام الناس أثناء المعاملة أو هو الذي يعرف بلغة التخاطب والتفاهم بين الناس، أو هو الكلام

---

(١) لسان العرب، مادة «نثر».

اليومي العادي الذي يتحدثه الناس، وهو غير فاقد نهائياً لبعض عناصر النثر الفني[1].
والثاني: هو النثر الفني الذي يخضع لنظرية الفن، أو هو الذي يغلب عليه الأسلوب الفني، والذي يحتوي على عناصر فنية، نذكر منها، الأفكار، وحسن الصياغة، وجودة السبك، ومراعاة قواعد اللغة... ومع ذلك فإنه لا يفقد العاطفة والخيال...

والنثر الفني ينقسم بدوره إلى خطابة وعمادها اللسان، وكتابة فنية وعمادها القلم. ويحتاج هذا النوع من الأدب إلى مرحلة عالية من الرقي العقلي والثقافي. فالخطابة: «هي فن مخاطبة الجمهور الذي يعتمد على الإقناع والاستمالة. وهي ترقى بعاملين وتنحطّ بفقدهما: أولهما: أن تتمتع الأمة بنصيب من الحرية في الفكر والقول، وثانيهما: أن تشعر بسوء حالتها، وتصور لنفسها صورة من الحياة أفضل مما هي عليه، ثم تنهض وتتحرك لتحقيقها... أما الكتابة الفنية عند العرب (من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث) فتشمل الرسائل والقصص، والمناظرة والجدل، والتاريخ»[2].

ونود الإشارة هنا إلى أن النثر في العصر الجاهلي ـ من خطب ووصايا وحكم وأمثال ـ قد لعب دوراً هاماً، اقتصر على قلة من الناس دون غيرهم، وقد خلفوا لنا تراثاً ضخماً على قلته.. منه ما يصور حياتهم على اختلاف أنواعها، ومنه ما يدل على رقيهم الثقافي والعقلي.. وكان الخطيب منهم يطلق الأمثال، فيتناقلها الناس... حيث كان «الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة، ولم يكن الناس جميعاً ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق (أي ما استعين به) والانتفاع»[3].ولعل موقف الرسول ﷺ من الوفود التي قَدِمت عليه يعطي صورة واضحة لرقيّ النثر حينذاك، فكان يقول حين يستمع إلى بعضهم عندما يخطب «إنّ من البيان لسحرا»[4]. أليس هذا دليلاً على فصاحة العرب وبيانهم وبلاغتهم.

إذن الخطابة نوع من الأدب رست قواعده في الجاهلية ولا يزال إلى يومنا هذا،

---

(١) انظر: الفرق بين الشعر والنثر، ص ٢٣.
(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٢٢٠.
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين ١/٢٧١.
(٤) شرح الجامع الصغير للسيوطي ٢/٢٥٤ (رقم ٢٤٥٦، ٢٤٥٧، ٢٤٥٨).

مع اختلاف في طريقة التناول التي تخضع لظروف العصر على اختلاف أنواعها، لذا فإننا ارتأينا أن نسوق جملة من التعريفات عبر العصور، للوقوف على ماهية هذا الفن.

يقول ابن قدامة (ت ٣٧٧/٩٨٧): «واعلم أن سائر العبارة في كلام العرب إما أن يكون منظوماً وإما أن يكون منثوراً. والمنظوم هو الشعر، والمنثور هو الكلام»[(١)]، «وليس يخلو المنثور من أن يكون خطابة، أو ترسلاً، أو احتجاجاً أو حديثاً»[(٢)].

ويقارن ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣/١٠٧٠) بين الشعر والنثر بقوله: «وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور. ولكل منهما ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، ورديئة، فإذا اتفقت الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، ولم يكن لإحداهما فضل على الأخرى ـ كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية، لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة، ألا ترى أن الدر ـ وهو أخو اللفظ ونسيبه، وإليه يقاس، وبه يشبه ـ إذا كان منثوراً لم يُؤمن عليه، ولم يُنتفع به في الباب الذي له كسب، ومن أجله انتخب، وإن كان أعلى قدراً وأغلى ثمناً، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال، وأظهر لحسنه من كثرة الاستعمال[(٣)]».

ويعرّف ابن خلدون (ت ٨٠٨/١٤٠٥) الشعر والنثر بقوله: «واعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين: في الشعر المنظوم، وهو الكلام الموزون المقفى، ومعناه الذي تتكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية، وفي النثر وهو الكلام غير الموزون»[(٤)].وجملة القول: إن النثر كلام إنشائي بليغ يتفق مع الشعر ويختلف معه، في بعض العناصر، يُعبَّر عنه باللغة المعبِّرة القادرة على توصيل إحساس المعبِّر لغيره..

الفرق بين الشعر والنثر:

يصعب علينا تتبع أقوال العلماء في هذا الباب، ونكتفي بما وصل إليه ابن

(١) نقد النثر، ص ٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٣.

(٣) العمدة، ١/١٩.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٣٢.

خلدون من رسم خط واضح يفصل فيه بين الشعر والنثر، يقول: «وكل واحد من الفنّين (أي الشعر والنثر) يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام. فأما الشعر فمنه المدح والهجاء والرثاء، وأما النثر: فمنه السجع الذي يؤتى به قطعاً، ويلتزم في كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعاً، ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها، ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم»[1]. ثم يضيف قائلاً: « واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه، مثل النسيب المختص بالشعر، والحمد والدعاء المختص بالخطب، والدعاء المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك»[2] ونجده يدون مآخذه على المتأخرين الذين أخذوا يدمجون الفنّين، ويكاد يكون الفرق بسيطاً بينهما، يقول: «وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض، وصار هذا المنثور إذا تأملته من باب الشعر وفنه لم يفترقا إلا في الوزن».

يكاد النقاد يجمعون على أن عناصر الأدب بصفة عامة أربعة : العاطفة، والفكرة أو المعنى، والأسلوب، والخيال[3] ويشترط في كل أدب أن يشتمل على هذه

---

(١) مقدمة بن خلدون، ص ٥٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٣٣.

(٣) أحمد أمين، النقد الأدبي، ص ٢٠. (انظر: معنى هذه العناصر، المرجع نفسه، ص ٢٠-٤٢).

(العاطفة: هي الحالة الوجدانية التي تتميز بالاستقرار والدوام وبعدم العنف والثورة اللذين يميزانها عن الانفعال. ويترتب على وجود هذه الحال الميل إلى الشيء.أو الانصراف عنه. الفكرة: عند افلاطون: النموذج العقلي للأشياء الحسية في الوجود الحقيقي. وعند كانت: تصور ذهني يجاوز عالم الحس وليس له ما يماثله في عالم التجربة. والفكرة أو المعنى عند أنصار المذهب الحسي، وأولهم أرسطو: هي الصورة الذهنية المستمدة من العالم الخارجي. ويقول الجرجاني: المعاني: هي الصور الذهنية. والخيال: هو القدرة التي يستطيع العقل بها أن يشكل صورا للأشياء أو الأشخاص أو يشاهد الوجود (صمويل جونسون). ويعرفه الجرجاني بأنه قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبته المادية. والأسلوب بوجه عام: طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة.. وفي الوقت الحديث: هو تعبير عن الاختيار الذي يقوم به مؤلف النص من مجموعة محددة من الألفاظ والعبارات والتركيبات الموجودة في اللغة من قبل والمعدة للاستعمال. والأسلوب الأدبي: هو الأسلوب الجميل ذو=

العناصر، ولكن تتفاوت هذه العناصر في العمل الفني حسب نوعه. . . وإذا جاز لنا أن نفرق بين الشعر والنثر ـ هنا ـ فنقول: إن الشعر منبعث عن عاطفة وخيال، والنثر منبعث عن فكر ورأي، ولا نعني خلو الشعر من الفكر والرأي أو خلو النثر من العاطفة والخيال. . . ولكن بمقدار تفاوتهما نستطيع التمييز بينهما. . يقول الدكتور عز الدين إسماعيل: «فن الشعر من أشهر الفنون الأدبية وأكثرها انتشاراً وربما كان ذلك لقدم عهد البشرية به، فالشعر هو الصورة التعبيرية الأدبية الأولى التي ظهرت في حياة الإنسان منذ العصور الأولى، وهذه الأقدمية التي للشعر ترجع إلى أنه كان في تلك العصور ضرورة حيوية بيولوجية.

إنه الطريقة الوحيدة التي اهتدى إليها الإنسان بحكم تكوينه البيولوجي والنفسي للتعبير والتنفيس عن انفعالاته. ومنذ ذلك الوقت تحددت لذلك الفن خصائص استطعنا أن نتبينها في وضوح عندما ظهر أسلوب آخر للتعبير واستخدام اللغة هو النثر، فقد لوحظ أن الإنسان قد اهتدى إلى هذا الأسلوب عندما أراد أن يعبر عن أفكاره، ومن هنا ارتبطت «الانفعالات» بالشعر «والأفكار» بالنثر. ولكن الخطأ في الفهم يأتي عادة من النظر إلى «الانفعالات» «والأفكار» على أنها أشياء متعارضة أو متناقضة. وهذا من شأنه أن يجر إلى أخطاء كثيرة في فهم الشعر والنثر على السواء، وليس هناك تعارض، بل هو مجرد اختلاف[1]».

وقد حدد النقاد مفهوم عمود الشعر العربي، وإن اختلفوا قليلاً، فإنهم قد اتفقوا على تحديده تقريباً، وعمود الشعر كما هو معروف: هو الطريقة الموروثة عن العرب في وزنه وقافيته وأسلوبه. وعمود الشعر عند القاضي الجرجاني (ت ٣٦٦/٩٧٦) هو:

١ ـ شرف المعنى وصحته.

٢ ـ جزالة اللفظ واستقامته.

٣ ـ إصابة الوصف.

= الخيال الرائع والتصوير الدقيق الذي يظهر المعنوى في صورة المحسوس والمحسوس في صورة المعنوي). (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٢٢، ٩٢، ١٣٥، ١٥٤).

(١) الأدب وفنونه، ص ١٣٠.

٤ ـ المقاربة في التشبيه .

٥ ـ الغزارة في البديهة .

٦ ـ كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة[١] .

وقد حدّد المرزوقي عمود الشعر في سبع خصائص، هي :

١ ـ شرف المعنى وصحته .

٢ ـ جزالة اللفظ واستقامته .

٣ ـ الإصابة في الوصف .

٤ ـ المقاربة في التشبيه .

٥ ـ التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن .

٦ ـ مناسبة المستعار منه للمستعار له .

٧ ـ مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما[٢].

أي الفنين أسبق الشعر أم النثر؟

إن الحديث في هذا الموضوع يحتاج منا إلى وقفة طويلة، لأن هناك من الباحثين من يقول: إن الشعر أسبق، والبعض الآخر يقول: إن النثر أسبق، والبحث والتنقيب والحديث عن هذا الموضوع مشوّق للغاية، وأخشى أن يكون مملاً إذا ما وقفنا وقفة متأملة متأنية، لذا، سنحاول عرض الرأيين بإيجاز . . .

من المعروف أن الشعر له صلة قوية بالشعور والطبع، بل هو تعبير عن العاطفة والإحساس، مع عدم حاجته إلى التقدم العلمي أو الحضاري، أو التقدم في الحياة المدنّية بصفة عامة، كما عهدناه في الشعر الجاهلي، الذي صدر عن شعراء عاشوا في البادية، الخالية من التقدم المدني . . . وربما كان التقدم العلمي مهما بل له الدور

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ٣٣ ويقول ولم تكن العرب تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع (البديع) والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض.

(٢) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة ١/ ٩ .

الفعال في تدوين الشعر، وطباعته، ونشره، ولكن لم نكن قد وصلنا إلى هذه المرحلة في العصر الجاهلي، وربما كان التقدم الحضاري مهما أيضاً، كما هو الحال في العصور التي تلت العصر الجاهلي، ولكني أتحفظ على هذا، من حيث المستوى الفني للشعر، وأكبر دليل على وضوح هذه الظاهرة، الشواهد أو النماذج الشعرية في العصر الجاهلي ومقارنتها بالنماذج الشعرية في العصور التي تلت ذلك العصر. ولما كان التقدم العلمي أو الحضاري ينتج عن الرقي العقلي فإننا نستطيع القول بإيجاز: إن الشعر لا يتطلب الرقي العقلي، أو التقدم الحضاري، أو ازدهار المدنية، أو التطور العلمي، ولا نعني هنا أنه - أي الشعر - لا يتأثر أو ليس له صلة بهذا، إنه وثيق الوشائج، قوي الترابط، يضفي على الشعر نوعاً من الخصائص، ويكون الشعر مطبوعاً بطابع العصر، ونجد أن الشعر في كل عصر له مميزاته أو خصائصه الخاصة به، تميزه من غيره من العصور. . . وإذا اتفقنا على هذا، فإنه حريّ بنا الآن أن نستعرض الآراء التي تقول بأقدمية الشعر:

١ - إن الشعر هو «الطريقة الوحيدة التي اهتدى إليها الإنسان بحكم تكوينه البيولوجي والنفسي للتعبير والتنفيس عن انفعالاته. . . ومن هنا ارتبطت الانفعالات بالشعر والأفكار بالنثر»[١] ولهذا كان من الضروري وجود هذا الفن، الذي يعبر عن الجانب الوجداني عند الإنسان. . ويمكن أن ندعم هذا الرأي، بجولة ميدانية في منطقة بدائية أو حتى في بعض القرى العربية وغيرها، بين من لا يتقنون القراءة، ولم تصلهم يد الحضارة أو التقدم العلمي، فإنك لا محالة، ستجد أن الناس هناك، يقومون بالتعبير عن أحاسيسهم بدق الطبول مثلاً، أو الرقص، والغناء، ولا يخفى على أحد أن الموسيقى من مقومات الشعر، والغناء مظهر من مظاهره. . قد يكون هذا النوع من الشعر غير متطور كما نعرفه نحن، أو لا يقوم على الأسس الفنية الخاصة بالشعر. . . إلا أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشعر، الذي يقوم على الوزن والقافية. . في حين لم نجد النثر الفني - بصفة عامة - يرتبط بمثل تلك الحياة أو الموسيقى والرقص. . . إذن، «فالشعر ضرورة من ضرورات الحياة في طور من أطوارها، فإذا

---

(١) د. عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، ١٣٠.

انقضى هذا الطور أصبح الشعر عاجزاً عن أن يقوم بشيء من ذلك، وأصبح النثر خليفته يصور هذه الأشياء الجديدة»[1].

٢ ـ قلنا إن الموسيقى من مقومات الشعر، والغناء مظهر من مظاهره، وما دام الشعر فيه هذا، فإنه يسهل حفظه، وروايته، وبالتالي انتشاره من مكان إلى مكان، ولا حاجة لتدوينه، بدليل أن كثيراً من الأشعار وصلت عن أمم لم يصل إلينا شيء من نثرها الفني، الذي يتطلب معرفة بالكتابة من أجل تدوينه، لصعوبة حفظه، والجدير بالذكر أن الكتابة ـ دائماً ـ تأتي في مرحلة علمية وحضارية متقدمة عند أية أمة من الأمم. . . ولا نقصد بالشعر كما هو عليه الآن إنما قد يكون في مراحله الأولى.

٣ ـ إذا أخذنا بالتأمل في تاريخ أمة من الأمم، كان لها حياة أدبية ـ أي شعر ونثر ـ فإننا نلاحظ أن حياتها الأدبية قد بدأت شعراً. . . وكان لسانها الأدبي هو الشعر، فلما تطورت هذه الأمم وارتقى عقلها، وازدهرت حضارتها، ومازجت الشعوب الأخرى، اكتشفت أن هناك أفكاراً وآراء لم تعرفها من قبل، وارتأت أن تنظم هذه الآراء والأفكار. . . ولكن الشعر عجز عن أن يعبّر عنها، فكان لا بدّ من اللجوء إلى النثر[2]. فعندما نلاحظ تاريخ الأمم كاليونان مثلاً، نجد أنها كانت شاعرة، تنشىء الشعر قصصياً ثم غنائياً ثم تمثيلياً، كما هو الحال في قصائد «هوميروس»[3]؛ التي كانت تنشد ويتغنى بها قبل أن يؤلف كتاب أو يظهر النثر الفني، وحين امتزج اليونان بالأمم الشرقية والغربية المختلفة ونشأت أفكار جديدة ـ سياسية وفلسفية ودينية ـ حاولوا التعبير عن هذه الأفكار بالشعر فعجز الشعر عن ذلك؛ لذا كان النثر الفني هو

---

(١) د. طه حسين، من حديث الشعر والنثر، ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢-٢٣.

(٣) هوميروس: (القرن التاسع قبل الميلاد) ولد في آسيا الصغرى. شاعر ملحمي يوناني، قيل: إنه كان أعمى نسب إليه المؤلفون اليونان أشعار «الإلياذة» و «الأوذيسة» التي أثرت تأثيرا كبيرا على مستقبل الشعر اليوناني. والإلياذه: ملحمة يونانية في ٢٤ نشيدا تروى أخبار حرب طروادة بين الإغريق والطرواديين. من روائع الشعر الملحمي العالمي. عرّبها شعرا سليمان البستاني ونشرها في دار الهلال بمصر سنة ١٩٠٤م. مصدرة بمقدمة في هوميرس وشعراء اليونان والعرب وآدابهم. (المنجد في اللغة والاعلام). والأوذيسة: ملحمة يونانية تتكون من أربعة وعشرين نشيدا. . وتميل الى تجاوز حد البطولة إلى مستوى الخوارق والأعاجيب السحرية (المعجم المفصل في اللغة والأدب ١/ ٢٦٠).

الطريقة الوحيدة التي يعبر فيها عن هذه الأفكار، ومثل ذلك نجده عند الرومان[1].

وإذا كنا قد ضربنا مثلاً بالأمتين اليونانية والرومانية كان من الأولى أن نأتي بمثال الأمة العربية في العصر الجاهلي؛ الذي وصل الشعر فيه إلى مرحلة النضج في حين لم يكن النثر في المستوى نفسه.. ولما جاء الإسلام وجدنا أن الشعر قاصر عن أن يعبر عن الدين الإسلامي الجديد، وصنوف الحياة على اختلاف أنواعها، فما كان من الأمة العربية الإسلامية إلا أن اتجهت نحو النثر؛ الذي كان التعبير فيه أقوى من الشعر، بل نكاد نقول إن الشعر قد ركدت ريحه، وضعف مستواه، وقل عدد الشعراء، في حين نجد أن النثر قد ازدهر، فزاد عدد الخطباء، وارتفع مستواه الفني، فأخذ الناس يتذوقونه أكثر من الشعر...

٤ ـ والقضية الأخيرة التي نريد أن نذكرها هي قضية الشعر والنثر في العصر الجاهلي... من المسلم به أن الشعر في الجاهلية، كان محكم الصياغة، جزل الألفاظ، ناضجاً في أسلوبه ومعانيه، يحتوي على كثير من التشبيهات والاستعارات والأساليب البلاغية، ملتحم النظم مع دقة في الموسيقى أو الوزن ومشاكلة اللفظ للمعنى، هذا هو الشعر الذي بلغنا، ولم نعرف شيئاً عن طفولة الشعر العربي، ولا يمكن أن نسلم بأن هذا الشعر قد بدأ بهذا النضج المحكم، بل لا بدّ من التسليم بأنه قد مرّ بمراحل عديدة، وهناك نماذج شعرية تدل على أن الشعر الناضج؛ المحكم الصياغة، قد سبق أيضاً المرحلة التي حددناها للعصر الجاهلي، والتي لا يزيد عمرها على مائتي سنة قبل الإسلام، فهذا امرؤ القيس يحاكي ابن خذام في وقوفه على الأطلال، وهذا عنترة، يشير إلى أن الشعراء السابقين قد استنفدوا المعاني ولم يتركوا له شيئاً يبدع فيه، وهذا زهير بن أبي سلمى أيضاً يعلن بأنه لا يبدع، بل يكرر ويعيد. ويحاكي الشعراء السابقين[2]. ونعتقد أن هناك كثيراً من النماذج الشعرية قد أشارت إلى

---

(١) د. طه حسين، من حديث الشعر والنثر، ص ٢٣. ويقول أيضا: «وأنت تستطيع أن تلتمس الأمر عند اليونان والرومان والأمم الغربية فسترى أن هذه الأمم كلها تغنت ونظمت الشعر قبل أن تعرف النثر بأزمان طوال وأنت تستطيع أن تلتمس ذلك في الأمم والبيئات غير الراقية المعاصرة لنا. فسترى أمما وحشية أو بدوية تتغنى وتنظم الشعر وليس لها من النثر حظ». في الأدب الجاهلي، ص ٣٢٦، ٣٢٧.

(٢) ليس من المعقول أن يكون المهلهل بن ربيعة أول من هلهل الشعر أي أرقّه، وأول من قصّد القصائد، =

هذا المعنى ولكنها لم تبلغنا، والحقيقة، أن معظم الشعر الجاهلي ضاع، يقول أبو عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير[1]». وهذا الضياع يعود إلى عوامل كثيرة منها: ترك تدوينه، وهلاك عدد كبير من رواته في الفتوحات الإسلامية، وتشاغل الناس عن روايته[2]. على الرغم من كثرة عدد الشعراء، يقول ابن قتيبة: «والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف، ولو أنفد عمره في التنقير عنهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال[3]» ويضيف قائلاً: «ولم أعرض في كتابي هذا لمن كان غلب عليه غير الشعر فقد رأينا بعض من ألف في هذا الفن كتاباً يذكر في الشعراء من لا يُعْرَف بالشعر ولم يقل منه إلا الشذّ اليسير... ولو قصدنا لذكر مثل هؤلاء في الشعراء لذكرنا أكثر الناس[4]». وقد حاول القرشي التنقيب عن أول من قال الشعر، ولكن فوجئنا بأنه يورد بعض الأمثلة الشعرية ويقول: «سمعت جماعة من أهل العلم يؤثرون أن قائلها أبونا آدم عليه السلام حين

= وجاء من بعده ابن أخته امرؤ القيس. انظر: ابن سلام، طبقات الشعراء، ص ١٣-١٤. وانظر كذلك: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٦٤. فقد سبقهما كثير من الشعراء، وكانوا على درجة عالية في نظمهم، بدليل اعتراف الشعراء الجاهليين بذلك، منهم امرؤ القيس نفسه الذي يقول:

عُوجا على الطَّلَلِ المُحيلِ لأننا ... نبكي الديارَ كما بكى ابنُ خذامِ

(الديوان، ص ١٤٤. عوجا: أي اعطفا رواحلكما. والطلل المحيل: الذي أتى عليه حول فتغير. لأننا: بمعنى لعلنا. وابن خذام: رجل ذكر الديار قبل امرىء القيس وبكى عليها. ويروى ابن حذام، وابن حمام).

وهذا عنترة بن شداد يقول:

هل غادر الشعراءُ من متردَّمِ ... أمْ هلْ عرفتَ الدارَ بعدَ توهُّمِ

(الديوان، ص ١٨٦. والمعنى الذي يهمنا هو: هل أبقى الشعراء لأحد معنى إلا وقد سبقوا إليه). وهذا زهير بن أبي سلمى يقول (إن صحت روايته):

ما أرانا نقولُ إلاّ معاراً أو ... معاداً من لفظنا مكرورا

انظر: د. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ٢٢٦.

(١) طبقات الشعراء، ص ١٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) الشعر والشعراء، ص ٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٤-٥.

قتل ابنه قابيل هابيل، فالله أعلم أكان ذلك أم لا؟ ثم يقول: «وذكر أن إبليس عدو الله أجاب آدم عليه السلام بهذه الأبيات. . »ويقول: «وروى أن بعض الملائكة، عليهم السلام قال هذا البيت. . »ويضيف: «قال المفضل: وقد قالت الأشعار العمالقة وعاد وثمود. . »[1].

ونجد أن ابن سلام يرد على من ادعى أن هناك شعراً لعاد وثمود ويدعم رأيه باقتباس من آيات الذكر الحكيم[2]. يقول الله تعالى: ﴿وأنّه أهلكَ عاداً الأولى. وثمودَاْ فما أبقى﴾[3]. ويقول جلّ ذكره: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾[4]، أي: عاد، ويقول الله تعالى: ﴿. . . وعادٍ وثمودَ والذين من بعدهم لا يَعْلَمُهُمْ إلاّ اللّهُ. . .﴾[5]. إذا كان هذا الأمر بالنسبة إلى عاد وثمود على ما ذكرنا، فما الحال بالنسبة إلى الأمم التي قبلها؟ لا نظن أن شعراً قد وصلنا، وإذا كان الادعاء بذلك، فهو شعر منحول محمول. . .

وما دمنا نتحدث عن أولية الشعر فإنه لا بدّ من التحدث عن أولية الوزن الذي استخدمه الشعراء في أشعارهم، يقال: إن «الإجماع بين النقاد واقع على أن أول الشعر العربي الرجز[6]» والرجز: من البحور الشائعة، ووزنه:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن   مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وقد يكون من أربع تفعيلات، اثنتين في كل شطر، ويسمى مجزوءاً، وقد يتكون من ثلاث تفعيلات، ويسمى مشطوراً، وقد يتكون من تفعيلتين، تفعيلة في كل شطر، ويسمى منهوكاً[7]. والرجز وزن يسهل في السمع ويقع في النفس. وقيل: سمي بهذا الاسم لتقارب أجزائه، وقلة حروفه، وتشبيهاً له بالناقة الرجزاء، التي إذا أرادت النهوض، لم تكد تنهض إلا بعد ارتعاد أو ارتعاش شديد[8]. «ولم يكن لأوائل العرب

---

(١) جمهرة أشعار العرب، ص ٢٦-٢٧.

(٢) طبقات الشعراء، ص ٤.

(٣) الآيتان ٥٠-٥١ سورة النجم.

(٤) الآية ٨ سورة الحاقة.

(٥) من الآية ٩ سورة ابراهيم.

(٦) د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ١/ ٧٤ (نجد من الشعراء من يجوّد في الرجز ولا يمكنه نظم القصيد أصلا). انظر: الباقلاني، اعجاز القرآن، ص ٦١.

(٧) انظر كتابنا: الشافي في العروض والقوافي، ص ١٣٧-١٥٤.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، (مادة رجز).

من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة، وإنما قُصِّدَت القصائد وطُوِّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف[1]» وقيل: وأول من أطال الرجز الأغلب العجلي (ت ٢١/ ٦٤١) الشاعر المخضرم[2]. يقول ابن قتيبة: «وكان الأغلب جاهلياً إسلامياً. . . وهو أول من شبّه الرجز بالقصيد وأطاله، وكان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة إذا خاصم أو شاتم أو فاخر[3]». ويقول ابن منظور، صاحب اللسان: «وقد اختلف فيه (أي الرجز)، فزعم قوم أنه ليس بشعر وأن مجازه مجاز السجع، وهو عند الخليل شعر صحيح. وقيل إن الخليل قال: إن الرجز ليس بشعر وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث[4]. وقال الخليل: الرجز والمشطور ليسا من الشعر. . . ويسمى قائله راجزاً كما يسمى قائل بحور الشعر شاعراً[5].

ويقول أحمد حسن الزيات: «والمظنون أن العرب خطوْا من المرسل[6] إلى السجع، ومن السجع إلى الرجز، ثم تدرجوا من الرجز إلى القصيد. فالسجع هو الطور الأول من أطوار الشعر توخاه الكهان مناجاة للآلهة، وتقييداً للحكمة وتعمية للجواب، وفتنة للسامع، وكهان العرب ككهان الإغريق هم الشعراء الأولون، زعموا أنهم مهبط الإلهام، وأنجياء الآلهة، فكانوا يسترحمونها بالأناشيد، ويستلهمونها بالأدعية، ويخبرون الناس بأسرار الغيب في جُمل مقفاة موقعة أطلقوا عليها اسم السجع تشبيهاً لها بسجع الحمامة لما فيها من تلك النغمة الواحدة البسيطة[7]». لم يقف

---

(١) ابن سلام، طبقات الشعراء، ص ١٠ ـ ١١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٨. والراجز قلما يقصد، وليس يمتنع الرجز على المقصّد امتناع القصيد على الراجز، فقيل للمقصد شاعر، ولذاك راجز (انظر: العمدة ١/ ١٨٥ ـ ١٨٦)، وكان المهلهل أول من قصد القصائد (انظر: العمدة ١/ ٨٧).

(٣) الشعر والشعراء، ص ٣٨٩.

(٤) ودليل الخليل في ذلك ما روى عن النبي ﷺ في قوله:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزود بالأخبار

قال الخليل: لو كان نصف البيت شعرا ما جرى على لسان النبي ﷺ، الشطر الأول وجاء بالنصف الثاني على غير تأليف الشعر، لأن نصف بيت لا يقال له شعر، ولا بيت.. انظر: لسان العرب (مادة رجز).

(٥) المصدر السابق: (مادة رجز).

(٦) المرسل: هو الشعر غير المقفى. وتوخاه الكهان: قصدوه.

(٧) تاريخ الأدب العربي، ص ٢٨.

النقاد أو الأدباء على حقيقة الطور الأول من الشعر أي المرسل منه، ولم يقع تحت نظري نماذج شعرية من هذا، وكنا نودّ لو أن الأستاذ الزيات قد أورد بعض النماذج وهو يطلق هذا القول، أو يحيلنا إلى مصدر نستقي منه لنقف على حقيقة الأمر. ويضيف قائلاً: «فلما ارتقى فيهم ذوق الغناء، وانتقل الشعر من المعابد إلى الصحراء، ومن الدعاء إلى الحداء، اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز. ثم تعددت الأوزان بتعدد الألحان، فكان للحماسة وزن، وللغزل وزن، وللهزج وزن، وهكذا إلى سائر الأوزان التي حصرها الخليل بن أحمد في خمسة عشر وزناً سماها بحوراً»[1] وزاد الأخفش سعيد بن مسعدة على هذه البحور بحراً آخر سماه المتدارك[2]. قد نتفق معه إلى حد ما في التطور من الرجز إلى القصيد، وقد نختلف معه في تطور الشعر من المرسل إلى السجع إلى الرجز؛ لعدم وجود الدليل الكافي الوافي الشافي لهذه الظاهرة. . ولكنه يبرر هذا بقوله: «فأنت ترى أن الشعر مصدره الغناء، وفي أخذهم السجع من هديل الحمامة، والرجز من إيقاع مشي الناقة، ولفظ الشعر من (شير) العبرية بمعنى الترتيلة أو التسبيحة، وقولهم إلى الآن: أنشد الشعر بمعنى ألقاه ما يؤيد ذلك[3]».

إن القائلين أو المؤيدين لأسبقية الشعر، أكثر بكثير من القائلين بأسبقية النثر، بل هم قلة قليلة لا تذكر، وهذا الصراع قائم، لا أظن أننا نستطيع حسم القضية، على الرغم من ترجيحنا أسبقية الشعر، وعلى أية حال سنعرض للآراء التي تقول بأسبقية النثر.

١ ـ هناك من يقول: «النثر أسبق أنواع الكلام في الوجود لقرب تناوله، وعدم تقيده، وضرورة استعماله[4]». وقد ورد أن الباقلاني يقول: «إن العرب بدأوا بالنثر وتوصلوا منه إلى الشعر فلما استحسنوه واستطابوه ورأوا الأسماع تألفه والنفوس تقبله تتبعوه وتعلموه وتكلفوا به[5]». في حين نجد الدكتور طه حسين يقول: «والواقع أننا لا

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٩.

(٢) انظر كتابنا: الشافي في العروض والقوافي، ص ٢١٣ ـ ٢١٨.

(٣) تاريخ الأدب العربي، ص ٢٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٩.

(٥) نقلا عن المرجع السابق، ص ٢٨ (هامش رقم ٣).

نستطيع بحال من الأحوال أن نطمئن إلى أن هذا العصر كان له نثر فني»، ثم يعود فيقول: «وإذن فالعصر الجاهلي لم يكن له نثر بالمعنى الذي حددته، ومع ذلك فقد كان له نثر خاص، لم يصل إلينا لضعف الذاكرة، وخلوه من الوزن، هذا النثر هو الخطابة[1]». والخطابة ـ كما هو معروف ـ نوع من النثر أما الدرجة الفنية التي تحكمه فهذا أمر آخر، ولا نستطيع الأخذ بهذا الرأي القائل بعدم وجود النثر.

٢ ـ وهناك من يقول: «إن النثرأقدم نشأة ودوراناً على الألسن من الشعر .[2]». وعلينا هنا أن نفرق بين الكلام العادي الذي هو نوع من النثر، والنثر الفني الذي له خصائصه، ولا نعلم بالتحديد ما النثر الذي قصده. . . ولكنه يبرر قوله هذا بـ «أن النثر لما كثر أصبح مبتذلاً فلم يهتمّ العرب بروايته كما اهتموا برواية الشعر»[3]. واستند في ذلك إلى قول ابن رشيق: «ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عُشْره»[4].

٣ـ ويقال: إنه قد اجتمع الناس على أن المنثور في كلام العرب أكثر من الشعر، يقول ابن رشيق: «وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحائها الأجواد، لتَهُزَّ أنْفُسَها إلى الكرم، وتدلَّ أبناءها على حسن الشيم فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلمّا تمّ لهم وزنه سمّوه شعراً، لأنهم شعروا به، أي: فطنوا[5]».

٤ ـ والآن، بعد أن رأينا بعض الآراء التي تقول بأنّ النثر وجد أولاً، ثم مرّ في طرق عديدة إلى أن أصبح شعراً؛ فإنه يمكننا القول: إن هذه الآراء اعتمدت على أساسين، هما:

---

(١) من حديث الشعر والنثر، ص ٢٤ـ٢٥.

(٢) د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ١/٨٨.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) العمدة ١/٢٠. وانظر هذا في: البيان والتبيين ١/٢٨٧.

(٥) المصدر السابق نفسه. والمزهر ٢/٤٧٢. والأنجاد: مفردها نَجِدٌ ونَجُدٌ، الشجاع الماضي في ما يعجز غيره. والأعاريض: جمع عروض، وهو ميزان الشعر.

١ ـ «إن السجع كان المرحلة الأولى التي عبرها النثر إلى الشعر في الأدب العربي القديم».

٢ ـ «إن الكتب السماوية ضاربة في القدم، وذلك قبل أن نسمع بالشعر والشعراء، ولعل هذه الكتب هي التي أدت إلى نشأة النثر الفني في العصور القديمة البعيدة قبل أن يوجد الشعر بزمن طويل[1]».

ويمكن تلخيص القول بأسبقية الشعر بالأمور التالية:

١ ـ إن طبيعة الحياة الإنسانية في طفولتها بما فيها من غلبة العواطف على الإدراك العقلي، كانت تقتضي وجود فن قولي ـ ألا وهو الشعر ـ يعبّر عن الجانب الوجداني عند الإنسان.

٢ ـ إذا تأملنا تاريخ أدب أية أمة من الأمم، رأينا الشعر أقدم فن أدبي تناقلته هذه الأمة، كما هو الحال عند اليونان والرومان.

٣ ـ كثرة الشعراء في تاريخ أية أمة وزيادتهم على كتّاب النثر، كما هو الحال في العصر الجاهلي.

٤ ـ إن النثر يتطلب الكتابة لتدوينه، والمدوّن يأتي عادة في مرحلة متأخرة من تاريخ كل أمة، في حين نجد أن الشعر يروى عصراً بعد عصر، لأن حفظ الشعر أيسر من حفظ النثر.

٥ ـ لا يقاس النثر الذي وصل إلينا من العصر الجاهلي بالشعر لا من حيث الكم ولا من حيث الكيف.

أما القول بأسبقية النثر فنجمله بما يلي:

١ ـ إن العرب بدءوا بالنثر وتوصلوا منه إلى الشعر، أي: إنهم طوّروه من المرسل إلى السجع، ومن السجع إلى الرجز، ثم تدرجوا من الرجز إلى القصيد.

٢ ـ النثر أسبق من الشعر لقرب تناوله، وعدم تقيده، وضرورة استعماله.

---

(١) د. محمد حسن عبدالله، مقدمة في النقد الأدبي، ص ٢٥١ . (نقلاً عن الأدب العربي في الجاهلية والإسلام لعمر رضا كحالة، ص ١١).

٣ ـ إن الكتب السماوية ضاربة في القدم، ولعلها أدّت إلى نشأة النثر الفني في العصور القديمة قبل أن يوجد الشعر بوقت طويل.

أما السؤال الذي كنّا قد طرحناه، وهو: لماذا يعبّر الشاعر عن فنه بالشعر؟ فجوابه: من المسلم به أن الشاعر حين يعبّر يعبّر بالشعر ولا يعبّر بالنثر؛ لأن الدوافع والأحاسيس والحالة الوجدانية «تجعله في وضع يكون فيه التعبير الشعري... هو التعبير الوحيد الكافي، فالشعر، قبل كل شيء، يعتمد على ما عند الشاعر من «بصيرة» شعرية وعندئذٍ لا تكون مادة الموضوع التي يستخدمها مادة شعرية في ذاتها، مستقلة عن هذه البصيرة، ولكنها تكون كذلك لأنها دخلت في مجال الحالة الشعرية[1]» أما بالنسبة إلى الأديب الذي يعبّر بالنثر لا بالشعر، لأن اللحظة التي يعبر فيها بالنثر هي الطريقة الوحيدة الكافية لهذا التعبير عما يجول في فكره، ولا يستطيع أن يخرجها إلا في هذا القالب النثري.. أما إذا كان الأديب قادراً على أن يخرج فنّه القولي بقالبين: شعري ونثري، فإنه لا يستطيع التحكم بأيّ من القالبين؛ لأنه لا بدّ من غلبة واحد على الآخر، وهذا خاضع لأمور كثيرة، منها تجربته الفنية في كل منهما، وحالته النفسية، وأحاسيسه وطبيعة الموضوع الذي يعبر عنه الأديب. وهذا لا يمنع من أن يمزج الفنان بين الفنين في عمل واحد، لتجسيد هذا العمل، وتوصيله إلى المتلقي.

الأدب والدراسة الأدبية:

سبق أن عرفنا الأدب، ولا داعي لسرد التعريفات مرة أخرى، وهناك من يقسم الأدب إلى قسمين: **الأدب الإنشائي**: هو ذلك الأدب الذي يبدعه الفنان. والأدب **الوصفي**: يظهر في مرحلة تالية للأدب الإنشائي ومتأخرة عنه، فهو يتناول الأدب الإنشائي بالتفسير والتحليل والتقويم أو الحكم[2]. أو هو دراسة الأدب الإنشائي... وهناك من يقسم الدراسة الأدبية إلى قسمين:

تاريخ الأدب والنقد الأدبي[3].

---

(١) د. عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه، ص ١٢٨.

(٢) د. طه حسين، الأدب الجاهلي، ص ٣٣-٣٦ ود. سعد ظلام، في النقد الأدبي، ص ٢٦-٢٧.

(٣) انظر لمزيد من التفاصيل: د. محمد حسن عبد الله، مقدمة في النقد الأدبي، ص ٢٩-٣٣.

العصور الأدبية[1]:

ذهب معظم مؤرخي الأدب إلى تقسيم العصور الأدبية إلى حقب زمنية، وقد اعتمدوا في تقسيماتهم هذه على التغييرات الدينية والسياسية والتاريخية... ويمكننا إيجاز ذلك فيما يلي:

١ ـ العصر الجاهلي، قبل الإسلام.

٢ ـ العصر الإسلامي: ويقصد به من ظهور الإسلام إلى آخر دولة الخلفاء الراشدين، وقيام الدولة الأموية (٤٠ هـ / ٦٦٠ م).

٣ ـ العصر الأموي: ويبدأ من سنة ٤١ هـ/٦٦١ م إلى ١٣٢ هـ/٧٥٠ م. وهو العصر الذي تمت فيه الفتوحات الإسلامية.

وهناك من يعد العصر الإسلامي: من ظهور الإسلام إلى أواخر الدولة الأموية. ثم يقسّم ذلك: من ظهور الإسلام إلى أواخر دولة الخلفاء الراشدين، ويطلق عليه: عصر صدر الإسلام، ثم يسمي العصر الذي يليه، العصر الأموي.

٤ ـ العصر العباسي: هناك من يقسمه إلى قسمين، هما:

أ ـ العصر العباسي الأول: ويمتد من سنة ١٣٢ هـ/٧٥٠ م ـ ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م، أي: من وفاة الخليفة العباسي العاشر المتوكل على اللّه (جعفر بن محمد المعتصم)؛ الذي حاول نقل عاصمته إلى دمشق، غير أنه عاد إلى سامراء حيث اغتاله القادة الأتراك بالاشتراك مع ابنه الأكبر المنتصر، وكان موته بداية انحطاط الخلافة العباسية[2].

ب ـ العصر العباسي الثاني ويمتد من سنة ٢٤٧هـ/٨٦١ م ـ ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م. أي: من وفاة الخليفة العباسي السابع والثلاثين المستعصم (عبد اللّه بن منصور المستنصر) وهو آخر الخلفاء العباسيين في بغداد، الذي عجز عن صدّ الزحف

---

(١) انظر: د. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ١٤-١٥.

(٢) انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ١ / ٣٥٠ ـ ٣٥٦.

المغولي بقيادة هولاكو الذي قتله بعد أن احتل بغداد وأعمل السيف برقاب أهلها وقضى على مكتبتها[1].

وهناك من يقسم هذا العصر إلى ثلاثة أقسام، هي:

أ ـ العصر العباسي الأول ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م ـ ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م.

ب ـ العصر العباسي الثاني ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ـ ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م.

وذلك بعد أن دخل البويهيون[2] بغداد في هذا العام في خلافة المطيع لله (الفضل بن المقتدر) وهو الخليفة الثالث والعشرون الذي غدا ألعوبة في أيديهم، وأصبحت الخلافة اسمية.

جـ ـ العصر العباسي الثالث ٣٣٤ هـ /٩٤٥ م ـ ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م.

ومن المؤرخين من يقسم هذا العصر إلى قسمين، هما:

أ ـ العصر البويهي ٣٣٤هـ / ٩٤٥ م ـ ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م.

ب ـ العصر السلجوقي ٤٤٧ هـ/١٠٥٥ م ـ ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م.

٥ ـ العصر المغولي أو العصر التتري: ويبدأ من سنة ٦٥٦ هـ /١٢٥٨ م ـ ١٢١٣ هـ /١٧٩٨ م. أي: إلى بداية الحملة الفرنسية بمصر.

٦ ـ العصر الحديث: ويبدأ من ١٢١٣ هـ /١٧٩٨ م إلى يومنا هذا.

وهناك من المؤرخين من يلجأ إلى تقسيم العصور الأدبية إلى ثلاث حقب، هي[3]:

١ ـ الأدب القديم: ويبدأ من أقدم العصور الجاهلية إلى آخر العصر الأموي أي إلى سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م.

---

(١) النجوم الزاهرة ٧/ ٦٠ـ٦٤.

(٢) (أسرة فارسية من أصل ديلمي. أسسها أبو شجاع بويه، استولى أبناؤه: علي (عماد الدولة) والحسن (ركن الدولة) وأحمد (معز الدولة) على أصفهان وشيراز وكرمان وبغداد. انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان ١ :/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٣) انظر: د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ١/٥٨.

٢ ـ الأدب المُحْدَث: ويبدأ من سقوط الدولة الأموية ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م إلى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي.

٣ ـ الأدب الحديث: ويبدأ من مطلع القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا.

ويذهب بعض المؤرخين إلى تقسيم هذه العصور إلى أقسام، نظراً لطول فترة العصر، والأقسام هي[1]:

١ ـ العصر الجاهلي: ما قبل الإسلام.

٢ ـ عصر المخضرمين: أو صدر الإسلام، وذلك من أول ظهور الإسلام إلى آخر دولة الخلفاء الراشدين، وقيام الدولة الأموية ٤٠ هـ/ ٦٦٠ م.

٣ ـ العصر الأموي: ٤١ هـ/ ٦٦١ م ـ ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م.

٤ ـ العصر العباسي: ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م ـ ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م. ويقسم إلى الحقب التالية:

أ ـ الحقبة الأولى: حقبة بغداد ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م ـ ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م.

ب ـ الحقبة الثانية: حقبة الدويلات ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م ـ ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥ م.

جـ ـ الحقبة الثالثة: حقبة السلاجقة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥ م ـ ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م.

وهناك من يقسم هذا العصر إلى عصرين:

١ ـ العصر العباسي الأول: يبدأ بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م ـ ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م، أي: إلى قيام الدولة البويهية في العراق.

٢ ـ العصر العباسي الثاني: يبدأ من قيام الدولة البويهية سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥ م ـ ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م، أي: بدخول التتار بغداد.

٥ ـ العصر الأندلسي: ويقسم إلى الحقب التالية:

---

(١) المرجع السابق نفسه.

١ ـ حقبة الولاة : وتبدأ بدخول المسلمين الأندلس سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م ـ ١٣٨ هـ / ٧٧٥م . أي إلى قيام دولة الأمويين هناك .

٢ ـ حقبة ملوك بني أمية وملوك الطوائف: وتبدأ سنة ١٣٨ هـ /٧٥٥ م ـ ٤٨٤ هـ /١٠٩١ م. أي: إلى عصر المرابطين والموحدين .

٣ ـ حقبة المرابطين والموحدين : وتبدأ سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م ـ ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢ م، أي : إلى قيام دولة بني الأحمر.

٤ ـ حقبة دولة بني الأحمر: وتبدأ سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م ـ ٨٩٧ هـ/ ١٤٩١ م ، أي : حين طُرد المسلمون من الأندلس .

٦ ـ العصر التركي : ويبدأ من سنة ٦٥٦ هـ /١٢٥٨ م ـ ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م، أي : إلى بداية الحملة الفرنسية على مصر.

٧ ـ العصر الحديث: ويبدأ من سنة ١٢١٣ هـ/١٧٩٨ م ـ إلى اليوم .

وسنأخذ بالتقسيم التالي :

١ ـ العصر الجاهلي : ما قبل الإسلام .

٢ ـ عصر صدر الإسلام : ويبدأ بظهور الإسلام وينتهي سنة ٤٠ هـ /٦٦٠ م .

٣ ـ العصر الأموي : ويبدأ سنة ٤٠ هـ /٦٦٠ م. وينتهي سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م .

٤ ـ العصر العباسي : ويبدأ سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م. وينتهي سنة ٦٥٦ هـ /١٢٥٨ م .

٥ ـ العصر الأندلسي : ويبدأ سنة ٩٨ هـ/٧١٦م وينتهي سنة ٨٩٧ هـ/١٤٩١ م .

٦ـ العصر المملوكي والعثماني : ويبدأ سنة ٦٥٦ هـ /١٢٥٨ م وينتهي سنة ١٢١٣ هـ /١٧٩٨ م .

٧ ـ العصر الحديث: ويبدأ سنة ١٢١٣ هـ /١٧٩٨ م ـ إلى الآن .

والسؤال الذي يطرح الآن، ما مميزات هذا التقسيم إلى عصوره؟ وما سلبياته؟ وهل يمكننا اللجوء إلى تقسيم آخر؟

مما لا شك فيه أن الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية تؤثر تأثيراً مباشراً في الأدب، ولسنا بصدد تتبع ظاهرة هذا التأثير، ولكن ـ كما يبدو ـ أن الظروف السياسية، هي الأكثر تأثيراً في الحركة الأدبية، ولهذا نجد معظم المؤرخين يقسّمون تاريخ الأدب معتمدين على العصور السياسية كما رأينا. وكان لا بدّ من اللجوء إلى هذا التقسيم الذي يواكب التغير السياسي عبر العصور، على الرغم من المناداة بتقسيمات أخرى يرى أصحابها أهمية الأخذ بها. . . أما سلبيات هذا التقسيم، الذي يطبق المنهج المدرسي أو النظرية المدرسية، فهي:

١ ـ إن النظرية المدرسية تعتمد على تقسيم التاريخ الأدبي إلى عصور، وتربطها إلى العصور السياسية وتجعلهما متطابقين، بل تجعل الأدب في موقف التبعية.

٢ ـ تتجاهل هذه النظرية بل تنكر تداخل العصور مع بعضها البعض.

٣ ـ تأخذ بالأساس الزماني وتلغي الأساس المكاني والبيئي أو الإقليمي الذي له أكبر الأثر على الأدب.

٤ ـ إن النظرية المدرسية تهمل النوازع الفردية عند الأدباء وتكتفي بالأحكام العامة حول كل عصر، من حيث الرقي والجودة والهبوط والركود والانحطاط.

٥ ـ تهتم هذه النظرية بأدباء القمة المشهورين، وتجعلهم الممثلين عن أدباء العصر، ويحكم بالرقي أو الانحطاط من خلال أعمالهم الفنية على الأدب في ذلك العصر.

٦ ـ تتجاهل الأدباء المقلّين المجوِّدين، الذين قد يضاهون أدباء القمة، على الرغم من قلة إنتاجهم الفني ويمكن أن نقول: إنها تهتم بالكم الذي يتّصف بالجودة، وتهمل الكيف الذي يتّصف بالقلّة، ولا نعني بذلك أن هذه النظرة لا تذكرهم نهائياً، بل تشير إليهم حين تستدعي الضرورة. . .

وعلى أية حال، فإن هذه النظرية استطاعت أن ترسم وتحدد هيكلاً عاماً لتأريخ الأدب عبر العصور[1]. وعلى الرغم من توجيه هذا النقد لهذه النظرية، فإنها ـ في

(١) انظر: د. محمد حسن عبد الله، مقدمة في النقد الأدبي، ص، ٢٨٠. ود. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص ١١ ـ ١٣.

نظرنا ـ تبقى المنهج القادر على تغطية كثير من الاتجاهات الأدبية، وعلى تسليط الضوء على الأدب بصفة عامة أكثر من المناهج الأخرى التي سنحاول التعريف بها بإيجاز[1] :

أ ـ نظرية الفنون الأدبية : تهتم هذه النظرية بدراسة كل فنّ على حده، كالشعر، وتراجم الشعراء، والخطابة، والنحو وغير ذلك، وتؤرّخ للفن الواحد عبر امتداده الزمني من أقدم العصور إلى آخر المراحل. . . ومن سلبياتها أنها تجزىء نتاج الشاعر الواحد وتأخذ الجزئية المطلوبة، وتهمل باقي الإنتاج، كما أنها تهمل صاحب النص، في الوقت الذي تهتم بنصه.

٢ ـ نظرية خصائص الجنس: تقوم على علم الأجناس، ومثالها دراسة العقاد لشاعرية ابن الرومي كممثل لخصائص العقلية اليونانية. وابن الرومي ـ كما هو معروف ـ من أعظم شعراء الدولة العباسية ولد في بغداد من أب رومي وأم فارسية. . . أثّر تراثه اليوناني الفارسي في عبقريته. . فالفروق العرقية لا تعني بالضرورة وجود فروق في الإبداع الفني. . . وخاصة حين ندرس شعراء العرب والفرس في العصر العباسي، نجد أن الأعراق قد اختلطت، وتوحّد الدين، وكذلك اللغة.

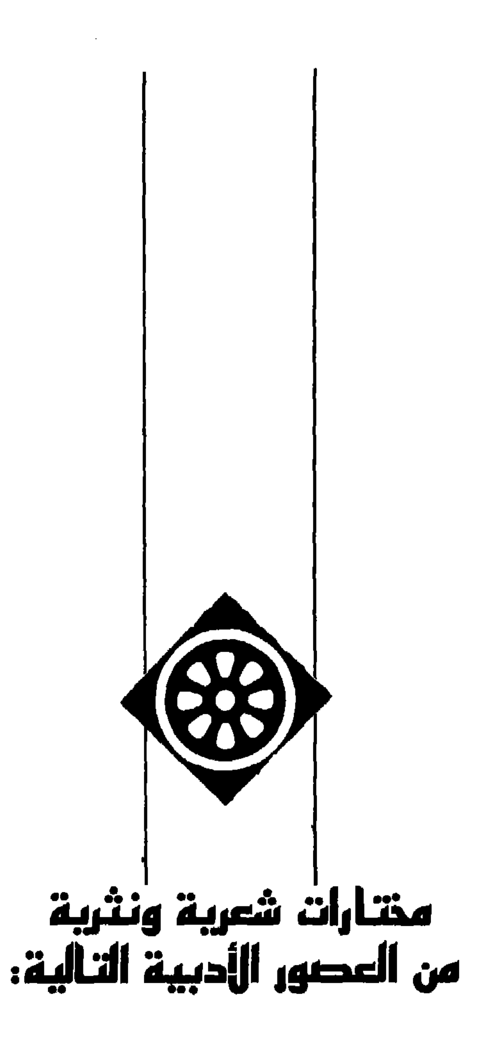
٣ ـ النظرية الثقافية: ترتكز على أن الآداب، لا تعيش في عزلة تامة، إنما تقوم على مبدأ التأثير والتأثر. . . . ومثال ذلك أدب الجزيرة العربية كان له طابعه الخاص، وحين غادرها إلى الأمصار، وتأثر بالثقافات الأخرى اكتسب طابعاً مختلفاً، فظهرت فيه أغراض جديدة، واستعمل أساليب غير مألوفة.

٤ ـ نظرية المذاهب الفنية: تهتم باتجاه فني معين، ودراسته منذ بواكيره إلى ازدهاره ثم انحطاطه، كدراسة شعراء الصنعة مقابل شعراء الطبع، أو دراسة ظاهرة البديع في الشعر، أو دراسة الاتجاه الرومانسي.

٥ ـ النظرية الإقليمية: تهتم بدراسة الأدب على أساس مكاني، أي أثر المكان في الأدب، نحو دراسة شعراء البادية أو شعراء القرى، أو الأدب المصري، أو الأدب الفلسطيني، ومن هنا نجد أن تأثير البيئة واضحاً في هذا المنهج.

---

(١) المرجع السابق نفسه.



مختارات شعرية ونثرية من العصور الأدبية التالية:

١ ـ العصر الجاهلي
٢ ـ العصر الإسلامي
٣ ـ العصر الأموي
٤ ـ العصر العباسي

١
العصر الجاهلي

أولاً: الشعر

١ ـ من معلقة امرئ القيس(١)

(من الطويل)

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ(٢)

---

(١) هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو. . . الكندي، يقال له الملك الضليل، وذو القروح، وهو من أهل نجد، من الطبقة الأولى، طرده أبوه لما صنع الشاعر بفاطمة ما صنع ـ وكان لها عاشقاً ـ وأمر بقتله، ثم عفا عنه، ونهاه عن قول الشعر، ولكنه نظم بعدئذ فبلغ ذلك أباه فطرده، وبقي طريداً إلى أن وصله خبر مقتل أبيه ـ الذي كان ملكاً على أسد وغطفان ـ على أيدي بني أسد، وكان حينذاك بدمُون ـ بحضرموت ـ فقال: «ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لاصحو اليوم، ولا سكر غداً، اليوم خمر، وغداً أمر». وأخذ يطلب ثأر أبيه، يستنجد القبائل، إلى أن وصل إلى السموأل، والحارث الغساني ـ في بلاد الشام ـ وقيصر الروم ـ في القسطنطينية ـ الذي ضم إليه جيشاً كثيفاً، فوشى رجل من بني أسد بامرئ القيس إلى قيصر، فبعث إليه بحلَّة وشي مسمومة منسوجة بالذهب. فلما وصلت إليه لبسها، فأسرع فيه السم، وسقط جلده، وكان حينذاك بأنقرة، التي مات فيها. وله أشعار كثيرة، يصف فيها رحلته هذه.

انظر حياته في: الأغاني ٧٧/٩ ـ ١٠٧. وطبقات الشعراء، ص ١٣ ـ ١٧. والشعر والشعراء، ص ٣٧ ـ ٥٦. وخزانة الأدب ٣٢٨/١ ـ ٣٣٥.

أما مناسبة معلقته هذه، فانه كان يعشق عنيزة ابنة عمه شرحبيل، وكان لا يحظى بلقائها، فانتظر ظعن الحي على الغدير المسمى دارة جلجل، فلما وردت العذارى ومعهن عنيزة، نضون ثيابهن، وشرعن في الانغماس في الماء، حينئذ جمع امرؤ القيس ثيابهن، وحلف على أن لايدفع إليهن ثيابهن إلا بعد أن يخرجن إليه عاريات، ففعلن. فعقر ناقته وأكلن حتى شبعن، فلما ارتحلن قسمن امتعته، وحملته عنيزة على مقدم هودجها، فجعل يدخل رأسه في الهودج يقبلها. انظر: شرح المعلقات السبع، ص ٣ ـ ٤. وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٣ ـ ١٥.

(٢) قفا: فعل أمر للاثنين، يريد بهما صاحبيه على عادة الشعراء في مخاطبة الاثنين، ولو كان المراد واحداً. =

فتُوضِحَ فَالْمِقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها ... لِمَا نَسَجَتْها منْ جَنُوبٍ وشَمْألِ (١)

تَرَى بَعَرَ الأرْآمِ في عَرَصاتِها ... وقِيعَانِها كأنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ (٢)

كأنِّيَ غَداةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ ناقِفُ حَنْظَلِ (٣)

وُقُوفاً بها صَحْبِي عَليَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ لا تَهْلِكْ أسىً وَتَجَمَّلِ (٤)

وإنَّ شِفَائِيَ عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ ... فَهلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارسٍ منْ مُعَوَّلِ (٥)

كَدَأبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَها ... وَجَارَتِها أُمِّ الرَّبابِ بِمَأْسَلِ (٦)

إذا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا ... نَسِيمَ الصَّبا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ (٧)

ففَاضَتْ دُموعُ الْعيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... عَلى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِيَ مِحْمَلِي (٨)

ألا رُبَّ يَوْمٍ لكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ ... وَلاَ سِيَّما يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ (٩)

ويَوْمَ عَقَرْتُ للعَذارَى مَطِيَّتي ... فيَا عَجَباً مِنْ كُورِها المُتحمَّلِ (١٠)

فَظَلَّ العَذَارى يَرْتَمينَ بِلَحْمِها ... وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ (١١)

* * *

= وقيل: أراد قفن، بالنون، على جهة التأكيد، فقلبت النون ألفاً في حال الوصل، لأن هذه النون تقلب ألفاً في حال الوقف فحمل الوصل على الوقف. وسقط اللوى: مكان منزل المحبوبة. والدخول وحومل: موضعان.

(١) توضح والمقراة: موضعان. ولم يعف: لم ينمح أثرها. والرسم: ما لصق بالأرض من آثار الدار. والجنوب: ريح الجنوب. والشمال كذلك.

(٢) الأرآم: واحدها رئم، وهي الظباء البيض. وعرصة الدار: ساحتها.

(٣) الغداة: الضحوة. والبين: الفرقة. وتحملوا: ارتحلوا. وسمرات: من شجر الطلح.

(٤) الصحب: الجماعة. والمطي: المراكب. والأسى: الحزن.

(٥) العبرة: الدمع. والمهراقة: المصبوبة. والرسم: الأثر. والمعول: المبكي. وهنا استفهام يتضمن معنى الإنكار.

(٦) كدأبك: كعادتك. ومأسل: جبل.

(٧) تضوع: انتشر. والريا: الرائحة الطيبة.

(٨) فاضت: سالت. والصبابة. رقة الشوق. والمحمل: السير الذي يُحمل به السيف. والجمع حمائل.

(٩) دارة جلجل: غدير بعينه.

(١٠) الكور: الرحل.

(١١) الدمقس: الحرير الأبيض الخالص.

أفـاطِمَ مَهْـلاً بعضَ هــذا التّـدلُّــلِ ... وإن كنتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صُرْمِي فأَجْمِلي (١)

وإنْ تَـكُ قـدْ سـاءَتكِ مِنِّي خَليقـةٌ ... فَسُلِّي ثيـابِي مِنْ ثيابِـكِ تَنْسُـلِ (٢)

أغـرَّكِ مـنّـي أنّ حُـبَّـكِ قَـاتِـلي ... وأنـكِ مَهما تـأْمُري القَلْبَ يَفْعَـلِ (٣)

وَمَـا ذَرَفَـتْ عَيْنَـاكِ إلاّ لـتَضْـرِبي ... بِسَهْمَيْـكِ في أعْشَـارِ قَلْبٍ مُقَتَّـلِ (٤)

* * *

مُـهفـهفَـةٌ بَـيْضـاءُ غَـيْـرُ مُفـاضـةٍ ... تَـرَائبُهـا مصقُـولـةٌ كـالسَّجنْجَـلِ (٥)

كَبِكْـرِ المُقـانـاةِ البَيـاضَ بصُفْـرَةٍ ... غَـذَاهـا نَمِيرُ المـاءِ غَيْـرُ المُحَلَّلِ (٦)

تَـصُـدُّ وَتُبـدِي عَـنْ أسيـلٍ وَتَـتّقـي ... بِنَـاظِـرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْـرَةَ مُـطْفِـلِ (٧)

وجيـدٍ كَجيـدِ الـرِّئْمِ ليْسَ بفـاحشٍ ... إذَا هـي نَـصّـتْـهُ ولاَ بـمُـعـطَّـلِ (٨)

وَفَـرْعٍ يـزينُ المَتنَ أَسْـوَدَ فـاحـمٍ ... أثيثٍ كقِنْـوِ الـنّخْـلة المُـتَعـثْكِـلِ (٩)

غَـدَائِـرُهُ مُـستَـشْـزِراتٌ إلى الـعُـلا ... تَضِـلُّ الْعِقاصُ في مُثَنًّى ومُرْسَـلِ (١٠)

---

(١) أفاطم: ترخيم فـاطمة، وهي صـاحبته، وقيـل: هو لقب لعنيـزة. وأزمعت صرمي: عـزمت عليه. والصرم: الهجر. وأجملي: أحسني.

(٢) ساءتك: آذتك. الخليقة والخلق واحد. والثياب: جعلها بمعنى القلب. وتنسل: تسقط.

(٣) أغرك: الألف للاستفهام، دخلت على هذا القول للتقرير لا للاستفهام والاستخبار.

(٤) ذرفت: سالت. ومقتّل: مذلل منقاد. ومعشراً: مكسراً.

(٥) المهفهفة: الخفيفة اللحم التي ليست برَهلِةٍ، ولا ضخمة البـطن. والمفاضـة: المسترخيـة البطن. والترائب: جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر. والسجنجل: المرآة. وقيل: سبيكة الفضة.

(٦) البكر من كل شيء: ما لم يسبقه مثله، والمقصود هنا: أول بيض النعامة. والمقاناة: المخالطة. يقال: قانيت بين الشيئين: إذا خلط أحدهما بالآخر. والنمير: الماء المفيد العذب. وغير محلل: لم يحلل عليه، أي لم ينزل به أحد فيكدره، فهو صاف.

(٧) تصد: تعرض. وتبدي: تظهر. وأسيل: صفة الخدّ المستطيل اللين. والناظرة: أراد بها عينها. وجرة: موضع، أراد بوحش وجرة: الظباء. والمطفل: التي لها أطفال.

(٨) الجيد: العنق. والرئم: الظبي الأبيض الخالص البياض. والفاحش: ما جاوز القدر المحمود من كل شيء. ونصته: رفعته. والمعطل: الذي لا حلي عليه.

(٩) الفرع: الشعر التام. والمتن: ما عن يمين الصلب وشماله، الظهر. وأثيث: كثير. والقنو: عذق النخلة، وهو يقابل العنقود للكرم. والمتعثكل: المتدلي الذي دخل بعضه في بعض.

(١٠) الغدائر: مفـردها الغديرة وهي الـذؤابة من الشعـر. ومستشزرات: مـرفوعـات. والعقاص: مفـردها=

وكَشْحٍ لَطيفٍ كالجَديلِ مُخَصَّرٍ   وساقٍ كأُنْبوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ (١)

وتُضْحِي فَتيتُ المِسْكِ فَوْقَ فِراشِها   نَئُومُ الضُّحى لم تَنْتَطِقْ عَنْ تَفضُّلِ (٢)

وتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كأنَّهُ   أساريعُ ظَبْيٍ أوْ مَسَاوِيكُ إسْحَلِ (٣)

تُضيءُ الظَّلامَ بالعشاءِ كأنَّها   مَنارَةُ مُمْسِي راهِبٍ مُتَبَتِّلِ (٤)

إلى مثلِها يَرْنُو الحليمُ صَبابَةً   إذَا ما اسْبكَرَّتْ بَينَ دِرْعٍ وَمِجْوَلِ (٥)

تَسلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجالِ عَنِ الصِّبا   وَلَيْسَ فُؤادِي عَنْ هَواكِ بِمُنْسَلِ (٦)

ألا رُبَّ خَصْمٍ فِيكِ ألْوَى رَدَدْتُهُ   نَصِيحٍ عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلي (٧)

وَلَيْلٍ كَموجِ البحْرِ أرْخَى سُدُولَهُ   عليَّ بأنْوَاعِ الهمُوم لِيَبْتلي (٨)

فقلتُ لهُ لمّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ   وأرْدَفَ أعْجازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ (٩)

ألا أيُّها اللَّيلُ الطَّويلُ ألا انْجلي   بِصُبحٍ وَمَا الإصباحُ مِنْكَ بأمْثَلِ (١٠)

= العقيصة، وهي الخصلة من الشعر. والمعنى: أن ذوائبها وغدائرها مرفوعات أو مرتفعات إلى فوق، يراد به شدها على الرأس بخيوط، ثم قال تغيب تعاقيصها في شعر بعضه مثنى وبعضه مرسل، أراد به وفور شعرها.

(١) الكشح: الخصر. والجديل: خطام يتخذ من الأدم. والمخصر: الدقيق الوسط. والأنبوب: ما بين العقدتين من القصب وغيره. والسقي: بمعنى المسقي.

(٢) الفتيت: اسم لدقاق الشيء الحاصل بالفت. وتنتطق: تشد النطاق، أي المئزرة على وسطها. وتفضل: لبس الفضلة، وهي ثوب واحد يلبس للخفة في العمل. أي انها تُخدم ولا تَخدم.

(٣) تعطو: تتناول. والرخص: اللين، الناعم، صفة البنان. والشثن: الغليظ. والأساريع: مفردها الأسروع، نوع من الدود يكون في البقل والأماكن الندية، تشبه أنامل النساء به. وظبي: موضع. والأسحل: شجر له أغصان ناعمة.

(٤) الممسي: بمعنى الامساء. والمتبتل: المنقطع عن الناس لعبادة الله.

(٥) اسبكرت: امتدت. والدرع: قميص تلبسه المرأة. والمجول: ثوب تلبسه الجارية الصغيرة. أي أنها بين اللواتي أدركن الحلم وبين اللواتي لم يدركنه. أي أنها في ريعان الشباب ليست بصغيرة ولا كبيرة.

(٦) تسلى: نسي، اي [illegible] حبه من قلبه أو زال حزنه. والعماية والعمى: واحد، أي الجهالة. ومنسل: من السلو، أي النسيان.

(٧) الألوى: الشديد الخصومة، كأنه يلتوي على خصمه بالحجج. والتعذال والعذل: واحد. وغير مؤتل: أي غير تارك نصحي.

(٨) سدوله: ستوره. شبه ظلام الليل بأمواج البحر. والهموم: الأحزان. ويبتلي: يختبر.

(٩) تمطى: تمدد. وأردف أعجازاً: أي رجع. وناء بكلكل: أي تهيأ ونهض. والكلكل: الصدر.

(١٠) الانجلاء: الانكشاف. والأمثل: الأفضل.

فيـا لـكَ مِنْ ليْـلٍ كـأنَّ نُجـومَـهُ ... بكُلِّ مُغَـارِ الفَتْـلِ شُـدَّتْ بِيَـذْبُـلِ [١]

كـأنَّ الثُّـرَيّـا عُلِّقتْ في مَصَـامِهـا ... بـأَمْرَاسِ كَتَـانٍ إلى صُمِّ جَنْـدَلِ [٢]

وقـدْ أَغْتَـدِي والـطَّيـرُ في وُكُنَـاتِهـا ... بِمُنجَـرِدٍ قَيْـدِ الأوابـدِ هَـيْكَـلِ [٣]

مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقبـلٍ مُـدْبـرٍ مَعـاً ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيلُ مِنْ عَلِ [٤]

كُمَيْتٍ يَـزِلُّ اللِّبْـدُ عَنْ حَـالِ مَتْنِـهِ ... كَمَـا زَلَّتِ الصَّفْـوَاءُ بِـالمُتَنَـزَّلِ [٥]

على الـذَّبْلِ جَيَّاشٍ كـأنَّ اهْتِـزَامَـهُ ... إذَا جَاشَ فيهِ حَمْيُـهُ غَلْيُ مِـرْجَـلِ [٦]

مِسَـحٍّ إذَا مـا السَّـابِحَـاتُ على الْـوَنَى ... أثَـرْنَ الغُبـارَ بـالكَـدِيـدِ المُـركَّـلِ [٧]

يَـزِلُّ الغُـلامُ الخِفُّ عَنْ صَـهَـوَاتِـه ... ويُلْوِي بـأثْـوابِ العَنِيفِ المُثَقَّـلِ [٨]

دَرِيـرٍ كَـخُـذْرُوفِ الـوَلـيـدِ أَمَـرَّهُ ... تَتَـابُـعُ كَفَّيْـهِ بخيْطٍ مُـوَصَّـلِ [٩]

---

(١) المغار: المحكم الفتل. ويذبل: جبل.

(٢) الثريا: مجموعة من الكواكب. والمصام: موضع وقوفها. والأمراس: الحبال. والجندل: الحجارة.

(٣) أغتدي: أبكر في الذهاب. والوكنات: جمع وكنة، وهي المواضع التي تبيت فيها الطيور. والمنجرد: الأجرد الشعر، أي قصيرة، وقيل: الماضي في السير. والأوابد: جمع آبد، وهي الوحوش. والهيكل: الطويل المرتفع.

(٤) مكر: يصلح للكر. ومفر: يصلح للفر. ومقبل: حسن الأقبال. ومدبر: حسن الأدبار. أي أن هذه الصفات اجتمعت فيه. والجلمود: الحجر العظيم الصلب.

(٥) الكميت: الفرس الأحمر المائل إلى السواد. وحال متنه: وسط ظهره. شبه ملاسة ظهر الفرس، لاكتناز اللحم عليه، وامتلائه، بالصفاة الملساء، والصفاة والصفواء: الصخرة الملساء. والمتنزل: السيل أو المطرالذي يدفع الصخور ويجرها.

(٦) الذبل: الضمور. والجياش: الذي يجيش في عدوه، كما تجيش القِدْرُ في غليانها. واهتزامه: صوته. وحميه: غليه.

(٧) المسح: الذي يصب الجري صباً كالمطر. والسابحات: اللواتي عدوهن سباحة. والسباحة في الجري: أن تدحو بأيديها دحواً: أي: تبسطها. والونى: الفتور. والكديد: الأرض اليابسة الغليظة. والمركل: الذي تركله الخيل بأرجلها. والمعنى: أن الخيل السريعة إذا فترت، فأثارت الغبار من التعب، جرى هذا الفرس جرياً سهلاً، كما يَسُحّ السحابُ المطرَ.

(٨) الخف: الخفيف. والصهوة: موضع اللبد، وصهوة كل شيء أعلاه. ويلوي بأثواب العنيف: أي يرمي بثيابه. والعنيف: البدين الذي ليس برقيق. والمثقل: الثقيل.

(٩) در الفرس: عدا عدواً سريعاً، فهو درير. والخذروف: الخَرّارة التي يلعب بها الصبيان، تسمع لها صوتا. وأمره: أحكم فتله. وتتابع كفيه: يريد متابعتهما بالتخرير.

لَـهُ أَيْـطَلا ظَبْيٍ وَسـاقـا نَعـامـةٍ — وَإرْخَاءُ سِرْحَـانٍ وَتَقْـرِيبُ تَتْفُـلِ [1]

ضَلِيعٍ إذَا اسْتَـدْبَـرْتَـهُ سَـدَّ فَـرْجَـهُ — بِضَافٍ فُوَيْقَ الأرضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ [2]

كـأَنَّ على المَتنيْنِ مِنْـهُ إذَا انْتَـحى — مَـدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَلاَيَةَ حَنْظَلِ [3]

كَـأَنَّ دِمـاءَ الـهـادِيـاتِ بِنَـحْـرِهِ — عُصَـارَةُ حِنَّـاءَ بِشَيْـبٍ مُـرَجَّـلِ [4]

فَـعَنَّ لَـنَـا سِـرْبٌ كَـأَنَّ نِعَـاجَـهُ — عَـذَارَى دَوَارٍ في مُـلاءٍ مُـذَيَّـلِ [5]

فَـأَدْبَـرْنَ كـالجَـزْعِ المُفَصَّـلِ بَيْنَـهُ — بِجِيـدٍ مُعَمٍّ في العَشِيـرَةِ مُخْـوَلِ [6]

فَـأَلْـحَـقَـنَـا بـالـهَـادِيَـاتِ وَدُونَـهُ — جَـوَاحِـرُهَـا في صُـرَّةٍ لَمْ تَـزَيَّـلِ [7]

فَـعَـادَى عِـداءً بَيْـنَ ثَـوْرٍ وَنَـعْـجَـةٍ — دِرَاكـاً وَلَمْ يَنْضَـحْ بِمَـاءٍ فَيُغْسَـلِ [8]

فَـظَلَّ طُهَـاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِـجٍ — صَفِيفَ شِـوَاءٍ أَوْ قَـدِيـرٍ مُعَجَّـلِ [9]

---

(١) أيطلا الظبي: خاصرتاه. والإرخاء: الجري السريع. والسرحان: الذئب. والتتفل: ولد الثعلب. والتقريب: أن يرفع يديه معاً، ويضعهما معاً.

(٢) الضليع: العظيم الاضلاع، المنتفخ الجنبين. والاستدبار: النظر إلى دبر الشيء، وهو مؤخره. الفرج: الفضاء بين اليدين والرجلين. وضاف: أي بذَنَب ضاف، وهو السابغ. والأعزل: ان يكون ذنبه إلى جانب.

(٣) المتنان: جانبا ظهره. إذا انتحى: وقف في ناحية البيت. والمداك: الحجر الذي يسحق به الطيب وغيره. والصلاية: الحجر الاملس الذي يسحق عليه حب الحنظل.

(٤) الهاديات: جمع الهادية، وهن الأوائل والمتقدمات في السير من سرب الوحش. وعصارة حناء: ما بقى من الأثر. والمرجل: المسرَّح.

(٥) عنّ: ظهر. والسرب: القطيع، والعذراء: البكر التي لم تمس. والدوار: صنم (حجر) كان أهل الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله تشبيهاً بالطائفين حول الكعبة إذا نأوا عنها. والملاء: جمع ملاءة. والمذيل: الذي أطيل ذيله، وأرخي. شبه طول أذيالها وسبوغ شعرها بالمُلاء المذيل، وشبه حسن مشيها بحسن تبختر العذارى في مشيهن.

(٦) الجزع: الخرز اليماني، فيه بياض وسواد. وكذلك بقر الوحش، فإن قرونها وقوائمها سود. والجيد: العنق. والمعم: الكريم الأعمام. والمخول: الكريم الأخوال. يقول: فأدبرت النعاج كالخرز اليماني الذي فصل بينه بغيره من الجواهر في عنق صبي كرم أعمامه وأخواله.

(٧) الهاديات: الأوائل المتقدمات. والجواحر: المتخلفات. والصرة: الجماعة. وتزيل: تفرق. أي انه يدرك أوائلها وأواخرها مجتمعة لم تتفرق بعد.

(٨) عادى: والى. أي: فوالى بين ثور ونعجة من بقر الوحش في طلق واحد، ولم يعرق عرقاً مفرطاً يغسل جسده.

(٩) الطهو والطهي: الانضاج. والطهاة: جمع طاه. والصفيف: المصفوف على الحجارة لينضج. والقدير: اللحم المطبوخ في القدر.

وَرُحْنَـا يَكَـادُ الـطَّرْفُ يَقْصُـرُ دُونَـهُ   مَتَى مَـا تَـرَقَّ العَيْنُ فيـهِ تَسَفَّـلِ (١)

فَبَـاتَ عَـلَيْـهِ سَـرْجُـهُ وَلِجَـامُـهُ   وَبَـاتَ بِعَيْنِي قَـائِماً غَيْـرَ مُـرْسَـلِ (٢)

- ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال، ص ١٥ - ٩٩.
- التبريزي، شرح القصائد العشر، ص ٢٠ - ٨٤.
- الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص ٥ - ٣٢.
- ديوان امرئ القيس، ص ٨ - ٢٣.
- جمهرة أشعار العرب، ص ١١٣ - ١٤٨.
- الأعلم الشنتمرى، أشعار الشعراء الستة الجاهليين ١/ ٢٩ - ٤٠.

٢ - من معلقة طَرَفَة بن العبد (٣)

(من الطويل)

المطلع:

لِـخَـوْلَـةَ أطْـلالٌ بِـبَـرْقَـةِ ثَـهْـمَـدِ   تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَـدِ (٤)

---

(١) الطرف: البصر. ورحنا: من الرواح، أي الرجوع عشية. والقصور: العجز. يقول: ثم أمسينا وتكاد عيوننا تعجز عن ضبط حسنه، واستقصاء محاسن خلقه، ومهما نظرت العيون إلى أعالي خلقه أي: جسمه، فإن أسافله تجذب النظر إليها.

(٢) المعنى: بات مسرجاً ملجماً قائماً بين يدي، غير مرسل إلى المرعى.

(٣) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن بكر بن وائل الشاعر المشهور، وطرفة بالتحريك، والجمع الطرفاء، وطرفة لقبه الذي عرف به، واسمه عمرو. وقد عاش الشاعر يتيماً، ونشأ في كنف خاله المتلمِّس، فأبى أعمامه أن يقسموا ماله، وظلموا حقاً لأمه وردة، وحرم من إرث والده. وطرفة من الطبقة الرابعة عند ابن سلام، ويقال: هو أشعر الشعراء بعد امرىء القيس، ومرتبته ثاني مرتبة ولهذا ثني بمعلقته، وقد أجمعت المصادر على أنه أحدث الشعراء سناً، وأقلهم عمراً، كان في بيئة كلها شعر، فالمرقش الأكبر عمّ والده، والمرقش الأصغر عمّه، والمتلمِّس خاله، وأخته الخرنق شاعرة أيضاً، رثته حين وفاته. وكان طرفة معاصراً للملك عمرو بن هند، وكان ينادمه، ولكنه هجاه، فبعث به إلى عامل له بالبحرين، بأن يأخذ جائزته منه، وأوعز عمرو إلى عامله المُكَعْبَر بقتله، فقتله شاباً، في هجر، قيل: ابن العشرين عاماً، وقيل: ابن ست وعشرين ويقال: إنه من أوصف الناس للناقة. وقد سئل لبيد عن أشعر الناس: فقال: الملك الضليل، ثم سئل: ثم من؟ قال: الشاب القتيل، يعني طرفة... وللشاعر ديوان صغير مطبوع. توفي نحو سنة ٦٠ ق. هـ/ ٥٦٤ م. انظر ترجمته في: طبقات الشعراء، ص ٣٠. وطبقات فحول الشعراء ٢/ ١٣٢. وشرح القصائد السبع الطوال، ص ١١٧. وشرح القصائد التسبع، ص ٣٧. والشعر والشعراء، ص ٨٨. والعمدة ١/ ١٠٢. والمزهر ٢/ ٤٧٦. وخزانة الأدب ٢/ ٤١٩. وكتاب شعراء النصرانية في الجاهلية، ص ٣٠٧. ومقدمة الديوان، ص ٥. وجمهرة أشعار العرب، ص ٨٩. ووفيات الأعيان ٦/ ٩٣.

(٤) خولة: امرأة من كلب. الاطلال: واحدها طلل، وهو ما شخص من آثار الدّار. والبرقة الرابية، فيها رمل =

الافتخار:

إِذَا القَـوْمُ قَـالُـوا مَنْ فَتًى خِلْتُ أَنَّنِي عُـنِيْـتُ فَـلَمْ أَكْسَــلْ وَلَـمْ أَتَـبَـلَّدِ[1]

وَلَسْتُ بِحَـلَّالِ التِّـلاعِ مَخَـافَـةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَـرْفِدِ القَـوْمُ أَرْفِـدِ[2]

فَـإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَـةِ القَـوْمِ تَلْقَنِي وَإِنْ تَقْتَنِصْنِي فِي الحَـوَانِيتِ تَصْطَدِ[3]

وَإِنْ يَلْتَقِ الحَيُّ الجَمِيـعُ، تُـلاقِنِـي إِلى ذِرْوَةِ البَيْتِ الـرَّفِيـعِ المُصَمَّـدِ[4]

اللذة:

وَمَـا زَالَ تَشْرَابِي الخُمُـورَ، ولَـذَّتِي وبَيْعِي وإِنْفَـاقِي طَـرِيفِي وَمُتْـلَدِي[5]

إِلَى أَنْ تَحَـامَتْنِي العَشِيـرَةُ كُـلُّهَـا وَأُفْـرِدْتُ إِفْـرَادَ البَعِيـرِ المُـعَبَّـدِ[6]

رَأَيْتُ بَنِي غَبْـرَاءَ لا يُنْكِـرُونَنِـي وَلاَ أَهْـلُ هَـذَاكَ الـطِّرَافِ المُمَـدَّدِ[7]

أَلاَ أَيُّهَـذَا الـلاّئِمي أَحْضُـرَ الـوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ، هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي[8]

فَـإِنْ كُنْتَ لاَ تَسْـطِيـعُ دَفْـعَ مَنِيَّتِي فَـدَعْنِي أُبَـادِرْهَـا بِمَـا مَلَكَتْ يَـدِي[9]

= وطين، أو حجارة وطين، يختلطان. وثهمد: موضع. وتلوح: تلمع، تظهر، تبدو. والوشم: أن يغرز بالابر في الجلد، ثم يُذَرُّ عليها الكُحْلُ، فيبقى سواده ظاهرا. ظاهر اليد: ظهر الكف.

(١) خلت أنني عنيت: خلت أنهم يعنونني، ويقولون: ليس لها غيره، فلم أكسل عن أن أقول: أنا لها، ولم أتبلد عن سلوكها.

(٢) الحلال: مبالغة الحال من الحلول، أي: النزول بالمكان. التلاع: جمع تلعة، ما ارتفع من مسيل الماء وانخفض عن الجبال. الرفد والإرفاد: الإعانة، والاسترفاد: الاستعانة. والمعنى: لا أتخذ التلاع مكانا لي خوفا من أن يراني الأضياف أو غزو الأعداء إيّاي، ولكني أعين القوم إذا استعانوا بي.

(٣) تبغي: تريد. الحوانيت: بيوت الخمارين. الاصطياد: الاقتناص.

(٤) تلاقني: تجدني. وذروة: كل شيء أعلاه. والبيت: الأشراف. وهناك رواية: الكريم، وكذلك الشريف. والمصمد والصمد: الذي يُصْمَد إليه في الحوائج والأمور، أي: يقصد.

(٥) التشراب: الشرب الكثير. الطريف: المال الحديث. والمتلد: المال الموروث.

(٦) تحامتني: تجنبتني. البعير المعبد: المذلل المطلي بالقطران، يُبْعَد لأنه مصاب بالجرب.

(٧) الغبراء: الأرض. والمراد ببني الغبراء: الفقراء. الطراف: قبة من أَدَم يتخذها الأغنياء. الممدد: الذي مدّ بالأطناب. والمعنى: ان الفقراء يعرفونه، لأنه يعطيهم، والأغنياء يعرفونه لمكانته.

(٨) الوغى: صوت الأبطال في الحروب ثم استعيرت للحرب. الخلود: البقاء.

(٩) المعنى: إن الموت لا بدّ منه فلا معنى للبخل بالمال وترك اللذات.

ـــوْلَا ثَـلَاثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَـةِ الفَتَـى   وَجَـدِّكَ لَمْ أَحْفِـلْ مَتَى قَـامَ عُـوَّدِي[١]
ـمِنْهُنَّ سَـبْقُ الـعَـاذِلاتِ بِشَـرْبَـةٍ   كُمَيْتٍ مَتَى مَـا تُعْـلَ بِـالمَـاءِ تُـزْبِـدِ[٢]
ـكَـرِّي إِذا نـادَى المُضَـافُ مُحَنَّبـاً   كَسِيـدِ الغَضَـى نَبَّـهْتَـهُ المُتَـورِّدِ[٣]
ـقْصِيـرُ يَوْمِ الـدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ   بِبَهْكَنَـةٍ تَحْتَ الـطِّرَافِ المُعَـمَّـدِ[٤]
ـأَنَّ البُـرِينَ والـدَّمَـالِيـجَ عُلِّقَـتْ   عَلَى عُشَرٍ أَوْ خِـرْوَعٍ لَمْ يُخْضَـدِ[٥]

ـمية الموت:

ـرِيمٌ يُـرَوِّي نَفْسَـهُ فِي حَيَـاتِـهِ   مَخَافَةَ شُرْبٍ، في المَمَاتِ، مُصَرَّدِ[٦]

---

١) عيشة الفتى: ما يعيش به، ويلتذ. وجدّك: الواو للقسم، وقيل معنى جدك: وحقك. وقيل: ونفسك. وقيل: وأبيك. لم أحفل: لم أبال. والعود: جمع عائد من العيادة، وعُوَّدُه: من يحضره عند موته وفي مرضه وينوح عليه.

٢) سبق العاذلات: شرب الخمر باكرا قبل انتباه العواذل. الكميت: الأحمر الضارب إلى السواد. متى ما تعل بالماء: أي: متى تمزج به. تزبد: يعلوها الحباب لأنها عتيقة. وهناك رواية «سبقي العاذلات» والسبق رفع بمن، وهن تعود على ثلاث.

٣) الكر: العَطْف والرجوع. المضاف: الخائف المذعور. المُحَنَّب: الذي في يده انحناء. السيد: الذئب. الغضا: شجر، وذئابه أخبث الذئاب. نبهته: هيجته. المتورد: الذي يطلب أن يرد الماء. وهنا الخصلة الثانية وهي اغاثة المستغيث واعانته. فقال: أعطف في اغاثته فرسي الذي في يده انحناء. وهو محمود في الفرس إذا لم يفرط، ثم شبهه بذئب اجتمع له ثلاث خصال: أحدها كونه بين الغضا، وذئب الغضا من أخبث الذئاب. و الثانية: إثارة الإنسان إيّاه، والثالثة: وروده الماء وهما يزيدان في شدّة العدو.

٤) قصرت الشيء: جعلته قصيراً. والدجن: الباس الغيم آفاق السماء. والبهكنة: المرأة الحسنة الخلق، السمينة الناعمة. والطراف: البيت من أدَم. وهناك رواية: «الخباء». والمعمد: المرفوع بالعمد، جعل الخصلة الثالثة استمتاعه بحبائبه. حيث يقول: «إني أقصر يوم الغيم بالتمتع بامرأة ناعمة حسنة الخلق، تحت بيت مرفوع بالعمد. وشرط تقصير اليوم؛ لأن أوقات اللهو والطرب أفضل الأوقات».

٥) البُرَة: حلقة تجعل في أنف الناقة، استعارها للإسورة والخلاخيل. والدملج: المعضد. والعشر والخروع: ضربان من الشجر. والتخضيد: التشذيب من الأغصان والأوراق، والتشذيب: قشر ما على الجذع من الشوك. تقول: فرس مُشَذَّب: طويل وليس بكثير اللحم. والعشر: وصف البهكنة. يقول: «كأن خلاخيلها وأسورتها ومعاضدها معلقة على أحد هذين الضربين من الشجر، وجعله غير مخضد؛ ليكون أغلظ. وهنا اشارة إلى الامتلاء والنعمة والضخامة.

٦) والمعنى: إني كريم اشفي نفسي وأرويها من الخمر خوفاً من أن يكون شربي مصرداً، أي مقطوعاً قبل الري بالممات ويروى: «في الحياة». ويروى صدر هذا البيت مع عجز البيت الذي يليه. وعجز هذا البيت مع صدر البيت الذي يليه.

فَـذَرْنِي، أُرَوِّي هَـامَتِي فِي حَيَـاتِهَـا ... سَتَعْلَمُ إِنْ مِتْنَا غَداً، أَيُّنَا الصَّدِي؟[١]

أَرَى قَبْـرَ نَحَّـامٍ بَخِيـلٍ بِمَـالِـهِ ... كَقَبْـرِ غَوِيٍّ فِي البَـطَالَـةِ مُفْسِـدِ[٢]

تَـرَى جُثْـوَتَيْنِ، مِنْ تُـرَابٍ، عَلَيْهِمَـا ... صَفَـائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيـحٍ مُنَضَّـدِ[٣]

أَرَى المَـوْتَ يَعْتَامُ الكِـرَامَ، وَيَصْطَفِي ... عَقِيلَةَ مَـالِ الفَـاحِشِ المُتَشَـدِّدِ[٤]

أَرَى العَيْشَ كَنْـزاً نَـاقِصـاً كُـلَّ لَيْلَةٍ ... وَمَـا تَنْقُصِ الأَيَّـامُ والـدَّهْـرُ يَنْفَـدِ[٥]

لَعَمْـرُكَ إِنَّ المَـوْتَ مَـا أَخْـطَأَ ٱلْفَتَى ... لَكَـالـطِّوَلِ المُـرْخَى وَثِنْيَـاهُ بِـالـيَـدِ[٦]

عتاب ابن عمه له:

فَمَـا لِي أَرَانِـي وابْنُ عَـمِّيَ مَـالِكـاً ... مَتَى أَدْنُ مِـنْـهُ يَنْـأَ عَـنِّي وَيَـبْعُـدِ[٧]

يَـلُومُ وَمَـا أَدْرِي عَـلَامَ يَـلُومُـنِـي ... كَمَا لَامَنِي فِي الحَيِّ قُرْطُ بْنُ مَعْبَـدِ[٨]

---

(١) وفي هذا البيت إشارة الى خرافة قديمة عند العرب تقول: ان الرّجل إذا قُتل، ولم يدرك بثأره، خرج من رأسه طائر، يشبه البوم، فيصيح: اسقوني اسقوني، حتى يؤخذ بثأره وإذا أخذ بثأره سكن. ولهذا سمي «صدى» من الصدى بمعنى العطش. والمعنى: دعني أروي بالخمر هذه الهامة (أو الطائر الذي اسمه الصدى أو الهامة)، فستعلم إذا متنا، صدى أي واحد منا يكون أشد عطشا.

(٢) النحام: الحريص على الجمع والمنع. والغوي الغاوي: الضال. والغواية: الضلالة. «لا فرق بين البخيل والجواد بعد الوفاة، فلم أبخل بأعلاقي. ويقول: أرى قبر البخيل والحريص بماله كقبر الضال في بطالته المفسد بماله».

(٣) الجثوة: الكومة من التراب، والجمع: الجثا. والتنضيد مبالغة النضد. يقول: «أرى قبر البخيل والجواد كومتين من تراب عليهما حجارة عراض صلاب، بين قبور عليها حجارة عراض قد نضدت».

(٤) الاعتيام: الاختيار. والعقائل: كرائم المال والنساء، الواحدة: عقيلة. والفاحش: البخيل. يقول: «أرى الموت يختار الكرام بالإفناء ويصطفي كريمة مال البخيل المتشدد بالإبقاء، فلا يجدي البخل على صاحبه بخير، فالجود أحرى، لأنه أحمد. والموت يعم الأجواد والبخلاء».

(٥) ينفد: يفنى «وهنا شبه البقاء بكنز ينقص كل ليلة، وكذلك العيش صائر إلى النفاد لا محالة.»

(٦) لعمرك: أي أقسم بحياتك: إن الموت في مدة إخطائه الفتى، أي مجاوزته إيَّاه، بمنزلة حبل طُوّل للدابة ترعى فيه. وطرفاه بيد صاحبه. والطول: الحبل الذي يُطَوَّل للدابة، فترعى فيه. والإرخاء: الإرسال. والثني: الطرف.

(٧) النأي والبعد: بمعنى واحد، جمع الشاعر بين اللفظين للتأكيد، واثبات القافية. والمعنى: «فما لي أراني وابن عمي متى تقربت منه تباعد عنّي».

(٨) «يلومني مالك، وما أدري ما السبب الداعي إلى لومه إيّاي، كما لامني هذا الرجل في القبيلة».

التشفع:

وأيـأسَنِي مِـنْ كُـلِّ خَيْـرٍ طَـلَبْتُـهُ كَـأنَّـا وَضَعْنَـاهُ عَلَى رَمْسِ مُلْحَـدِ[1]

عَـلَى غَيْـرِ ذَنْـبٍ قُلْتُـهُ غَيْـرَ أَنَّنِـي نَشَـدْتُ فَلَمْ أُغْفِـلْ حُمُـولَـةَ مَعْبَـدِ[2]

التظلم:

وقَـرَّبْـتُ بِـالقُـرْبَـى وَجَـدِّكَ إِنَّنِـي مَتَى يَـكُ أَمْـرٌ لِلنَّكِيثَـةِ أَشْـهَـدِ[3]

وَإِنْ أُدْعَ لِـلْجُلَّى أَكُـنْ مِنْ حُـمَـاتِهَـا وَإِنْ يَـأْتِكَ الأَعْـدَاءُ بِالجُهْـدِ أَجْهَـدِ[4]

وَإِنْ يَقْـذِفُوا بِـالقَذْعِ عِـرْضَـكَ أَسْقِهِمْ بِكَأْسِ حِيَاضِ المَوْتِ قَبْلَ التَّهَـدُّدِ[5]

بِـلاَ حَـدَثٍ أَحْـدَثْتُـهُ وَكَمُـحْـدِثٍ هِجَـائِي وقَذْفِي بِـالشَّكَـاةِ وَمُـطْرَدِي[6]

فَـلَوْ كَـانَ مَـوْلاَيَ آمـرأً هُـوَ غَيْـرُهُ لَفَـرَّجَ كَـرْبِي أَوْ لأَنْـظَرَنِي غَـدِي[7]

---

(١) الرمس: القبر. وأصله الدفن. ألحدت الرجل: جعلت له لحداً. يقول: قنّطني مالك من كل خير رجوته منه، حتى كأننا وضعنا ذلك الطلب إلى قبر رجل مدفون في اللحد. يريد: أنه آيسه من كل خير طلبه، كما أن الميت لا يرجى خيره».

(٢) نشدت: أي طلبت المفقود. والاغفال: الترك. والحمولة: الإبل التي تطيق أن يحمل عليها. ومعبد: أخوه، يقول: «يلومني على غير شيء قلته، وجناية جنيتها، ولكنني طلبت إبل أخي ولم أتركها، فنقم ذلك مني، وجُعل يلومني».

(٣) القربى: جمع قربة. وقيل: هو اسم من القرب والقرابة. والنكيثة: المبالغة في الجهد وأقصى الطاقة، يقال: بلغت نكيثة البعير: أي أقصى ما يطيق من السير. يقول: «وقربت نفسي بالقرابة التي ضمنا حبلها، ونظمنا خيطها، وأقسم بحظك وحبك أنه متى حدث له أمر يبلغ فيه غاية الطاقة، ويبذل فيه المجهود، أحضره وأنصره».

(٤) الجلى: تأنيث الأجل: وهي الخطة العظيمة. والحماة: جمع الحامي من الحماية. يقول: «وان دعوتني للأمر العظيم، والخطب العظيم الجسيم، أكن من الذين يحمون حريمك، وإن يأتك الأعداء لقتالك، أجهد في دفعه عنك غاية الجهد».

(٥) القذع: الفحش. والعرض: موضع المدح والذم من الإنسان. والتهدد والتهديد بمعنى واحد. والقذف: السّبّ. يقول: «وان أساء الأعداء القول فيك، وأفحشوا الكلام، أوردتهم حياض الموت قبل أن أهددهم».

(٦) الشكاية والشكوى والشكية والشكاة بمعنى واحد. والمطرد: بمعنى الإطراد. وأطردته: جعلته طريدا. يقول «أجفى وأهجر وأضام، من غير إساءة أحدثتها، ثم أهجى وأشكى وأطرد كما يهجى من أحدث إساءة، وجرّ جريرة، وجنى جناية».

(٧) فرجت الأمر: كشفته. والفرج: انكشاف المكروه. كربة الغم: إذا ملأ صدره. الإنظار: الإمهال. يقول: «فلو كان ابن عمي غير مالك، لفرّج كربي، أو لأمهلني زمانا».

وَلَكِنَّ مَوْلاَيَ آمْرُؤٌ هُوَ خَانِقِي ... عَلَى الشُّكْرِ والتَّسْآلِ أَوْ أَنَا مُفْتَدِي(١)

الاستعطاف

وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً ... عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ(٢)

فَذَرْنِي وَخُلْقِي إِنَّنِي لَكَ شَاكِرٌ ... وَلَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِياً عِنْدَ ضَرْغَدِ(٣)

القدر:

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بْنَ خَالِدٍ ... وَلَوْ شاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرَوَ بْنَ مَرْثَدِ(٤)

فَأَصْبَحْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَزَارَنِي ... بَنُونَ كِرَامٌ سَادَةٌ لِمُسَوَّدِ(٥)

الافتخار مرة أخرى:

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذي تَعْرِفُونَهُ ... خَشَاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ(٦)

فَآلَيْتُ لاَ يَنْفَكُّ كَشْحِي بِطَانَةً ... لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ(٧)

حُسَامٌ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِراً بِهِ ... كَفَى العَوْدَ مِنْهُ البَدْءُ، لَيْسَ بِمُعْضَدِ(٨)

---

(١) خنقت الرجل خنقا: عصرت خلقه. والتسآل: السؤال، يقول: «ولكن ابن عمي رجل يضيّق الأمر عليّ، حتّى كأنه يأخذ علي متنفسي، على حال شكري إيّاه، وسؤالي عفوه، أو طلبت تخليص نفسي منه».

(٢) ظلم الأقارب أشد تأثيرا في تهييج نار الحزن والغضب، من وقع السيف القاطع المحدد، أو المطبوع بالهند».

(٣) ضرغد: جبل بعينه. يقول: «خل بيني وبين خلقي، وكلني إلى سجيتي، فإني شاكر لك وان بعدت غاية البعد، حتى تنزل بيتي عند هذا الجبل الذي سمي بضرغد». بينهم وبين هذا الجبل مسافة بعيدة.

(٤) يقول: «لو شاء الله بلغني منزلة هذين الرجلين وقدرهما». والرجلان المذكوران هنا سيدان من سادات العرب، مذكوران بوفور المال، ونجابة الأولاد، وشرف النسب، وعظم الحسب.

(٥) يقول: «فصرت حينئذ صاحب مال كثير، وزارني بنون موصوفون بالكرم والسؤدد لرجل مسود، يعني به نفسه».

(٦) الضرب: الرجل الخفيف اللحم. يقول: «أنا الرجل الضرب الذي عرفتموه، والعرب تتمدح بخفة اللحم، لأن كثرته داعية إلى الكسل والثقل، وهما يمنعان من الإسراع في دفع الملمات وكشف المهمات. ثم قال: وأنا دخال في الأمور بخفة وسرعة. شبه تيقظه وذكاء ذهنه، بسرعة حركة رأس الحية، وشدة توقّده».

(٧) لا ينفك: لا يزال. والبطانة: نقيض الظهارة. والعضب: السيف القاطع. وشفرتا السيف: حداه. يقول: «ولقد حلفت ألا يزال كشحي لسيف قاطع، رقيق الحدين، طبعته الهند، بمنزلة البطانة للظهارة».

(٨) الانتصار: الانتقام. والعضد: سيف يقطع به الشجر. والعضد: قطع الشجر. والمعنى: «لا يزال=

أَخِـي ثِقَـةٍ لا يَـنْثَـنِي عَـنْ ضَـرِيبَـةٍ	إِذَا قِيـلَ مَهْـلاً قَـالَ حَـاجِـزُهُ قَـدِي(١)
إِذَا آبْتَـدَرَ القَـوْمُ السِّـلاَحَ وَجَـدْتَنِي	مَـنِيعـاً إِذَا بَلَّتْ بِـقَـائِمِـهِ يَـدِي(٢)
فَـإِنْ مُتُّ فـانعِـينِـي بِمَـا أَنَـا أَهْـلُهُ	وَشُقِّي عَلَيَّ الجَيْبَ يـا ابْنَـةَ مَعْبَـدِ(٣)
وَلاَ تَجْعَلِينِـي كَـآمْـرِئٍ لَيْسَ هَـمُّـهُ	كَهَمِّي وَلاَ يُغْنِي غِنَـائِي وَمَشْهَـدِي(٤)
بَـطِيءٍ عَنِ الجُلَّى سَـرِيـعٍ إِلَى الخَنَـا	ذَلُـولٍ بِـأَجْـمَـاعِ الـرِّجَـالِ مُلَهَّـدِ(٥)
فَلَوْ كُنْتُ وَغْـلاً فِي الـرِّجَـالِ لَضَـرَّنِي	عَـدَاوَةُ ذِي الأَصْحَابِ والمُتَـوَحِّدِ(٦)
وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي آلـرِّجَـالَ جَـرَاءَتِـي	عَلَيْهِمْ وَإِقْـدَامِي وَصِدْقِي وَمُحْتَـدِي(٧)

= كشحي بطانة لسيف قاطع، إذا ما قمت منتقماً به من الأعداء، كفى الضربة الأولى به الضربة الثانية. فيغني البدء عن العود، وليس سيفاً يقطع به الشجر، وقد نفى ذلك لأنه من أردأ السيوف».

(١) أخي ثقة: أي صاحب ثقة يوثق به. لا ينثني: لا يعوج ولا ينبو. والضريبة: ما يضرب بالسيف. مهلا: أي: كف. قدي: حسبي. يقول: «هذا السيف سيف يوثق بمضائه، كالأخ الذي يوثق بإخائه، لا ينصرف عن ضريبة. إذا قيل لصاحبه: كف عن ضرب عدوّك، قال مانع السيف، وهو صاحبه: حسبي، فإنّي قد بلغت ما أردت من قتل عدوّي».

(٢) ابتدر القوم السلاح، استبقوه، والمنيع: الذي لا يقهر ولا يغلب. بلّ بالشيء: إذا ظفر به، يقول: «إذا استبق القوم أسلحتهم، وجدتني منيعا، لا أقهر ولا أغلب، إذا ظفرت يدي بقائم هذا السيف».

(٣) النعي: إشاعة خبر الموت. أهله: أي مستحقه. لما فرغ من تعداد مفاخره، أوصى ابنة أخيه، ومعبد أخوه، فقال: «إذا هلكت فأشيعي خبر هلاكي، بثنائي الذي أستحقه، وأستوجبه، وشقي جيبك علي».

(٤) الهم: أصله القصد. يقال: هَم بكذا، أي قصد له. ثم يجعل الهم والهمة: اسما لداعية النفس إلى العلا. والغناء: الكفاية. والمشهد: بمعنى الشهود وهو الحضور. أي ولا يغني غناء مثل غنائي. ولا يشهد الوقائع شهودا مثل شهودي. يقول: «ولا تسوّي بيني وبين رجل لا يكون همّه مطلب المعالي كهمي، ولا يكفي المهم والملم كفايتي، ولا يشهد الوقائع مشهدي».

(٥) البطء: ضد العجلة .والجلى: الأمر العظيم. والخناء: الفحش. اللهد: الدفع بجمع الكف. يقول: ولا تجعليني كرجل يُبْطىء عن الأمر العظيم، ويسرع إلى الفحش، وكثيراً ما يدفعه الرّجال بأجماع أكفهم، فقد ذل غاية الذل».

(٦) الوغل: أصله الضعيف، ثم يستعار للئيم، يقول: «لو كنت ضعيفا من الرّجال لضرتني معاداة ذي الأتباع والمنفرد الذي لا أتباع له إيّاي، ولكني قويّ منيع، لا تضرني معاداتهما إيّاي».

(٧) الجرأة والجراءة: واحد، الشجاعة. والمحتد: الأصل. يقول: «ولكن نفى عني مباراة الرّجال ومجاراتهم، شجاعتي وإقدامي في الحروب، وصدق صريمي، أي: عزيمتي، وكرم أصلي».

لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِغُمَّةٍ نَهَارِي وَلاَ لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدِ[1]

وَيَوْمَ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهِ حِفَاظاً عَلَى عَوْرَاتِهِ والتَّهَدُّدِ[2]

عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِكْ فِيهِ الفَرَائِصُ تُرْعَدِ [3]

الحكم:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ[4]

وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ بَتَاتاً وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ[5]

- شرح القصائد السبع الطوال، ص ١٣٢ - ٢٣١ .
- شرح القصائد المشهورات، ص ٥٣ - ٩٥ .
- شرح القصائد العشر، ص، ٩٥-١٥٩ .
- شرح المعلقات السبع، ص ٣٨ - ٦١ .
- جمهرة أشعار العرب، ص ٣٠٤ - ٣٤٢ .
- ديوان طرفة بن العبد، ص ١٩ - ٤١ .

---

(١) الغم والغمة: واحد، وأصل الغم: التغطية. يقول: أقسم ببقائك: ما يَغُمّ أمري رأيي، أي: ما يغطي الهموم رأيي في نهاري، ولا يطول علي ليلي حتى كأنه صار دائما سرمدا.

(٢) العراك والمعاركة: القتال. والحفاظ: المحافظة على ما تجب المحافظة عليه، من حماية الحوزة، والذب عن الحريم، ودفع الذم عن الأحساب. يقول: «وربَّ يوم حبست نفسي عن القتال والفزعات وتهدد الأقران محافظة على حسبي».

(٣) الموطن: الموقع ، والردى: الهلاك. والاعتراك والتعارك واحد. والفرائص: جمع فريصة، وهي لحمة عند مجمع الكتف، ترعد عند الفزع. يقول: «حبست نفسي في موضع من الحرب يخشى الكريم هناك الهلاك، ومتى تعترك الفرائص فيه أرعدت، من فرط الفزع، وهول المقام».

(٤) يقول: «ستطلعك الأيام على ما تغفل عنه، وسينقل إليك الأخبار من لم تزوده».

(٥) باع: قد يكون بمعنى اشترى، وهو في البيت بهذا المعنى. والبتات: كساء المسافر وأداته. ولم تضرب له: أي لم تبيّن له. كقوله تعالى: ﴿ضربَ اللَّهُ مَثَلاً﴾ أي: بيَّنَ وأَوْضَحَ، يقول: «سينقل إليك الأخبار من لم تشتر له متاع المسافر، ولم تبين له وقتا لنقل الأخبار إليك».

٣ - من معلقة زهير بن أبي سُلمى[١]

(من الطويل)

أَمِـنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْـنَـةٌ لَـمْ تَـكَـلَّـمِ ... بِحَـوْمَـانَـةِ الـدَّرَّاجِ فَـالْمُتَثَـلَّـمِ[٢]

* * *

سَعَى سَـاعِيـا غَيْظِ بنِ مُـرَّةَ بَعْـدَمـا ... تَبَـزَّلَ مَـا بَيْنَ العشيـرَةِ بـالـدَّمِ[٣]

فـأَقْسمتُ بالبيتِ الـذِي طَـافَ حَـوْلَـهُ ... رِجَـالٌ بَنَـوْهُ مِنْ قُـرَيشٍ وَجُـرْهُمِ[٤]

يَمينـاً لَنِـعمَ الـسيِّـدانِ وُجِـدْتُـمَـا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيـلٍ وَمُبْرَمِ[٥]

---

(١) زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح. . . المزني من مضر بن نزار، أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وإنما اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. فأما الثلاثة، فلا اختلاف فيهم، وهم امرؤ القيس، وزهير، والنابغة الذبياني. ويقال: إنه شاعر الشعراء، وحكيم الشعراء في الجاهلية. وقد اجتمع لزهير في الشعر ما لم يجتمع لغيره، كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، واخته الخنساء شاعرة، وقد رثته عند موته. لم يدرك الإسلام. قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنه لا يعاظل في الكلام، وكان يتجنب وحشيّ الشعر، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه. كان ينظم قصيدته وينقحها ويهذبها في سنة، فكانت قصائده تسمى «الحوليات». نظم غرر قصائده - التي احتلت من ديوانه ثلثين تقريباً - في مدح الهرم بن سنان؛ الذي يروى عنه أنه حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه، ولا يسلم عليه إلا أعطاه: عبداً أو وليدة أو فرساً، فاستحيا زهير مما كان يقبل منه، فكان إذا رآه في ملأ قال: عموا صباحاً غير هرم، وخيركم استثنيت.ويقال: ان عمر بن الخطاب قال لبعض ولد هرم: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم. انظر ترجمته في: الديوان. وطبقات الشعراء ص ١٥ - ١٩ .والشعر والشعراء، ص ٥٧ - ٦٧ . والأغاني ١٠/٢٨٨ - ٣١٥. وخزانة الأدب ٥/٣ - ١٥ . (ويقال ليس في العرب سلمى بضم السين غيره).
هذه المعلقة في مدح الهرم بن سنان والحارث بن عوف، لحسن سعيهما في الصلح بين عبس وذبيان، بتحملهما ديات القتلى.

(٢) الدمنة: ما اسود من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما، والجمع الدمن. وحومانة الدراج والمتثلم: موضعان. وأم أوفى: قيل امرأة زهير.

(٣) الساعيان: الهرم بن سنان الذبياني، والحارث بن عوف. وسعيا: عملا عملاً صالحاً. وغيظ بن مرة: حي من غطفان، منه الرجلان الساعيان في الصلح - وتبزل: تشقق. أي: كان بينهم صلح، فتشقق بالدم، فسعى ساعيا غيظ بن مرة، فأصلحاه.

(٤) البيت: الكعبة. وجرهم: قبيلة يمانية كانوا ولاة البيت، أي: سدانة الكعبة، ثم استولى على سدانة الكعبة خزاعة، ثم عادت إلى قريش، وقريش اسم لولد النضر بن كنانة.

(٥) السحيل: الحبل المفتول على قوة واحدة. والمبرم: الحبل المفتول على قوتين أو أكثر، ثم يستعار السحيل للضعيف. والمبرم: للقوي.

تَـدَارَكْتُمـا عَبْسـاً وذُبيـانَ بَعْـدَمـا تَفـانَـوْا ودقُّـوا بَيْنَهُمْ عِـطْرَ مَنْشَمِ [1]

وَقَـد قُلْتُمـا إنْ نُـدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعـاً بِمَـالٍ وَمَعْـرُوفٍ مِنَ القَـولِ نَسْلَمِ [2]

فَـأَصْبَحْتُمـا مِنْهَـا عَلَى خَيْرِ مَـوْطِنٍ بَعِيـدَيْنِ فِيهـا مِنْ عُـقُوقٍ وَمَأْثَـمِ [3]

عَـظِيمَيْنِ فِي عُلْيـا مَعَـدٍّ هُـدِيتُمَـا وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنزاً مِنَ المَجْـدِ يَعْظُمِ [4]

تُعَفَّى الكُـلُومُ بِـالمِئِينَ فَـأَصْبَحَتْ يُنَجِّمُهَـا مَنْ لَيْسَ فيها بمُجـرِمِ [5]

يـنـجِّمُـهـا قَـوْمٌ لِـقَـوْمٍ غَـرَامـةً وَلَم يُهَـرِيقُـوا بَيْنَهُمْ مِـلْءَ مِحْجَمِ [6]

فَـأَصْبَـحَ يَجْـرِي فِيهِمُ مِنْ تَـلَادِكُمْ مَغـانِمُ شَتَّى مِـنْ إفِـالٍ مُـزَنَّمِ [7]

أَلا أَبْلِغِ الأَحْـلَافَ عَنِّـي رِسَـالَـةً وَذُبيـانَ هَـلْ أَقْسمتُمُ كُـلَّ مُقْسَمِ [8]

فَـلا تَكْتُمَنَّ اللَّهَ مـا في نُفُـوسِكُـمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَـا يُكتَـمِ اللَّهُ يَـعْلَمِ [9]

يؤَخَّـرْ فَيوضَـعْ في كتاب فيُـدَّخَرْ لِيَـوْمِ الحِسَـابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ [10]

---

(١) التدارك: التلاقي في إدراك أمرهما. والتفاني: التشارك في الفناء ودقوا بينهم عطر منشم: مثل يضرب في شدة التشاؤم وانتشار الشر بين القوم. ومنشم: قيل: إن أصله اسم امرأة عطارة، اشترى قوم منها جفنة من العطر، وتعاقدوا وتحالفوا، وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر، فقاتلوا العدو الذي تحالفوا على قتاله، فقتلوا عن آخرهم. وقيل بل كان عطاراً يشترى منه ما يحنط به الموتى فسار المثل بعطره.

(٢) واسع: ممكن. ونسلم، أي نسلم من الحرب.

(٣) منها: من الحرب. والعقوق: العصيان، وقطيعة الرحم. والمأثم: الإثم.

(٤) عليا معد: أرفعها. ومعد بن عدنان: أبو القبائل النزارية. وهديتما: دعاء لهما. والاستباحة: وجود الشيء مباحاً. وهي أيضاً الاستئصال. ويعظم: يصير عظيماً، أي يعظمه الناس.

(٥) تعفى: تُمحَى الجراحُ. والكلوم: جمع كلم، وهي الجراح. وينجِّمها: يجعل لأدائها وقتاً، أي أقساطا. والمعنى: تمحى الجراح ببذل المئين من الإبل، ويَغْرَمُها من لم يجرم فيها.

(٦) المحجم: آلة الحجام، والجمع المحاجم.

(٧) التلاد: المال القديم الموروث. والمغانم: جمع المغنم، وهو الغنيمة. وشتى: متفرقة. والأفال والأفيل: هو صغير السن من الإبل. المزنم: المعلم بزنمة، والزنمة: العلامة.

(٨) الأحلاف والحلفاء: الجيران، وهي القبائل التي حالفت ذبيان على حرب عبس، والمقصود: أسد وغطفان. وهل أقسمتم كلّ مقسم: أي، هل أقسمتم كل إقسام إنكم تفعلون مالا ينبغي أي أن هل بمعنى (قد).

المعنى: لا تظهروا الصلح، وفي أنفسكم أن تغدروا.

(١٠) المعنى: لا تكتمن الله تعالى ما في نفوسكم فيؤخر ذلك إلى الحساب فتحاسبوا به ويعجل في الدنيا لكم النقمة به. ويقال: إنما أراد بهذا الغدر وتعظيم شأنه.

وَمَـا الحَـرْبُ إلاَّ مَـا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ ... ومَـا هُوَ عنهـا بالحَـدِيثِ المُـرَجَّمِ [1]

مَتى تَبعثُـوهَـا تَبعثُـوهـا ذَمِيمَـةً ... وَتَضْـرَ إِذَا ضَـرَّيْتُمُـوهـا فَتَضْـرَمِ [2]

فَتَعْـرُكْكُمُ عَـرْكَ الـرَّحَى بِثِفـالِهَـا ... وَتَلْقَـحْ كِشَـافـاً ثُمَّ تُنْتَـجْ فتُتْئِمِ [3]

فَتُنْتَـجْ لَكُـمْ غِلمـانَ أَشْـأَمَ كُـلُّهُمْ ... كَـأَحْمرِ عـادٍ ثُمَّ تُـرْضِـعْ فَتَفْطِمِ [4]

فَتُغْـلِلْ لَكُـم مَـا لَا تُـغِـلُّ لأَهْـلِهـا ... قُـرًى بـالْعِـراقِ مِنْ قَفِيـزٍ وَدِرْهَمِ [5]

لَعَمْـري لَـنِعْـمَ الحيُّ جَـرَّ عليـهِمُ ... بمـا لاَ يواتيهِمْ حُصَينُ بنُ ضَمْضَمِ [6]

وَكَـانَ طَـوَى كَشْحـاً على مُستَكِنَّـةٍ ... فَـلا هُـوَ أَبْـدَاهَـا وَلَـمْ يَتَـقَـدَّمِ [7]

وَقَـالَ سَـأَقْضِي حَـاجَتِي ثُـمَّ أَتَّقِي ... عَـدُوِّي بِـأَلْفٍ مِنْ وَرَائِيَ مُلْجَـمِ [8]

فَشَـدَّ ولم يُـفْـزِعْ بُيُـوتـاً كَـثيـرةً ... لَـدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَـا أُمُّ قَشْعَمِ [9]

---

(١) الحديث المرجم: الذي يرجم فيه بالظنون، أي يحكم فيه بظنونها، أي ما الخبر عنها. بحديث، يرجّم فيه بالظن.

(٢) تبعثوها: تثيروها. وذميمة: مذمومة. أي تذمون على إثارتها. وتضرم: تلتهب.

(٣) الثفال: جلد يجعل تحت الرحى. والباء بمعنى مع. أي عرك الرحى ومعها ثفالها. تلقح: تحمل. والكشاف: ان تلقح النعجة في السنة مرتين. وتنتج: تلد. وتتئم: تأتي بتوأمين.

(٤) الشؤم: ضد اليمن. وأحمر عاد: قُدار بن سالف. ويقال: إن عاقر الناقة ليس من عاد، وإنما هو من ثمود. ويقال هذا ليس بغلط، لأن ثمود، يقال لها: عاد الآخرة، ويقال لقوم هود: عاد الأولى. والمعنى: تولد لكم أبناء في أثناء الحروب كل واحد منهم يضاهي في الشؤم عاقر الناقة، ثم ترضعهم الحروب وتفطمهم، فيصبحون مشائيم على آبائهم.

(٥) أغلت الأرض تغل: إذا كانت لها غلة.

(٦) جر عليهم: جنى عليهم والجريرة: الجناية. ويؤاتيهم: يوافقهم. وهنا يشير إلى قصة الحصين، وذلك ان رجلاً من بني عبس قتل أخاً للحصين بن ضمضم قبل الصلح، فلما وقع الصلح بين القبيلتين، أضمر الحصين لأخذ الثأر من قاتل أخيه، وانتهز الفرصة حتى ظفر برجل من عبس يراه بأخيه، فشد عليه فقتله، فركبت عبس وثارت، وتدارك الحارث بن عوف الشر.

(٧) الكشح: منقطع الأضلاع، الجنب، ومعناه: كان طوى كشحه على فَعلة، أكنها في نفسه، فلم يظهرها. المستكنة: الغَدْرة، من الاستكنان: الاستتار. ولم يتقدم: أي لم ير التقدم، على ما أضمر. والمعنى: وكان حصين أضمر في صدره حقداً على نية مستترة فيه، ولم يظهرها لأحد ولم يقدم عليها قبل إمكانه الفرصة.

(٨) ملجم: أي بألف فارس ملجم.

(٩) الإفزاع: الإخافة. وأم قشعم: كنية المنية. والمعنى: فشد الحصين على العبسي غدراً من غير أن تفزع بذلك بيوت كثيرة من عبس، وملقى الرحل المنزل، لأن المسافر يلقي به رحله.

لَدَى أَسَدٍ شاكِي السِّلاحِ مُقذَّفٍ ... لَهُ لِبَدٌ أَظْفارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ [1]

جَريءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقِبْ بِظُلْمِهِ ... سَريعاً وَإلّا يُبْدَ بالظُّلْمِ يَظْلِمِ [2]

رَعَوْا ظِمْأَهُمْ حَتَّى إذَا تَمَّ أَوْرَدُوا ... غِماراً تَفَرَّى بالسِّلاحِ وبالدَّمِ [3]

فَقَضَّوْا مَنايَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا ... إلى كَلأٍ مُستَوْبِلٍ مُتَوَخِّمِ [4]

لَعَمْرُكَ ما جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ ... دَمَ ٱبنِ نَهِيكٍ أَوْ قَتِيلِ المُثَلَّمِ [5]

وَلَا شارَكَتْ في الحَرْبِ في دَمِ نَوفلٍ ... وَلَا وَهَبٍ فِيهَا ولا ٱبْنِ المُخَزَّمِ

فَكُلّاً أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ ... عُلالَةَ أَلفٍ، بَعْدَ أَلفٍ مُصَتَّمِ [6]

تُساقُ إلى قَومٍ لِقَومٍ، غَرَامَةً ... صَحِيحَاتِ مَالٍ، طَالعاتٍ بِمَخْرَمِ [7]

كِرَامٍ فَلَا ذو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ ... وَلَا الجارِمُ الجاني عليهِمْ بِمُسْلَمِ [8]

---

(١) شاكي السلاح: تام السلاح، تام العدة والقوة. ومقذف: أي يقذف به كثيراً إلى الوقائع، والتقذيف مبالغة القذف. واللبد: جمع لبدة الأسد وهي ما تلبد من شعره على منكبيه. يريد أن الحصين لا يعتريه ضعف، ولا يعيبه عدم شوكة، كما أن الأسد لا يقلم براثنه.

(٢) الجرأة والجراءة: الشجاعة. وهذا البيت يصف الجيش، بأنه شجاع جرىء، إذا ظلم عاقب ظالمه سريعاً بظلمه، وإن لم يظلمه أحد ظلم الناس لقوته.

(٣) الغمار: جمع غمر، وهو الماء الكثير. والتفري: التشقق يقول: رعوا إبلهم الكلأ حتى إذا تم الظمأ، أوردوها مياهاً كثيرة، وهذا كله استعارة، والمعنى: أنهم كفوا عن القتال وأقلعوا عن النزال مدة معلومة كما ترعى الإبل مدة معلومة، ثم عادوا إلى الوقائع كما تورد الإبل بعد الرعي فالحروب بمنزلة الغمار، ولكنها تنشق عنهم باستعمال السلاح وسفك الدماء.

(٤) قضوا: أنفذوا وأحكموا وأتموا وأصدروا: أرجعوا. والكلأ المستوبل: ما تجده وبيلاً من العشب. والمتوخم: ما تجده وخيماً يقول: احكموا وتمموا منايا قتلاهم، ثم أصدروا إبلهم إلى كلأ وبيل وخيم، أي أقلعوا عن القتال، واشتغلوا بالاستعداد له ثانية، كما تصدر الإبل فترعى إلى أن تورد ثانياً. ثم أضرب عن هذا الكلام، وعاد إلى مدح الذين أعطوا ديات القتلى.

(٥) جرت: من الجريرة، أي جنت، والمعنى: أن هؤلاء (ابن نهيك، وقتيل المثلم، ونوفل، ووهب، وابن المخزم) قتلوا، قبل هذه الحرب، فلمّا شملتهم هذه الحرب أدخلوا كل قتيل كان لهم في هذه الحرب، فطالبوا بهم حمالات، «وقوداً»، حتى اصطلحوا.

(٦) يعقلونه: يؤدون عَقْله، أي ديته. والعلالة: الزيادة وأصله من العَلَل، وهو الشرب الثاني. والمصتم: التام.

(٧) المخرم: الطريق في أعلى الجبل.

(٨) الضغن والضغينة واحد، وهو ما استكن في القلب من العداوة. والتبل: الحقد. والجارم والجاني واحد. والمسلم: المخذول. أي أن الذي جر عليهم الجنايات ليس بمسلم، أي مخذول، لا ينتصر له.

سَئمتُ تكـاليفَ الحيـاةِ وَمَن يـعِشْ ثمـانينَ حَـوْلاً لا أبـا لَـكَ يَسْـأَمِ[1]

وَأَعْلَمُ مَـا فِي آليَـوْمِ والأمسِ قَبْلَهُ وَلكنَّني عَـنْ عِلْمِ مَـا فِـي غَـدٍ عَمِي

رَأَيْتُ المَنـايـا خَبْطَ عَشْـوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْـهُ وَمَنْ تُخْـطِيءْ يُعَمَّـرْ فَيَهْـرَمِ[2]

وَمَنْ لَمْ يُصـانِـعْ فِي أُمُـورٍ كَـثيـرَةٍ يُضَـرَّسْ بِـأَنْيَـابٍ وَيُـوطَـأُ بمَنْسَمِ[3]

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَـفِـرْهُ وَمَنْ لَا يَـتَّقِ الـشَّتـمَ يُشْتَمِ

وَمَنْ يَـكُ ذَا فَضْـلٍ فَيَبْخَـلْ بفَضْله على قَـوْمِـه يُسْتَغْـنَ عَنْـهُ ويُـذمَمِ

وَمن يُـوفِ لا يُـذْمَمْ وَمَنْ يُفْضِ قَلْبُهُ إلى مُـطْمَئِنِّ البِـرِّ لا يَتَـجَمْـجَمِ[5]

وَمَنْ هَـابَ أَسْبـابَ المنَـايَـا يَنلْنَـهُ وَإِنْ يَـرْقَ أَسْبَابَ السَّمـاءِ بِسُلَّمِ[6]

وَمَنْ يَجْعَـلِ المَعْـرُوفَ في غَيْـرِ أَهْلِهِ يَـكُنْ حَـمْـدُهُ ذَمًّـا عَـلَيْـهِ وَيَـنْـدَمِ

وَمَنْ يَعْصِ أَطْـرَافَ الـزِّجَـاجِ فَـإِنَّـهُ يُـطيـعُ العَـوَالِي رُكِّبَتْ كُـلَّ لَهْـذَمِ[7]

وَمَنْ لَمْ يَـذُدْ عَنْ حَـوْضِــهِ بِسلاحِـهِ يُهَـدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّـاسَ يُـظْلَمِ[8]

وَمَنْ يَغْتَـرِبْ يَحْسَبْ عـدُوًّا صَـدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكَـرِّمْ نَفْسَـهُ لَا يُـكَـرَّمِ[9]

وَمهْمَـا تَكُنْ عِنْـدَ آمْـرِىءٍ مِنْ خَلِيقَـةٍ وَإِنْ خَالَها تَخْفَى عَلى النَّاسِ تُعْلَمِ[10]

وَكَـائنْ تَـرَى مِنْ صَـامِتٍ لَـكَ مُعْجِبٍ زِيـادَتُـهُ أَوْ نَـقْـصُـهُ فـي الـتـكَـلُّمِ

---

(١) سئمت الشيء: مللته. والتكاليف: المشاق والشدائد. لا أبالك: كلمة جافية لا يراد بها الجفاء، وانما يراد بها التنبيه والإعلام. ويقال: إن اللام في «لا أبالك» زائدة، والتقدير: لا أباك. ولو أنها زائدة لكان لا أبَ لك، لأن الألف إنما تثبت مع الإضافة. والخبر محذوف، والتقدير: لا أبالك موجود، أو بالحضرة.

(٢) الخبط: الضرب باليد. والعشواء: تأنيث الأعشى. والعشواء: الناقة التي لا تبصر ليلاً فتخبط بيديها على عمى.

(٣) يصانع: يترفق ويداري. ويضرس: يمضغ بضرس. ويوطأ بمنسم: يَذِلُّ. والمنسم للبعير، بمنزلة الظفر للإنسان، والجمع المناسم.

(٤) يفره: يتمه، ولا ينقصه. يريد: من بذل معروفه صان عرضه، ومن يبخل بمعروفه عرض عرضه للذم والشتم.

(٥) وفى وأوفى: أكثر. ومن يفض قلبه: أي يصير. ومطمئن البر: خالصه. ويتجمجم: أي: يتردد في الصلح.

(٦) رقي في السلم: صعد فيه. والأسباب: النواحي.

(٧) الزجاج: جمع زُجّ، وهو أسفل الرمح. والعوالي: جمع عالية، وهي أعلى الرمح. واللهذم: الحاد. والمعنى: أن من لا يقبل الصلح، وهو الزُّجُّ الذي لا يقاتل به، فإنه يطيع العوالي، وهو السنان الذي يقاتل به.

(٨) يذد: يدفع ويطرد.

(٩) يغترب: يبعُد عن قومه.

(١٠) الخليقة والطبيعة واحد. أي أن الأخلاق لا تخفى، والتخلق لا يبقى.

لســانُ الفَتَى نِـصْفٌ وَنِـصْفٌ فُـؤَادُهُ	فَلَمْ يَبْقَ إلا صُـورةُ اللّحم والدم [1]
وإنَّ سَفـاهَ الشَّيـخِ لا حِلْمَ بَـعْـدَهُ	وَإنَّ الْفَتـى بَعْــدَ السَّفَـاهَــةِ يَـحْلُـمِ
سَــأَلْنَـا فَـأَعْـطَيتُمْ وَعُــدْنَـا فَعُـدْتُمْ	وَمَنْ أكْثَـرَ التَّسـآلَ يَـوْمـاً سيُحْـرَمِ

- أشعار الشعراء الستةالجاهليين ١/٢٧٨ - ٢٨٨ .
- شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٣٧ - ٢٩٠ .
- شرح القصائد العشر، ص ١٦٢ - ١٩٩ .
- شرح المعلقات السبع، ص ٦٢ - ٧٦ .
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، لأبي العباس ثعلب، ص ١٦ - ٣٧ .
- جمهرة أشعار العرب، ص ١٥٣ - ١٧٨ .

٤ - من معلقة عمرو بن كلثوم[2]

(من الوافر)

ألا هُبِّي بِـصَحْنِـكِ فـاْصْبَحِـيـنَـا	ولا تُـبـقـي خُـمُــورَ الأنــدريـنــا[3]

* * *

(١) أي إن المرء بأصغريه: لسانه وجنانه، أي قلبه.

(٢) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب، من بني تغلب، أبو الأسود، شاعر جاهلي مشهور، من الطبقة السادسة عند ابن سلام في طبقاته، تجوّل في الجزيرة العربية، وفي الشام والعراق، وكان من الفتاك الشجعان، ساد قومه تغلب وهو فتى، وعمر طويلاً، وهو الذي قتل عمرو بن هند ملك الحيرة، وكان سبب ذلك أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه: هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي. فقالوا: نعم، عمرو بن كلثوم. قال: ولم ذلك؟ قالوا: لأن أباها مهلهل بن ربيعة، وعمها كليب وائل أعزُّ العرب وبعلها كلثوم بن مالك بن عتاب، أفرس العرب، وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو منه. فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير أمُّه أمّه، فأقبل عمرو من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة من بني تغلب وأقبلت أمه ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب، فدخل الشاعر على عمرو بن هند في القبة التي ضربها بين الحيرة والفرات، وكان مع ملك الحيرة وجوه أهل مملكته. ودخلت ليلى على هند، في القبة التي ضربت بجانب القبة الأخرى، وكان ملك الحيرة عمر طلب من أمه أن تنحى الخدم، وتستخدم ليلى، وبعد أن أكلوا، قالت هند، يا ليلى! ناوليني ذلك الطبق. فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فأعادت عليها، وألحت، فصاحت ليلى: واذلاه! يا لتغلب! فسمعها عمرو بن كلثوم، فثار الدم في وجهه، ونظر الى عمرو بن هند فعرف الشرَّ في وجهه، فقام إلى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق، ليس هناك سيف غيره، فضرب به رأس عمرو بن هند حتى قتله، ونادى في بني تغلب، فانتهبوا جميع ما في الرواق وساقوا نجائبه، وساروا نحو الجزيرة. ويصف الشاعر هذا في معلقته هذه. مات نحو سنة ٤٠ ق هـ. انظر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء ١/١٥١. وطبقات الشعراء، ص ٣٤. والشعر والشعراء ص ١١٧ - ١٢٠. والأغاني ١١/٤٦ - ٥٤. وجمهرة أشعار العرب، ص ٨٦ - ٨٨. والأعلام ٥/٨٤.

(٣) هبي: استيقظي. والصحن: القدح العظيم. واصبحينا: اسقينا الصبوح، أي الشراب في الصباح. والأندرين: قرى بالشام.

أَبـا هِـنْـدٍ فـلا تَـعْـجَـلْ عَـلَيْـنَـا	وَأَنْـظِرْنَـا نُـخَـبِّـرْكَ الـيـقـيـنـا[١]
بـأنّـا نُـورِدُ الـرايـاتِ بِـيـضـاً	ونُـصْـدِرُهنّ حُـمْـراً قـد رَوينـا[٢]
وأيّـامٍ لـنـا غُـرٍّ، طِـوالٍ	عَصَيْنَـا المَلْكَ فيـهـا أن نَـدِينَـا[٣]
وَسَـيِّـدِ مَـعْـشَـرٍ، قـد تَـوجُـوهُ	بتاجِ المُلْكِ، يحمي المُحْجَرِينا[٤]
تَـرَكْنَـا الخيـلَ عـاكفـةً عـليـهِ	مُـقـلَّدَةً أعـنَّـتَـهـا صُـفُـونـا[٥]
وقـد هَـرَّتْ كِـلابُ الـحيِّ مـنَّـا	وشَـذَّبْنـا قَـتَـادَةَ مَـنْ يَـلِـيـنَـا[٦]
وَأَنْـزَلْـنَـا الـبـيـوتَ بـذي طُـلُوحٍ	إلى الشّاماتِ تَنْفِي المُـوعِـدِينـا[٧]
مـتـى نَـنْـقُـلْ إلـى قـومٍ رَحَـانَـا	يكـونـوا في اللقـاءِ لهـا طَحِينَـا[٨]
يـكـونُ ثِـفَـالُـهـا شَـرْقـيَّ نـجـدٍ	وَلُـهْـوَتُهَـا قُـضَـاعَـةَ أَجْمَـعِينَـا[٩]
نَـزَلْـتُـمْ مـنـزلَ الأَضـيـافِ مـنّـا	فـأَعْجَلْنَـا القِرى أَنْ تَشْتُمـونَـا[١٠]

(١) أبا هند: يعني عمرو بن هند. وأنظرنا: أمهلنا.

(٢) الرايات: جمع الراية، وهي العلم. يقول: نخبرك باليقين من أمرنا بأنا نورد أعلامنا الحروب بيضاء، ونرجعها منها حمراء قد روين من دماء الأبطال.

(٣) الغر: بمعنى المشاهير كالخيل الغر لاشتهارها فيما بين الخيل. يقول: نخبرك بوقائع لنا مشاهير كالغر من الخيل عصينا الملك فيها كراهية أن نطيعه، ونتذلل له..

(٤) المحجرون: اللاجئون إلى من يحميهم، يقول: ورب سيد قوم متوج بتاج الملك حام للملجئين، قهرناه.

(٥) الصفون: جمع الصافن، وهو القائم الذي قام على ثلاث قوائم، وثنى سنبكه الرابع. يقول: قتلناه، وحبسنا خيلنا عليه، وقد قلدناها أعنتها في حال صفونها عنده لعباً. أي نزلنا عن خيولنا لأخذ سلبه..

(٦) هرت الكلاب: نبحت خوفاً. والتشذيب: قطع أشواك الشجره أو أغصانها. والقتاد: شجر ذو شوك، والواحدة قتادة. يقول: وقد لبسنا الأسلحة حتى انكرتنا الكلاب، ونبحت لإنكارها إيانا وقد كسرنا شوكة من يقرب منا من أعدائنا.

(٧) ذو طلوح، والشامات: موضعان. والموعدين: المهددين، وأراد الأعداء. يقول: وأنزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذي طلوح إلى الشامات: ننفي من هذه الأماكن أعداءنا الذين كانوا يوعدوننا.

(٨) أراد بالرحى: رحى الحرب. يقول: متى حاربنا قوماً قتلناهم. استعار للحرب اسم الرحى. واستعار لقتلاهم اسم الطحين.

(٩) الثفال: خرقة أو جلدة تبسط تحت الرحى. واللهوة: القبض من الحب، تلقى في فم الرحى. يقول: تكون معركتنا الجانب الشرقي من نجد وتكون قبضتنا قضاعة أجمعينا. استعار للمعركة اسم الثفال، وللقتلى اسم اللهوة ليشاكل الرحى والطحين.

(١٠) القِرى: الضيافة. يقول: نزلتم منزلة الأضياف، فجعلنا قراكم كراهية أن تشتمونا ولكي لا تشتمونا. =

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ ... قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْداةً طَحُونَا[1]
نَعُمُّ أُناسَنا وَنَعِفُّ عَنْهُمْ ... وَنَحْمِلُ عنهمُ ما حَمَّلُونا[2]
نُطَاعِنُ ما تَراخَى الناسُ عنّا ... ونضربُ بالسيوفِ إذا غُشِينا[3]
بِسُمْرٍ مِن قَنَا الخَطِّيِّ لُدْنٍ ... ذَوَابِلَ أوْ ببِيضٍ يَخْتَلِينا[4]
كأنَّ جماجمَ الأبطالِ فيها ... وُسُوقٌ بالأَمَاعِزِ يرتمينا[5]
نَشُقُّ بها رؤوسَ القومِ شقّاً ... ونَخْتَلِبُ الرِّقابَ فَتَخْتَلِينا[6]
وإنَّ الضِّغْنَ بَعْدَ الضِّغْنِ يبدو ... عليكَ ويُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفينا[7]
وَرِثْنَا المَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... نُطَاعِنُ دُونَهُ حتَّى يَبِينا[8]
ونحنُ إذا عمادُ الحيِّ خَرَّتْ ... عَنِ الأَحْفَاضِ نَمْنَعُ من يَلِينَا[9]

= والمعنى: تعرضتم لمعاداتنا كما يتعرض الضيف للقرى، فقتلناكم عجالاً كما يحمد تعجيل قرى الضيف. أي: جئتم للقتال فعاجلناكم بالحرب، ولم ننتظركم أن تشتمونا. ويقال في معناه: عاجلناكم بالقتل قبل أن تُوقعوا بنا، فتكونوا سبباً لشتم الناس إيّانا. وأن بمعنى: لئلا.

(١) المردة: الصخرة التي يكسر بها الصخور ومرداة طحونا: أي حربا أهلكتكم أشد هلاك. استعار المرداة للحرب.

(٢) يقول: نعم عشائرنا بنوالنا وسيبنا، ونعف عن أموالهم، ونحمل عنهم ما حملونا من أثقال حقوقهم ومؤونتهم، وما حملونا من الديات والدفاع ونحو ذلك.

(٣) التراخي: البعد. والغشيان: الإتيان. يقول: إننا نحسن استعمال السلاح، فنطاعن أعداءنا بالرماح إذا لم يلاصقونا، فإذا لاصقونا ضربناهم بالسيوف.

(٤) السمر: الرماح، وهي سمر لنضجها في منابتها. والقنا: الرماح. والخطي: نسبة إلى بلدة الخط على ساحل البحرين تجلب منها الرماح. واللدن: جمع لدن، اللين. يقول: نطاعنهم برماح سمر لينة. أو نضاربهم بسيوف بيض يقطعن ما ضرب بها.

(٥) الوسوق: جمع الوسق، وهو حمل البعير. والأماعز: جمع الأمعز: وهو المكان الذي تكثر حجارته. يقول كأن جماجم الشجعان منهم أحمال إبل تسقط في الأماكن الكثيرة الحجارة.

(٦) الاختلاب: قطع الشيء بالمخلب، وهو المنجل الذي لا أسنان له. والاختلاء: قطع الخلا، وهو رطب الحشيش. يقول: نشق بها رؤوس الأعداء، ونقطع بها رقابهم فيقطعن.

(٧) يقول: إن الضغن بعد الضغن تفشو آثاره، ويخرج الداء المدفون من الأفئدة، أي يبعث على الانتقام.

(٨) يقول: ورثنا شرف آبائنا قد علمت ذلك معد، نطاعن الأعداء دون شرفنا حتى يظهر الشرف لنا.

(٩) الحفض: متاع البيت. وخرت: سقطت. وسقوط الأعمدة على أمتعة البيت كناية عن تقويض البيوت للرحلة والظعن. يقول: ونحن إذا قوضت الخيام فخرت على أمتعتها نمنع ونحمي من يقرب منا من جيراننا.

نَـجُـذُّ رؤُوسَـهـمْ فـي غـيـرِ بِـرٍّ	فـمـا يَـدْرُونَ مـاذا يـتَّـقـونـا(١)
كـأنَّ سـيـوفَـنَـا فـيـنـا وفـيـهـمْ	مَـخَـارِيـقٌ بـأَيـدي لاعـبـيـنـا(٢)
كـأنَّ ثـيـابَـنَـا مـنـا ومـنـهـمْ	خُـضِـبْـنَ بـأَرْجُـوانٍ أو طُـلِـيـنـا(٣)
إذا مـا عَـيَّ بـالإسـنـافِ حَـيٌّ	منَ الهَـوْلِ المُشَـبَّـهِ أن يكـونـا(٤)
نَـصَـبْـنَـا مـثـلَ رَهْـوَةَ ذاتِ حَـدٍّ	مـحـافـظةً وكُـنّـا الـسّـابـقـيـنـا(٥)
بـشُـبَّـانٍ يَـرَوْنَ الـقـتـلَ مـجـداً	وَشِيبٍ في الحـروبِ مُـجَـرَّبـيـنـا(٦)
حُـدَيَّـا الـنـاسِ كـلِّهِـمُ جـمـيـعـاً	مـقـارَعـةً بَـنـيـهـمْ عـن بَـنـيـنـا(٧)
فـأمَّـا يـومَ خَـشْـيَـتِـنَـا عـلـيـهِـمْ	فـتُـصْـبِـحُ خَـيْـلُـنـا عُـصَـبـا ثُـبِـيـنـا(٨)
وأمّـا يـومَ لا نَـخْـشَـى عـلـيـهـمْ	فَـنُـمْـعِـنُ غَـارةً مُـتَـلَـبِّـبـيـنـا(٩)
بـرأسٍ مـن بنـي جُـشَـمِ بـنِ بَـكْـرٍ	نَـدُقُّ بـه الـسُّـهُـولَـةَ والـحُـزُونـا(١٠)

(١) الجذ: القطع. يقول: نقطع رؤوسهم في غير بر، أي: في عقوق ولا يدرون ماذا يحذرون منا من القتل وسبي الحرم واستباحة الأموال.

(٢) المخاريق: جمع المخراق، وهو المنديل أو الخرقة تلف ويضرب بها، والمخراق: سيف من خشب يلعب به الصبيان. يقول: كنا لا نحفل بالضرب بالسيوف كما لا يحفل اللاعبون بالمخاريق، أو كنا نضرب بها في سرعة كما يضرب بالمخاريق في سرعة.

(٣) الأرجوان: صبغ أحمر. يقول: كأن ثيابنا وثياب أقراننا خضبت بأرجوان أو طليت.

(٤) الأسناف: الإقدام. وعي بالأمر: تحير فيه. يقول: إذا عجز من التقدم قوم مخافة هول منتظر متوقع.

(٥) رهوة: جبل. يقول: نصبنا خيلاً مثل هذا الجبل، أو كتيبة ذات شوكة محافظة على أحسابنا، وسبقنا خصومنا: أي غلبناهم. والمعنى: إذا فزع غيرنا من التقدم أقدمنا مع كتيبة ذات شوكة وغلبة، وإنما نفعل هذا محافظة على أحسابنا.

(٦) يقول: نسبق ونغلب بشبان يعدون القتل في الحروب مجداً، وشيب قد مرنوا على الحروب.

(٧) حدياً: اسم جاء على صيغة التصغير، وهي بمعنى التحدي. يقول: نتحدى الناس كلهم بمثل مجدنا وشرفنا، ونقارع أبناءهم ذابين عن أبنائنا.

(٨) العصب: جمع العصبة، وهي الجماعة. والثُبة: الجماعة. يقول: فأما يوم نخشى على أبنائنا، وحرمنا من الأعداء تصبح خيلنا جماعات، أي تتفرق في كل وجه لذب الأعداء عن الحرم.

(٩) الإمعان: الإسراع في المبالغة في الشيء. والتلبب: لبس السلاح. يقول: وأما يوم لا نخشى على حرمنا من أعدائنا فنمعن في الإغارة على الأعداء لابسين أسلحتنا.

(١٠) الرأس: الرئيس والسيد: يقول: نغير عليهم مع سيد من هؤلاء القوم ندق به السهل والحزن، أي نهزم الضعاف والأشداء.

بـأيِّ مشيئـةٍ عَـمـرو بنَ هـنـدٍ تُـطِيعُ بنـا الـوشـاةَ وتَـزْدرينـا[1]
بـأيِّ مشيئـةٍ عـمـرَو بنَ هـنـدٍ نكـونُ لِقَيْلِكُـمْ فيـهـا قَـطِينـا[2]
تَـهَـدَّدْنـا وأَوْعِـدْنَـا رُوَيْـداً متى كُنّـا لأُمِّـكَ مُـقْـتَـوِيـنَـا[3]

* * *

وقَـدْ عَـلِمَ الـقـبـائـلُ مِنْ مَـعَـدٍّ إذَا قُـبَبٌ بـأَبْـطَحِـهـا بُـنـيـنـا[4]
بـأنَّـا الـمُـطْعِـمُـونَ إذا قَـدَرْنَـا وَأنَّـا الـمُـهْلَكُـونَ إذَا ابـتُـلينـا[5]
وأنَّـا الـمـانـعـونَ لـمَـا أَرَدْنَـا وأنَّـا الـنـازلـونَ بحيـثُ شِيـنـا[6]
وأنـا الـتـاركـونَ إذَا سـخِـطنـا وأنـا الآخـذونَ إذَا رضـيـنـا[7]
وأنـا الـعـاصـمـونَ إذا أُطِـعْـنَـا. وأنـا الـعـازمـونَ إذَا عُـصِـيـنـا[8]
ونـشـربُ إن وَرَدْنَـا الـمـاءَ صَـفْـواً ويـشـربُ غَيْـرُنـا كَـدَراً وطـيـنـا[9]
إذَا مـا المَلْكُ سـامَ النـاسَ خَسْفـاً أَبَـيْـنَـا أنْ نُـقِـرَّ الذُّلَّ فـيـنـا[10]

---

(١) تزدرينا: تحتقرنا. يقول: كيف تشاء أن تطيع الوشاة بنا إليك وتحقرنا وتقصر بنا؟ أي شيء دعاك إلى هذه المشيئة؟.

(٢) القطين: الخدم. والقيل: الملك دون الملك الأعظم. يقول: كيف تشاء يا عمرو بن هند أن نكون خدماً لمن وليتموهم أمرنا من الملوك؟ أي شيء دعاك إلى المشيئة المحالة؟ يريد: إنه لم يظهر منهم ضعف يطمع الملك في إذلالهم باستخدام قيله إياهم.

(٣) القتو: خدمة الملوك، والفعل قتا يقتو. يقول: ترفق في تهددنا وإبعادنا، ولا تمعن فيهما، فمتى كنا خدماً لأمك؟ أي لم نكن خدماً لها حتى نعبأ بتهديدك ووعيدك إيانا، ثم قال: رويداً رويداً، أي دع الوعيد والتهديد وأمهله.

(٤) يقول: وقد علمت قبائل معد إذا بنيت قبابي بأبطحها. والقبب والقباب: جمع قبة.

(٥) يقول: قد علمت هذه القبائل أنا نطعم الضيفان إذا قدرنا عليه، ونهلك أعداءنا إذا اختبروا قتالنا.

(٦) يقول: إنا نمنع الناس ما أردنا منعه إياهم، وننزل حيث شئنا من بلاد العرب.

(٧) يقول: إنا نترك ما نسخط عليه، ونأخذ إذا رضينا، أي: لا نقبل عطايا من سخطنا عليه، ونقبل هدايا من رضينا عليه.

(٨) يقول: إنا نعصم ونمنع جيراننا إذا أطاعونا، ونعزم عليهم بالعدوان إذا عصونا.

(٩) يقول: نأخذ من كل شيء أفضله وندع لغيرنا أرذله. يريد: أنهم السادة والقادة وغيرهم أتباع لهم.

(١٠) الخسف: الذل. والسَّوْم: أن تجشم إنسانا مشقة وشراً. يقول: إذا أكره الملك الناس على ما فيه ذلهم أبينا الانقياد له. وسامه خسفاً: حمله وكلفه ما فيه ذله.

لنـا الـدنيـا ومـن أمسـى عـليهـا وَنَبْـطِشُ حيـنَ نَبْـطِشُ قـادريـنـا[1]
إذا بـلغَ الـفِطَـامَ لـنـا صـبـيٌّ تخـرُّ لـه الجبـابـرُ سـاجـدينـا[2]
مـلأنـا الـبـرّ حتّـى ضـاق عنّـا وَظَـهْـرَ البحـرِ نملَؤُهُ سـفـيـنـا[3]
ألا لا يـجـهـلـنْ أحـدٌ عـليـنـا فَنَجْهَـلَ فـوقَ جَهْـلِ الجاهلينـا[4]

- ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال، ص ٣٦٩ - ٤٢٧ .
- ابن النحاس، شرح القصائد المشهورات ٢/ ٨٩ - ١٢٥ .
- الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص ١٠١ - ١١٥ .
- الخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر، ص ٣١٨ - ٣٦٧ .
- القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٢٧٢ -٣٠٠ .

٥ - من معلقة عنترة بن شداد العبسيّ[5]

(من الكامل)

هَـلْ غـادَرَ الـشُّعـراءُ مِـنْ مُـتَـرَدَّمِ أَمْ هَـلْ عَرَفْتَ الـدَّارَ بَعْـدَ تَـوَهُّمِ ؟[6]

---

(١) يقول: لنا الدنيا وما عليها، نتصرف فيها كيف ما نشاء، لأننا أقوياء أعزاء.

(٢) يقول: إذا بلغ صبياننا وقت الفطام سجدت لهم الجبابرة من غيرنا.

(٣) يقول: عممنا الدنيا براً وبحراً، فضاق البر عن بيوتنا وضاق البحر عن سفننا.

(٤) أي: لا يسفهن أحد علينا فنسفه فوق سفههم ، أي: نجازيهم بسفههم جزاء يربي عليه، فسمي جزاء الجهل جهلاً لازدواج الكلام وحسن تجانس اللفظ، كما قال الله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ وقوله تعالى: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾.

(٥) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي، من مضر، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، وأمه أمة حبشية يقال لها زبيبة، نفاه والده شداد، ثم اعترف به، فألحق بنسبه. وعنترة أحد أغربة العرب - وهم الذين جاءهم السواد من قبل أمهاتهم - وكان أشجع العرب وأشدها، وأعزهم نفساً، يروى عن الرسول ﷺ أنه قال: «ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة» ولم يدرك الإسلام. وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة حتى سابّه رجل من بني عبس فذكر سواده وسواد أمه واخوته من أمه وعيره بذلك، وبأنه لا يقول الشعر. فكان أول ما قال من قصائد معلقته هذه، وهي أجود شعره يسمونها المذهبة. وكان قد شهد حرب داحس والغبراء، فحسن فيها بلاؤه، وحمدت مشاهده. عشق ابنة عمه عبلة. أنظر ترجمته في: الشعر والشعراء، ص ١٣٠ - ١٣٥ . والأغاني ٨/ ٢٣٧ - ٤٢٥ . والديوان.

(٦) التردم: من قولك: ردمت الشيء، إذا أصلحته. والمعنى: هل تركت الشعراء موضعاً مسترقعاً إلاّ وقد رقعوه وأصلحوه؟ وهذا استفهام يتضمن معنى الانكار، أي: لم يترك الشعراء شيئاً يصاغ فيه شعر إلا وقد صاغوه فيه.

يـا دَارَ عَـبْـلَة بـالـجِـوَاءِ تَـكَـلَّمِـي وَعِمِي صَبَـاحـاً دَارَ عَبْلَةَ واسْلمي[1]

* * *

إن تُـغْـدِفي دُونـي القِـنَـاعَ فَـإنَّـنـي طبٌّ بـأَخْـذِ آلفـارسِ المُسْتَلْئِم[2]

أَثْنِي عَـليَّ بِـمَـا عَـلِمْتِ فَـإنَّنـي سَهْـلٌ مُـخَـالَقَـتِـي إذَا لَـمْ أُظْـلَم

فَـإذا ظُـلِمْتُ فَـإنّ ظُـلْمِيَ بَـاسِـلٌ مُـرٌّ مـذاقَـتُـهُ كَـطَعْمِ الـعَـلْقَـم[3]

وَلَقَـدْ شَـرِبتُ مِنَ المُـدَامَـةِ بَعْـدَما رَكَـدَ الهَـوَاجِـرُ بـالمَشُوفِ المُعْلَم[4]

بِـزُجَـاجَـةٍ صَـفْـرَاءَ ذَاتِ أَسِـرَّةٍ قُـرِنَتْ بـأَزْهَـرَ في الشِّمَـالِ مُفَـدَّم[5]

فَـإذَا شَـرِبْتُ فَـإنـنـي مُسْتَـهْـلِكٌ مَـالِي وَعِـرْضِي وَافِـرٌ لَمْ يُكْـلَم[6]

وَإذَا صَحَـوْتُ فَمَـا أُقَصِّـرُ عَنْ نَـدًى وَكَمـا عَلِمْتِ شَمَـائِلي وَتكـرُّمي[7]

وَحَـلِيـلِ غَـانِيَـةٍ تَـرَكْـتُ مُـجَـدَّلاً تَمْكُـو فَـرِيصَتُـهُ كَشِـدْقِ الأَعْلَم[8]

---

(١) عبلة: اسم عشيقته. والجواء: بلد، أو الوادي. وتكلمي: أخبري عن أهلك وسكّانك. وعمْ وأنعم واحد. واسلمي: أي سَلَّمَك الله من الآفات.

(٢) الإغداف: إرخاء القناع على الوجه. والطب: الحاذق. والمستلئم: الذي لبس اللأمة، وهي الدرع. والمعنى: إن ترخي دوني القناع، أي: تستري عني، فإنني حاذق بأخذ الفرسان الدارعين، أي: إذا كان الأمر كذلك مع الفرسان، فكيف أعجز عن صيد أمثالك.

(٣) باسل: أي كريه. والعلقم: الحنظل.

(٤) المدامة: الخمر. وركد: سكن. الهواجر: جمع الهاجرة: وهي أشد الأوقات حراً. يقول: شربت من الخمر بعد ركود الهواجر، أي: حين ركدت الشمس، ووقفت. والمشوف: الدينار والدرهم. وقيل: هو الكأس. والمعلم: الذي فيه كتابة.

(٥) ذات أسِرّة: أي ذات طرائق وخطوط. وبأزهر: يعني: إبريقاً من فضة أو رصاص. ومُفَدَّم: مشدود فمه بخرقة.

(٦) العرض: موضع المدح والذم من الرجل. ولم يكلم: لم يجرح. يقول: إذا شربت أنفقت مالي، وأهلكته في السماح، وأنا أصون عرضي، ولا أشحّ بمالي.

(٧) صحوت: أي أفاق من سكره. والندى: السخاء. والشمائل: الأخلاق، مفردها الشمال: الخلق. والمعنى: إنه يسخو على السكر، والصحو.

(٨) الحليل: الزوج. والمرأة: حليلة، قيل لهما ذلك، لأن كلّ واحد منهما يحل على صاحبه. والغانية: ذات الزوج من النساء لأنها غنيت بزوجها من الرجال. وقيل: بل الغانية المقيمة في بيت أبويها، لم تزوج بعد، من غني بالمكان إذا أقام به. وقيل الشابة الحسناء التي تعجب الرجال، ويعجبها الرجال. وجدلته: ألقيته على الجدالة، وهي الأرض فتجدل، أي: سقط عليها. وتمكو: =

سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ ... وَرَشَاشِ نَافِذَةٍ كَلَوْنِ العَنْدَمِ (١)

هَلاَّ سَأَلْتِ الخَيْلَ يَا ابنَةَ مالِكٍ ... إنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

إذْ لَا أزَالُ عَلَى رِحَالَةِ سَابِحٍ ... نَهْدٍ تَعَاوَرُهُ الكُمَاةُ مُكَلَّمِ (٢)

طَوْراً يُجَرَّدُ لِلطِّعَانِ وَتَارَةً ... يَأْوِي إلى حَصِدِ القِسِيِّ عَرَمْرَمِ (٣)

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أنَّني ... أغْشَى الوَغَى وَأعِفُّ عِنْدَ المَغْنَمِ (٤)

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ ... لَا مُمعنٍ هَرَباً وَلَا مُسْتَسْلِمِ (٥)

جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ ... بِمُثقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ (٦)

بِرَحِيبَةِ الفَرْغَيْنِ يَهدِي جَرْسُهَا ... بِاللَّيلِ مُعْتَسَّ الذِّئابِ الضُّرَّمِ (٧)

= تَصْفِر. والمكاء: الصفير. والفريصة: الموضع الذي يُرْعد من الدابة، والإنسان، إذا خاف. الأعلم: الذي في شفته العليا شق. وهنا شبه صوت انصباب الدم بصوت خروج النفس، من شدق الأعلم، والأعلم: لعله قصد الفرس.

(١) الرشاش: ما تطاير من الدم . والنافذة: الطعنة التي نفذت إلى جانب الآخر. ويقال: التي نفذت إلى الجوف. والعندم: دم الأخوين. وقيل: البَقّم. وقيل: شقائق النعمان. وقيل العصفر. وقيل: صبغ أحمر.

(٢) الرحالة: السرج ، كان يعمل من جلود الشاء بأصوافها، يتخذ للجري الشديد. والسابح من الخيل الذي يدحو بيديه دَحْواً. والنهد: الغليظ. وتعاور: تداول. يقال: تعاوروه ضربا: إذا جعلوا يضربونه على جهة التناوب. والكماة: جمع كميّ، وهو الشجاع، التام السلاح. والكلم: الجرح.

(٣) الطور: التارة والمرة، والجمع الأطوار. والحصد: الكثير. وكذلك العرمرم.

(٤) الوقعة والوقيعة : اسمان من أسماء الحرب، والجمع الوقعات، والوقائع. والوغى: الصوت والجلبة، ثم استعير للحرب. والمغنم والغنم والغنيمة، واحد. والمعنى: لا استأثر بشيء دون أصحابي.

(٥) المدجج : الذي توارى بالسلاح. والكماة: جمع كميّ وهو الشجاع. ونزاله: منازلته. ولا ممعن هربا: أي لا يمعن هربا فيُبعُد، ولا هو مستسلم فيؤسر، ولكنه يقاتل. ويقال: لا يفرّ فراراً بعيداً، إنما هو منحرف لرجعة، أو كرّةٍ يكُرُّها.

(٦) جادت له كفي بعاجل طعنه: أي سبقته بالطعن، لأني كنت أحذق منه. والمثقف: المصلح المقوّم. الكُعوب: عقد الأنابيب. والصدق: الصُّلب. وما بين كل أنبوبين: كعب. والمقوم: الذي قوّم وسُوّي.

(٧) الرحيبة: الواسعة. والفرغ: مصب الماء من الدلو، وللدلو: فرغان. فضرب هذا مثلاً لمخرج دم هذه الطعنة، فجعله مثل مصب الدلو. والجرس: الصوت. والمعتسّ من الذئاب وغيرها: المبتغي الطالب. والضرم: الجياع. أي أن سيلان دم هذه الطعنة يدلّ السباع، إذا سمعن خرير الدم منها، فيأتينه، ليأكلن منه.

فشَكَكْتُ بـالـرُّمْـحِ الأَصَمِّ ثِيَـابَـهُ ... لَيْسَ الكَـرِيمُ على القَنَـا بمُحَـرَّمِ [1]

فتَـرَكْتُـهُ جَـزَرَ السِّبـاعِ يَنُشْنَـهُ ... يَقْضمنَ حُسْنَ بَنَـانِـهِ والمِعْصَـمِ [2]

وَمِـشَكِّ سـابِغَـةٍ هَتَكْتُ فُـرُوجَهَـا ... بـالسيفِ عَنْ حَامِي الحَقِيقَةِ مُعْلِمِ [3]

رَبِـذٍ يَـداهُ بِـالـقِـداحِ إذَا شَـتَـا ... هَـتَّـاكِ غَـايَـاتِ التِّجـارِ مُـلَوَّمِ [4]

لَـمَّـا رآنـي قَـدْ نَـزَلْـتُ أُريـدُهُ ... أَبْـدَى نَـوَاجِـذَهُ لِـغَيْـرِ تَـبَسُّـمِ [5]

فَـطَعَنْتُـهُ بِـالـرُّمْـحِ ثُـمَّ عَلَوْتُـهُ ... بِمُهَنَّـدٍ صَـافي الحَـدِيـدَةِ مِخْـذَمِ [6]

عَـهْـدي بِـهِ مـدَّ النَّـهـارِ كـأَنَّـمـا ... خُضِبَ البَنـانُ وَرَأْسُـهُ بِـالعِظْلِمِ [7]

بَـطَلٍ كـأَنَّ ثِـيـابَـهُ فـي سَـرْحَـةٍ ... يُحْذَى نِعـالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَـوْأَمِ [8]

* * *

نبِّئْتُ عَـمْـراً غَيْـرَ شَـاكِـرِ نِـعْمَـتِي ... والكُفْـرُ مَخْبَـثَـةٌ لِنَـفسِ المُـنْعِـمِ [9]

---

(١) شككته وشققته. بمعنى واحد. والأصم: الصلب. وثيابه: درعه، وقيل: قلبه، وقيل: بدنه. يريد أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الإقدام، وقيل بل معناه: أن كرمه لا يخلصه من القتل المقدر له.

(٢) الجزر: جمع الجزرة، وهي الشاة التي أعدت للذبح. والنوش: التناول. والقضم: الأكل بمقدم الأسنان. والبنان: الأصابع، واحدتها بنانة، والأنامل: أطرافها. والمعصم: موضع السوار.

(٣) المشك: الدرع التي قد شك بعضها. وقيل مساميرها التي تكون في حَلَقها. والسابغة: الكاملة. وهتكت فروجها: شققت وفرقت فروج الدرع، وهي جيبها وكماها، واحدها فرج. وحامي الحقيقة: الذي يحمي ما يحق عليه أن يحميه. والمعلم: الذي قد شهر نفسه بعلامة إدلالاً بشجاعته، وإعلاماً بمكانه.

(٤) الربذ: السريع الضرب بالقداح يقول: هو حاذق بالقمار والميسر، خفيف اليد بضرب القداح. وهذا كان مدحاً عند العرب في الجاهلية. وإذا شتا: دخل في الشتاء. والغايات: مفردها الغاية، وهي العلامات والرايات التي ينصبها الخمّار ليعرف مكانه بها. وأراد بالتجار: الخمارين. والمعنى: انه يأتي الخمارين، فيشتري كلَّ ما عندهم من الخمر، فيقلعون راياتهم ويذهبون، فذلك هتْكُها. والملوم: الذي يكثر لومه، على إنفاق ماله، في الفتوة.

(٥) أبدى: أظهر وكشر عن أسنانه. والنواجذ: آخر الأضراس.

(٦) المهند: المعمول بالهند، وهو السيف. والمخذم: القاطع.

(٧) مدّ النهار: أوله، ومدّ النهار، وشدّ النهار، ووجه النهار، وشباب النهار: أوله. والبنان: الأصابع. والعظلم: نبت يختضب به.

(٨) البطل: الشجاع. وسرحة : شجرة. وفي هنا بمعنى: على. ويحذى يُلبس. ونعال السبت: المدبوغة بالقَرَظ، وكانت الملوك تلبسها. وليس بتوأم: أي لم يولد معه آخر، فيكون ضعيفاً.

(٩) نبئت: أعلمت. وكفر النعمة: جحودها. ولنفس المنعم: أي النفس المنعم عليه.

وَلَقَـدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّيَ بالضُّحَى إذْ تَقْلِصُ الشَّفتانِ عَنْ وَضَحِ الفَمِ [١]

في حَـوْمةِ الحَـرْبِ التي لا تَشْتَكِي غَمَـرَاتِهَـا الأَبْـطالُ غَيْـرَ تَغَمْغُمِ [٢]

إذْ يَتَّقُـونَ بِـيَ الأَسِنَّـةَ لـم أَخِـمْ عَنْهَـا وَلـكنّي تَضَـايَقَ مُقْـدَمِـي [٣]

لـمّـا رأيْتُ الـقَـوْمَ أقْبـلَ جَـمْعُهُـمْ يَتَـذَامَـرُونَ كَـرَرْتُ غَيْـرَ مُـذَمَّمِ [٤]

يَـدْعُـونَ عَنْتَـرَ والـرِّمَـاحُ كـأنّهـا أَشْـطانُ بِئْـرٍ فـي لَبَـانِ الأَدْهَـمِ [٥]

مَـا زِلْتُ أَرْمِيـهِـمْ بِثُغْـرَةِ نَـحْـرِهِ وَلَبَـانِـهِ حتَّى تَسَـرْبَـلَ بِـالـدَّمِ [٦]

فـازْوَرَّ مِـنْ وَقْـعِ الـقَـنَـا بِلَبَـانِـهِ وَشَكَا إِلـيّ بِعَبْـرَةٍ وَتَـحَـمْـحُـمِ [٧]

لَـوْ كَـانَ يَـدْرِي مـا المُحَـاوَرَةُ اشْتَكَى ولَكـانَ لَـوْ عَلِمَ الكَـلامَ مُكَـلِّمِي [٨]

والخَيْـلُ تَقْتَحِمُ الـخَبَـارَ عَـوابِسـاً مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَـةٍ وَأَجْـرَدَ شَيْـظَمِ [٩]

وَلَقَـدْ شَفَى نَفْسِي وأَبْـرَأَ سُقْمَـهَـا قِيلُ الفَوَارسِ وَيْكَ عنْتَرَ أَقْدِمِ [١٠]

- شرح القصائد السبع الطوال، ص ٢٩٤ - ٣٦٥.
- شرح القصائد العشر، ص ٢٦٢ - ٣١٤.
- شرح المعلقات السبع، ص ١١٦ - ١٣٠.
- ديوان عنترة بن شداد، ص ١٨٦ - ٢٢٢.
- جمهرة أشعار العرب، ص ٣٤٧ - ٣٧٥.

---

(١) وصاة ووصية بمعنى واحد. والضحى: أي وقت الضحى. وتقلص: ترتفع وتقصر وتتشنج. وفي الحرب ترتفع الشفة من الإنسان، حتى يرى كأنه يتبسم.

(٢) حومة كل شيء: معظمه. وغمرات الحرب: شدائدها. والتغمغم: صياح ولجب وصوت تسمعه ولا تفهمه.

(٣) يتقون بي الأسنة: أي يجعلونني بينهم وبينها، أي يقدمونني للموت. ولم أخم: لم أجبن. تضايق مقدمي: تضايق الموضع الذي هو قُدّامي، من أن يدنوه أحد. والمقدم: الإقدام أيضاً.

(٤) يتذامرون: يحضّ بعضهم بعضاً. وغير مذمم: أي محمود القتال، غير مذمومة. والمعنى: لما رأيت جمع الأعداء قد أقبلوا نحونا يحض بعضهم بعضاً على قتلنا كررت عليهم غير مذمم.

(٥) الشطن: الحبل، والجمع الأشطان. واللبان: الصدر. والأدهم: فرسه.

(٦) الثغرة: الثقبة في أعلى النحر. واللبان: الصدر. وتسربل: صار بمنزلة السربال، وهو القميص، أو كلّ ما يُلْبَس.

(٧) ازورّ: مال. والتحمحم: صوت مقطّع ليس بالصهيل. والعبرة: تردد البكاء في الصدر قبل أن تسيل الدمعة.

(٨) المحاورة: المراجعة.

(٩) الاقتحام: الدخول في الشيء بسرعة. والخَبَار: الأرض اللينة؛ التي يشتد فيها الركض. والعوابس: الكوالح من الجهد. والشيظم: الطويل. والأجرد: القصير الشعر.

(١٠) ويك عنتر: أراد ويلك. وقيل: ويحك. وقيل: معنى أي تنبيه، والكاف للخطاب. وأقدم: تقدم. يريد: أن تعويل أصحابه عليه والتجاءهم إليه شفى نفسه ونفى غمّه.

٦ ـ من معلقة النابغة الذبياني(١)

(من البسيط)

يَـا دَارَ مَـيَّـةَ بِـالعَـلْيَـاءِ فَـالسَّـنَـدِ ... أَقْـوَتْ وطَـالَ عليهـا سَـالِفُ الأَبَـدِ(٢)

وَقَفْتُ فيهـا أُصَيـلاً كَيْ أُسَـائِلَهَـا ... عَيَّتْ جَـواباً وَمَـا بالـرَّبْعِ مِنْ أَحَـدِ(٣)

إلا الأَوَارِيَّ لأْيـاً مـا أُبَيِّـنُـهَـا ... والنُّؤْيُ كالحَوْض بالمظلومـةِ الجَلَدِ(٤)

كـأَنَّ رَحْـلِي وَقَـدْ زَالَ النَّـهَـارُ بِنـا ... بِـذِي الجليلِ عَلَى مُستـأْنِسٍ وَحَدِ(٥)

مِنْ وَحْشِ وَجْـرَةَ مَـوْشِيٍّ أَكَـارِعُـهُ ... طَاوِي المَصيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ(٦)

---

(١) النابغة اسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جَناب بن يربوع من قبيلة ذبيان من القبائل المضرية، أحد الأشراف، وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء. سمي بالنابغة لأنه كان أحسن الشعراء، ديباجة، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتا، ولنبوغه في الشعر فجأة وهو كبير كان يضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها... تكسب النابغة بشعره، فمدح ملوك المناذرة والغساسنة، تغزل بالمتجردة زوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة، فوشى به عند الملك، وهم بقتله، فالتجأ إلى ملوك الغساسنة يمدحهم ويستعطفهم، ثم عاد ليكتب قصائده للنعمان يستعطفه ويعتذر إليه. لم يدرك الإسلام. انظر حياته في: طبقات الشعراء، ص ١٥ ـ ١٩. والشعر والشعراء، ص ٧٠ ـ ٨١. والأغاني ١١/٣ ـ ٤٠.

يمدح النابغة ـ في هذه القصيدة ـ النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه مما بلغه عنه فيما وشى به بنو قُرَيع في أمر المتجردة. وتدخل هذه القصيدة ضمن المعلقات العشر، لا السبع.

(٢) مية: قيل إنها المتجردة زوجة النعمان بن المنذر وقد كنى عنها بهذا الاسم. والعلياء: مرتفع من الأرض. والسند: سند الوادي في الجبل، وقد جعل الدار بالعلياء والسند حتى لا يؤثر بها السيل، ولا تنهال عليها الرمال. وأقوت: خلت من أهلها. والسالف: الماضي. والأبد: الدهر.

(٣) أصيلاً: عشياً وعيت جوابا: أي لم تجبني، وليس بها أحد يكلمني والربع: منزل القوم.

(٤) الأواري: محابس الخيل ومرابطها، واحدها: آريّ. واللأي: البطء. والمعنى: بعد بطء أستبينها. والنؤى: حاجز من تراب حول الخباء، لئلا يدخله السيل. والمظلومة: الأرض التي لم تُمْطَر فجاءها السيل فملأها. والجلد: الأرض الصلبة. وقيل: المظلومة: الأرض التي لم يكن بها أثر، فاحتاج أهلها أن يحفروا فيها حوضاً لمطر أصابهم، أو لسيل مرّ بهم فحفروا بها، وحفرهم لها ظلمهم إياها، إذ أحدثوا فيها ما لم يكن، وأصل الظلم، وضع الشيء في غير موضعه.

(٥) زال النهار بنا: أي انتصف، وبنا: في معنى علينا، وقيل في معنى عنّا. والمعنى زال النهار عنّا، لأن السير في نصف النهار صعب من أجل الهاجرة، والجليل: الثُّمام، وهو نبت، أي بموضع فيه ثمام. والمستأنس: ثور يخاف الأنيس، وقيل: هو الذي يرفع برأسه، الناظر بعينه. يقول: كأن رحله على ثور مستأنِس منفرد، لنشاط ناقته في وقت إعياء الإبل.

(٦) وجرة: الفلاة، وهي مجتمع الوحش، وهي ستون ميلا، وماؤها قليل، لذا تجد بطون وحشها طاوية لقلة =

فَتِلْكَ تُبْلِغُني النُّعْمَانَ إنّ لَهُ فَضْلاً على الناسِ في الأَدْنَى وفي البَعَدِ (١)

وَلاَ أرى فَاعِلاً في النّاسِ يُشْبِهُهُ وَلاَ أُحاشي مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ (٢)

إلا سُلَيْمَانَ إِذْ قالَ الإِلَهُ لَهُ قُمْ فِي البَرِيةِ فاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ (٣)

وَخَيِّسِ الجِنَّ إنّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ (٤)

فمَنْ أطاعَكَ فانْفَعْهُ بِطاعَتِهِ كَمَا أطَاعَكَ وادْلُلْهُ عَلَى الرَّشَدِ (٥)

وَمَنْ عَصاكَ فعاقِبْهُ مُعاقبةً تَنْهَى الظَّلُومَ وَلاَ تَقْعُدْ على ضَمَدِ (٦)

إلّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سابِقُهُ سَبْقَ الجَوَادِ إذَا استَوْلَى عَلَى الأَمَدِ (٧)

أَعْطَى لِفَارِهَةٍ حُلْوٍ تَوَابِعُهَا مِنَ المَوَاهِبِ لا تُعْطَى عَلَى نَكَدِ (٨)

= شربها الماء. وطاوي: ضامر. والمصير: المعي، وجمعه مصران وجمع مصران مصارين. وموشى الذي فيه ألوان مختلفة، أي نقط سود وخطوط. والأكارع: القوائم. الصيقل: المصقول اللماع والفرد: المنقطع القرين أو النظير، المنفرد بالجودة. أي أن الثور أبيض لماع كالسيف.

(١) النعمان بن المنذر: ملك الحيرة. أ وفي الأدنى وفي البعد: أي في القريب والبعيد. وإن له فضلا: يريد التفضل على القريب والبعيد، أو أنه يريد الرفعة ، إذ هو يفضل جميع الناس. وتلك: يعني ناقته التي شبهها بهذا الثور.

(٢) ولا أحاشي: ولا أستثني. والمعنى: لا أرى أحداً يفعل فعلاً كريماً يشبهه في فعله.

(٣) إلا سليمان: استثناء من القوم المنفيّ عنهم شبه النعمان. وقم في البرية: أي انظر في مصالحها واجتهد في إرشادها. واحددها: امنعها. الفند: الخطأ.

(٤) وخيس: ذلل. والصفاح: جمع صُفَّاحة، وهي حجارة رقاق، عراض. والعمد: أساطين الرخام. وتدمر: مدينة بالشام، فيها بناء لسليمان بن داود عليهما السلام.

(٥) الرَّشد والرُّشد واحد.

(٦) الضمد: الذل والحقد والغيظ والظلم. والمعنى: لا تنطوي على حقد وغضب إلّا لمن هو مثلك في الناس، أو قريب منك.

(٧) إلّا لمثلك: أي إلّا لرجل في مثل حالك أو مَنْ فَضْلُك عليه، كفضل السابق على المصلّي (المصلى من الخيل هو الفرس الذي يدرك الغاية بعد السابق) أي: ليس بينك وبينه في الفضل إلّا اليسير. واستولى عليه: غلبه. والأمد: الغاية التي يُجري إليها. وقيل في معناه: إن النابغة حضّ النعمان على أن يقعد عنه، ولا يضمر له حقداً لأنه ليس مثله ولا قريباً منه.

(٨) أعطى لفارهة: تعود على قوله: ولا أرى فاعلاً أعطى لفارهة منه. والفارهة: الناقة الكريمة، أو العطية الحسَنة. وتوابعها: ما تبعها من المطايا. وحلو توابعها: أي متيسرة هينة، لم يمدّها مطل ولا امتنان. والنكد: الضيق والعسر. ويروى: «لاتعطى على حسد» أي: لا تعطى ونفسك تتبع العطية وترغب فيها.

الـوَاهِبُ المـائـةَ الأَبـكـارَ زَيَّنَـهـا سَعْدَانُ تُوضِحَ فِي أَوْبارِهـا اللِّبَـدِ[1]

والـرَّاكضـاتِ ذُيـولَ الـرَّيْطِ فنَّقَهَـا بَـرْدُ الهَـوَاجِـرِ كـالغِـزْلاَنِ بـالجَـرَدِ[2]

والْخَيْـلَ تَمْـزَعُ غَـرْبـاً فِي أَعِنَّتِهـا كالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّؤْبُوبِ ذِي البَرَدِ[3]

والأُدْمَ قَـدْ خُيِّسَتْ فُتْـلاً مَـرَافِـقُهـا مَشْدُودةً بِـرِحَـالِ الحيرةِ الجُـدُدِ[4]

احْكُمْ كَحُكْمِ فَتَـاةِ الحَيِّ إِذْ نَـظَرَتْ إِلَى حَمَـامٍ شِـرَاعٍ وَارِدِ الـثَّمَـدِ[5]

---

(١) السعدان: نبت من أنجع ما ترعاه الإبل، ومنه قيل: «مرعىً ولا كالسَّعدان» وتوضح: موضع بالحِمى، وكانت إبل الملوك ترعاه. واللبد: جمع لِبدة، أي ما تلبد من الوبر. يريد أنها سائمة مهملة في المرعى، لا تستعمل ظهورها، فأوبارها متلبدة لذلك.

(٢) الراكضات ذيول الريط: يعني الجواري يركضن وبأرجلهن مآخر الريط (وهو الملاحف البيض) لسبوغه عليهن وتبخترهن فيه. وفنقها: نعَّم عيشها. وبرد الهواجر: أي هي في الهواجر في موضع بارد، فلا يؤذيها وهج الشمس. ثم شبههن بالغزلان في طول الأعناق، وضمر الخصور، وحسن العيون، والجرد: الأرض الجرداء لا شجر فيها ولا نبات، وقال ذلك، لإظهار محاسن الغزلان للناظر، لأنه لم يحجبها عنه شيء.

(٣) تمزع: تسرع في سيرها. والغرب: الحدة والنشاط. والشؤبوب: دفعه المطر وشدته. وقيل: السحاب العظيم القطر، القليل العرض، الواحدة شؤبوبة، ولا يقال لها شؤبوبة حتى يكون فيها بَرَدٌ. ونلاحظ ان الشاعر يقول: يهب المائة الأبكار، والراكضات، والخيل.

(٤) الأدم من الإبل: البيض، ومن النساء: السُّمْر. وخيست: ذللت بالركوب. والفتل: التي بانت مرافقها عن آباطها، فلا يصيبها ضاغط ولا حاز ولا ناكث: وهو جرح كراكرها، إذا صكتها مرافقها، فربما امتنعت من السير لذلك. والكراكر: مفردها الكِركِرة: صدر كل ذي خف من البهائم. والحيرة: مدينة النعمان وإليها تنسب الرحال.

(٥) احكم: أي كن حكيما في أمرك، مصيباً في الرأي ـ ولا تقبل ممن سعى إليك ـ كفتاة الحي إذ أصابت ووضعت الأمر موضعه .والثمد: الماء القليل. والشراع: القاصد إلى الماء. يقال إن فتاه الحي: هي بنت الخسِّ، كانت قاعدة، فمر بها قطاً واردة في مضيق من الجبل، فقالت:

يـالـيـتَ ذا الـقـطا لـنـا ومـثـل نـصـفِـه مَـعَـهْ
إلـى قـطاة أهـلنـا إذاً لـنـا قـطاً مِـيَـةْ

وقيل: هي زرقاء اليمامة، كان من بقية طَسْم وجَدِيس، وكانت ترى من مسيرة ثلاثة أيام، وكانت لها قطاة ومَر بها سرب من قطا بين جبلين، فقالت: ليت هذا الحمام لنا ونصفه إلى حمامتنا، فيتم لنا مائة، فنظر فإذا هي كما قالت. وأرادت بالحمام القطا، وكان ستاً وستين، يقال: إنها وقعت في شبكة صائد، فأخذها، فعرف عددها. ويقال إن زرقاء اليمامة قالت:

لـيـتَ الـحـمـامَ لِـيَـهْ إلـى حـمـامَـتـيـهْ
ونـصـفَـه قَـدِيـهْ تـمّ الـحـمـامُ مِـيَـهْ

يَحُفُّـهُ جَـانِبـا نِيـقٍ وَتُتْـبِعُـهُ ... مِثْلَ الزُّجاجةِ لم تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ[1]

قـالتْ ألا لَيْتَمـا هَـذَا الحَمَـامُ لَنَـا ... إلـى حَمَـامَـتِنَـا وَنِصْفُـهُ فَـقَـدِ[2]

فَحَسَّبُـوهُ فـأَلْفَـوْهُ كَمَـا حَسَبَتْ ... تِسْعاً وَتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلم تَـزِدِ [3]

فَكَمَّلَتْ مـائـةً فيهـا حَمَـامَـتُهَـا ... وَأَسْـرَعَتْ حِسْبَـةً في ذَلِـكَ العَـدَدِ

فَـلَا لعَمْـرُ الـذِي مَسَّحتُ كَعْبَتَـهُ ... وما هُرِيقَ عَلَى الأنصابِ مِنْ جَسَدِ [4]

والمُؤْمِنِ العَـائِـذَاتِ الطَّيْرَ تَمْسَحُهـا ... رُكْبـانُ مكَّـةَ بَيْنَ الغَيْـلِ وَالسَّعَـدِ [5]

مَـا إنْ أُتيتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْـرَهُـهُ ... إذاً فَـلَا رَفَعَتْ سَـوْطِي إليّ يَـدِ [6]

إذاً فَـعَـاقَبَـني ربِّـي مُـعَـاقَـبَـةً ... قَـرَّتْ بهَـا عَيْنُ مَنْ يَـأْتِيـكَ بـالحَسَـدِ

هَـذَا لأَبـرَأَ مِـنْ قَـوْلٍ قُـذِفْتُ بِـهِ ... طَـارَتْ نَـوَافِـذُهُ حَـرًّا عَلَى كَبِـدِي[7]

أُنبِئْـتُ أَنَّ أَبَـا قَـابُـوسَ أَوْعَـدَنِـي ... وَلَا قَـرَارَ عَـلَى زَأْرٍ مِـنَ الأَسَـدِ[8]

مَـهْـلاً فِـداءً لَـكَ الأَقْـوامُ كُـلُّهُـمُ ... وَمَـا أُثَـمِّـرُ مِنْ مَـالٍ وَمِنْ وَلَـدِ[9]

---

(١) يحفه جانبا نيق: أي يحيط به من جانبيه. والنيق: الجبل. وتتبعه مثل الزجاجة: أي عينها صافية كصفاء الزجاجة. ولم تكحل من الرمد: أي لم يصبها رمدٌ فتكحل.

(٢) فقد: أي حسبي.

(٣) فألفوه: فوجدوه.

(٤) مسحت كعبته: أي أتيت بيته وطفت به. والكعبة: كل بيت مربع، وبه سميت الكعبة. والأنصاب: حجارة كانوا يذبحون عليها الذبائح لآلهتهم. والجسد: الدم اللازق.

(٥) العائذات: التي عاذت بالحرم. والمؤمن العائذات: يعنى الله تبارك وتعالى أمَّنها أن تُهاج أو تصاد في الحَرَم. والغيل: الشجر الملتف، والسعد: كذلك أيضاً. وتمسحها: أي يمرّون عليها، لا يهيجها أحد ولا ينفرها.

(٦) إن: هنا توكيد. فلا رفعت سوطي إليّ يدي؛ أي شلت، أي: إذا فشلّت يدي حتى لا أطيق رفع السوط، وإنما حصّ السوط؛ لأنه خفيف المحمل، مع كثرة احتياجه إليه، لحث المطيّ في السفر وغير ذلك.

(٧) النوافذ: تمثيل، من قولهم: جُرح نافذ. والمعنى: ما قلت شيئاً مما أتوْك به عنيّ، لكنهم قالوا قولاً صار حَرُّه على كبدي، وشقيت به عندك.

(٨) أبو قابوس: هو النعمان بن المنذر. وأوعدني: هددني. وزأر الأسد: صوته ووعيده. يقول: وعيد النعمان لا تستقر معه نفسي ولا تطمئن هيبة له، كما لا تطيق، ولا تسكن على زئير الأسد.

(٩) مهلاً: أي تثبت في أمري ولا تعجل عليّ. وفداء لك الأقوام أي: الأقوام كلّهم يفدونك فداء. وما أثمر من مال ومن ولد: أي أكثّر وأصلح.

لَا تَقْـذِفَنِّي بِـرُكْـنٍ لَا كِفَـاءَ لَـهُ ... وَإِنْ تَـأَثَّفَكَ الأَعْـدَاءُ بِـالـرِّفَـدِ[1]

فَمَـا الفُـرَاتُ إِذَا جَـاشَتْ غَـوَارِبُـهُ ... تَـرْمِي أَوَاذِيُّـهُ العِبْـرَيْنِ بِـالـزَّبَـدِ[2]

يَـمُـدُّهُ كُـلُّ وَادٍ مُـتْـرَعٍ لَـجِـبٍ ... فِيـهِ رُكَـامٌ مِنَ اليَنْبُـوتِ وَالخَضَـدِ[3]

يَـظَلُّ مِنْ خَـوْفِـهِ ٱلمَـلَّاحُ مُعْتَصِمـاً ... بِـٱلخَيْـزُرَانَـةِ بَعْـدَ ٱلأَيْنِ وَٱلنَّجَـدِ[4]

يَـوْمـاً بِـأَجْـوَدَ مِنْـهُ سَيْبَ نَـافِلَةٍ ... وَلَا يَحُـولُ عَـطَاءُ ٱليَـوْمِ دُونَ غَـدِ[5]

هَـذَا الثَّنَـاءُ فَـإِنْ تَسْمَـعْ لِقَـائِلِهِ ... فَلَم أُعَـرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بِـالصَّفَـدِ[6]

هَـا إِنَّ ذِي عِـذْرَةٌ إِلَّا تَـكُنْ نَفَعَتْ ... فَـإِنَّ صَاحِبَهَـا مُشَـارِكُ النَّكَـدِ[7]

- شرح القصائد العشر، ص ٤٤٦ - ٤٦٥.
- ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤ - ٢٨.
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ١/٨٨ - ١٩٧.

---

(١) الكفاء: المثل والنظير. ولا تقذفني بركن: أي لا ترميني بنفسك، فإنه لامثلَ لك، وقد ذكر الركن كناية عن الشدة والقوة. تأثفك: أي اجتمعوا حولك، مثل الأثافيّ، مجتمعين عليه. والرفد: أن يترافد عليه أعداؤه الذين وشوْا به، أي يتعاونون عليه، والمقصود بالأعداء؛ أعداء النابغة. ويقال: إنه يريد: لا ترميني بما لا أطيق منك، ولا يقوم إليه أحد، ولا يكافئك فيه أعداؤك، ولو أحاطوا بكَ متعاونين عليك.

(٢) جاشت: فارت. والغوارب: ما علا منه، الواحد غارب. والأواذي: الأمواج. والعبران: الشّطّان. وعبرا الوادي: جانباه. والزبد: ما يطرحه الوادي، إذا جاش ماؤه، واضطربت أمواجه.

(٣) يمده كل واد: أي يزيد فيه ويقويه. والمترع: المملوء. واللجب: المصوِّت، لشدة جريه، وقوة سيله. والركام: ما تراكم بعضه على بعض، أي تراكب. والينبوت والخضد: نبتان، وقيل: الينبوت: شجر الخروب. والخضد: كل ما تكسَّر من الشجر وغيره.

(٤) يظل من خوفه: أي من خوف الفرات، لاضطـراب أمواجه، وشدّة هوله. والمعتصم: المستمسك. والخيزرانة: سُكّان السفينة، أو المـرْديّ (خشبة تُدفع بها السفينة، تكون بيد الملاح) والأين: الإعياء والتعب. والنجد: العَرَق والكرب.

(٥) «يوماً بأجود منه»، متصل بقوله: «فما الفرات». والسيب: العطاء. والنافلة: الفضل، وإنما خص النافلة ليبالغ في المدح، لأنه إذا أكثر من غير الواجب فهو أجدر أن يكثر من الواجب.

(٦) لم أعرض: أي لم أمدحك تعرضاً لمعروفك لكن اعتذاراً إليك، وإقراراً بفضلك. وأبيت اللعن: تحية كانوا يحيُّون بها الملوك، أي: أبيت أن تأتي من الأمور ما تذمُّ به، وتلعن عليه. والصفد: العطاء جزاء.

(٧) ها إن ذي عذرة: أي هذه - القصيدة - عُذرٌ إليك، وتبرُّؤ مما وُشِيتُ به عندك. والنكد: العسر.

٧ ـ قصيدة دريد بن الصِّمَّة[1] في رثاء أخيه عبد اللّه

(من الطويل)

أَرَثَّ جـديـدُ الحبـلِ مِنْ أمِّ مَعْبَـدِ ... بعـاقبـةٍ وأَخْلَفَتْ كـلَّ مـوعِـدِ[2]

* * *

أَمَـرْتُهُمُ أَمـري بِـمُنْعَـرَجِ اللِّوَى ... فلم يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إلاّ ضُحَى الغدِ[3]

فلمـا عَصَـوْني كنتُ منهم وقـد أرى ... غَـوَايَـتَهـمْ وأنّـني غيـرُ مُهْتَـدِ[4]

وهـلْ أنـا إلاّ مِنْ غَـزِيَّـةَ إنْ غَـوَتْ ... غـويتُ وإنْ تَـرْشُـدْ غَـزِيَّـةُ أَرْشُـدِ[5]

دعـاني أخي، والخيـلُ بيني وبينَـهُ ... فلمّـا دعـاني لم يَجِـدْنِي بِقُعْـدُدِ[6]

أخي أرضعَـتْـني أُمُّـهُ بِلِبـانـهـا ... بِثَـدْيِ صَفَـاءٍ، بَيْنَنـا، لم يُجَـدَّدِ[7]

---

(١) هو دريد بن الصمة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن، وكان دريد من فخذ من جُشَم يقال لهم: بنو غزية، وأمه ريحانة بنت معدى كرب، أخت عمرو بن معدى كرب، وكان دريد سيد قبيلته، وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها. وأدرك الإسلام فلم يسلم. وخرج مع قومه في يوم حنين مظاهراً للمشركين، ولا فضل فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمناً به وليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورته، وخالفه لئلا يكون له ذكر، فقتل دريد يومئذ على شركه في السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠ م). ويقال: إنه عاش نحواً من مائتي سنة، حتى سقط حاجباه على عينيه.

ويقال في قصة أخيه: انه خرج مع دريد في غارة على إبل لعبس وفَزَارة، وقد أشار دريد على أخيه ألا يفعل، فخالفه، فخرجت عليهم الخيل، فاستحر القتال، في بني جُشَم وقتل عبد الله بن الصمة. انظر: الشعر والشعراء، ص ٤٧٠ ـ ٤٧٣. والأغاني ١٠/٣ ـ ٤٠. والأعلام ٢/٣٣٩. وقد عدَّ صاحب الجمهرة هذه القصيدة من المنتقيات.

(٢) أرث: أخلق. وبعاقبة: بآخرة، وعاقبة كل شيء آخره، وقد بدأ الشاعر مرثيته بضرب من النسيب يلائم الرثاء، وهو خلف الحبيبة وبينها، ثم أعرب عن فداحة رزئه... إلى أن يصل إلى ما كان من نصيحته وإنذاره قومه بأعدائهم، وعصيانهم أمره ثم تناول مقتل أخيه وولهه لذلك.

(٣) اللوى: موضع بعينه كانت به الوقعة التي قتل فيها عبد الله أخوه. وأصل اللوى: ما التوى من الرمل. والمنعرج: المنعطف.

(٤) كنت منهم: (من تفيد هنا تبيين الوفاق وترك الخلاف وأن الشأنين واحد). وغير مهتد: أي أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غي، وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد، كراهة الخروج من هواه. ويقال: إن هذا أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده.

(٥) غزية: هو أحد أجداد الشاعر، وهو غزية بن جُشَم. والبيت مثل في موافقة الرجل قومه في الخير والشر.

(٦) القعدد: الجبان يقعد عن نصرة قومه، أو هو الجبان اللئيم في حسبه.

(٧) لبانها: صدرها. ولم يجدد: لم يقطع رضاعها حتى أتم مدة الرضاعة.

فجِئْتُ إليه، والرماحُ تَنُوشُهُ ... كوقْعِ الصَّياصي في النسيجِ الممدَّدِ[1]

فكنتُ كذاتِ البوِّ، رِيعَتْ، فأقبَلَتْ ... إلى جِذَمٍ من جِلْدِ سَقْبٍ مُجَلَّدِ[2]

فطاعنتُ عنه الخيلَ حتّى تَبَدَّدَتْ ... وحتّى عَلاَنِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسودُ[3]

طِعانَ امرئٍ آسى أخاه بنفسِهِ ... وأَعْلَمُ أنّ المرءَ غيرُ مُخَلَّدِ

تَنَادَوْا فقالوا: أَرْدَتِ الخيلُ فارساً ... فقلتُ: أعبدُ اللّهِ ذلكمُ الرّدي؟[4]

فإن يَكُ عبدُ اللّه خلَّى مكانَه ... فما كانَ وقّافاً ولا طائشَ اليدِ[5]

وَلاَ بَرِماً، إذا الرياحُ تناوَحَتْ ... بِرَطْبِ العِضاهِ، وَالضَّريعِ المعضَّدِ[6]

كَميشُ الإزارِ خارجٌ نصفُ ساقِهِ ... صبورٌ على العَزَّاءِ طلاّعُ أَنْجُدِ[7]

رئيسُ حروبٍ لا يزالُ رَبيئةً ... مُشِيحاً على مُحْقَوْقِفِ الصُّلْبِ مُلْبَدِ[8]

صبورٌ على رُزْءِ المصائبِ حافظٌ ... من اليومِ أدبارَ الأحاديثِ في غَدِ[9]

---

(١) تنوشه: تتناوله. والصياصي: جمع الصِّيصِيَة: وهي شوكة الحائك التي يسوي بها السداة واللحمة. يريد: أن أخاه دعاه والرماح تتناوله، ولها خشخشة ووقع كوقع صياصي الحاكة في ثوب ينسج.

(٢) البو: ولد الناقة يذبح ويحشى جلده تبناً أو حشيشاً لتعطف عليه، لأنها تجد رائحته فيه، فتدر اللبن. وريعت: فزعت. والجذم: جمع جِذْمة، وهي القطعة. والمسك: الجلد. والسقب: ولد الناقة. والمجلد: المسلوخ.

(٣) أسود: بالرفع، وهو إقواء. وتبددت: كفت، وأبعدت.

(٤) الردى: الهالك، من الردى وهو الهلاك. وأردت: أهلكت.

(٥) وقافا: محجما عن القتال جبناً. ولا طائش اليد في الضرب والرمي، وخلّى مكانه: أي مات.

(٦) البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. وتناوحت: تقابلت في المهب، وذلك إذا اشتد هبوبها. والعضاة: ما عظم من شجر الشوك، وطال واشتد شوكه، الواحدة عضاهة. والضريع: نبت بالحجاز له شوك كبار. والمعضد: المقطع.

(٧) الكميش: الماضي العزم، السريع في أموره. إما أن يكون كناية عن خفته وسرعته. وإما أنه لا يطيل إزاره، ليظهر نصف ساقه، تدليلاً على نشاطه وسرعته. والعزاء: الشدة. وطلاع أنجد: ركاب لصعاب الأمور، أو هو السامي. لمعالي الأمور. والأنجد: جمع نجد، وهو ما ارتفع وغلظ من الأرض أو الطريق في الجبل.

(٨) الربيئة: الطليعة، وهو الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو مكان عالٍ. والمشيح: الجاد. والمحقوقف: المعوج. والملبد: الفرس شدّ عليه لبد السرج.

(٩) يقول: إنه لا يتألم للنوائب تنزل بساحته، وإنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس في غده. ويقال: إن هذا البيت أفضل بيت قالته العرب في الصبر على النوائب.

صَبَا ما صَبَا حتّى عَلاَ الشيبُ رأسَه فلمّا علاهُ قالَ للباطِلِ: ابعُدِ[1]

وهوّنَ وجدي أنّني لم أقلْ لهُ كذبتَ، ولم أبخلْ بما مَلَكَتْ يَدي[2]

ـ الأصمعي، الأصمعيات، ص ١٠٥ ـ ١١٠.

ـ الأخفش، كتاب الاختيارين، ص ٤٠٤ ـ ٤١٦.

ـ القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٤٤٦ ـ ٤٧٤.

ـ الأغاني ١٠/٧ ـ ٨ (طبعة دار الثقافة).

ـ التبريزي، شرح ديوان الحماسة ١/٣٣٦ ـ ٣٤٠.

٨ ـ قصيدة لبيد بن ربيعة[3] في رثاء أخيه أربد[4]

(من الطويل)

بَلِينا وَمَا تَبْلَى النجومُ الطَّوالِعُ وتبقى الجبالُ بَعْدَنا والمصانِعُ[5]

وَقَدْ كنتُ في أكنافِ جارِ مَضَنَّةٍ فَفَارَقَني جارٌ بأَرْبَدَ نافعُ[6]

---

(١) صبا: من الصبوة، وهي جهلة الفتوة واللهو.

(٢) المعنى: ليس القصد إلى أنه لم يقل له كذبت فقط، وإنما المراد أنه لم يجفه بأدنى جفاء.

(٣) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، قتل والده بنو أسد في حرب بينهم وبين قومه. ويكنى لبيد أبا عَقِيل، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم، وهو من الطبقة الثالثة، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ، ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. توقف عن نظم الشعر بعد إسلامه، وقيل: إنه لم يقل في الإسلام إلّا بيتا واحداً، هو:

ما عاتبَ المرءَ الكريمَ كنفسِهِ والمرءُ يُصْلِحُهُ الجليسُ الصالحُ

وقد سكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً. توفي سنة ٤١هـ/٦٦١م. وأخباره كثيرة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاوية وغيرهما. انظر: طبقات الشعراء، ص ٢٦، ٢٩. وطبقات فحول الشعراء ١/١٢٣، ١٣٥ ـ ١٣٦. والشعر والشعراء، ص ١٤٨ ـ ١٥٢. والأغاني ١٥/٢٩١ ـ ٣٠٥. وجمهرة أشعار العرب، ص ٨٢ وما بعدها. وديوان لبيد، ص ٥ ـ ١٥. والأعلام ٥/٢٤٠.

(٤) قال لبيد هذه القصيدة يرثي أخاه لأمه أربد بن قيس، الذي أتى النبي ﷺ غادراً، وكان قدم عليه مع عامر بن الطفيل، فدعا الله عليه، فأصابته بعد منصرفه صاعقة فأحرقته. انظر: الشعر والشعراء، ص ١٥١. والأغاني ١٧/١٥ ـ ٢٤.

(٥) المصانع: المباني تتخذ للماء أو هي القصور.

(٦) الأكناف: جمع كنف، وهو الجانب. وجار مضنة: جار يضنّ به، يحافظ عليه. ففارقني بأربد: أي فارقني منه جار نافع، يعني: أنه هو المفارق.

فـلاَ جَـزِعٌ إنْ فـرَّقَ الـدَّهْـرُ بيننـا | وكـلُّ فتىً يومـاً بـه الـدَّهْـرُ فـاجـعُ [1]
فـلا أنـا يـأْتيني طـريفٌ بفـرحـةٍ | ولا أنـا ممّا أَحـدَثَ الـدّهـرُ جـازِعُ [2]
ومـا النـاسُ إلّا كـالـدِّيـارِ وأَهلُهـا | بهـا، يـوْمَ حَلُّوهـا وغَـدْواً بـلاَقِـعُ [3]
ومـا المرءُ إلّا كـالشِّهـابِ وضـوئِهِ | يَحُـورُ رمـاداً بعـدَ إذْ هـو سـاطـعُ [4]
ومَـا البِـرُّ إلّا مُضْمَـراتٌ مِنَ الـتُّقَـى | ومـا المـالُ إلّا مُعْمَـراتٌ ودائـعُ [5]
ومـا الـمـالُ والأهـلونَ إلّا وديـعـةٌ | ولا بُـدّ يـومـاً أنْ تُـرَدَّ الـودائـعُ [6]
ومـا النـاسُ إلّا عـاملانِ: فعـامـلٌ | يُتَبِّـرُ مـا يَبْـنـي، وآخـرُ رافـعُ [7]
فـمنهـمْ سعيـدٌ آخـذٌ لـنصيـبِـهِ | ومنهمْ شقيٌّ بـالمعيشـةِ قـانـعُ [8]
أَلـيسَ ورائي، إنْ تـراخَـتْ مـنيتـي | لُـزُومُ العصا تُحْنَى عليها الأصابعُ [9]
أُخَبِّـرُ أخبـارَ الـقـرونِ التـي مضـتْ | أَدِبُّ كـأنّـي كُلَّما قـمـتُ راكـعُ [10]
فـأَصبحتُ مثـلَ السيفِ غيَّـرَ جَفْنَـهُ | تَقَـادُمُ عَهْـدِالقَيْنِ والنَّصْـلُ قاطـعُ [11]

فلا جزع: فلا خوار عند المصيبة وفاجع به: فاجع له، أي يرميه بـالفجائع، أي: لا يروعني هـذا الحادث؛ لأن قلبي قد وقرته المصائب، فأصبح لا يرتاع لها. وربما كان المعنى: وكل فتى (من أهلك وأصحابك) يفجعك الدهر يوماً بفقده.

(٢) الطريف: ما استطرف من مال أو غيره،وهو ما حدّ. يقول: الجديد لم يعد يثير نفسي فرحاً. وحوادث الدهر ـ لتكررها ـ لم تعد تورثني جزعاً.

(٣) غدواً: غداً. والبلاقع: جمع البلقع، وهو القفر والجمع القفار.

(٤) الشهاب: النار. ويحور: يصير. وساطع: مشتعل. يقول: كل امرئ يخبو بعد توقد، حين تدركه المنية، كالنار تكون ساطعة الضوء ثم تصبح رماداً.

(٥) مضمر: ما أكنه الضمير. والمعمر: الموضوع وديعة، أو الذي يبقى مفيداً ما بقي العمر.

(٦) يروى: «وما الناس والأموال إلا ودائع».

(٧) يتبر: يخسر ويهلك. ورافع: يقيم البناء، ويرفعه.

(٨) يروى: «آخذ بنصيبه»، و«في المعيشة».

(٩) ورائي: قدامي. وتراخت: تباعدت وأبطأت. ولزوم العصا: أي مصاحبة المحجن؛ لأنه حينئذ يصبح شيخاً يتوكأ على عصا.

(١٠)أدب: أمشي الدبيب، وهو مشية الشيخ الهرم. وراكع: بسبب الانحناء من كبر السن.

(١١)الجفن: الغمد، وهو يكني به عن جسده. والقين: الحداد. والنصل قاطع: يعني أن نفسه ما تزال في حدتها وعزتها كأنها السيف القاطع الذي بلي جفنه.

فــلا تَبْعَــدَنْ إنّ الـمـنـيّـةَ مــوعـدٌ　　عـلـيـكَ فــدانٍ للطُّلُوعِ وطــالـعُ[1]

أعــاذِلَ مــا يُــدريـكِ، إلاّ تــظـنّـيــاً　　إذا ارتحـل الفتيانُ مَنْ هـو راجـعُ[2]

أتجـزعُ ممـا أحـدثَ الـدهــرُ بـالفتى　　وأيُّ كــريمٍ لم تُصِبْــهُ القــوارعُ[3]

لَعَمْـرُكَ مـا تـدري الضواربُ بالحصى　　ولا زاجِـراتُ الطّيـرِ ما اللّهُ صـانعُ[4]

سَلُوهُنّ إن كــذّبتمــوني متى الفـتى　　يــذوقُ المنـايــا أَوْ متى الغيثُ واقــعُ

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص ٨٨ - ٩٠.
- الشعر والشعراء، ص ١٥١ - ١٥٢.
- الأغاني ١٧/ ٢١ - ٢٢ (طبعة دار الثقافة).

---

(١) دان للطلوع: قريب الأجل. وطالع: متخلف يسيراً عن الداني للطلوع. ولا تبعد: دعاء للميت. وموعد علينا: أي واجبة علينا.

(٢) عاذل: ترخيم عاذلة والتظني: الظن والتخمين.

(٣) القوارع: الدواهي والمصائب.

(٤) ضرب الحصى وزجر الطير: من مظاهر العرافة والتشوق إلى المستقبل.

ثانياً: النثر

أ ـ الخطب[1]

١ ـ خطبة قُس بن ساعدة الإيادي[2] في سوق عكاظ :

أَيُّها النَّاسُ اسمعُوا وعُوا، مَنْ عاشَ ماتَ، ومَنْ ماتَ فاتَ، وكلُّ ما هو آتٍ

---

(١) لم يكن شأن الخطابة في العصر الجاهلي كشأنها في العصر الإسلامي، وهذا راجع إلى طبيعة العصر وظروفه، ولم يهتم الرواة بالنثر مثلما اهتموا بالشعر، لعلو مكانته، فهو ديوان العرب، وفيه علومهم وأخبارهم وحكمهم. ولم يصل إلينا من العصر الجاهلي إلا كمية قليلة من النثر. ولم نعرف أنه روي عن الجاهليين الخطب الطوال، وأغلب ما عندهم الخطب القصار. وأهم موضوعات الخطب هي :

١ ـ المنافرات والمفاخرات: والمنافرة: المفاخرة والمحاكمة. والمنافرة: المحاكمة في الحسب، وهي أن يفتخر الرجلان كلّ واحد منهما يفاخر صاحبه، ثم يحكِّما بينهما رجلاً، فالمنفور هو المغلوب، والنافر: هو الغالب.

٢ ـ الحض على القتال والأخذ بالثأر: وهو أن يقف الخطيب قومه يحثهم على قتال الأعداء، لأي سبب كان.

٣ ـ خطب إصلاح ذات البين وإطفاء ثائرة الحرب وحمالة الدماء.

٤ ـ خطب المناسبات الاجتماعية كالزواج والإصهار ونحوهما.

٥ ـ خطب الإرشاد والتوجيه.

٦ ـ خطب المحافل والوفود: وهي الخطب التي كانت تلقى في الأسواق والمحافل العظام والوفادة على الملوك والأمراء، وتتضمن مفاخر القبائل ومحامدها.

٧ ـ سجع الكهان.

ومن مظاهر الخطابة الخيال الذي يتجلى بقوة الإقناع والتأثير وسلب العقول والقلوب. ومن أساسيات الخطابة: البلاغة، وهي الإيجاز. ويختلف هذا من غرض إلى غرض.

ومن صفات الخطيب: أنه كان يرتدي زياً خاصاً. وكان يقف في أماكن معروفة وبارزة ـ وغالباً ما تكون في أسواق العرب ـ ومنهم من كان يركب دابة ويجوب بها في المواسم العظام. ومنهم من كان يأخذ بمخصرته عند مناقلة الكلام، أي: ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو عكازة وغير ذلك، عند مراجعة الكلام، في صخب. وكان الخطيب يرفع يده ويضعها، ويستعين بالإشارة على توصيل العبارة.

ومما كان يزيد في حسن الخطابة وجلالة موقعها جهارة الصوت، فإنه من أجلّ أوصاف الخطباء. انظر: نقد النثر، ص ٧٥ وما بعدها. والبيان والتبيين ١/٥٢ ـ ٥٣، ١١٨، ٣/٥ ـ ١٢٤. ومقدمة ابن خلدون، ص ٥٣٢. والفن ومذاهبه، ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) قس بن ساعدة الإياديّ خطيب العرب وشاعرها، وحليمها وحكيمها، يقال: إنه أول من خطب على =

آتٍ[1] ، آياتٌ مُحكَمَاتٌ[2]، مَطَرٌ ونَبَاتٌ، وآباءٌ وأُمّهاتٌ، وذاهبٌ وآتٍ[3]، ضَوْءٌ وظلامٌ، وبِرٌّ وآثامٌ، ولباسٌ ومَرْكَبٌ، ومَطْعَمٌ ومَشْرَبٌ، ونجومٌ تمورُ[4]، وبحورٌ لا تغورُ[5]، وسقفٌ مرفوعٌ، ومِهادٌ موضوعٌ[6]، وليلٌ داجٍ[7]، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ[8]، إنّ في السماءِ لَخَبراً[9] ، وإنّ في الأرضِ لَعِبَراً[10]، ما بالُ الناسِ يَذْهَبُونَ ولا يَرْجِعُونَ؟ أرَضُوا بالمُقام فأقاموا؟ أم تُرِكوا فنَامُوا؟

يا مَعْشَرَ إيادا أينَ ثمودُ وعادٌ؟ وأينَ الآباءُ والأجدادُ؟ أينَ المعروفُ الذي لم يشكر، والظّلمُ الذي لم يُنْكَر؟ يُقسِمُ قُسٌّ باللّهِ قَسَماً لا إثمَ فيه إنّ للّه ديناً هو أرْضَى لهُ وأفضلُ من دينِكُم الذي أنتم عليه، فطُوبى[11] لمن أدْرَكَهُ فاتّبَعَهُ، وويلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ.

(ويروى أن قسّاً أنشأ بعد ذلك يقول): (من مجزوء الكامل المرفل)

فـي الـذّاهـبـيـنَ الأوّلـيـ ـنَ مِـنَ الـقُـرونِ لـنـا بَـصَـائِـرْ

= شرف، واتكأ عند خطبته على سيف أو عصا. وأول من قال في كلامه: «أما بعد» أي: بعد دعائي لك. أدرك الرسول ﷺ قبل النبوة، ورآه بعكاظ فكان يؤثر عنه كلاماً سمعه منه، وسئل عنه فقال: «يحشر أمّةً وحده». والأمة: الرجل المنفرد بدين. وكان قس على رأس خطباء إياد بل على العرب جميعاً، يضرب به المثل، وكان يفد على قيصر الروم، زائراً، فيكرمه ويعظمه، وهو معدود في المعمرين، توفي نحو ٢٣ق. هـ/٦٠٠م. انظر ترجمته في: البيان والتبيين للجاحظ ١/٤٢-٤٣، ٢/٢٦٩. والأغاني ١٥/٢٤٦-٢٤٧. والأعلام ٥/١٩٦.

وقد تصرفت في ربط الخطبة من مصادر متعدد، لأنها لم ترد كاملة في مصدر واحد.

(١) آت: أي كل آت لا مفرّ منه.

(٢) آيات: مفردها آية وهي العبرة. ومحكمات: مفصّلة، واضحة وبيّنة.

(٣) لعله قصد الميت والمولود.

(٤) تمور: تذهب وتجيء.

(٥) لا تغور: لا يذهب ماؤها . وتقول: غار الماء: ذهب في الأرض.

(٦) المهاد: الأرض المنخفضة.

(٧) داج: مظلم.

(٨) بروج السماء: صور تقع في هيئة حيوان، وهي اثنا عشر برجاً، وهي عبارة عن دائرة ترسمها الشمس في سيرها في السماء في سنة كاملة.

(٩) في السماء لخبرا: أي دليلاً على خالق عظيم.

(١٠) في الأرض لعبرا: أي عظات وخيرات.

(١١) الطوبى: الغبطة والسعادة والخير. تقول: طوبى لك: أي لك الحظ والعيش الطيب.

لـمّـا رأيـتُ مَـوارِداً لـلـمـوتِ لـيسَ لـهـا مـصـادرْ
ورأيـتُ قَـومـي نَـحْـوَهَـا يَـمْـضِـي الأكـابـرُ والأصـاغِـرْ
لا يـرجـعُ الـمـاضـي ولا يَبْقَـى مِنَ الـبـاقيـنَ غَـابِـرْ [1]
أيـقـنـت أنـي لامـحـا لـةَ حـيـثُ صـارَ الـقـومُ صـائـرْ

- البيان والتبيين ١/٣٠٨ - ٣٠٩.
- نقد النثر، ص ٩٨ - ٩٩.
- مجمع الأمثال ١/١١١.
- صبح الأعشى ١/٢١٢.
- العقد الفريد ٤/٢١٥.

٢ - خطبة هانىء بن قَبِيصة الشيبانيّ يوم ذي قار يحرض قومه على الحرب [2]:

يا معشرَ بكْرٍ، هالِكٌ معذورٌ، خيرٌ مِنْ ناجٍ فَرُورٍ، إنّ الحَذَرَ لا يُنْجِي منَ القَدَرِ، وإنّ الصّبرَ مِنْ أسبابِ الظّفرِ، المنيّةُ ولا الدّنيّةُ، استقبالُ الموتِ خيرٌ من استدْبارِهِ، الطّعنُ في ثُغَرِ [3] النّحورِ، أكرمُ منهُ في الأعجازِ والظّهورِ، يا آلَ بكرٍ، قاتِلُوا فما للمنايا مِنْ بُدٍّ.

- الأمالي لأبي علي القالي ١/١٦٩.

٣ - خطبة أكثم بن صيفيّ يعزّي عمرو بن هند ملك العرب في موت أخيه [4]:

أيُّها الملكُ: إنّ أهلَ هذهِ الدّارِ سَفْرٌ لا يَحُلُّونَ عَقْدَ الرِّحالِ إلاّ في غَيْرِها، وقَدْ

(١) الغابر: الباقي.

(٢) كان هانىء بن قبيصة من فرسان الجاهلية، وسيد بني شيبان في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم. أخذ يحرض قومه في يوم ذي قار، وهو ماء لبكر قريب من الكوفة، وكانت الغلبة في هذا اليوم لشيبان على كسرى أبرويز، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم. يقول صاحب العقد الفريد: كانت وقعة ذي قار يوم بُعث النبي ﷺ، وخبَّر أصحابه بها فقال: «اليوم أولُ يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا». انظر البيان والتبيين ١/٧٢، ٣/١٤٥، ١٦١. والعقد الفريد ٦/١١١ - ١١٣. والعمدة ٢/٢١٧ - ٢١٩.

(٣) ثغر: مفردها ثُغرة، وهي نقرة النحر بين الترقوتين.

(٤) كان أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي، أحد حكام العرب في =

أَتاكَ ما ليسَ بمردودٍ عَنْكَ، وارتَحَلَ عنكَ ما ليسَ براجعٍ إليكَ، وأَقامَ معكَ مَنْ سَيَظْعنُ عَنْكَ ويَدَعُكَ، واعلمْ أنّ الدُّنيا ثلاثةُ أيّامٍ: فأَمْسِ عِظَةٌ، وشاهدُ عدلٍ، فَجَعَكَ بنفسِهِ، وأَبْقَى لكَ وعليكَ حكمَتَهُ. واليوم: غنيمةٌ وصديقٌ، أَتاكَ ولَمْ تَأْتِهِ، طالتْ عليكَ غيبَتُهُ، وستُسرِعُ عنكَ رحلَتُهُ. وَغَدٍ: لا تدري مَنْ أَهلُهُ، وسيأْتيكَ إنْ وَجَدَكَ! فَمَا أَحسنَ الشكرَ للمنعمِ، والتسليمَ للقادرِ! وقد مضتْ لنا أُصولٌ نحنُ فروعُها، فما بقاءُ الفروعِ بعدَ أُصولِهَا؟ وآعلمْ أنَّ أَعظمَ مِنَ المصيبةِ سوءُ الخَلَفِ منها. وخيرٌ مِنَ الخيرِ مُعْطِيه، وشرٌّ من الشرِّ فاعلُهُ.

ـ العقد الفريد ٣/ ٢٦٠.

خمسة نفر من طيء يمتحنون علم الكاهن سوَاد بن قارِب[(١)]:

خرج خمسةُ نَفَرٍ من طيءٍ من ذوي الحِجَا والرأي، منهم: بُرْجُ بن مُسْهر وهو أحد المعمرين، وأُنَيْفُ بنُ حارثةَ بنِ لأم، وعبد اللّه بن سعد بن الحَشْرَج أبو حاتم

= الجاهلية، أدرك الإسلام، وقيل إنه لمّا سمع بذكر النبي ﷺ، كتب إليه كتاباً وأرسله مع ابنه حُبَيْش. وردّ عليه الرسول ﷺ، ولما عاد ابنه، جمع أكثم بني تميم وخطب بهم، يدعوهم إلى اتباع الرسول ﷺ، وخرج، إلا ان العطش أهلكه، فأوصى من معه باتباع النبي ﷺ، وأشهدهم أنه أسلم، وكان ذلك في سنة ٩ هـ/ ٦٣٠م. انظر: جمهرة الأمثال للعسكري ٢/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(١) سواد بن قارب الأزدي الدوسي، كاهن شاعر في الجاهلية، صحابي في الإسلام، عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومات بالبصرة نحو سنة ١٥ هـ/٦٣٦م. قيل: إن عمربن الخطاب رضي الله عنه كان جالساً في المسجد (مسجد رسول الله ﷺ) فاقبل رجل من العرب داخلاً المسجد، يريده، فلما نظر إليه، قال: إن هذا الرجل لَعَلى شِرْكه ما فارقه بعد، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية. فسلَّم عليه الرجل، ثم جلس، فقال له عمر رضي الله عنه: هل أسلمت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال له: فهل كنت كاهنا في الجاهلية.؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين! لقد خِلْتَ فيّ (أي ظننت)، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليتَ ما وليت، فقال عمر: اللهم غفراً (اي اللهم اغفرلي غفراً)، قد كنا في الجاهلية على شرّ من هذا، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام. قال: نعم، والله يا أمير المؤمنين، لقد كنت كاهناً في الجاهلية. قال: فأخبرني ما جاءك به صاحبُك. قال: جاءني قبل الإسلام بشهر أو شَيْعِه (دونه بقليل)، فقال: ألم تَرَ إلى الجنّ وإبلاسها (أبلس الرجل: إذا سكت ذليلاً أو مغلوباً) وإياسها (اليأس) من دنيها، ولُحوقها بالقِلاص (القلاص من الإبل: الفتية) وأحلاسها (الاحلاس: جمع حلس: وهو كساء من جلد يوضع على ظهر البعير، ثم يوضع عليه الرحل). السيرة النبوية ١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠. والأعلام ٣/ ١٤٤.

طيءٍ، وعارفُ الشاعر، ومُرّة بن عبد رضىً، يريدون سَوَاد بن قارِب الدَّوْسي ليمتحنوا علمه، فلما قرُبوا من السَّرَاةَ قالوا: ليَخْبَأْ كُلُّ رجلٍ منّا خَبِيئاً، ولا يُخْبر به صاحبه ليسأله عنه، فإن أصاب، عرفنا علمه، وإن أخطأ، ارتحلنا عنه، فخَبَأَ كلُّ رجلٍ منهم خبيئاً، ثمّ صاروا إليه، فأهْدَوْا له إبلاً وَطُرَفاً مِنْ طُرَفِ الحيرةِ، فضرب عليهم قبّة، ونحر لهم. فلما مضت ثلاثٌ دعا بهم فدخلوا عليه، فتكلم برج وكان أسنّهم، فقال:

جَادَكَ السّحَابُ[1]، وأمْرَعَ لكَ الجَنَابُ[2]، وضَفَتْ عليْكَ النِّعَمُ الرِّغابُ[3]، نَحْنُ أُولُو الآكال[4]، والحَدَائقِ والأغْيَالِ[5]، والنِّعَمِ الجُفَالِ[6]، ونَحْنُ أصْهارُ الأمْلاَك، وفُرْسَانُ العِرَاكِ. (يُوَرِّي عنهم أنهم من بكر بن وائل).

فقال سَوَاد: والسّماءِ والأرضِ، والغَمْرِ والبَرْضِ[7]، والقَرْضِ والفَرْضِ[8]، إنّكُم لأهْلُ الهِضَابِ الشُّمِّ، والنّخِيلِ العُمِّ[9]، والصُّخُورِ الصُّمِّ، مِنْ أَجأَ العَيْطاءِ[10]، وَسَلْمَى ذَاتِ الرَّقَبَةِ السّطْعاءِ[11].

قالوا: إنّا كذلك، وقَدْ خَبَأَ لَكَ كُلُّ رَجُلٍ مِنّا خَبِيئاً، لتخبرنا بآسمهِ وَخَبِيئهِ. فقال لبُرْج: أُقْسِمُ بِالضِّيَاءِ والحَلَكِ[12]، والنُّجومِ والفَلَكِ، والشُّروقِ والدّلَكِ[13]، لَقَدْ

---

(١) جادك السحاب: نزل بغزارة. وكان من عادة العرب أن يقولوا هذا، نوع من الدعاء بالخير والبركة.

(٢) أمرع: أخصب. والجناب: ما حول الدار.

(٣) الضافي: السابغ الكثير. والرغاب: الواسعة الكثيرة.

(٤) الآكال: مفردها أُكل، تقول: فلان ذو أُكُل: أي ذو حظ ورزق في الدنيا.

(٥) الأغيال: جمع غَيْلٍ، والغيل: الماء الجاري على وجه الأرض.

(٦) الجفال: الكثيرة.

(٧) الغمر: الماء الكثير. والبرض: الماء القليل. يقال: فلان يَتَبَرَّض حقّه: أي يأخذه قليلاً قليلاً.

(٨) القرض: جمع القروض: ما سلّفت من إحسان أو إساءة. أو ما تعطيه غيرك من المال بشرط أن يعيده لك بعد أجل معلوم. والفرض: ما فرض على النفس من هبة أو منحة، لغير ثواب.

(٩) الشم والعم: الطوال.

(١٠) أجأ: جبل طيء. والعيطاء: الطويلة.

(١١) سلمى: جبل طيء. والسطعاء: الطويلة.

(١٢) الحلك: شديد الظلمة والسواد.

(١٣) الدلك: اصفرار الشمس عند المغيب.

خَبَأْتَ بُرْثُنَ[1] فَرْخٍ، في إِعْلِيطِ مَرْخٍ[2]، تحْتَ آسِرَةِ الشَّرْخِ[3]. قال: ما أَخْطَأْتَ شَيْئاً، فمَنْ أنا؟ قال: أَنْتَ بُرْجُ بنُ مُسْهِرٍ، عُصْرَةُ المُمْعِرِ[4]، وَثِمَالُ المُحَجَّرِ[5].

ثمّ قامَ أُنَيْف بن حارثة فقال: مَا خَبِيئي وَمَا آسْمي؟

فقال سواد: والسَّحَابِ والتُّرابِ، والأَصْبابِ والأَحْدَابِ[6]، والنَّعَمِ الكُثَابِ[7]، لقَدْ خَبَأْتَ قُطَامَةَ فَسِيطٍ[8]، وقُذَّةَ مَرِيطٍ[9]، في مَدَرَةٍ مِنْ مَدِيٍّ مَطِيطٍ[10]. قال: ما أَخْطَأْتَ شيئاً، فمَنْ أَنَا؟ قال: أَنْتَ أُنَيف، قارِي الضَّيْفِ، وَمُعْمِلُ السَّيْفِ، وَخَالِطُ الشِّتَاءِ بالصَّيْفِ.

ثمّ قامَ عبد اللّهِ بن سعد فقال: مَا خَبِيئي، وَمَا آسْمي؟

فقالَ سَوَاد: أُقْسِمُ بِالسَّوَامِ العَازِبِ[11]، والوَقِيرِ الكَارِبِ[12]، والمُجِدِّ الرَّاكِبِ، والمُشِيحِ الحَارِبِ[13]، لَقَدْ خَبَأْتَ نُفَاثَةَ فَنَنٍ[14]، في قَطِيعٍ قَدْ مَرَنَ[15]، أَوْ أَدِيمٍ قَدْ

---

(١) البرثن: جمع براثن: كلّ ما لا يصيد من السباع والطير، مثل الحمام والضب والفارة، فإذا كان مما يصيد قيل لظفره: مخلب.

(٢) الإعليط: وعاءُ ثَمر المرخ. والعرب تشبِّه به آذان الخيل. والمرخ: شجر تقدح منه النار.

(٣) الأسرة والإسار: القِدُّ الذي يشدُّ به خشب الرحل. والقِد: السير يُقدُّ من جلد. وشرخا الرحل: جانباه.

(٤) الممعر: الذي ذهب ماله. يقال: ما أَمْعَرَ مَنْ أَدْمَنَ ٱلحج. والعصرة: الملجأ.

(٥) ثمال القوم: غياثهم الذي يقوم بأمرهم. والمحجر: المُلْجَأُ المُضَيَّقُ عليه.

(٦) المصبب: ما انخفض من الأرض. والحَدَب: ما علا من الأرض.

(٧) النَّعَم: جمع أنعام، وجمع الجمع أناعيم: الإبل، وتطلق على البقر والغنم. سمي بذلك لما فيه من الخير والنعمة. والكثاب: الكثيرة.

(٨) القطامة: ما قطمته بفيك، والقطم بأطراف الأسنان. والفسيط: قُلَامة الظُّفر.

(٩) القذة: الريش. وجمعها قُذذ. والمريط من السهام: الذي قد تمرط ريشُه، أي: نُتِفَ.

(١٠) المدرة: قطعة طين يابسة. المَدِيُّ: جُدَيْول يجري منه ما سال، مما هرق من الحوض. والمطيط: جمع مطائط: وهو الماء الكدر الخاثر يبقى في الحوض.

(١١) السّوام: المال الراعي من الإبل. والعازب: البعيد.

(١٢) الوقير والقِرَّةُ: الغنم. والقار: الإبل. والكارب: القريب.

(١٣) المشيح: الجاد في لغة هذيل، وفي غيرها الحاذر.

(١٤) النفاثة: ما تَنْفُثُه من فِيكَ. والفنن: واحد أفنان الأشجار، وهي أغصانها.

(١٥) مرن: لان. أي: في قطعة من الشجر لينة.

جَرَنَ[1]. قال ما أخطأْتَ حَرْفاً، فمن أَنَا؟ قال: أَنْتَ ابنُ سَعْدِ النّوالِ، عَطَاؤكَ سِجَال، وشَرُّكَ عُضَال، وَعَمَدُكَ طِوَال، وَبَيْتُكَ لا يُنَالُ.

ثُمّ قامَ عارفُ فقال: ما خبيئي، وَمَا آسْمي؟

فقال سوَاد: أُقسمُ بِنَفِيفِ اللَّوْحِ[2]، والمَاءِ المَسْفُوحِ[3]، والفَضاءِ المَنْدُوحِ[4]، لقَدْ خبَأْتَ زَمَعَةَ طَلاً أَعْفَرَ[5]، في زِعْنِفَةِ أَدِيمٍ أَحْمَرَ[6]، تَحْتَ حِلْسِ[7] نِضْوٍ أَدْبَرَ. قال: ما أَخْطَأْتَ شَيْئاً. فمَنْ أَنَا؟ قال: أَنْتَ عارِفُ ذُو اللِّسانِ العَضْبِ[8]، والقَلْبِ النَّدْبِ[9]، والمَضَاءُ الغَرْبِ[10]، مَنَّاعُ السِّرْبِ[11]، وَمُبِيحُ النَّهْب.

ثمّ قامَ مُرّة بن عبد رُضىً، فقال: مَا خبيئي، وَمَا آسْمي؟

فقال سوادُ: أُقْسِمُ بالأَرْضِ والسّماءِ، والبُرُوجِ والأَنْواءِ، والظُّلْمَةِ والضِّياءِ، لقَدْ خبَأْتَ دِمَّةً في رِمَّةٍ[12]، تَحْتَ مُشَيْطِ لِمَّةٍ[13]، قال: مَا أَخْطَأْتَ شَيْئاً. فمَنْ أَنَا؟

---

(١) الأديم: جمع آدَم وأُدُم: الجلد المدبوغ. وجرن: لان.

(٢) النفيف واللوح: واحد، وهما الهواء. وإنما أضاف لما اختلف اللفظان، فكأنه أضاف الشيء إلى غيره.

(٣) الماء المسفوح: المصبوب. وتقول سفحت الشيء: صببته.

(٤) الفضاء المندوح: الواسع.

(٥) الزمعة: الشعرات المتدليات في رجل الأرنب والطل: ولد الظبي ساعة يولد. والأعفر: اللون الذي يعلو بياضه حمرة.

(٦) زعانف الأديم: أطرافه: مثل اليدين والرجلين وما لا خير فيه. واحدتها: زعنفة. ومنه قيل لرذال الناس: الزعانف.

(٧) الحلس: كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل. والنضو: المهزول. والأدبر: الذي فيه قرحة.

(٨) العضب: السيف القاطع الحاد.

(٩) الندب: الذّكيّ.

(١٠) الغرب: الحدّ.

(١١) السّرب: جماعة الإبل. والسِّرب: بالكسر: القطيع من الظباء والبقر والنساء والقطا.

(١٢) الدمة: القملة. والرمة: العظام البالية.

(١٣) اللمة: الشعر الممشوط المجاوز شحمة الأذن.

قال: أَنْتَ مُرّة، السّرِيعُ الكَرّة، البَطِيءُ الفَرّة، الشّديدُ المِرَّة[1]، قالوا: خَبِّرْنَا بِمَا رَأَيْنَا في طرِيقِنَا إِلَيْكَ.

فقال سواد: والنّاظِرِ مِنْ حَيْثُ لَا يُرَى، والسّامِعِ قَبْلَ أَنْ يُنَاجَى، والعالِمِ بما لا يُدْرَى، لقَدْ عَنَّتْ لَكُمْ عُقَابُ عَجْزَاءُ[2]، في شَغَانِيبِ دَوْحَةٍ جَرْدَاءَ[3]، تَحْمِلُ جَذْلاً[4]، فتَمَادَيْتم، إمّا يداً، وَإمّا رِجْلاً، فقالوا: كذلك، ثُمَّ مَهْ؟ قالَ: سَنَحَ لَكُمْ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّرْقِ[5]، سِيدٌ أَمْقُ[6]، على ماءٍ طَرْقٍ[7]. قالوا: ثُمّ ماذا؟ قال: ثُمَّ تَيْسٌ أَفْرَق[8]، سَنَدَ في أَبْرَق[9]، فَرَمَاهُ الغُلَام الأَزْرَق، فأصابَ بيْنَ الوَابِلَةِ[10] والمِرْفَقِ. قالوا: صَدَقْت، وأَنْتَ أَعْلَمُ مَنْ تَحمِلُ الأَرضُ، ثُمّ ارتَحَلُوا عَنْهُ[11].

ـ الأمالي لأبي علي القالي ٢/٢٨٩ ـ ٢٩٠.

ب ـ الوصايا

١ ـ وصية ذي الإِصْبع العَدوانيّ لابنه أُسِيد[12]:

لمّا احْتُضِرَ ذُو الإِصْبع العَدوانيّ، دَعَا ابْنَهُ أُسيداً، فقالَ لهُ:

---

(١) المِرة: القوة.

(٢) العجزاء: التي ابيضّ ذَنَبُها.

(٣) الشغانيب: ما تداخل من الأغصان، والدوحة: الشجرة العظيمة.

(٤) الجذْل: العضو. والجمع: جُذول.

(٥) الشرق: الشمس. والعرب تقول: لا أفعل ذلك ما طلع شَرْقٌ. وشرقت الشمس: طلعت. وأشرقت: أضاءت.

(٦) السيد: الذئب. والأمق: الطويل.

(٧) الطرق: الماء الذي بوّلت فيه الإبل. يقال: ماءٌ طَرْقٌ ومطروق.

(٨) تيس أفرق: بيعدُ ما بين القرنين.

(٩) الأبرق والبرقاء والبرقة: غِلظ من الأرض فيه حجارة ورمل، وجبل أبرق إذا كان فيه لونان.

(١٠) الوابلة: رأسُ العضد الذي يلي المنكب.

(١١) وقد أنشد عارف أبياتا يظهر فيهاإعجابه من علم سواد،ويذكر أن سواد حاز الكهانة عن سَطيح وشق والمرفل من إياد. انظر هذه الأبيات في الأمالي ٢/٢٩٠.

(١٢) هو حُرْثان بن عَدْوان بن قيس بن عَيْلان، شاعر فارس، من قدماء الشعراء في الجاهلية، وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة، وسمّي ذا الأصبع لأن حيّة نهشته باصبعه فتشنجت.توفي نحو سنة ٢٢ ق.هـ /٦٠٠م. الشعر والشعراء، ص ٤٤٥. والأغاني ٣/٨٩. والأعلام ٢/١٧٣.

يا بُنَيّ، إنّ أباكَ قدْ فَنِيَ وَهْوَ حَيٌّ، وَعَاشَ حَتَّى سَئِمَ العَيْشَ، وإنّي مُوصِيكَ بِمَا إنْ حَفِظْتَهُ بَلَغتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتُهُ، فَاْحْفَظْ عَنِّي: أَلِنْ جَانِبَكَ لِقَوْمِكَ يُحِبُّوكَ، وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ، وَٱبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يُطِيعُوكَ، وَلاَ تَسْتَأْثِرْ[1]، عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ، وأَكْرِمْ صِغَارَهُمْ كَمَا تُكْرِمُ كِبَارَهُمْ، يُكْرِمْكَ كِبَارُهُم، وَيَكْبَرْ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارُهُم، وَٱسمَحْ بِمَالِكَ، وَٱحْمِ حَرِيمَكَ، وأَعْزِزْ جَارَكَ، وأَعِنْ مَنِ ٱسْتَعَانَ بِكَ، وَأَكْرِمْ ضَيْفَكَ، وَأَسْرِعْ النَّهْضَةَ في الصَّرِيخِ[2]، فَإِنَّ لكَ أَجَلاً لاَ يَعْدُوكَ، وَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ[3] أَحَدٍ شَيْئاً، فَبِذَلِكَ يَتِمُّ سُؤْدُدُكَ[4]. ثمّ أَنْشَأَ يقول:

(مجزوء الكامل المرفّل)

أأُسَيْدُ إنْ مَالاً مَلَكْـ ... ـتَ فَسِرْ بِهِ سَيْراً جَمِيلا
آخِ الكِرَامَ إنِ ٱسْتَطَعْـ ... ـتَ إِلَى إِخَائِهِمُ سَبِيلاً
وٱشْرَبْ بِكَأْسِهِمُ وَإِنْ ... شَرِبُوا بِهِ السُّمَّ الثَّمِيلاَ[5]
أَهِنِ اللِّئَامَ وَلاَ تَكُنْ ... لإخَائِهِمْ جَمَلاً ذَلُولاَ
إِنَّ الكِرَامَ إذَا تُوَا ... خِيهِمْ وَجَدْتَ لهُمْ فُضُولاَ[6]

ـ الأغاني ٣/٩٨ ـ ٩٩.

٢ ـ وصية عمرو بن كُلْثوم لبنيه[7]:

لمّا حضرت عَمرو بنَ كُلْثُومٍ الوَفاةُ، وَقَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ خمسونَ وَمائةُ سنة، جمع بنيه فقال:

يَا بَنِيّ، قدْ بلَغْتُ مِنَ العُمْرِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ آبائي، وَلاَ بُدّ أَنْ يَنْزِلَ بي مَا

---

(١) تستأثر بشيء: تستبدّ به وتخصّ به نَفْسَكَ.

(٢) الصريخ: نداء المستغيث.

(٣) المسألة جمعها المسائل: الحاجة والمطلب.

(٤) السؤدد: السيادة وكرم المنصب والقدر الرفيع.

(٥) الثمال والمثمل: السمُّ المنقع. أي: الذي أُنقع أياماً حتى اختمر.

(٦) الأغاني ٣/٩٨ ـ ٩٩. والقصيدة طويلة، اكتفينا بهذه الأبيات.

(٧) عمرو بن كلثوم من بني تغلب، جاهلي، من فحول الشعراء ومن أصحاب المعلقات، فارس شجاع، وأمه =

نَزَلَ بِهِمْ مِنَ المَوْتِ، وإنِّي واللَّهِ مَا عَيَّرْتُ أَحَداً بِشَيْءٍ إلاَّ عُيِّرْتُ بِمِثْلِهِ، إنْ كَانَ حَقّاً فَحَقّاً، وإنْ كَانَ بَاطِلاً فَبَاطِلاً، وَمَنْ سَبَّ سُبَّ، فَكُفُّوا عَنِ الشَّتْمِ، فإنَّهُ أَسْلَمُ لكُمْ، وَأَحْسِنُوا جِوَارَكُم يحْسُنْ ثَنَاؤُكُم، وآمْنَعُوا مِنْ ضَيْمِ الغَرِيبِ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ، وَرَدٌّ خَيْرٌ مِنْ خُلْفٍ. وَإِذَا حُدِّثْتُم فَعُوا، وإذا حَدَّثْتُم فأَوْجِزُوا، فإنَّ مَعَ الإكْثارِ تَكُونُ الأَهْذَارُ[1]. وأَشْجَعُ القَوْمِ العَطُوفُ بَعْدَ الكَرِّ، كَمَا أَنَّ أَكْرَمَ المَنَايَا القَتْلُ. وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لا رَوِيَّةَ لَهُ عِنْدَ الغَضَبِ، وَلاَ مَنْ إذَا عُوتِبَ لَمْ يُعْتِبْ[2]. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلاَ يُخَافُ شَرُّهُ، فَبَكْؤُهُ خَيْرٌ مِنْ دَرِّه[3]، وَعُقُوقُهُ خَيْرٌ مِنْ بِرِّهِ، وَلاَ تَتَزَوَّجُوا في حَيِّكُم فإنَّهُ يُؤَدِّي إلى قَبِيحِ البُغْضِ.

ـ الأغاني ١١/٥٩ ـ ٦٠.

٣ ـ وَصيَّةُ أَكْثَمَ بنُ صيفيِّ التّميمي[4] إلى طيء:

كتب أكثم بن صيفي وصيّة إلى طيء، قال فيها:

أُوصيكُم بِتَقْوَى اللَّهِ، وَصِلَةِ الرَّحْمِ، وَإيَّاكُم وَنِكَاحَ الحَمْقَاءِ، فإنَّ نِكَاحَهَا غَرَرٌ[5]، وَوَلَدَها ضَيَاعٌ. وعَلَيْكُمْ بالخَيْلِ فَأَكْرِمُوهَا، فإنّها حُصُونُ العَرَبِ، ولاَ تَضَعُوا رِقابَ الإبلِ في غَيْرِ حَقِّهَا، فإن فِيهَا ثَمَنَ الكَرِيمَةِ[6]، وَرَقُوءَ الدَّمِ[7]، وَبِأَلْبَانِهَا يُتْحَفُ الكَبِيرُ وَيُغْذَى الصَّغيرُ، وَلَوْ أَنَّ الإبلَ كُلِّفَتِ الطَّحْنَ لطَحَنتْ، وَلَنْ يَهْلِكَ آمْرُؤٌ

= ليلى بنت مُهَلْهِل بن ربيعة، وعمّها كليب وائل أعز العرب، وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب، وابنها عمرو سيد قومه. وعمرو هو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة. وكان قد عاش مائة وخمسين سنة انظر: الشعر والشعراء، ص ١١٧ ـ ١٢٠. والأغاني ١١/٥٢ وما بعدها. وانظر قصة قتله لعمرو بن هند ص ٦٤ من هذا الكتاب.

(١) الأهذار: جمع هذر، وهو سقط الكلام.

(٢) لم يعتب: لم يرض.

(٣) يقال: بكأت الناقة أو الشاة بكئاً: قلّ لبنها. والمعنى: منعه خير من عطائه.

(٤) انظر ترجمة أكثم في هذا البحث، ص ٨٧ ـ ٨٨.

(٥) غرر: أي خطر.

(٦) المراد هنا المهر.

(٧) رقأ الدم والدمع: جف وانقطع. ورقأ بينهم: أصلح، وأفسد، وهي من الأضداد، والرَّقُوء: المصلح بين القوم والمراد أنها تعطى في الدّيات.

عَرَفَ قَدْرَهُ، والعُدْمُ عُدْمُ العَقْلِ، لا عُدْمُ المَالِ[1]، وَلَرَجُلٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ، وَمَنْ عَتَبَ عَلَى الدَّهْرِ طَالَتْ مَعْتَبَتُهُ، وَمَنْ رَضِيَ بِالقَسْمِ طابَتْ مَعِيشَتُهُ، وآفةُ الرَّأْيِ الهَوى، والعَادةُ أَمْلَكُ، والحَاجَةُ مَعَ المَحبَّةِ خَيْرٌ مِنَ البُغْضِ مَعَ الغِنَى، والدُّنْيَا دُوَلٌ، فَمَا كانَ لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ، والحَسَدُ دَاءٌ لَيْسَ لَهُ دواء، والشَّمَاتَةُ تُعْقِبُ. وَمَنْ يَرَ يَوْماً يُرَهُ، قَبْلَ الرِّمَاءِ تُمْلأُ الكَنَائِنُ[2]، النَّدَامَةُ مَعَ السَّفاهَةِ، دِعامَةُ العَقْلِ الحِلْمُ، خَيْرُ الأُمورِ مَغَبَّةً[3] الصَّبْرُ، بَقاءُ المَوَدَّةِ عَدْلُ التعاهُدِ، مَنْ يَزُرْ غِبّاً[4] يَزْدَدْ حُبّاً. التَّغْرِيرُ مِفْتَاحُ البُؤْسِ، مِنَ التَّوانِي والعَجْزِ نُتِجَتِ الهَلَكَةُ، لِكُلِّ شيءٍ ضَرَاوَةٌ[5]، فضَرِّ لِسانَكَ بِالخَيْرِ[6]، عِيُّ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنْ عِيِّ المَنْطِقِ[7]، الحَزْمُ حِفْظُ مَا كُلِّفْتَ وَتَرْكُ مَا كُفِيتَ، كَثِيرُ التَّنَصُّحِ يَهْجِمُ عَلَى كَثِيرِ الظِّنَّةِ، مَنْ أَلْحَفَ[8] في المسْأَلَةِ ثَقُل، مَنْ سأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الحِرْمانَ، الرِّفْقُ يُمْنٌ، والخُرْقُ شُؤْمٌ[9]، خَيْرُ السَّخَاءِ وافق الحَاجَة، خَيْرُ العَفْوِ مَا كانَ بَعْدَ القُدْرَةِ.

ـ مجمع الأمثال للميداني ٢/١٨٢ ـ ١٨٣ رقم ٣٢٧١.

٤ ـ وَصِيَّةُ أُمَامة بنت الحارث إلى ابنتها أُم إياس[10].

---

(١) العدم: الفقدان.

(٢) الكنائن والكِنانات مفردها الكِنانة: جعبة من جلد أو خشب تُجعل فيها السهام.

(٣) المغبة: عاقبة الشيء

(٤) غبَّ غِباً: جاء زائراً بعد أيام.

(٥) الضراوة: العادة والدُّرْبة.

(٦) ضرِّ: عوِّد.

(٧) العيّ: الحصْر:

(٨) ألحف: ألحَّ.

(٩) الخرق: ضد الرفق. والرفق: لين الجانب واللطف.

(١٠) لما بلغ الحارث بن عمرو ملك كِندة جمالُ أم إياس بنت عوف بن مُحَلِّم الشيباني، وكمالُها، وقوةُ عقلها، دعا إمرأةً من كندة يقال لها عِصام ذاتُ عقلٍ ولسان وأدب وبيان، وقال لها: اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنةِ عوف، فمضت حتى انتهت إلى أمها، وهي أمامةُ بنت الحارث، فأعلمتها ما قدمت له، فأرسلت أمامة إلى ابنتها، وقالت: أي بنية، هذه خالتُك أتتك لتنظر إليك، فلا تستري عنها شيئاً، إن أرادت النظر من وجه أو خلق، وناطقيها إن استنطقتك، فدخلت إليها فنظرت إلى ما لم تر قط مثله، فخرجت من عندها وهي تقول: «ترك الخِداعَ مَنْ كَشَفَ القناع». (هذا مثل يضرب للأمر يظهر مكنونه) =

لَما حـانَ أن تُحمَل أُم إياس إلى زوجها الحارث بن عمـرو مـلك كندة[1]، دخلت إليها أُمُّها لتوصِّيَها، فقالت:

أَيْ بُنَيَّةُ: إنّ الوصيّةَ لَوْ تُرِكَتْ لِفَضْلِ أَدَبٍ، تُرِكَتْ لذلكَ مِنْكِ، ولكنّها تَذْكِرَةٌ

= ثم انطلقت (عصام صاحبة المثل، وهي من أهل اليمن) إلى الحارث، فلما رآها مقبلة، قال لها: ما وراءك يا عصام؟ قالت: «صرَّحَ المَخضُ عن الزُّبْد». فأرسلتها مثلاً، أقول حقاً، وأخبر صدقاً:

لقد رأيتُ وجْهاً كالمرآةِ الصِّينيَّة، يزينُـه شعر حـالك كـأذنابِ الخيـلِ المضفَّرة، إنْ أرسلتْـه خِلْتَه السلاسلَ، وإنْ مَشَطتْهُ دلَّتْ عَناقيدَ كَرْمٍ جَلاّها الوابل (المطر الشديد) لها حاجبان، كأنما خُطّا بقلمٍ، قد تقوّسـا على عيْنَي الظبيـة العَبْهَرة (الحسنـة الخلقة) يفتنـان المتوسِّم، بينهمـا أنفٌ كحدِّ السيفِ المصقول، لم يَخْنَسْ: (الخنس في الأنف: انخفاض القصبة، وعرض الأرنبة) بهِ قِصَرٌ، ولَمْ يُمْعِن به طـولٌ، تَحُفُّ بهِ وَجْنَتـانِ كالأُرجُـوان، في بياضٍ محضٍ كـأنّه الجمـان (اللؤلؤ) شُقّ فيه فمٌ لـذيذ المُبْتَسَـمِ، يفْتَرُّ عن ثنايا غُرٍّ، وأسنانٍ مثل الدُّرّ، ذاتِ أُشُرٍ (أي محززة) فيه لسانٌ، ذو فصاحةٍ وبيانٍ، يحرِّكُه عقلٌ وافرٌ، وجوابٌ حاضرٌ، تلتقي دونَه شفتان حمراوان كالوردِ، يحلبان ريقاً كالشُّهدِ، نُصب ذلك على عُنق أبيض، كأنّه إبريقِ فِضّة، وصَدر كنأْوُر (الخوان من رخام أو فضة أو ذهب) اللُّجَيْن، قد نَتَأ فيه ثَدْيان يخرقان عنها ثيابَها، ويمنعانها من تَقَلُّدِ سِخابِها (قلادة تتخذ من قرنفل وغيره) مُكِّنَتْ منه عَضُدان مُدْمَجـتان، مُكْتَنِزَتانِ شَحْماً، يَتَّصِلُ بهما ذِراعان، ما فيهما عَظْمٌ يمسُّ، ولا عِرْقٌ يُجَسُّ، وكفّانِ دقيقٌ قصبُهُما، لَيِّن عَصَبُهما، بأسفلَ من ذلك بطنٌ طُوِيَ كطيِّ القباطي (ثياب بيض من كتان، تنسب إلى أقباط مصر) وكُسِيَ عُكَناً (جمع عُكنة وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً) كالقراطيس المُدْرجة، يحيط بسُرَّةٍ كمُدْهُن العاج (أي قارورة الدهن) لها ظهرٌ فيه كالجدول، ينتهي إلى خَصْرٍ، لولا لُطْفُ ربِّي لانبتر تحته كَفَلٌ (عجز) يُقْعِدُها إذا نهضتْ، وينهضُها إذا قعدت، كأنه دعْص (ما اجتمع من الرمل) من الرمل، لَبَّده سقوطُ الطَّلِّ، أسفلَ من ذلك فخذان لَفّاوان: (اللفاء: ضخمة الفخذ) كأنهما نصبتا على نَضَدِ عِقيان، متصل بهما ساقان بيضاوان خَدَلَّجتان (ممتلئتان) قد وُشِّيَا بِشَعْرٍ أسود، كأنّه حَلَقُ الزَّرَد، تحمل ذلك كلَّهُ قدمان كَحَرْفِ اللِّسانِ، تبارك اللّه مع لطافتهما كيف يُطيقان حَمْلَ ما فوقَهما، فأما ما سوى ذلك، فإني تركت نعته ووصفه لوقتِه، إلاّ أنّه كأكْملِ وأحسنِ وأجملِ ما وُصف في شعرٍ وقولٍ.

قيل: فبعث إلى أبيها فخطبها، فزوَّجه إيّاها. قيل: فبعث إليها من الصَّداق بمثل مهور نساء الملوك. مائة ألف درهم، وألفا من الإبل، فلمّا حـان أن تُحمل إليه دخلت إليها أمُّها لتوصِّيها. (العقـد الفريـد ٧/١١٩ ـ ١٢٠. ومجمع الأمثال ٢/٢٦٢ ـ ٢٦٣ رقم ٣٧٥٩. وجمهرة الأمثال ١/٥٦٩ ـ ٥٧١. رقم ١٠٧٣).

(١) الحارث هو جد امرئ القيس. ويقول صاحب العقد الفريد: الذي خطب أم إياس: هو عمرو بن حُجر. (٨٩/٧).

لِلْغَافِلِ، وَمَعْونَةٌ للعاقِلِ، ولَوْ أنّ إمرأةً استَغْنَتْ عنِ الزوجِ لِغَنَى أَبَوَيْهَا وَشِدّة حَاجَتِهما إليها، كُنْتِ أغْنَى النّاسِ عَنْهُ، ولكنّ النساءَ للرِّجالِ خُلِقْنَ، ولهنّ خُلِق الرِّجالُ، أي بُنَيّةُ: إنّكِ فارَقْتِ الجوّ الذي مِنْهُ خَرجْتِ، وخَلَّفْتِ العُشّ الذي فيه دَرَجْتِ، إلى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ، وَقَرِينٍ لَمْ تأْلَفِيهِ. فأَصْبَحَ بِمُلْكِهِ عَلَيْك رَقِيباً وَمَلِيكاً، فَكُونِي لَهُ أَمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْداً وَشِيكاً.

يا بُنَيّةُ: احْمِلِي عنّي عَشْرَ خِصَالٍ تَكُنْ لَكَ ذُخْراً وَذِكْراً: الصُّحْبَةُ بالقَنَاعَةِ والمُعَاشَرَةُ بِحُسْنِ السّمْعِ والطّاعَةِ، والتّعَهُّدُ لِمَوْقِعِ عَيْنِهِ، والتّفَقُّدُ لِمَوْضِعِ أَنْفِهِ، فَلاَ تَقَعُ عَيْنَاهُ مِنْكِ على قبيحٍ، وَلاَ يَشَمُّ مِنْكِ إلاّ طيبَ رِيحٍ، والكُحْلُ أَحْسَنُ الحُسْنِ، والمَاءُ أَطْيَبُ الطِّيبِ المَفْقُودِ، والتّعَهُّدُ لِوَقْتِ طَعَامِهِ، والهُدُوُّ عَنْهُ عِنْدَ مَنَامِهِ، فإنّ حَرَارَةَ الجُوعِ مَلْهَبَةٌ، وَتَنْغِيصَ النّوْمِ مَغْضَبَةٌ، والاحْتِفَاظُ بِبَيْتِهِ وَمَالِهِ، والإرْعَاءُ على نَفْسِهِ وحَشَمِهِ وَعِيَالِهِ، فإنّ الاحْتِفاظَ بالمَالِ حُسْنُ التّقْدِيرِ، والإرْعَاءَ عَلى العِيَالِ والحَشَمِ حُسْنُ التّدْبِيرِ. ولاَ تُفْشِي لَهُ سِرّاً، وَلاَ تَعْصِي لَهُ أَمْراً، فإنّكِ إنْ أفْشَيْتِ سِرّهُ لَمْ تأْمَنِي غَدْرَهُ، وَإنْ عَصَيْتِ أَمْرَهُ أَوْغَرْتِ[1] صَدْرَهُ، ثُمّ اتّقِي مَعَ ذلكَ الفَرَحَ إنْ كانَ تَرِحاً، والاكْتِئَابَ عِنْدَهُ إنْ كَانَ فَرِحاً، فإنّ الخَصْلَةَ الأُولى مِنَ التّقْصِيرِ، والثّانِيَةَ مِنَ التّكْدِيرِ، وكُونِي أَشدّ مَا تَكُونِينَ لهُ إعْظَاماً، يَكُنْ أشدُّ مَا يَكُونُ لَكِ إكْراماً، وأشدَّ مَا تَكونِينَ لهُ مُوافَقةً، يَكُنْ أَطْوَلَ ما تكونينَ لَهُ مُرَافقةً، واعلمِي أَنّكِ لاَ تَصِلِينَ إلَى مَا تُحِبِّينَ حَتّى تُؤْثِرِي رِضاهُ عَلَى رِضاكِ، وَهَوَاهُ عَلَى هَوَاكِ، فيما أَحْبَبْتِ وَكَرِهْتِ، واللّه يَخِيرُ لَكَ[2].

- العقد الفريد ٧/٨٩ - ٩٠.
- مجمع الأمثال ٢/٢٦٢ - ٢٦٣، رقم ٣٧٥٩.
- جمهرة الأمثال ١/٥٧١ - ٥٧٢، رقم ١٠٧٤.

---

(١) وغر صدره على فلان: توقّد عليه من الغيظ.
(٢) فحملت، وسلّمت إليه، فعَظُم موقعها منه، وولدت له من الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن.

جـ ـ الحكم والأمثال:

١ ـ الحكم[1]

من الحكم النثرية:

«ربّ عجلةٍ تَهَبُ رَيْثاً»[2]. و «ربّ ريثٍ يُعْقِبُ فَوْتاً[3]». و «ربَّ أخٍ لم تلدْهُ أُمُّكَ[4]». و «ربَّ ملومٍ لا ذنبَ له[5]». و «أزهى من غرابٍ[6]». و «أولُ الحزمِ المشورةُ[7]». و «من طلبَ شيئاً وَجَدَهُ[8]». و «مِنْ مأمنِهِ يُؤْتَى الحَذِرُ[9]». و «رضا

---

(١) الحكمة: هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها؛ حكيم. أي:عالم. والحُكْمُ والحكمة من العلم. والحكمة: قول بليغ موجز، يحاول سنّ نظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك، أو ما ينكرونه من أفعال وعادات، تصاغ في بيت شعر، أو مثل، أو عبارة أنيقة موجزة غزيرة المعنى، ذات دلالات بعيدة، تؤدي ما يؤديه المثل، إلاّ أنها لم تشع في الجمهور، ولم تجر إلاّ بين الخواص. ولا نتفق مع السيوطي فيما ذهب إليه من أن الفرق بين الحكمة والمثل، الشيوع وحده. بمعنى أن الحكمة إذا شاعت على الألسن صارت مثلاً. ويمكن تدوين الفرق بينهما على النحو التالي. وهو أن الحكمة غير مرتبطة بمناسبة أو حادثة، والمثل لا بدّ أن يرتبط بهما. نعود ونقول: إن الحكمة تصدر عن عقل واعٍ، وتجربة عميقة، وخبرة طويلة، بشكل أدبي فني عميق ـ مزيج من عقل وشعور ـ بألفاظ منتقاة، وعبارة متينة، وقوة في المعنى، وأسلوب فريد، من أجل المحافظة على البقاء والخلود. ولا بدّ لها أن تعطي عبرة أو موعظة، ويكون هدفها: توجيه النفس الإنسانية إلى الكمال والأفضل. ومن شروطها أن يسلم بها الجميع، ما دام الهدف منها المنفعة والنهي عن الجهل أو الوقوع في الخطأ، انظر: لسان العرب (مادة حكم). والشعر الجاهلي ـ خصائصه وفنونه، للدكتور يحيى الجبوري، ص ٤٠٣. والمزهر ١/٤٨٦.

(٢) جمهرة الأمثال ١/٤٨٢ رقم ٨٦٢. ومجمع الأمثال ١/٢٩٤ رقم ١٥٥٥. والعقد الفريد ١/٨٩: «ورب عجلة تعقب ريثاً». والريث: الإبطاء، والحكمة لأكثم بن صيفي، ويقال للرجل حين يشتد حرصه على الحاجة فيخرَقُ فيها، ويفارق التؤدة في التماسها، فتفوته وتسبقه.

(٣) مجمع الأمثال ١/٣٠٢ رقم ١٥٩٦. والمعنى: أي ربما أُخِّر أمرٌ فيفوت.

(٤) جمهرة الأمثال ١/٤٨١ رقم ٨٦١. ومجمع الأمثال ١/٣٠٢ رقم ١٥٩٥ يعني به الصديق، فإنه ربما أربى في الشفقة على الأخ من الأب والأم.

(٥) مجمع الأمثال ١/٣٠٥ رقم ١٦٢٨. والحكمة لأكثم بن صيفي.

(٦) جمهرة الأمثال ١/٥٠٧ رقم ٩٢٠. وهو من الزهو، أي: الكِبْر، وهو أنه إذا مشى يختال.

(٧) جمهرة الأمثال ١/١٨٧. رقم ٢١٤.

(٨) مجمع الأمثال ٢/٣١٩ رقم ٤١٣٦. والحكمة لعامر بن الظَّرِب.

(٩) جمهرة الأمثال ٢/٢٧١ رقم ١٦٦٧. والحكمة لأكثم بن صيفي. يقول: إن الحذر لا يدفع المقدورَ عن صاحبه.

لناس غايةٌ لا تُدْرَكُ [1] ». و «كَلْمُ اللسانِ أنكأُ من كَلْمِ الحسامِ[2]». و «من سَلَكَ لجَدَدَ أَمِنَ العِثَارَ [3]».

ومن الحكم الشعرية:

ومن هـابَ أسبـابَ المنـايـا ينلْنَـهُ	ولـو نـالَ أسبـابَ السمـاءِ بسُلَّمِ [4]
ومن يغتـربْ يَحْسِبْ عـدواً صـديقـهُ	ومن لا يكـرِّم نَفْسَـهُ لا يُكَـرَّمِ [5]
ستبـدي لـك الأيـامُ مـا كنتَ جـاهـلاً	ويـأتيـكَ بـالأخبـارِ من لم تـزوِّدِ [6]
وإن بـابَ أمـرٍ عـليـكَ الـتـوى	فـشـاور لـبـيـبـاً، ولا تـعْـصِـهِ [7]

٢ ـ الأمثال [8]

من الأمثال النثرية:

* ـ تجشأَ لقمانُ من غيرِ شَبعٍ [9]

يضرب مثلاً للرجل يظهـر الغنى وهو فقيـر، والجلد وهو ضعيف وأصله في الرجل يتجشأ على جوع.

---

(١) جمهرة الأمثال ١/٤٩٣ رقم ٨٨٢، (برواية لا تُبْلَغُ). ومجمع الأمثال ١/٣٠١ رقم ١٥٨٤. والحكمة لأكثم بن صيفي، ومعناها: إن الرجل لا يسْلَم من الناس على كل حال، فينبغي أن يستعمل ما يُصلحه، ولا يلتفت إلى قولهم.

(٢) جمهرة الأمثال ٢/٢٥٧. والكلم: الجرح، وانكأ: أشد وأقطع. والحكمة لأكثم بن صيفي.

(٣) جمهرة الأمثال ٢/٢٥٧ رقم ١٦٤٣. والجدد: الأرض المستوية. والحكمة لأكثم بن صيفي.

(٤) هذا البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى. والمعنى: ومن خاف أسباب المنايا نالته، ولم يجد عليه خوفه وهيبته، إياها نفعاً ولو رام الصعود إلى السماء فراراً منها. (شرح المعلقات السبع، ص ٧٥).

(٥) هذا البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى. والمعنى: من سافر حسب الأعداء أصدقاء، لأنه لم يجربهم، فتوقفه التجارب على ضمائر صدورهم، ومن لم يكرم نفسه بتجنب الدنايا لم يكرمه الناس. (شرح المعلقات السبع، ص ٧٥).

(٦) هذا البيت من معلقة طرفة بن العبد، أي: ستطلعك الأيام على ما تغفل عنه، وسينقل إليك الأخبار من لم تزوده. (شرح المعلقات السبع، ص ٦٠).

(٧) هذا البيت لطرفة اقتطفناه من قصيدة حكمية (يرجع إلى القصيدة في الديوان ص ٦٤، وما بعدها).

(٨) المثل: مأخوذ من المثال، وهو: قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه. ويقول ابن =

* ـ رجَعَ بخفَّيْ حُنَيْن. ويقال: أخيب من حنين[1].

يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

* ـ ربَّ رميةٍ من غيرِ رامٍ[2].

يضرب مثلاً للمخطىء يصيب أحياناً.

* ـ مواعيدُ عُرْقُوب. ويقال[3]. أخلفُ من عرقوبٍ.

يضرب مثلاً للذي يخلف في مواعيده.

* ـ استنوق الجملُ[4].

يضرب مثلاً للرجل الواهن الرأي، المخلِّط في كلامه.

* ـ إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً[5].

يضرب مثلاً للقوي يلقى أقوى منه.

* ـ رمتني بدائها وانسلَّتْ[6].

يضرب مثلاً لمن يعيب على غيره بما يعاب هو فيه.

= السكيت: المثل: لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره.

ويقال: إن المثل تجتمع فيه أربعة أمور لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة. ويقال: المثل أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عمّ عمومها، حتى قيل: أسير من مثل. انظر: مجمع الأمثال ١/٥ وما بعدها. وجمهرة الأمثال ١/٤ وما بعدها. والعمدة ١/٢٨١. والمزهر ١/٤٨٦ وما بعدها.

(٩) جمهرة الأمثال ١/٢٦٩ رقم ٣٧١.

(١) جمهرة الأمثال ١/٤٣٣ رقم ٧٤١. ومجمع الأمثال ١/٢٩٦.

(٢) جمهرة الأمثال ١/٤٩١ رقم ٨٧٩. ومجمع الأمثال ١/٢٩٩ رقم ١٥٨١.

(٣) جمهرة الأمثال ١/٤٣٣ رقم ٧٤٢. ومجمع الأمثال ١/٣١١ رقم ٤٠٧٠.

(٤) جمهرة الأمثال ١/٥٤ رقم ٢٩. وهذه العبارة لطرفة بن العبد.

(٥) جمهرة الأمثال ١/٣١ رقم ١٧. والإعصار: الريح الشديدة تثير الغبار. والجمع الأعاصير.

(٦) جمهرة الأمثال ١/٤٧٥. رقم ٨٥١.

* ـ ذكّرني فوكِ حماريْ أَهلي[1].

يضرب مثلاً للرجل يبصر الشيء، فيذكر به حاجة كان قد نسيها.

ومن الأمثلة الشعرية:

ومن يصنعِ المعروفَ في غيرِ أهله ... يلاقي الذي لاقى مُجيرَ أمِّ عامِرِ[2]

إذا قالت حَذامِ فصدِّقوها ... فإنّ القولَ ما قالت حَذامِ[3]

أَبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا ... حنانيكَ بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ[4]

لا تقطعنْ ذنبَ الأفعى وترسلها ... إن كنتَ شهماً فأتبعْ رأسها الذنبا[5]

---

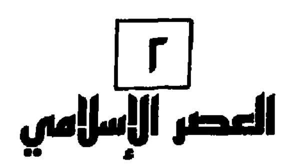
(1) جمهرة الأمثال ١/٤٦٣. رقم ٨٢٢.

(2) المزهر ١/٤٩٤. وأم عامر: الضبعة.

(3) لسان العرب (مادة حذم). ومجمع الأمثال ٢/١٠٦ رقم ٢٨٩٠. والمزهر ٢/٤٧٥. والمثل يضرب في التصديق.

(4) جمهرة الأمثال ١/٦٧ . والبيت لطرفة بن العبد من قصيدة له في السجن يخاطب بها عمرو بن هند. انظر: الديوان، ص ٦٦. وأبو منذر: عمرو بن هند ملك الحيرة. وحنانيك: أي حنانا بعد حنان. وهذا مثل يضرب عند ظهور الشرين بينهما تفاوت، يفضل أحدهما على الآخر.

(5) البيت لأبي أذينة اللخمي يحرض الأسود بن المنذر على قتل بعض أسارى غسان. يضرب هذا في التحريض على استئصال شأفة الشر. انظر: الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام، للدكتور محمد خفاجي والدكتور صلاح الدين عبد التواب، ص ٥٧.



العصر الإسلامي

أولاً: الشعر

١ ـ قصيدة بشامة بن حَزْن النهشلي[(١)] في الفخر والحماسة

(من البسيط)

إنّـا مـحيُّـوكِ يـا سَلْمَى فـحيِّـينـا ... وإنْ سَقيتِ كـرامَ النَّـاسِ فـاْسقِينـا[(٢)]

وإنْ دعـوتِ إلـى جُـلَّى ومـكـرُمَـةٍ ... يـوماً سَرَاةَ كِـرامِ النَّاسِ فـاْدعِينـا[(٣)]

---

(١) لم نجد لهذا الشاعر ترجمة عن حياته، ويرجح أنه إسلامي، هذا ما ذهب إليه صاحب الخزانة، أما الأمدي فيقول: بشامة بن حزن النهشلي، نهشل بن دارم. وقد اختلف في قائل هذه الأبيات فنسبت إلى أبي مخزم النهشلي، ونسبت إلى بشامة بن جَزْء، وقيل لبشامة بن حرِّيّ، وقيل لابن غلفاء التميمي، وقيل: هي لبعض بني قيس بن ثعلبة. وقيل غير ذلك: انظر: الشعر والشعراء، ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥. والمؤتلف والمختلف ص ٨٦ ـ ٨٨. والكامل ١/١٤٥ ـ ١٤٦. وشرح ديوان الحماسة، للتبريزي ١/٢٥ ـ ٢٧. وخزانة الأدب ٨/٣٠٠ ـ ٣١٤. وقد أورد ابن قتيبة بعض هذه الأبيات، ونسبها إلى نهشل بن حرِّيّ النهشلي، وهو نهشل بن حري بن ضَمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم، شاعر جاهلي، حسن الشعر، أنشد الملك النعمان بن المنذر. (الشعر والشعراء،ص ٤٠٥). ونجد أن بعض محققي هذه المصادر، التي اقتطفنا منها هذه الأبيات، قد رجح نسبتها لبشامة، وهو إسلامي. والبشامة: شجرة يستاك بعودها.

(٢) فحيينا: من التحية بمعنى السلام. والمعنى: إنا مسلّمون عليك أيتها المرأة فقابلينا بمثله. وإن سقيت الكرام فأجرينا مجراهم، فأنا منهم، وقيل: سقيت، بمعنى دعوت، يعني: إن دعوت لكرام الناس بالسقيا فادعي لنا أيضاً.

(٣) جلى: تأنيث الأجل، ويراد بها جليلة. والسراة: كرام الناس. يقول: إن أشدت بذكر خيار الناس بجليلة نابت أو مكرمة عرضت فأشيدي بذكرنا أيضاً. والقصد من هذا الكلام، الوصول إلى بيان شرفه، واستحقاقه ما يستحقه الأشراف. والمكرمة: اسم من الكرم.

إنّا ـ بني نَهْشَلٍ ـ لا نـدَّعي لأبٍ	عنـهُ، ولا هـو بـالأبناءِ يَشْـرِينـا[1]
إنْ تُبتـدَرْ غـايـةٌ يـومـاً لمكـرُمـةٍ	تَلقَ السَّـوابقَ مِنّـا والمصلِّينـا[2]
ولـيس يَهـلِكُ منّـا سيِّـدٌ أبـداً	إلّا ٱفتَلَيْنَا غُـلامـاً سيِّـداً فينـا[3]
إنّـا لنُـرخِصُ يـومَ الـرَّوعِ أنفُسَنـا	ولـو نُسامُ بهـا في الأمنِ أُغْلِينـا[4]
بيضٌ مفـارِقُنـا تَغـلِي مَـراجِلُنـا	نـأْسُو بـأَمْـوالِنَـا آثـارَ أَيـدينـا[5]
إنّـا لَـمِنْ مـعشـرٍ أَفْـنـى أوائـلَهُـمْ	قـولُ الكمـاةِ ألا أينَ المُحـامونا؟[6]

(١) بني نهشل: منصوب على الاختصاص، أي على إضمار فعل، كأنه قال: اذكر بني نهشل، وهذا على الاختصاص أمدح. وخبر إن «لا ندعي» ولو رفع فقال: «إنا بنو نهشل» كان خبراً وكانت جملة «لا ندعي» في موضع الحال. ولا ندعي لأب: لا ننتسب لأب غير أبينا. ولا هو بالأبناء يشرينا: معناه، أنه راضٍ بنا كما نحن راضون به.

(٢) يقال ابتدرنا الغاية وإلى الغاية أي: استبقنا إليها. وقوله لمكرمة: أي لاكتساب مكرمة. والمصلى: من أسماء خيل الحلبة التي تخرج للسباق، أي: هوالذي يتلو السابق فيكون رأسه عند صَلاهُ، والصَّلَوان: العظمان الناتئان من جانبي العجز. وأسماء خيل الحلبة عشرةٌ، أولها السابق، وهو المُجَلِّي، لأنه كان يجلى عن صاحبه، وثانيها المصلِّي، ثم المُسَلِّي، ثم التالي، ثم المرتاح، ثم العاطف، ثم المؤمَّل، وهذه السبعة لها حظوظ، ثم اللواتي لا حظوظ لها هي: اللطيم، ثم الوغد، ثم السُّكَيْت.

(٣) الافتلاء: الافتطام والأخذ عن الأم، ومنه الفَلُوُّ. والأبد: الدهر. يقول: نحن لا نخلو من سيد مدرب على السيادة، أي: مرشح لها، فإذا هلك السيد، خلفه المدرَّب.

(٤) نرخص: من أرخص الشيء، جعله رخيصاً، أي: سهلاً هيناً. والروع: الحرب. وأُغلينا: الألف: للإطلاق، وهي ناتجة عن حركة إشباع الروي، والنون نون النسوة، ضمير الأنفس، ومعنى أُغلين: وجدت غالية، يقول: إذا كان يوم الروع تقدمنا للقاء، فإن ذهبت أنفسنا، ذهبت رخيصة لأنا بذلناها بالإقدام، ولم نمنعها بالإحجام، ولكنها يوم الأمْن غالية. وفي البيت طباق في موضعين: بذكر الإرخاص والإغلاء، والروع والأمن.

(٥) يروى: «بيض معارفنا» وهي الوجوه، والمراد بذلك نقاء العِرض وانتفاء الذم والعيب. وبيض مفارقنا: يجوز أن يكون المراد ابيضت مفارقنا من كثرة ما نقاسي الشدائد، وبيض المفارق كناية عن نقاء العرض، وانتفاء الذم والعيب. وتغلي مراجلنا: أي حروبنا. ونأسو: نداوي. والمعنى: أنهم أغنياء، أصحاب سطوة، لا يطمع الناس في مقاصَّتهم، بل يكتفون منهم بأخذ الديّة. ويقال: إنه يجوز أن يكون المراد من: «بيض مفارقنا» هو من كثرة استعمال الطيب، ويكون على هذا، «تغلى مراجلنا» أي: قدورنا للضيافة، ويجوز أن يكون مشيبهم مشيب الكرام لا مشيب اللئام.

(٦) الكماة: جمع كَمِيّ، وهو الشجاع، المدجج بالسلاح، وأصله من كمي شهادته، إذا كتمها، لأن الشجاع يستغني بأفعاله عن دعواه، وكذلك. إذا كمى الفارس نفسه في السلاح، أي: إذا توارى فيه. يقول: إني من جماعة أفنتهم الإعانة والإغاثة والنجدة والإقدام على الحروب.

لـو كانَ في الأَلْفِ منَّـا واحـدٌ فـدعَـوْا ... مَنْ فـارسٌ خـالَهم إيَّـاهُ يَعنـونـا[1]

إذا الـكمـاةُ تَـنَحَّـوْا أن يُـصيبَهُـمُ ... حـدُّ الـظُّبـاةِ وصَلْنـاهـا بـأيـدينـا[2]

ولا تـراهُـمْ وإنْ جَلَّتْ مـصيبَـتُـهُـمْ ... مَـعَ البُكـاةِ على مَنْ مـاتَ يَبْكُـونـا[3]

ونـركبُ الكَـرْهَ أحيـانـاً فيَفْـرِجُـهُ ... عنَّـا الحِفـاظُ وأَسيـافٌ تُـواتينَـا[4]

- الشعر والشعراء، ص ٤٠٥.
- المؤتلف والمختلف، ص ٨٧ - ٨٨.
- الكامل للمبرد ١/١٤٥ - ١٤٦.
- ديوان الحماسة، شرح التبريزي، ١/٢٥ - ٢٧.
- خزانة الأدب ٨/٣٠٢ - ٣٠٤.

٢ - قصيدة قُتَيْلَة بنت النَضْر [5] في رثاء أبيها

(من الكامل)

يـا رَاكِـبـاً إنّ الأُثَـيْـلَ مَـظَنَّـةٌ ... مِنْ صُبْـحِ خـامسـةٍ وأنتَ مُـوَفَّقُ[6]

(١) خالهم: أي ظنهم. والمعنى: أنهم لشدة بأسهم وقوة حماستهم لا يعترفون بشجاعة غيرهم.

(٢) الظباة: جمع الظبة، وهي حدّ السيف، وقيل: الظبة طرف السيف، والشَّباة حدُّ طرفه. وقوله: وصلناها بأيدينا: هذا الكلام كناية عن علو همتهم في الحرب وطول باعهم فيها.

(٣) البكاة: جمع باك، والمعنى: إنهم لا يموتون إلا بالقتل حيث صار لهم عادة، وإن كل من يولد منهم يكون سيداً فلا يجزعون على من مات منهم.

(٤) الكَرْه: المكروه. وركوبه: كناية عن وقوعهم فيه، وقصدهم إليه. والحفاظ: المحافظة، والذب عن المحارم، وأسياف تواتينا: أي توافقنا. ويفرجه: يكشفه ويوسعه. يقول: وأحياناً نقع في المكروه فيكشفه عنا محافظتنا على أحسابنا وذبنا عن حريمنا، وأسياف توافقنا. ويجوز أن يكون قد أراد بالسيوف رجالاً كأنهم السيوف مضاء.

(٥) قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار من قريش، شاعرة مخضرمة، أسر أبوها النضر في وقعة بدر، فأمر الرسول ﷺ بقتله، فقتله علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه، فقالت هذه القصيدة ترثي والدها، ويقال: إن الرسول ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال: «لو بلغني هذا قبل قتله مننت عليه». ويقال: فرقّ رسول اللّهِ ﷺ حتى دمعت عيناه، وقال لأبي بكر رضي اللّه عنه: يا أبا بكر! لو كنت سمعت شعرها لما قتلتُ أباها». أسلمتْ بعد مقتل أبيها، وتوفيت سنة ٢٠ هـ/٦٤٠ م. وقصيدتها هذه مما اختاره أبو تمام في حماسته. انظر: السيرة النبوية ٣/٤٢ - ٤٣. ومنح المدح لابن سيد الناس، ص ٣٥٩ - ٣٦٠. وديوان الحماسة ١/٤٠٠ - ٤٠١. والأعلام ٥/١٩٠.

(٦) الأثيل: موضع فيه قبر النضر بين بدر ووادي الصفراء. والمظنة: موضع إيقاع الظن. وصبح خامسة: أي =

أبـلغْ بهـا مَـيْتـاً بـأنَّ تـحـيَّـةً ... مـا إنْ تـزالُ بهـا الـركـائبُ تَخْفُقُ[1]
منّي إليـكَ وَعَبْـرةً مـسـفـوحـةً ... جـادتْ بـواكِفِهَـا وأُخـرى تَخْنَقُ[2]
هَـلْ يَسْمَعَنِّي النَّضْـرُ إنْ نَـادَيْتُـهُ ... أمْ كيـفَ يـسْـمَـعُ مَيِّتٌ لا يَنْـطِقُ
أمحمَّـدٌ يـا خَيْـرَ ضِنْءِ كـريـمـةٍ ... في قـومِهـا والفحـلُ فحلٌ مُعْـرِقُ[3]
مـا كـانَ ضـرَّكَ لـو مَنَنْتَ وربَّمـا ... منَّ الفتى وهـو الـمَغِيظُ المُحْنَقُ[4]
أو كنتَ قـابـلَ فِـدْيـةٍ فلْيُنْفِقَنْ ... بـأعـزِّ مـا يَـغْلو بـه مـا يُنْفَقُ[5]
فـالنّضْـرُ أقـربُ مَنْ أسَرْتَ قـرابـةً ... وأحـقُّهـم إنْ كـانَ عِتْـقٌ يُعْـتَقُ
ظلَّتْ سيـوفُ بني أبيـهِ تَنُوشُـهُ ... لـلَّهِ أرحـامٌ هُـنَـاكَ تُـشـقَّـقُ[6]
قسْـراً يُقـادُ إلى المـنيَّـةِ مُـتْعَبـاً ... رَسْفَ المقيَّـدِ وَهـوَ عـانٍ مُـوثَقُ[7]

- السيرة النبوية ٣/٤٢ - ٤٣.
- ديوان الحماسة ١/٤٠٠ - ٤٠١.
- منح المدح لابن سيد الناس، ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

= صبح ليلة خامسة لليلة تبتدى في السير منها إلى الأثيل. والمعنى: يا راكباً إن الأثيل يظن أن تبلغه في صبح الليلة الخامسة إن وفقت إلى الطريق ولم تزغ عنه.

(١) إن: زائدة. وتخفق: تتحرك وتسرع.

(٢) العبرة: الدمعة. ومسفوحة: مصبوبة، والواكف: السائل.

(٣) الضنء: الأصل. والمعرق: الذي له أصول واضحة في الكرم.

(٤) الحنق: الغيظ الشديد. والمعنى: ما كان يضرك لو مننت على والدي، وأطلقته، وليس هذا عيباً عليك، إذ قد يعفو الفتى مع انطوائه على الغيظ والحنق.

(٥) أي ما ضرك لو قبلت فدية، ولو فعلت ذلك، لأنفقنا من أجله الغالي والنفيس.

(٦) تنوشه: تتناوله. وتشقق: تقطع. واللام في اللّه للتعجب. والمعنى: لم يقتله أحد غير بني أبيه فعجباً من أرحام تتقطع هناك.

(٧) الرسف: المشي الثقيل، كمشي المقيد ونحوه. والعاني: الأسير. والقسر: القهر والغلبة. أي: أنه يقاد للموت بعد الحبس وهو متعب. ورسف المقيد: أسير موثق.

٣ ـ قصيدة الخنساء في مدح أخيها صخر[١]

(من الكامل)

جـارَى أبـاهُ فـأقـبـلا وهـمـا ... يـتـعـاوَرَانِ مُـلاءَةَ الـفَـخْـرِ[٢]

حـتّـى إذا نـزَتِ الـقـلـوبُ وقَـدْ ... لُـزَّتْ هُـنَـاكَ الـعُـذْرُ بـالـعُـذْرِ[٣]

وعَـلا هُـتَـافُ الـنّـاسِ: أيُّـهـمـا؟ ... قـال الـمجـيـبُ، هُـنـاكَ: لا أدري

بـرَزَتْ صـحـيـفـةُ وَجْـهِ والـدِهِ ... ومَـضَـى على غُـلْوائِـهِ يـجـري[٤]

أَوْلَـى فـأوْلَـى أنْ يُـسَـاوِيَـهُ ... لَـوْلا جَـلالُ الـسّـنِّ والـكِـبْـرِ

وَهُـمَـا كـأنَّـهُـمـا وقَـدْ بَـرَزَا ... صـقْـرانِ قـدْ حَـطّا عـلى وَكْـرِ

ـ ديوان الخنساء، ص ٧٦.

---

(١) هي تُماضر بنت عمرو بن الشريد، من بني سُليم، من قيس عيلان، من مضر، وهي شاعرة مخضرمة، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وكانت أشهر شواعر العرب على الإطلاق، عرضت شعرها على النابغة الذبياني، في سوق عكاظ، وحكم لها بقوله: «والله لولا أن أبا بصير أنشدني، لقلت: إنك أشعر الجن والإنس». ونجد غرر قصائدها في رثاء أخويها صخر ومعاوية، وكانا قد قتلا في الجاهلية. أدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها من بني سليم. وكان الرسول ﷺ يستنشدها ويعجبه شعرها. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة ١٦ هـ. فجعلت تحرضهم على الثبات والصمود حتى قتلوا جميعاً، فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. توفيت سنة ٢٤ هـ/٦٤٥ م. انظر ترجمتها: طبقات الشعراء، ص ٤٨، ٥١. وطبقات فحول الشعراء ٢/٢٠٣، ٢١٠. والشعر والشعراء، ص ١٩٧ ـ ٢٠١. والأغاني ١٥/٦١ ـ ٨٠ (طبعة دار الثقافة). وخزانة الأدب ١/٤٣٤ ـ ٤٣٨. والأعلام ٢/٨٦.

ويقال: إنه قيل للخنساء: لئن مدحت أخاك، فقد هجوت أباك. فقالت تصف صخراً، وقد أرادت مساواته بأبيها مع مراعاة حق الوالد. انظر: الديوان ص ٧٦.

(٢) الملاءة: أي عباءة السبق. استعارتها للفخر، يلبسها أبوها مرة وأخوها أخرى. ويتعاوران: يتبادلان.

(٣) نزت: وثبت. العذر: جمع عِذار، جانب اللحية، أي: الشعر الذي يحاذي الأذن. كناية عن الازدحام.

(٤) الغلواء: نشاط الشباب وأوله.

٤ ـ من قصيدة لكعب بن زهير(١) في مدح النبي ﷺ

(من البسيط)

بَـانَتْ سُعـادُ فقلبـي اليـومَ مَتْبـولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْـرَهـا، لمْ يُفْـدَ، مَكْبُـولُ(٢)

ومـا سعـادُ غَـدَاةَ البينِ، إِذْ رَحَـلُوا ... إِلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرفِ، مَكْحُولُ(٣)

تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ، إِذَا ابتسمتْ ... كـأنَّـهُ مُنْهَـلٌ بِـالـرَّاحِ، مَعْلُولُ(٤)

إِخَـالُهـا خُلَّةً، لـوْ أَنَّـهـا صَـدَقَتْ ... مَوْعُودَهَا، أَوْ لَوَ آنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ(٥)

فـلاَ يَغُرَّنْـكَ مـا منَّتْ، ومـا وَعَـدَتْ ... إِنَّ الأَمـانـيَّ والأَحـلامَ تـضـليـلُ

كـانَتْ مـواعيـدُ عُـرْقُـوبٍ لهَـا مَثَـلاً ... ومـا مَـوَاعِيـدُهـا إِلاَّ الأَبـاطِيـلُ(٦)

---

(١) كعب بن زهير بن أبي سُلمى المزني، أحد فحول الطبقة الثانية عند ابن سلام، وكان كعب فحلاً مجيداً، وكان أخوه بجير أسلم قبله، وشهد مع رسول اللّهِ ﷺ فتح مكة، وكان أخوه كعب أرسل إليه ينهاه عن الإسلام فبلغ ذلك النبي ﷺ فتواعده، فبعث إليه بجير يحذره، فقدم على رسول اللّهِ ﷺ فبدأ بأبي بكر، فلمّا سلّم النبي ﷺ من صلاة الصبح، جاء به وهو متلثم بعمامته، فقال يا رسول اللّهِ، هذا رجل جاء يبايعك على الإسلام، فبسط النبي ﷺ، يده، فحسر كعب عن وجهه، وقال: هذا مقام العائذ بك يا رسول اللّه! أنا كعب بن زهير، فتهجمته الأنصار، وغلّظت له لذكره، كان قَبل ذلك رسول اللّه ﷺ. وأحب المهاجرون أن يسلم ويؤمنه النبي ﷺ فأمنه، واستنشده هذه القصيدة. ويقال إن إسلامه كان في السنة التاسعة للهجرة، وتوفي سنة ٢٦ هـ/٦٤٥ م. وقد وصف شعره بقوة التماسك، وجزالة اللفظ، وسمو المعنى، له ديوان شعر مطبوع. انظر ترجمته: الديوان. وطبقات الشعراء، ص ٢٠ ـ ٢٥. والشعر والشعراء ص ٥٩ ـ ٦٠، ٦٧ ـ ٧٠. وجمهرة أشعار العرب ص ٦٣٢. وما بعدها. وتاريخ ابن الأثير ٢/٢٧٤. والأعلام ٥/٢٢٦. ومنح المدح. ص ٢٥٤ ـ ٢٧٠.

(٢) بانت: فارقت، ومتبول: من تبله الحب، أسقمه وأضناه. ومتيم: مذلل بالحب. ولم يفد: لم يجد من يفديه، ومكبول: محتبس عندها.

(٣) غداة البين: صباح الفراق. والأغن: الذي في صوته غُنَّة. وغضيض الطرف: فاتره، منكسر الأجفان.

(٤) تجلو: تكشف. والعوارض: الضواحك من الأسنان، وهي ما بين الثنية والضِّرس. والظلم: ماء الأسنان وبريقها وبياضها. ومنهل: أي أول شربة. والراح: الخمر. والمعلول: قد سقي مرتين، والعَلَل: الشرب الثاني.

(٥) الخلة: الخليلة الصاحبة.

(٦) عرقوب بن نصر: رجل من العمالقة، نزل بالمدينة قبل أن ينزلها اليهود، وكان صاحب نخل. وإنه وعد صديقاً له ثمر نخلةٍ من نخله، فلما حملت وصارت بلحاً، أراد الرجل أن يصرمه، فقال عرقوب: دعه حتى يشقِّح، أي: يحمر أو يصفر، فلما شقَّحت أراد الرجل أن يصرمها، فقال عرقوب: دعها حتى تصير=

أَرْجُـو وآمُـلُ أَنْ تَـدْنُـو مـودَّتُـهـا ... وَمَـا إخـالُ لَـدَيْنَا مِنْـكِ تَنْوِيـلُ[1]
أَمْسَتْ سُعـادُ بـأَرْضٍ لا يُبَلِّغُهَـا ... إلاّ العِتـاقُ النَّجِيبـاتُ المَـراسِيـلُ[2]
يَسْعَى الـوُشـاةُ جَنَـابَيْهـا وقَـوْلُهُمُ: ... «إنَّـكَ يـا ابْنَ أَبِي سُلمى لمقتولُ»[3]
وقـالَ كُـلُّ خَـليـلٍ كُنـتُ آمُـلُهُ ... «لا أُلْهِيَنَّكَ إنِّي عَنْـكَ مَشْغُـولُ»[4]
فـقلتُ: خَـلُّوا سبيلي، لا أَبـاً لـكُمُ ... فكُـلُّ مـا قَـدَّرَ الرحمنُ مفعـولُ[5]
كُـلُّ ابنِ أُنْثَى، وَإنْ طـالَتْ سَـلاَمَتُهُ ... يـومـاً عَلَى آلـةٍ حَـدْبـاءَ مَحْمُـولُ[6]
أُنْـبِئْتُ أَنّ رسـولَ الـلَّهِ أَوْعَـدَنِـي ... والعفـوُ عِنْـدَ رسـولِ اللَّهِ مـأْمـولُ[7]
مَهْـلاً: هـداكَ الـذي أعـطاكَ نـافلةَ ... القـرآنِ، فيـهِ مـواعيظٌ وتفصيـلُ[8]
لا تَـأْخُـذَنِّي بـأَقـوالِ الـوُشـاةِ، وَلَمْ ... أُذْنِبْ، وإنْ كَثُـرَتْ فِيّ الأقـاويـلُ[9]
لقَـدْ أَقـومُ مَقـامـاً لَـوْ يقـومُ بـهِ، أرى ... وأسمـعُ مـا لو يسْمَـعُ الفيـلُ[10]
لـظلَّ يُـرْعَـدُ إلاّ أَنْ يـكـونَ لـهُ ... مِنَ الـرَّسـولِ بإذنِ اللَّهِ تنويـلُ[11]

= رطباً، فلما صارت رطباً قال: دعه حتى يصير تمراً، فلما صار تمراً انطلق إليه عرقوب، فجدّه ليلاً، فجاء الرجل بعد أيام، فلم ير إلّا عوداً قائماً، فذهبت وعود عرقوب مثلاً.

(١) تنويل: عطاء.

(٢) لا يبلّغها: أي لا يبلغ، سعاد إليها. والعتاق: النوق أو الإبل الكرام. والنجيبات: السريعات. والمراسيل: الخفاف التي تعطيك ما عندها عفواً.

(٣) جنابيها: أي حوالي الناقة.

(٤) ألهينك: أشغلنك. والمعنى: لا أشغلنك عما أنت فيه فأسليك.

(٥) لا أبا لكم: أي لا أبا حراً لكم. وانظر: شرح بيت زهير- الذي يقول فيه: «سئمت تكاليف الحياة ومن يعش. . .» - في هذا الكتاب، ص ٦٣.

(٦) آلة حدباء: المقصود هنا الآلة التي يحمل عليها الميت، أي: النعش. والحدباء: مؤنث الأحدب. أي: الذي تقوس ظهره لعلة أو لكبر السن.

(٧) أنبئت: أعلمت وأخبرت. وأوعدني: هددني. ومأمول: متوقع.

(٨) النافلة: العطية الزائدة. وتفصيل: تبيين وتوضيح.

(٩) لا تأخذني: لا تتهمني بأقوال الوشاة.

(١٠) لقد أقوم مقاماً لو يقوم به الفيل لظل. . . ولما كان الفيل عنده ضخماً توهّم أنه أسمع الأشياء.

(١١) يرعد: تناله الرعدة، أي: الفزع والخوف، وأراد ذلك للتهويل والتعظيم. والتنويل: العطاء، وهنا الأمان والعفو.

حتَّى وضعتُ يميني، لا أُنازِعُهُ ... في كفِّ ذي نِقَمَاتٍ، قِيلُهُ القِيلُ [1]

لذاكَ أَهْيَبُ عِنْدِي إِذْ أُكلِّمُهُ ... وقيلَ: إنَّكَ منسوبٌ وَمَسْؤولُ [2]

من خَادِرٍ من لُيوثِ الأُسْدِ مَسْكَنُهُ ... بِبَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ [3]

إِنَّ الرَّسولَ لسَيْفٌ يُسْتَضاءُ بهِ ... مهنَّدٌ من سيوفِ اللَّهِ مسلولُ [4]

في فتيةٍ مِنْ قريشٍ قالَ قائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مكةَ لمَّا أَسْلَمُوا: زُولُوا [5]

زَالُوا فمَا زالَ أَنْكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عِندَ اللِّقاءِ وَلاَ مِيلٌ مَعازِيلُ [6]

شُمُّ العرانينِ أبطالٌ لَبُوسُهُمُ ... مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ في الهَيْجَا سَرَابيلُ [7]

لا يفرحونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمُ ... قَوْماً، وَلَيْسُوا مَجَازِيعاً إِذَا نِيلُوا [8]

لا يقعُ الطَّعْنُ إلاّ في نُحُورِهِمُ ... وَمَا لهُمْ عَنْ حِياضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ [9]

- شرح ديوان كعب بن زهير للسكري، ص ٦ - ٢٥.
- جمهرة اشعار العرب، ص ٦٣٢ - ٦٤١.
- منح المدح لابن سيد الناس، ص ٢٥٧ - ٢٦٢.

---

(١) لا أنازعه: لا أخالفه. ذي نقمات: صاحب سطوة وقوة. وقيله القيل: أي قوله هو القول النافذ.

(٢) أهيب: أرهب. ومنسوب: أي منسوب لك أمور أنت مسؤول عنها.

(٣) الخادر: الأسد في خدره. وليوث الأسد: أقواها. وعثر: مكان تكثر فيه السباع. والغيل: الشجر الملتف، أي أجمة الأسد. يريد أن النبي ﷺ أهيب عنده من أسد خادر. . . .

(٤) يستضاء به: يهتدى به، لأنه سيف هداية لا سيف ضلال، والمهند: السيف المصنوع بالهند. وهو أفضل السيوف وأجودها.

(٥) الفتية: العصبة، والجماعة. وقائلهم: لعله قصد عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه. وزولوا: انتقلوا من مكة إلى المدينة. ويعني بذلك الهجرة.

(٦) زالوا: هاجروا، فما زال: فما هاجر. والأنكاس: جمع نِكْس، وهو الضعيف. والكُشُفُ: الذين ينهزمون ولا يثبتون، وأصله من الأكشف، وهو الذي لا ترس معه في الحرب. والميل: جمع الأميل، وهو الذي لا يحسن ركوب الخيل أو غير ذلك، أي: أنه لا يثبت على السرج. والمعازيل: جمع معزول، وهو من لا سلاح له. وهنا إشارة إلى أن المسلمين هاجروا أقوياء لا ضعفاء، هاجروا عن رغبة، لا من رهبة أو خوف.

(٧) العرانين: جمع العرنين، وهي الأنوف، وتكون أطراف الأنوف. والشم: جمع الأشم، وهو المرتفع، وهنا كناية عن الإباء والأنفة. واللبوس: اللباس. ومن نسج داود: من صنع داود عليه السلام. والهيجا: الحرب. والسرابيل: الدروع.

(٨) نالت: أصابت. والمجازيع: جمع المجزاع، وهو شديد الخوف. ونيلوا: أصيبوا.

(٩) حياض الموت: موارد الهلاك. وتهليل: جبن وفرار، وتسمى هذه القصيدة «بالبردة» لأن الرسول ﷺ خلع بردته عليه.

٥ ـ قصيدة مُتَمِّم بن نُوَيْرَةَ اليربُوعيّ(١) في رثاء أخيه مالك(٢)

(من الطويل)

لعَمْري وما دَهْري بتأبينِ هالِكٍ ... ولا جَزَعٍ مِمَّا أصابَ فأوْجَعا(٣)

لقد كفَّنَ المِنْهالُ تحتَ رِدائِهِ ... فتًى غيرَ مِبْطانِ العَشِيّاتِ، أرْوَعا(٤)

ولا بَرَماً تُهْدِي النِّساءُ لِعِرْسِهِ ... إذَا القشْعُ مِنْ حَسِّ الشِّتاءِ تَقَعْقَعا(٥)

لبيبٌ أعانَ اللُّبَّ منهُ سَماحَةٌ ... خَصِيبٌ إذا ما راكِبُ الجَدْبِ أوْضَعا(٦)

---

(١) متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو نهشل، شاعر فحل، لم يؤثر عنه شعر إلّا بعد أن قتل أخوه مالك، كان متمم من أشراف قومه، سكن المدينة في أيام عمر رضي الله عنه. يقال أن متمم بن نويرة دخل على عمر بن الخطاب، فقال له: أنشدني بعض ما قلت في أخيك، فأنشده من قصيدته هذه، فقال عمر: يا متمم لو كنت أقول الشعر لسرّني أن أقول في زيدٍ بن الخطاب مثل ما قلت في أخيك، قال متمم: يا أمير المؤمنين! لو قتل أخي قِتْلَةَ أخيك ما قلت فيه شعراً أبداً، فقال عمر: يا متمم! ما عزاني أحدٌ في أخي بأحسن مما عزيتني به. توفي سنة ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م. انظر ترجمته: طبقات الشعراء، ص ٤٨ ـ ٤٩. والشعر والشعراء ص ١٩٢ ـ ١٩٥. والمفضليات ص ٢٦٣ ـ ٢٧٣. وجمهرة أشعار العرب، ص ٥٩٤. والأعلام ٥/٢٧٤.

(٢) مالك بن نويرة، أبو حنظلة، فارس شاعر، كان وسيماً، يقول متمم: لقد أسرتني بنو تغلب في الجاهلية، فبلغ ذلك أخي مالكاً فجاء ليفديني فلما رآه القوم، أعجبهم جماله، وحدّثهم فأعجبهم حديثه، فأطلقوني له بغير فداء. وكان مالك فارس ذي الخمار، وذو الخمار فرسه، يضرب به المثل، «فتى ولا كمالك»، أدرك الإسلام، وأسلم، وولاه الرسول ﷺ صدقات قومه بني يربوع، ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر رضي الله عنه، اضطرب مالك في أموال الصدقات وفرقها، ويقال إنه ارتد، فأمر خالد بن الوليد ضرارَ بن الأزور الأسدي بقتله، فقتله في الردة، وقتل من قومه مقتلة عظيمة، وتزوج امرأته، ويقال: إن سخط عمر ابن الخطاب رضي الله عنه على خالد بن الوليد كان لهذا السبب. قتل مالك سنة ١٢ هـ/ ٦٣٤ م. انظر ترجمته في المصادر السابقة. والأعلام ٥/٢٦٧. ومنح المدح ص ٢٩٧.

(٣) دهري: همي، تقول: ما دهري بكذا: أي همي وإرادتي وعادتي. والتأبين: مدح الميت. أي أقسم بعمري إن دهري غير معنيّ برثاء أخي مالك، ولا هو بمشفقٍ علي لما أصابني من ضرباته المؤلمة.

(٤) المنهال: هو ابن عصمة الرياحي، كفن مالكاً، ألقى ثوبه على مالك بعد قتله ليستره. وغير مبطان العشيات: لا يعجل بالعشاء، ينتظر الضيفان، والأروع: الذي إذا رأيته راعك بجماله وحسنه.

(٥) البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لفقره أو نحو ذلك. وتهدي النساء: أي أنه ليس ممن تعطي النساء زوجه لحماً في شدة الشتاء، أي: أنه يعمل ويكسب، ويقوم على زوجته ويكفيها مؤونتها في كل حال. والقشع: بيت من جلد.

(٦) الخصيب: الرحب الفناء، السهل السخي، كثير العطاء. وأوضع: أسرع: أي إذا ما أتاه مجدب مسرع وجده خصيباً.

تَـراهُ كَصـدْرِ السَّيْفِ يَهْتَـزُّ لِـلنَّـدَى — إِذَا لم تَجِدْ عِندَ امْرِىءٍ السَّوْءِ مَطْمَعَا[١]

ويـومـاً إِذَا مـا كـظَّكَ الخَصْمُ إِنْ يَكُنْ — نَصِيـرَكَ منهم لا تَكُنْ أَنتَ أَضْيعـا[٢]

وإِنْ ضـرَّسَ الغَـزْوُ الـرِّجـالَ رأَيْتَـهُ — أَخا الحَرْبِ صَدْقاً في اللِّقاءِ سَمَيْدَعَا[٣]

ومَـا كـانَ وَقَّـافـاً إِذَا الخيـلُ أَجحَمَتْ — ولا طَـائشـاً عِنْـدَ اللِّقـاءِ مُـدَفَّعَـا[٤]

ولا بِـكَـهَـامٍ بَـزُّهُ عـن عَـدُوِّهِ — -إِذَا هُوَ لاقى- حـاسـراً أَو مُقَنَّعَـا[٥]

فَعَيْـنـيّ هـلاَّ تَبْـكِيـانِ لِـمَـالِـكٍ — إِذَا أَذْرَتِ الـرِّيحُ الكَنِيفَ المُـرَفَّعَـا[٦]

وضَـيْفٍ إِذَا أَرْغَـى طُـرُوقـاً بَـعِيـرَهُ — وعـانٍ ثَـوَى في القِـدِّ حَتَّى تَكَنَّعـا[٧]

وأرْمَـلَةٍ تَمْـشِـي بـأَشْـعَـثَ مُـحْـثَـلٍ — كَفَـرْخِ الحُبَارى رأْسُـهُ قد تَضَـوَّعَـا[٨]

أَبَـى الـصَّـبْـرَ آيـاتٌ أَراهَــا وأَنَّـنـي — أرى كُـلَّ حَبْلٍ بَعْـدَ حَبْلِكَ أَقْـطَعَـا[٩]

---

(١) كصدر السيف: أراد به السيف نفسه. وأنه صارم ماض كالسيف، يهرع للعطاء والنجدة، إذا ما بخل الآخرون بما لهم.

(٢) كظَّكَ: بلغ منك غاية الغم، حتى يقطعك عن الكلام، يقول: إذا ما قام مالك إلى جانبك وأنجدك، فإنه لا يضيع حقك، ولن تبقى مظلوماً.

(٣) ضرس: كدح وأثر فيهم. والصدق: الصلب. والسميدع: الجميل الشجاع المديد القامة.

(٤) أجحمت: جبنت وكفت. أراد بالخيل أصحابها. وقافا: غير متراجع أو منهزم. والمدفع: المدفوع يرغب عن حضوره لجبنه. أي: أنه لا يهرب خوفاً من الموت، بل يقاتل ببسالة إذا ما جبن الفرسان.

(٥) الكهام: الجبان. والكهام: الكليل، أي ليس سلاحه بكليل عن عدوّه. والبزّ: السلاح، والحاسر: الذي لا سلاح عليه. والمقنع: لابس السلاح واللأمة.

(٦) أذرت: ألقت. والكنيف: حظيرة من شجر تجعل للإبل تقيها من البرد. والمرفع: المرفوع. يقول: هلا تبكيان لمالك في ذلك الوقت لشدة الخلة وإطعامه الناس.

(٧) أرغى بعيره: إذا ضل الرجل أرغى بعيره، أي: حمله على الرغاء، لتجيبه الإبل برغائها، أو تنبح لرغائه الكلاب، فيقصد الحي. والعاني: الأسير، وثوى: أقام. والقد: السير من الجلد، أراد القيد. وتكنع: تقبض، يعني حتى يبس القيد على جلده. وهنا يتحسر ويبكي عليه لنجدته الضعيف الضائع، والأسير المقيد.

(٨) الأرملة: التي مات زوجها. والأشعث: المتلبد الشعر، عنى به ولدها. والمحثل: الذي أسيء غذاؤه، والحبارى: ضرب من الطير . وتضوع: تفرق، أراد شعره. وهنا يبكي عليه لنجدته المرأة التي تحمل وليدها الهزيل.

(٩) الآيات هنا: آثار كرمه التي عدّها في قصيدته قبل هذا البيت. يقول: لا صبر مع ما أراه من آثارك ومعالمك، فإني أذكرك إذا رأيتها.

وأنّي متى ما أدعُ باسْمِكَ لا تُجِبْ | وكُنْتَ جديراً أنْ تُجيبَ وَتُسْمِعَا[1]
وعِشْنَا بِخَيْرٍ في الحياةِ وقَبْلَنَا | أصابَ المنايا رَهطَ كِسْرَى وتُبَّعَا[2]
فلمّا تفرَّقْنَا كأنّي ومَالِكاً | لِطُولِ اجْتِماعٍ لم نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا[3]
وكُنّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمةَ حِقْبَةً | مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا[4]
فإنْ تَكُنِ الأَيَامُ فرَّقْنَ بَيْنَنَا | فقد بانَ مَحْمُوداً أخي حِينَ وَدَّعَا[5]
أقولُ وقد طارَ السَّنَا في رَبابِهِ | وَجَوْنٌ يَسُحُّ الماءَ حتَّى تَرَيَّعَا[6]
سقَى اللّهُ أرضاً حَلَّهَا قَبْرُ مالِكٍ | ذِهَابَ الغَوَادِي المُدْجِناتِ فأَمْرَعَا[7]
وآثَرَ سَيْلَ الوَادِيَيْنِ بِدِيمَةٍ | تُرَشِّحُ وَسْمِيًّا مِنَ النَّبْتِ خِرْوَعا[8]
فَمُجْتَمَعَ الأَسْدَامِ مِنْ حَوْلِ شَارعٍ | فرَوَّى جِبالَ القَرْيَتَيْنِ فَضَلْفَعَا[9]
فوَاللّهِ ما أُسْقِي البِلادَ لِحُبِّهَا | ولكِنَّني أُسْقِي الحَبيبَ المُوَدَّعَا[10]

---

(١) في هذا البيت يتألم ويتحسر، ويقول: إني أناديك فلا تجيب، وكنت تهرع من قبل إلى نجدتي وإجابتي.

(٢) كسرى: ملك الفرس. وتبع: لقب لملوك اليمن.

(٣) لطول اجتماع: بعد طول اجتماع. وقد جاءت اللام بمعنى بعد. أي: أن سعادتهما التي كانت زالت، ولم يعد لها أثر.

(٤) الندمان: النديم. أراد مالكاً وعقيلاً ابني فارج بن كعب من بني القين بن جسر بن قضاعة، نادما جذيمة الأبرش، حين ردا عليه ابن أخته عمرو بن عدي، فحكمهما فاختارا منادمته، فكانا نديميه دهراً، ثم قتلهما.

(٥) إذا كانت الأيام قد فرقت بينهما، فإن عزاءه أن أخاه لم يذم بل كان محموداً كريماً.

(٦) السنا: ضوء البرق. والرباب: السحاب المتراكم، والجون: السحاب الأسود، والتريع: التردد والاضطراب، ويقال للسحاب: «يتريع» إذا كثر فصار متحيراً متردداً. وهذا البيت مرتبط بالذي يليه.

(٧) الذهاب: جمع ذِهبة، وهي المطرة الغزيرة. والغوادي: التي تغدو بالمطر. والمدجِنات: السحاب التي تأتي بالدجن، والدجن: تغطية السماء بالسحاب. وأمرع: أخصب وأتى بالخصب. وهنا يستسقي لقبر أخيه.

(٨) آثر: خصّ، والديمة: المطر يدوم أياماً بلا ريح. وترشح: تربي وتنمي. والوسمي: أول النبات. والخروع: اللين من كلّ شيء. يتمنى أن ينهمر المطر على قبر أخيه حتى ينبت النبات الطري.

(٩) الأسدام: جمع سدم: وهو الماء المندفن يتغير من طول المكث. وشارع والقريتان وضلفع: مواضع. وهنا يعيّن المواضع التي يتمنى أن ينهمر عليها المطر.

(١٠) أسقي: أدعو بالسقيا، أي: أنه لا يستدر السحاب لتخصب البلاد التي ينزل بها، بل أنه يستدره حباً بأخيه المدفون بقبره فيها.

تَحِيَّتُهُ مِنِّي وإِنْ كانَ نائياً وأَمْسَى تُراباً فَوْقَهُ الأَرْضُ بَلْقَعَا[1]
تَقُولُ ٱبْنَةُ العَمْرِيِّ مالَكَ بَعْدَما أَراكَ حَدِيثاً ناعِمَ البالِ أَفْرَعَا[2]
فقُلْتُ لها: طُولُ الأَسَى إِذْ سأَلْتِنِي ولَوْعَةُ حُزْنٍ تَتْرُكُ الوَجْهَ أَسْفَعَا[3]
وفَقْدُ بَنِي أُمٍّ تَداعَوْا فلَمْ أَكُنْ خِلافَهُمُ أَنْ أَسْتَكِينَ وأَضْرَعَا[4]
ولكِنَّنِي أَمْضِي على ذاكَ مُقْدِماً إِذَا بعْضُ مَنْ يَلْقى الحُرُوبَ تَكَعْكَعَا[5]
وغيَّرَنِي ما غالَ قَيْساً ومالِكاً وعَمْراً وجَزْءاً بالمُشَقَّرِ أَلْمَعَا[6]
وما غالَ نَدْمانِي يَزِيدَ، ولَيْتَنِي تملَّيْتُهُ بالأَهْلِ والمَالِ أَجْمَعَا[7]
وإِنِّي وإِنْ هازَلْتِنِي قَدْ أَصابَنِي مِنَ البثِّ ما يُبْكِي الْحزينَ المُفَجَّعَا[8]
ولسْتُ إِذا ما الدَّهْرُ أَحْدَثَ نَكْبَةً وَرُزْءًا بِزَوَّارِ القَرائبِ أَخْضَعَا[9]
قَعِيدَكِ أَلَّا تُسْمِعِينِي مَلامَةً وَلَا تَنْكَئِي قَرْحَ الفُؤادِ فَيِيجَعَا[10]
فقَصْرَكِ إِنِّي قد شَهِدْتُ فلَمْ أَجِدْ بَكَفِّيَ عنهمْ لِلمَنِيَّةِ مَدْفَعَا[11]

---

(١) أرض بلقع: لا أحد بها ولا نبات. وهنا يحيي أخاه وإن كان بعيداً، وأمسى تحت التراب.
(٢) ابنة العمري: قيل زوجته، أي تقول له: مالك شاحباً متغيراً بعد أن كنت منذ قريب ناعم البال أفرع.
(٣) لوعة الحزن: حرارته. وأسفع: من السفعة، وهي سواد يضرب إلى حمرة.
(٤) تداعوا: تبع بعضهم بعضاً. وخلافهم: بعدهم. والضرع: الذلة والاستكانة. يقول: على الرغم من حزني على من فقدتهم، فإني لم أجبن ولم أذل.
(٥) التكعكع: الرجوع والنكوص. أي: اني أتقدم وأسير إلى العدو لقتاله ـ على الرغم مما أصابني ـ عندما يتخلف فرسان المعارك عن القتال.
(٦) غال: أهلك. قيس وعمر: رجلان من يربوع، وجزء: هو ابن سعد الرياحي، وهؤلاء قوم قتلهم الأسود ابن المنذر يوم أوارة، ومالك: أخوه. والمشقر: حصن بالبحرين. والمعا: قيل أراد «معاً». ثم أدخل الألف واللام. وقيل: «المعا» يريد الذين معاً.
(٧) يزيد: كان نديمه وابن عمّه. وتملّيْتُه: عشت معه ملاوة من الدهر وتمتعت به. والملاوة: مدة العيش. وبالأهل: أي بدلاً من أهلي ومالي.
(٨) البث: الحزن الشديد.
(٩) القرائب: جمع قرابة. بمعنى القريب. والأخضع: الراضي بالذل. يعني أنه لا يأتي أقاربه عند النكبة مستجدياً.
(١٠) قعيدك: أصله «قعيدك اللّه» وهو من أيمان العرب. كقولهم «نشدتك اللّه» ولا تنكئي: من قولهم «نكأت القرحة» إذا قشرتها. وييجع: يوجع. يتوسل إليها ألا تثير جراحه حتى لا توجعه وتؤلمه.
(١١) قصرك: أقلي وأقصري. وشهدت: يعني أنه حضر مصارعهم.

فلاَ فَرِحاً إنْ كنْتُ يوماً بِغِبْطَةٍ ولا جَزِعاً مِمَّا أصابَ فأَوْجَعَا[1]

فلو أنّ ما أَلْقَى يُصِيبُ مُتالِعاً أوِ الرُّكْنَ مِن سَلْمَى إذاً لَتَضَعْضَعَا[2]

وما وَجْدُ أظْآرٍ ثلاثٍ رَوائمٍ أصبْنَ مَجَرًّا مِن حُوارٍ وَمَصْرَعَا[3]

يُذَكِّرْنَ: ذَا البَثِّ الحَزِينَ بِبَثِّهِ إذَا حَنَّتِ الأُولَى سَجَعْنَ لها مَعَا

إذَا شارِفٌ مِنْهُنَّ قامَتْ فَرَجَّعَتْ حَنِيناً فأبْكَى شَجْوُها البَرْكَ أجْمَعَا

بِأوْجَدَ مِنِّي يومَ قامَ بِمَالِكٍ مُنادٍ بَصِيرٌ بِالفِراقِ فأسْمَعَا[4]

أَلَمْ تأْتِ أخبارُ المُحِلِّ سَرَاتَكُمْ فيَغْضَبَ منكم كلُّ مَنْ كانَ مُوجَعَا[5]

بِمَشْمَتِهِ إذْ صادَفَ الحَتْفُ مالِكاً ومَشْهَدِهِ ما قَدْ رَأَى ثُمَّ ضَيَّعَا[6]

أآثَرْتَ هِدْماً بالِياً وَسَوِيَّةً وجِئْتَ بِها تَعْدُو بَرِيداً مُقَزَّعَا[7]

فلاَ تَفْرَحَنْ يوماً بِنفسِكَ، إنّني أرى الموتَ وقّاعاً على مَنْ تَشَجَّعَا

لعَلّكَ يوماً أنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ عليكَ مِنَ اللاّئي يدَعْنَكَ أجْدَعَا[8]

نَعَيْتَ امْرأً لو كانَ لَحْمُكَ عندَهُ لآواهُ مَجْمُوعاً لـه أو مُمَزَّعَا[9]

---

(١) ويصرح ـ هنا ـ أنه أصبح فوق الأفراح والأتراح، لا يبالي بها.

(٢) متالع وسلمى: جبلان.

(٣) الأظآر: جمع ظئر، وهي العاطفة على غير ولدها المرضعة له، من الناس والإبل. والروائم: جمع رائم، وهن المحبات اللائي يعطفن على الرضيع، والحوار: ولد الناقة، وجمعه حيران. والمجر والمصرع: مصدران من الجر والصرع.

(٤) البث: الحزن الشديد. يعني أن النياق اللواتي رأين مصرع الولد الذي يرضعنه، فأخذن يرسلن الأصوات البعيدة، فتجيبها الإبل، ليست بأشد حزناً وجزعاً منه حين نودي بنعي أخيه. والشارف: المسنة من الإبل، وإنما خصّها لأنها أرق من الفتية، والبرك: الألف من الإبل. وبأوجد: بأشد وجداً.

(٥) المحل: هو ابن قدامة بن أسود بن أوس بن الحمرة... من يربوع... مر بمالك بن نويرة مقتولاً فنعاه كأنه شامت.

(٦) بمشمته: يعني شماتة المحل بمقتل مالك.

(٧) الهدم: الكساء الخلق. والسوية: كساء محشو بليف أو غيره. والمقزع: السريع الخفيف. أراد أن المحل ضنّ بثيابه أن يكفن فيها مالكاً، وأتى مسرعاً بخبره، كمجيء البريد.

(٨) الأجدع: المقطوع الأنف. والأقطع: المقطوع الأذن.

(٩) الممزع: الممزق، أو المفرق.

فـلا يَهْنِئِ الـوَاشِينَ مَقْتَـلُ مَـالِـكٍ فقـد آبَ شـانِيـهِ إيابـاً فـوَدَّعَـا[1]

- المفضليات، ص ٢٦٣ - ٢٧٠.
- جمهرة أشعار العرب، ص ٥٩٤ - ٦٠٣.

٦ - قصيدة الحطيئة[2] في هجاء الزِّبْرِقان بن بدر

(من البسيط)

واللّهِ مـا معشرٌ لامُـوا آمـرءاً جُنُبـاً في آلِ لأيِ بنِ شَمَّاسٍ بأكياسِ[3]
عَـلامَ كَـلَّفتـني مَـجْـدَ آبنِ عَـمِّكُـمُ والعِيسُ تَخْرُجُ مِنْ أعْلامِ أوْطَاسِ[4]

---

(١) الشانيء: المبغض، وسهلت الهمزة هنا.

(٢) الحطيئة لقب لقب به، واسمه جَرْوَلُ بن أوس بن مالك بن مخزوم بن مالك العبسي من مضر، يكنى: أبا مُلَيكة، وهو من فحول الشعراء، ومتقدميهم وفصحائهم، متصرف في جميع فنون الشعر من المديح، والهجاء والفخر والنسيب، مجيد في ذلك أجمع، وكان ذا شرٍّ وَسَفَهٍ، ونسبه متدافع بين قبائل العرب، وكان ينتمي إلى كلّ واحدة منها إذا غضب على الآخرين. وهو مخضرم. أدرك الجاهية والإسلام فأسلم، ثم ارتد، لم يسلم من لسانه أحد، حتى إنه هجا أمه... كانت تخشاه القبائل وقيل: إنه حين قدم المدينة جمعت له قريش العطايا خوفاً من شره... مات سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م.

أما قصيدته هذه، فقد هجا بها الزبرقان، ومدح بغيضاً، فشكاه الزبرقان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر رضي الله عنه: ما أسمع هجاءً، ولكنها معاتبة، فقال الزبرقان: أوما تبلغ مروءتي إلّا أن آكُل وألبس! فقال عمر: علي بحسان، فجيء به فسأله، فقال: لم يَهْجُه ولكن سلح عليه. ويقال: إنه سأل لبيداً عن ذلك فقال: ما يسرني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه، فأمر به عمر فجعل في نَقِير في بئر ثم ألقي عليه شيء فقال أبياتاً يستعطف فيها الخليفة منها:

مـاذا تـقـول لأفـراخ بـذي مـرخٍ زغـب الـحـواصـلِ لا مـاءٌ ولا شـجـرُ
ألـقـيـت كـاسـبـهـم فـي قـعـر مـظلمـة فـاغـفـر عـلـيـك سـلامُ الـلّـه يـا عـمـرُ

فأخرجه: وقال له: إياك وهجاء الناس. قال: إذا يموت عيالي جوعاً... ويقال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى منه أعراض المسلمين. انظر ترجمته: طبقات الشعراء، ص ٢٠ - ٢٥. والشعر والشعراء، ص١٨٠ - ١٨٧. والأغاني ٢/ ١٥٧ - ٢٠١. والزبرقان بن بدر التميمي السعدي صحابي. وقيل اسمه الحصين ولقب بالزبرقان (وهو من أسماء القمر) لحسن وجهه ولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه، فثبت إلى زمن عمر، وكف بصره في آخر عمره، توفي سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م. (الأعلام ٣/ ٤١).

(٣) الجنب: الغريب. يقول: لاموني في مدح هؤلاء فما أصابوا. أي: من لامني على مدح بَغِيض فليس بكيِّس لإحسانهم إليّ.

(٤) الأعلام: الجبال. وأوطاس: اسم موضع.

مـا كـانَ ذَنْبُ بَغِيضٍ لا أَبـاً لَكُـمُ	في بائِسٍ جاءَ يَحْدُو آخِرَ النّـاسِ [(١)]
لـقـد مَـرَيْتُـكُـمُ لـوْ أَنّ دِرَّتَـكُـمُ	يـوْماً يجيءُ بهَـا مَسْحي وإبْسـاسِي [(٢)]
وقـد مـدَحْتُكُـمُ عَمْـداً لأُرْشِـدَكُـمْ	كيمـا يكـونَ لكمْ مَتْحي وَإمـراسِي [(٣)]
وقـد نـظرتُـكُـمُ إعـشـاءَ صـادرةٍ	للخِمْسِ طالَ بها حَبْسي وتَنْسَـاسِي [(٤)]
فمـا مَلكْتُ بـأنْ كـانت نُفُـوسُكُـمُ	كَفَـارِكٍ كَـرِهَتْ ثـوبي وإلبـاسي [(٥)]
لمّـا بَـدا ليَ منكُـمْ غَيْـبُ أَنْفُسِكُـمْ	وَلَمْ يَكُـنْ لجِـراحـي منكُم آسِـي [(٦)]
أَزْمعتُ يـأْسـاً مُبينـاً مِنْ نَـوَالِـكُمْ	ولَنْ تَـرى طـارِداً للحُـرِّ كالْيـاسِ [(٧)]
أنـا ابنُ بَجْدَتِهـا عِلْمـاً وتَجْـرِبـةً	فسَـلْ بِسَعْدٍ تَجِدْني أَعْلَمَ النّـاسِ [(٨)]

(١) لا أبا لكم، ولا أمَّ لك: قيل كلمة تستحسنها العرب. فلا أبا لك: مدح، ولا أم لـك: ذمّ. ويقول الزوزني في شرح المعلقات السبع ص ٧٤: لا أبا لك: كلمة جافية لا يراد بها الجفاء. وإنما يراد بها التنبيه والإعلام. والبائس: أراد نفسه. والبائس الفقير. ويحدو: يسوق. يقول: أصابت الناس سنةٌ شديدة، وكان الحطيئة فيمن انحدر مع الناس. فلم يكن به من القوة أن يكون في أول الناس.

(٢) مريتكم: طلبت ما عندكم، وأصله من: مَرَيْتُ الناقة. وهو أن يمسح ضرعها لتدرّ. والدِّرّة والدَّر: اللبن. والإبساس: صوت تسكّن به الناقة عند الحلب، تقول: بُسٍّ بُسٍّ. والمعنى: طلبت ما عندكم من سيب ونائل فأبيتم عليّ: يقول: قد داريتكم ومدحتكم لتدروا عليّ بخير فأبيتم.

(٣) المتح: استسقاء الماء ببكرة. والإمراس: أن يزول الحبل عن مجراه من البكـرة فيردّ إليه. يريـد: مدحتكم ليكون مدحي لكم خالصاً. دون غيركم، فأبيتم.

(٤) نظرتكم: انتظرتكم. وإعشاء: جمع عَشاء، يقال: إبل عاشية: إذا كانت تُعَشّى. وصادرة للخمس: أي صدرت، وكان ظِمْؤُها خِمْساً فهي تُعشّى عشاءً طويلاً، والخمس: أن تُعْفَى الإبل أربع ليال لا تشرب، وتَرِدُ يوم الخامس. يقول: انتظرتكم مثل عشاء هذه الإبل. والتنساس: تَفْعال من النَّسّ. وهو السَّوق الشديد. ويقال: العطش، تقول: نسُّه العطش: إذا بلغ منه الجهد من العطش. والمعنى: انتظرت خيركم كما ينتظر الضيف مجيء الإبل الراجعة من الشرب، بعد أن أبطأت في المرعى، وقال ذلك لإبطائهم بخيرهم.

(٥) الباء في بأن زائدة، والفارك: المرأة المبغضة لزوجها. كرهت ثوبي: كرهت أن تدخل معي في ثوبي وأن تدخلني في ثوبها. والمعنى: لم أملك بغضكم، فأجعله حباً، فأنتم في ذلـك كحال الفـارك لزوجها.

(٦) غيب أنفسكم: أي لما ظهر لي ما كان غائباً في أنفسكم من البغض لي، ولم يكن فيكم مصلح لما بي من الفساد وسوء الحال. والآسي: المداوي.

(٧) أزمعت: عزمت وصممت.

(٨) ابن بجدة الأمر: أي هو عالم به. وبجدةالأمر: باطنه وحقيقته.

مـا كـانَ ذنبُ بَغِيضٍ أنْ رأى رجـلاً ... ذا فـاقةٍ عـاشَ في مُسْتَوْعِرٍ شـاس[1]

جـارٌ لِقَـوْمٍ أطـالُوا هُـونَ مَنْـزِلِـهِ ... وغَـادَرُوهُ مُـقِيمـاً بيـنَ أرمـاس[2]

مَـلُّوا قِـراهُ وَهَـرَّتْـهُ كِـلابُـهُـمُ ... وَجَـرَّحُـوهُ بـأنيـابٍ وأَضـراس[3]

دعِ المكـارمَ لا تـرحـلْ لِبُغْـيتِـهَـا ... وٱقعُدْ فإنّك أنتَ الطّاعِمُ الكـاسي[4]

وٱبعث يسـاراً إلى وُفْـرٍ مُـذَمَّـمـةٍ ... وٱحدِجْ إليها بذي عَرْكَيْنِ قِنْعـاسِ[5]

مَنْ يفْعَلِ الخَيْـرَ لا يَعْـدَمْ جَـوَازِيَـهُ ... لا يَـذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللَّهِ والنّـاسِ[6]

مـا كـانَ ذنـبيَ أنْ فلّتْ مَعـاوِلَـكُمْ ... مِنْ آلِ لأيٍ صَفـاةٌ أَصْلُهـا رَاسِ[7]

قـدْ نـاضـلُوكَ فسلُّوا مِنْ كِنـانتـهمْ ... مجـداً تليـداً وَنَبْـلاً غَيْـرَ أنْكَـاسِ[8].

- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، ص ٤٤ - ٥٣.

- ديوان الحطيئة برواية وشرح أبي سعيد السكري، ص ١٠٥ - ١٠٩.

٧ - من قصيدة لكعب بن مالك الخزرجي[9] يناقض بها ضرار بن الخطاب يوم بدر

(من الطويل)

عـجبـتُ لأمـرِ الـلَّهِ والـلَّهُ قـادرُ ... عـلى مـا أرادَ، ليسَ لِـلَّهِ قـاهِـرُ

---

(١) المستوعر: المكان الوعر. والشاسيء بالهمز: الـوعر، الغليظ، والمعنى: لم يكن ذنب بغيض عند الزبرقان إلّا أنه دعاني فأحسن إليّ لأنه رآني ضائعاً في مكان وعر قاحل فأعانني.

(٢) الهون: الهوان والمذلة.. وغادروه: خلّفوه. والأرماس: القبور. يقول: كنت بينكم كأني بين موتى.

(٣) هرته كلابهم: ضجروا بـه، وجرحـوه: أساءوا إليـه وآذوه. وقيل: أكلوا لحمـه غيبة والمقصـود آل الزبرقان. وهرته الكلاب: نبحته، كناية عن أنه كان غريباً مضطهداً بينهم.

(٤) الطاعم: الحسن الحال في المطعم، أي أنك ترضى بأن تشبع وتلبس، وكسي الرجل بكساء: إذا اكتسى.

(٥) يسار: عبد الزبرقان ، أو هو راعي إبله. والوفر: السقاء الكامل لم ينقص من أديمه شيء، ومذممة: يذمها الأضياف والجيران. واحدج إليها؛ أي: ارحل إليها. والعركان: الضاغطان يكونان تحت إبطي البعير. والقنعاس: الشديد. يقول: ابعث يساراً ليأتيك بالسقاء المذممة التي لا يسقى منها الضيفان ولا الجيران. والمراد: أن هذا هو عملكم دون المكارم.

(٦) الجوازي: جمع جازية أو جاز أو جزاء. والعرف: المعروف.

(٧) فلّت: ثلمت. والصفاة: الصخرة الملساء، أي: صارت معاولكم لا تعمل في صفاة آل بغيض، يقول: ما كان ذنبي ، فإني مدحت هؤلاء لأنهم أشرف منكم ولهم مجد راسٍ لا تطيقون إزالته.

(٨) المناضلة: المفاخرة والمراماة، أي لما رميت ورموا فلجوا عليك، وجاءوا بما لم تجيء به، كأنهم فاخروه، فرجحوا عليه بآبائهم وأجدادهم. والنكس من السهام: المنكوس: الذي جعل أعلاه أسفله فهو ضعيف أبداً.

(٩) هو كعب بن عمرو بن القين بن كعب بن سواد من الخزرج. من شعراء الرسول ﷺ، نافح عنه بالشعر=

قضى يــوْمَ بــدرٍ أنْ نُــلاقيَ معشــراً بغَـوْا وسبيـلُ البغيِ بـالنّـاسِ جـائـرُ
وقــدْ جشـدُوا، واستنفـروا من يليهمُ مِنَ النّـاسِ، حتى جمعُهم متكـاثـرُ
وســارتْ إلينـا لا تـحـاول غَيْـرَنـا بـأجمعهـا: كعبٌ جميعـاً، وعـامـرُ
وفينـا رسـولُ اللّهِ، والأوسُ حـولَـه لـه مَعْقِـلُ منهـم عـريـزٌ ونَـاصِـرُ
وجمْـعُ بني النجـارِ تحـتَ لـواتـهِ يُمَشُّـون في الماذِيِّ، والنقـعُ ثـائـرُ[1]
فلمّـا لقينـاهُـمْ وكـلٌّ مجـاهـدٌ لأصحابِـهِ مُسْتَبْسِـلِ النفسِ صـابِـرُ
شهـدنـا بـأنّ اللّه لا ربَّ غيـرُه وأنّ رسـولَ اللّهِ بـالـحـقِّ ظـاهِـرُ
وقــد عَـرِيَتْ بيضٌ خِفـافٌ كـأنّهـا مقـابيسُ يُزْهيهـا لعينيـكَ شـاهـرُ[2]
بهـنّ أَبـدْنـا جـمعَـهـمْ فـتبـدّدُوا وكـان يـلاقي الحيْنَ مَنْ هُـوَ فـاجِـرُ
فكبَّ أبـو جهـلٍ صـريعـاً لـوجهِـهِ وعُتْبَـةَ قـد غـادَرْنَهُ وهـو عـاثـرُ[3]
وشيبـةَ والتّيْمِيَّ غـادرنَ في الـوغى ومـا منهـم إلاّ بـذي العـرشِ كـافـرُ
فـأمسـوْا وقـودَ النارِ في مستقـرّهـا وكـلٌّ كـفـورٍ فـي جـهـنّـمَ صـائـرُ

= والسيف. ألبسه النبي ﷺ لأمته، أي درعه، يوم أحد، ولبس عليه السلام لأمة كعب، فجرح كعب أحد عشر جرحاً، وكان كعب عثمانياً، وله مراث في عثمان بن عفان رحمه اللّه. دعا الأنصار لنصرته قبل قتله، روى بعض الأحاديث عن الرسول ﷺ، عاش سبعاً وسبعين سنة، توفي سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠م. انظر: الأغاني ٢٢٦/١٦ - ٢٤٠. ومنح المدح لابن سيدالناس، ص: ٢٧٠ـ ٢٧٤، وسير أعلام النبلاء ٥٢٣/٢ ـ ٥٣٠. والأعلام ٢٢٨/٥.

وفي هذه القصيدة يناقض ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري (فارس شاعر، صحابي. قاتل المسلمين يوم أحد والخندق، أشد قتال، وأسلم يوم فتح مكة ولم يكن في قريش أشعر منه، استشهد سنة ١٣ هـ/ ٦٣٤م) (الأعلام ٢١٥/٣) الذي توعد المسلمين بجولة أخرى بعد بدر في السنة الثانية للهجرة، منكراً على الأنصار فخرهم بانتصارهم، عازياً سبب الانتصار إلى قيادة الرسول ﷺ ومن معه من المهاجرين، لا إلى بطولة الأنصار من حول الرسول ﷺ، وقصد ضرار واضح تماماً، فهو يريد أن يحول النصر الذي حققه المسلمون ـ أنصارهم ومهاجروهم ـ إلى قريش التي ينتمي إليها الرسول ﷺ والمهاجرون، ليجرد الأنصار من هذه الفضيلة. (كعب بن مالك الأنصاري، شاعر العقيدة الإسلامية للدكتور سامي مكي العاني، ص ١٠٣).

(١) الماذي: السلاح المجلو.
(٢) المقابيس: مفردها المقباس، وهو شعلة النار. ويزهيها: يشعلها.
(٣) غادرنه: أي السيوف.

وكــان رســولُ اللّهِ قــد قــال: أقبلــوا فَــولَّوْا، وقــالــوا: إنّمــا أنت ســاحــرُ
لأمــرٍ أراد الــلَّهُ أنْ يَــهْــلِكــوا بــه ولـيس لأمــرٍ حَــمَّــهُ الــلَّهُ زاجــرُ[1]

ـ السيرة النبوية ٣/١٤ ـ ١٥.

ـ كعب بن مالك الأنصاري ـ شاعر العقيدة الإسلامية، ص ٩٧ ـ ٩٨ ـ ١٠٥.

٨ ـ من همزية حسان بن ثابت الأنصاري[2] في مدح الرسول ﷺ، وفي هجاء أبي سفيان

(من الوافر)

عــدِمْنَــا خَيْلَنَــا، إنْ لــم تَــروْهَــا تُثِيــرُ النَّقْــعَ، مَــوْعِــدُهــا كَــدَاءُ[3]
يُــبَــارِيــنَ الأعِــنّــةَ مُــصْــعِــداتٍ، على أكْتــافِهَــا الأَسَــلُ الــظِّمــاءُ[4]
تَــظَلُّ جِــيــادُنَــا مُــتَــمَــطِّراتٍ، تُــلطِّمُــهُــنّ بِــالــخُــمُــرِ الــنِّــسَــاءُ[5]
فــإمّــا تُــعْــرِضُــوا عنّــا اعــتَمَــرْنَــا وكــانَ الفَتْــحُ، وانْكَشَفَ الغِــطاءُ[6]
وإلا، فــاصْــبِــرُوا لِــجــلادِ يَــوْمٍ يُــعِــزُّ الــلَّهُ فــيــهِ مَــنْ يــشــاءُ[7]

---

(١) حمّه اللّه: قضاه. وزاجر: راد.

(٢) حسان بن ثابت (الأنصاري) بن المنذر... بن النجار، أبو الوليد، صحابي، شاعر الرسول ﷺ، وهو من المخضرمين، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام، كان من سكان المدينة، مدح المناذرة والغساسنة، أسلم مع الأنصار بعد الهجرة. يختلف شعره الجاهلي عن شعره الإسلامي، نافح عن الرسول ﷺ ضد المشركين، وقال النبي ﷺ: «لا يحبّه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق». توفي سنة ٥٤ هـ /٦٧٤ م في خلافة معاوية، انظر ترجمته في: السيرة النبوية. وطبقات الشعراء، ص ٥٢ ـ ٥٤. والشعر والشعراء، ص ١٧٠ ـ ١٧٤. والأغاني ٤/١٣٤ ـ ١٦٩ و١٥/١٥٧ ـ ١٧٣. وسير أعلام النبلاء ٢/٥١٢ ـ ٥٢٢. وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم الرسول ﷺ وأخوه من الرضاعة كان من الشعراء المطبوعين، وكان في جاهليته يؤذي الرسول ﷺ ويهجوه، ثم أسلم وحسن إسلامه، واعتذر للرسول ﷺ مما فرط منه.
وفي هذه القصيدة يمدح حسان رضي اللّه عنه المصطفى ﷺ وذلك قبل فتح مكة، ويهجو أبا سفيان، وكان هجا النبي ﷺ قبل إسلامه. (الديوان ص ٥٧).

(٣) النقع: الغبار. وكداء: الثنية العليا بمكة مما يلي المقابر. وفي الحديث أنه دخل مكة عام الفتح من كداء. وجملة عدمنا: دعائية.

(٤) يبارين: يجارين الأعنة في سرعة الانقياد. والأسل: الرماح.

(٥) متمطرات: مسرعات. والخمر: الواحد، خمار: ما تغطي به المرأة رأسها.

(٦) اعتمرنا: أدينا العمرة، وهي، زيارة البيت الحرام بالشروط المخصوصة المعروفة.

(٧) الجلاد: التضارب بالسيوف في القتال.

وجِبْرِيلٌ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا ... ورُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ[1]

وقالَ اللَّهُ: قد أَرْسَلْتُ عَبْداً ... يقُولُ الحَقَّ إنْ نَفَعَ البَلاءُ[2]

شَهِدْتُ بِهِ، فقُومُوا صَدِّقُوهُ! ... فقُلْتُمْ: لا نَقُومُ وَلا نَشاءُ[3]

وقال اللَّهُ: قد يَسَّرْتُ جُنْداً ... هُمُ الأَنْصارُ، عُرْضَتُها اللِّقَاءُ[4]

لنَا في كُلِّ يومٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبابٌ، أَوْ قِتالٌ، أَوْ هِجاءُ[5]

فنُحْكِمُ بالقَوافِي مَنْ هَجَانَا، ... ونَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّماءُ[6]

ألا أَبْلِغْ أَبا سُفْيانَ عَنِّي ... فأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ[7]

بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْداً ... وعَبْدَ الدَّارِ سادَتُها الإِمَاءُ[8]

هَجَوْتَ مُحَمَّداً، فأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللَّهِ في ذاكَ الجَزَاءُ

أتَهْجُوهُ، وَلَسْتَ لهُ بِكُفْءٍ ... فشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِداءُ

هَجَوْتَ مُبارَكاً، بَرّاً، حَنِيفاً ... أَمِينَ اللَّهِ، شِيمَتُهُ الوَفَاءُ

فمَنْ يَهْجُو رسولَ اللَّهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ، وَيَنْصُرُهُ سَواءُ

فإنَّ أبي ووالِدَهُ وَعِرْضي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ[9]

فإمَّا تَثْقَفَنَّ بنو لُؤَيٍّ ... جُذَيْمَةَ، إنَّ قَتْلَهُمْ شِفَاءُ[10]

---

(١) وروح القدس: هو جبريل عليه السلام، لأن القدس الطهارة وهو من الطهارة خلق. الكفاء: النظير.

(٢) عبداً: يعني الرسول ﷺ. والبلاء: الامتحان والاختبار.

(٣) شهدت به: آمنت وصدقت.

(٤) عرضتها: أي همتها وقوتها، يريد أن الأنصار أقوياء على القتال.

(٥) لنا: يعني معشر الأنصار، وقوله من معدّ: يريد قريشاً لأنهم عدنانيون.

(٦) نحكم: نمنع.

(٧) المجوف: الجبان لا قلب له، ومثله النخب والهواء.

(٨) عبداً: يريد أبا سفيان. وعبد الدار: بطن من قريش، قال لهم أبو سفيان في غزوة أحد: إنكم ضيعتم اللواء يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم فادفعوا اللواء إلينا، فغضبوا له... ويقال إنه انتقل اللواء في غزوة بدر إلى عدة أشخاص من عبد الدار، إلى أن أخذه عبد لهم أسود يسمى صوال فقتل وهو في يده، ثم أخذته امرأة منهم، فاجتمعوا حواليه.

(٩) عرض الرجل: نفسه لا غير. وقيل: عرض الرجل، أسلافه وآباؤه.

(١٠) تثقفن: من ثقفه: أدركه وظفر به. وبنو لؤي: فاعله، وجذيمة: مفعوله.

أولئكَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا عَلَيْنَا   فَفِي أَظْفَارِنَا مِنْهُمْ دِمَاءُ[1]
وحِلْفُ الحارِثِ بْنِ أبي ضِرَارٍ   وحِلْفُ قُرَيْظَةٍ مِنَّا بَرَاءُ[2]
لِساني صارمٌ لا عَيْبَ فيهِ   وبَحْرِي لا تُكَدِّرُهُ الدِّلاءُ[3]

- ديوان حسان بن ثابت، ص ٧١ - ٧٧.
- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص ٥٧ - ٦٦.

٩ - قصيدة مالك بن الريب التميمي[4] في رثاء نفسه[5]

(من الطويل)

ألا ليْتَ شِعري هَلْ أَبيتَنَّ ليلةً   بجَنبِ الغَضَى، أُزجي القِلاصَ النّواجِيا[6]

---

(١) نصروا علينا: أي نصروا أعداءنا.

(٢) الحارث: قاد بني المصطلق ليساعد قريشاً على حرب المسلمين في أحد، وكان من بين الأسرى جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار أم المؤمنين، وأسلم الحارث بعد ذلك. وقريظة هم بنو قريظة إخوة النضير: حيان من اليهود. كانوا بالمدينة.

(٣) شبه لسانه بالسيف الصارم. وشبه شعره بالبحر الصافي الذي لا تكدره الدِّلاء.

(٤) هو من مازن تميم، وكان فاتكاً لصاً، نشأ في بادية بني تميم بالبصرة، وهو من شعراء الإسلام في أول أيام بني أمية، اشتهر في أوائل العصر الأموي، ويروى عنه أنه قطَعَ الطريق مدة. ويقال: إن معاوية بن أبي سفيان استعمل سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان، فمضى سعيد بجنده في طريق فارس، فلقيه بها مالك بن الريب المازني، وكان من أجمل الناس وجهاً، وأحسنهم ثياباً، فلما رآه سعيد أعجبه، وقال له: ويحك تفسد نفسك بقطع الطريق؟ وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد وفيك هذا الفضل؟ قال: يدعونى إليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان، قال: فإن أنا أغنيتك واستصحبتك، أتكفُّ عما كنت تفعل؟ قال: إي والله أيها الأمير، أكفّ كفّاً لم يكفُّ أحدٌ أحسن منه، قال: فاستصحبه، وأجرى له خمسمائة درهم في كل شهر. وأخباره مع شِظاظ الضَّبِّيِّ وغيره من قطاع الطرق كثيرة. وقد توفي سنة ٦٠ هـ/٦٨٠م. في مرو، وهي اليوم مدينة في الاتحاد السوفياتي واسمها ماري، منها خرج أبو مسلم الخراساني، فتحها العرب سنة ٦٥١م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء ص ٢٠٥ - ٢٠٧. والأغاني ٣٠٤/٢٢ - ٣٢٥. والأمالي للقالي ١٣٥/٣ - ١٣٩. والأعلام ٢٦١/٥.

(٥) يقال إنه ذهب في صحبة سعيد بن عثمان بن عفان، حينما سار بجنده في طريق فارس، حتى إذا أناخ الركب في بعض المنازل، نزل مالك للقيلولة، ولما هموا بالرحيل أراد أن يلبس خفَّه، فلسعته أفعى كانت قد اندست فيه، فلما أحس بالموت أنشأ يرثي نفسه. ويقال: مكث مالك بخراسان، بعد مقتل سعيد، فقال يذكر مرضه وغربته. ومات في منزله، وقبره هناك معروف. ويقال: مات في خان، فرثته الجانُّ لما رأت من غربته ووحدته، ووضعت الصحيفة التي فيها القصيدة تحت رأسه... انظر: الأغاني ٣٢٣/٢٢ - ٣٢٤. والأمالي للقالي ١٣٥/٣. وقد آثرنا وضع هذا الشاعر ضمن الشعراء الإسلاميين، وإن كان قد نظم هذه القصيدة في العصر الأموي.

(٦) الغضى: شجر ينبت في الرمل. وأزجي: أسوق. والقلاص والقلائص والقُلُص والقُلْصان جمع=

فليْتَ الغَضَى لَمْ يَقْطَعِ الركبُ عَرضهُ ... وليتَ الغَضَى ماشَى الرَّكابَ لياليا[1]

لقد كانَ في أهلِ الغَضَى، لو دنا الغَضَى ... مزارٌ، ولكنّ الغَضى ليْسَ دانيا[2]

أَلَمْ تَرَني بِعْتُ الضّلالةَ بالهُدى ... وأَصْبَحْتُ في جيشِ ابنِ عفّانَ غازيا[3]

وأُصبحتُ في أرضِ الأعادِيِّ بعدما ... أرانيَ عن أرضِ الأعاديِّ قاصيا

***

لعَمْري لئن غالتْ خُراسانُ هامَتي ... لقد كنتُ عن بابَيْ خراسانَ نائيا[4]

فللّهِ دَرِّي يومَ أتركُ طائعاً ... بنيَّ بأعْلى الرَّقمَتَيْنِ، وماليا[5]

ودَرُّ الظّبّاءِ السّانِحاتِ عشيّةً ... يُخَبّرْنَ أني هالكٌ مَن وَرائيا[6]

ودَرُّ كَبيرَيَّ اللّذين كِلاهُما ... عليّ شفيقٌ، ناصحٌ، قد نَهانِيا

ودَرُّ الهوَى من حيْثُ يدعو صِحابَهُ ... ودَرُّ لَجاجاتي، ودَرُّ انْتِهائيا[7]

تذكّرْتُ من يبْكي عليَّ، فلم أجِدْ ... سِوَى السيْفِ والرّمحِ الرُّدَينيِّ باكيا[8]

وأشْقَرَ خِنْذيذٍ يَجُرّ عِنانَهُ ... إلى الماء، لم يتْرُكْ لهُ الدهْرُ ساقيا[9]

* * *

= القُلوص: الإبل الطويلة القوائم، وهي الشابة منها أو الباقية على السير. و النواجي: السِّراع.

(١) فليت الغضى لم يقطع الركبُ عرضه: أي ليته طال عليهم الاسترواح إليه والشوق. والركاب: الإبل وجمعها الركائب. وليت الخ: أي ليته طاولهم.

(٢) يقول: لو دَنَوْا قدرنا أن نزورهم، ولكن الغضى ليس يدنو، وهذا على التلهف.

(٣) جيش ابن عفان: يعني سعيد بن عثمان بن عفان. يقول: بعتُ ما كنتُ فيه من الفتك والضلالة بأن صرتُ في جيشه.

(٤) غاله: أهلكه وأخذه من حيث لا يدري. والهامة: الرأس.

(٥) للّه دري: كلمة استحسان استعملها هنا للتحسر. والرقمتان: موضع قرب البصرة، كان فيه منزل الشاعر. وهنا: تعجّب من نفسه حين اغترب عن ولده وماله.

(٦) الظباء: النساء من أهله، كنّ قد تشاءمن من سفره. وإما أنه يقصد: الظباء التي سنحت وجاءت من المياسر إلى الميامن، وهو ما كانت تتيمن به العرب، وهي كانت خداعة بذلك، حيث تدبر الشؤم والهلاك.

(٧) وهنا يتهكم بأن مطامعه دفعته إلى الهلاك، وأن الموت كان انتهاء مطامعه.

(٨) يقول: كنت أحمل السيف والرمح، فهما خليلان، وأنا ها هنا غريب فليس أحد يبكي عليّ غيرهما. والرديني: منسوب إلى ردينة، وهي امرأة كانت تقوم الرماح.

(٩) وأشقر: أي فرس أشقر، والخنذيذ: الجواد الكريم الأصل، الطويل الصلب.

صريعٌ على أَيْدِي الرِّجالِ بِقَفْرَةٍ يُسَوُّونَ قَبري، حيثُ حُمَّ قضائيا[1]

ولمّا تَراءَتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنيَّتي وخَلَّ بها جِسْمِي، وحانَتْ وَفاتِيا[2]

أقولُ لأصْحابي ارْفعوني لأنّني يَقَرُّ بِعَيني أَنْ سُهَيْلُ بدَالِيا[3]

فيا صاحبَيْ رَحْلي! دنا الموْتُ، فانزلا برابيةٍ، إنّي مُقيمٌ لياليا

أقيما عليَّ اليوْمَ، أو بعضَ ليلةٍ ولا تُعْجِلاني قد تبيَّنَ ما بِيا

وقوما، إذا ما استُلَّ روحي، فهيِّئا ليَ القبرَ والأكفانَ، ثم ابكيا ليا

وخُطّا بأَطْرافِ الأسنّةِ مَضْجَعِي وردّا على عَيْنَيَّ فضْلَ ردائيا[4]

ولا تَحْسُدَاني، بارك اللّهُ فيكما مِنَ الأَرْضِ ذاتِ العَرضِ أن توسِعا ليا

خُذَاني، فجُرَّاني ببُردي إليكما فقد كنتُ، قبلَ اليومِ، صَعباً قياديا[5]

فقد كنتُ عطّافاً، إذا الخيلُ أَدْبَرَتْ سَريعاً لدى الهيْجا، إلى مَن دعانيا[6]

وقد كنتُ محموداً لدَى الزّادِ والقِرَى وعنْ شتْمِ إبنِ العمِّ والجارِ وانِيا[7]

وقد كنتُ صبّاراً على القِرنِ في الوَغى ثقيلاً على الأعداءِ، عضْباً لسانيا[8]

وطَوْراً تَراني في ظِلالٍ ومَجْمَعٍ وطَوْراً تَراني، والعِتاقُ ركابيا[9]

وطَوْراً تراني في رحىً مُستديرةٍ تُخرِّقُ أَطْرافُ الرّماحِ ثيابيا[10]

---

(١) القفرة: التي ليس بها أحد ولا شيء.

(٢) خل بها جسمي: اختل، أي اضطرب وهزل.

(٣) يريد أن سهيلاً (نجم) لا يرى بناحية خراسان فقال: ارفعوني لعلّي أراهُ فتقرّ عيني برؤيته لأنه لا يُرى إلاّ في بلده.

(٤) الأسنة: الرماح، وخطّا بأطراف: أي احفرا.

(٥) بردي: ثوبي.

(٦) الهيجا: الحرب.

(٧) همزة ابن همزة وصل، ولكنها قطعت لضرورة الشعر.

(٨) القرن: الخصم. والوغى: الحرب. والعضب: السيف القاطع.

(٩) العتاق: جمع العتيق، وهو الفرس الكريم، يصف نفسه في السلم بأنه يتمتع بلذة العيش وظلال النعيم، وأنه كان صاحب رأي إذا التقت المجامع، وأنه فارس شجاع يمتطي متون الخيل، إذا ما نشبت المعارك أو الحروب.

(١٠) أراد بالرحى المستديرة: الحرب.

وقُومـا على بِئْـرِ الشُّبَيْـكِ، فـأَسْمِعـا بها الوَحْشَ وَالبِيضَ الحسانَ الروانيا[1]

بـأنّـكُمـا خـلّفـتُمـانِي بِـقفْــرَةٍ تُهِيـلُ عليَّ الـرِّيحُ فيهـا السـوافيا[2]

ولا تَنْسيَـا عَهْــدي، خليليَّ، إنّـني تَقَـطَّعُ أوصـالي، وَتَبْلى عِـظامِيـا[3]

فلنْ يَعْــدمَ الـوالـونَ بيتـاً يـجُنُّني ولنْ يعـدَمَ الميراثُ منّي المـواليـا[4]

يقـولـون: لا تَبْعَـدْ، وهُم يـدفنـونني وأَيْنَ مكــانُ البُعـدِ إلّا مَكـانِيـا؟[5]

غَـداةَ غَـدٍ، يـا لهْفَ نفْسي على غـدٍ إذا أَدْلَجُـوا عنّي، وخُلّفتُ ثـاويـا[6]

وأَصبـحَ مـالي، من طَـريفٍ وتـالـدٍ لِغَيْري وكان المـالُ بالأمسِ مـاليا[7]

فيـا ليْتَ شعري، هـل تغيّرَتِ الـرَّحى رحَى الحرْبِ، أو أَضْحت بِفَلْجٍ كما هيا[8]

إذا القــوْمُ حلُّوهـا جميعــاً، وأنْـزلـوا لهـا بَقَـراً حُمَّ العيـونِ، سـواجِيـا[9]

وعِـينٌ وقــدْ كـانَ الـظّلامُ يُـجِنُّهــا يَسُفْنَ الخُزامى نَـورَها والأقـاحيـا[10]

وهـلْ تَرَكَ العيسُ المَـراقيلُ بـالضّحى تَعـاليَهَـا تعلو المُتــونَ القَيـافيـا[11]

إذا عُصَـبُ الـرُّكْبـانُ بيـنَ عُـنيـزةٍ وبُولانَ، عاجُوا المُنْقِياتِ المَهـارِيا[12]

---

(١) الشبيك: موضع في بلاد بني مازن. والرواني: الناظرات بعطف وحنان.

(٢) السوافي: ما تحمله الريح من التراب فتذريه. والقفرة: الأرض الخالية.

(٣) الأوصال: المفاصل.

(٤) بيتا يجنني: قبراً يواريني. والمواليا: الأقارب. أي: أن لي من أهلي من يرثني.

(٥) لا تبعد: لا تهلك. وكان من عادة العرب أن تقول عند دفن الميت: لا تبعد.

(٦) أدلجوا: ساروا ليلاً، وثاو: مقيم.

(٧) الطريف: المال المكتسب حديثاً. والتليد: المال الموروث.

(٨) ليت شعري: أي ليت أعرف أو أشعر أو أعلم. والفلج: موضع.

(٩) حلوها: نزلوا بها. وحم العيون: سوداء. والحم: جمع الحماء وهي السوداء. والسواجي. جمع الساجية وهي العين الساكنة، ويريد بالبقر: النساء الجميلات.

(١٠) وعين: هناك رواية رعين. ويجنها: يخفيها. ويسفن: يشممن. والخزامى: نبت طيب الرائحة. والأقاحي: جمع الأقحوان.

(١١) العيس: الإبل. والمراقيل: جمع المرقال، وهي السريعة: والتعالي: الارتفاع في السير. والمتون: الجهات المرتفعة، والفيافي: جمع الفيفاء، وهي الأرض الغليظة أي: الصحاري.

(١٢) عنيزة: موضع، وبولان: موضع، وعصب: اجتمع. وعاجوا: عطفوا. والمنقيات: النياق السمينة. والمهاري: جمع المهرية، إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن.

ويـا لَيْتَ شعري هـل بكَتْ أُمُّ مـالـكٍ … كمـا كنتُ لـوْ عـالَوْا نَعِيَّكِ بـاكيـا[1]
إذا مُتُّ فـاعْتـادي القُبـورَ، وسلّمي … على الرَّيمِ، أُسقيتِ الغَمامَ الغَواديا[2]
تَـرَيْ جَدَثـاً قد جَرَّتِ الـرِّيـحُ فـوقَـه … غُبـاراً كلونِ القَسْـطَلانيِّ هـابِيـا[3]
رَهِينـةَ أَحْـجـارٍ وتُـرْبٍ تضـمّـنَتْ … قَـرارَتُهـا منّي العِـظامَ البَـوالِيـا[4]
فيـا راكبـاً إمّـا عـرضـتَ فبـلّغَنْ … بني مـالـكٍ والرَّيْبِ أنْ لا تـلاقِيـا[5]
وَبلّغ أخي عِمـران بُردي ومِئْـزري، … وبلّغ عَجُـوزِي آليـومَ أنْ لا تـدانيـا[6]
وَسـلّمْ على شـيخيّ مِنّي كِلَيْهِمـا، … وبـلّغ كَثيـراً وابْنَ عـمّـي وخَـالـيـا
وعَطّـلْ قَلوصي في الـرِّكـاب، فـإنّها … ستُبْـردُ أكبـاداً وتُبـكـي بَـواكِـيـا
أُقلّبُ طَـرْفي فـوْقَ رَحْلي، فـلا أرى، … بـهِ من عُيـونِ المُؤنِسـاتِ مُـرَاعِيـا
وبـالـرَّمـلِ منّي نِسْـوَةٌ لـو شهِـدنَني … بكينَ وفـدّيْنَ الـطّبيبَ الـمُـداويـا
فمِنْهُنّ أمّـي، وابْنـتـاهـا، وخـالـتي … وبـاكيـةٌ أُخـرى تَهِيـجُ البَـواكِيـا[7]
ومـا كـان عَهْـدُ الـرّمْـلِ منّي وأهلِهِ … ذميمـاً، ولا بالـرّمْـلِ وَدَّعْتُ قـاليـا[8]

- جمهرة أشعار العرب (طبعة دار بيروت) ص ٢٦٩ - ٢٧٢.
- جمهرة أشعار العرب (تحقيق محمد البجاوي) ص ٦٠٧ - ٦١٥.
- الأمالي للقالي ٣/١٣٥ - ١٣٨.

(١) عالوا: رفعوا، أي بلغوا، والمعنى: هل بكت أم مالك، كما كنت باكياً عليها لو بلغوني نعيها.
(٢) اعتادي القبور: الزميها. والريم: القبر. والغوادي: جمع الغادية، وهي السحابة الباكرة المطر.
(٣) القسطلاني: قوس قزح، وحمرة الشفق. وهو أيضاً غبار الحرب. وهابيا: من هبا الغبار، إذا انتشر في الجو.
(٤) رهينة أحجار: أي في القبر عليّ التراب والحجارة. والقرارة: بطن الواديْ حيث يستقر الماء، وصيّره مَثلاً للقبر وبطنه.
(٥) يروى: والريث: وهي قبيلة.
(٦) البرد: الثوب والمئزر: أي الإزار الذي يشد به.
(٧) وباكية أخرى: يريد زوجته.
(٨) الذميم: المذموم، ويقال: المُبْغَض. والقالي: المبغِض.

ثانيا: النثر

١ ـ خُطْبَةُ حَجَّةِ الوداعِ للنَّبي ﷺ(١)

قال الرسول ﷺ:

الحمد للَّهِ، نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ، ونَسْتَغْفِرُه ونَتُوبُ إِلَيْه، ونَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شـرورِ

(١) باعث الخطبة: استعد الرسول ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة لأداء فريضة الحج، وهي حجّة الوداع التي لم يحجّ غيرها منذ هاجر إلى المدينة ـ وإن كان قد حجّ حجتين قبل أن يهاجر ـ وقيل: إنه مكث تسع سنين لم يحـج ثم أُذِّن في الناس في السنـة العاشـرة أن رسول ﷺ حـاجٌ، وما أن انتشـر خبر حِـجّ الرسول ﷺ في أنحاء الجزيرة العربية، حتى تجمعت القبائل، فقدم المدينة بشرٌ كثير كلُّهم يلتمس أن يأتم بالرسول ﷺ، ويعمل مثلَ عمله وينال شرف المصاحبة، وقد بلغ عدد المسلمين يومئذٍ «حوالي مائة ألف» وبدأ ركب الرسول ﷺ يولّي وجهه شطر المسجد الحرام في اليوم الخامس لخمس بقين من ذي القعدة، وقد حجّ بالناس، فأراهم مناسِكهم وعلّمهم سُنَنَ حجهم، وخطب خطبته التي بيّن فيها للناس ما بيّن، وكان الذي يبلّغ عنه بعرفة ربيعة بن أميّة بن خلف لكثرة الناس. وقـد صحب معه جميع زوجاته، وكأنه شعر أن هذه الحجة هي آخر عهده بالحياة الدنيا. ـ

وقد حج المسلمون والمشركون في ذي القعدة في السنة الثامنة للهجرة، والجدير بالذكر أن البيت العتيق لم يكن قد تخلّص من شوائب الشرك والجاهلية، هذا، وقد وقع الحج في السنة التاسعة في ذي الحُجة، فأرسل النبي ﷺ أبا بكر الصديق رضي اللّه عنه إلى مكة أميـراً على الحج بعـد أن علّمه المناسك، وأمره بالوقوف على عرفة وعلى جُمَع ـ المزدلفة ـ ثم نزلت سورة براءة بعد سفر أبي بكر رضي اللّه عنه إلى مكة بالحجيج فبعث بها النبي ﷺ مع عليّ رضي اللّه عنه، وأمره إذا خطب أبو بكر رضي اللّه عنه وفرغ من خطبته، قام فقرأ على الناس سورة براءة، ونبذ إلى المشركين عهدهم، وقال: لا يجتمعن مسلم ومشرك على هذا الموقف بعد عامهم هذا، يقول اللّه تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نَجَسٌ فلا يقربوا المسجدَ الحرامَ بعدَ عامِهم هذا﴾ «سورة التوبة، آية ٢٨». وقد أنزل على الرسول ﷺ في يوم عرفة: ﴿اليومَ أكملتُ لكم دينَكُم، وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ=

أَنْفُسِنا وَمِنْ سيِّئاتِ أَعْمالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لهُ.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَه إِلاّ اللَّه وحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، وأَشْهَدُ أَنّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه. أُوصيكُمْ عِبادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وأَحُثُّكُمْ على طاعتِهِ، وأَسْتَفْتِحُ بالذي هُوَ خَيْرٌ.

أَمّا بعْدُ: أَيُّها الناسُ اسْمَعُوا مِنّي أُبَيِّنْ لكُمْ، فإِنِّي لا أَدْري، لعلِّي لا أَلْقاكُم بعْدَ عامي هَذَا[1]، فِي مَوْقِفي[2] هذا. أَيُّها الناس: إِنَّ دِماءَكُم وأَموالَكُم حرامٌ عليكم إلى أَنْ تَلقَوْا ربَّكُم. كحرمةِ يومِكُم[3] هذا في شَهْرِكُمْ هَذَا[4] في بَلَدِكُمْ هَذَا[5].

أَلا هَلْ بلَّغْتُ؟ اللَّهُم اشْهَدا.

فمَنْ كانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فلْيُؤدِّهَا إلى الذي ائْتَمَنَهُ عليْهَا، وإِنّ ربا الجاهِليّةِ مَوْضُوعٌ[6]، وإِنّ أَوّلَ رِباً أَبْدأُ بهِ ربا عمِّي العباسِ بنِ عبْدِ المُطَّلِبِ، وإِنّ دِماءَ الجاهِلِيّةِ مَوْضُوعَةٌ[7]، وإِنّ أَوّلَ دمٍ نَبْدَأُ بهِ دمُ عامِرِ بنِ ربيعَةِ بنِ الحارثِ بنِ عبْدِ المُطَّلِبِ[8]، وإِنّ مآثِرَ[9] الجاهليَّةِ مَوْضُوعَةٌ، غيْرَ السِّدَانَةِ والسِّقايَةِ[10]، والعَمْدُ

= ديناً﴾ «سورة المائدة آية ٣». وكان الرسول ﷺ واقفاً بعرفة على ناقته العضباء. انظر: الإمام مسلم، الجامع الصحيح ٤: ٣٩ وما بعدها. والسيرة النبوية ٢/٦٠١ - ٦٠٦. وإبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين ١/٣١٧. وانظر دراسة تحليلية لهذه الخطبة: «خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع». للدكتور هاشم مناع.

(١) أي العام العاشر.

(٢) موقفي هذا: أي في عرفة.

(٣) يومكم هذا: يوم النحر.

(٤) شهركم هذا: ذو الحجة.

(٥) بلدكم هذا: مكة المكرمة.

(٦) موضوع: ساقط، يقال: وضعت عنه الدَّيْن والجزية ونحوهما، إذا أسقطته.

(٧) موضوعة: ساقطة وباطلة.

(٨) عامر بن ربيعة: ابن ابن عمّ الرسول ﷺ كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هُذَيْلٌ، وقد أبطل الطلب به في الإسلام، ولم يجعل لربيعة في ذلك تبعة، أي: لم يجعل لهم حقاً في المطالبة.

(٩) المآثر: كل ما هو قديم متوارث.

(١٠) السدانة: خدمة الكعبة، وهي بفتح السين وكسرها، وكانت السدانة واللواء لبني عبد الدار في الجاهلية، فأقرها الرسول ﷺ في الإسلام. والسقاية: ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء.

قَوَدٌ[1] ، وشِبْهُ العَمْدِ: ما قُتِلَ بالعصَا والحَجَرِ، وفيهِ مَائةُ بَعِيرٍ، فَمَنْ زَادَ فهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَاهليَّةِ.

أَيُّها النَّاسُ: إنّ الشَّيْطانَ قدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ في أَرْضِكُم هَذه، ولكِنَّه قدْ رضِيَ أَنْ يُطاعَ فيمَا سِوَى ذَلِكَ ممَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُم.

أَيُّها النَّاسُ: إنّ النَّسِيءَ[2] زِيادةٌ في الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الّـذينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً ويُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُوَاطِئوا[3] عِدَّةَ مَا حرَّمَ اللَّهُ، فَيُحِلُّوا مَا حرَّمَ اللَّهُ. إنّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمواتِ والأَرْضَ. وإنّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عشرَ شَهْراً في كِتابِ اللَّهِ[4]. يوْمَ خَلَقَ السَّمواتِ ،والأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَـةٌ حُرُمٌ: ثَـلاثَةٌ مُتَـوالِياتٌ، وواحِدٌ فَرْدٌ: ذُو القَعْدَةِ، وذُو الحِجَةِ، والمُحَرَّمُ، ورَجَبُ الذي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ .

ألا هَلْ بلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد!

أَيُّهـا النَّاسُ: إنّ لِنِسَـائكُم عليْكُمْ حَقّـاً، ولكُمْ عليْهِنَّ حَقٌّ، لكُم عليْهِنَّ ألاّ يُوطِئْنَ[5] فُرُشَكُم غَيْرَكُم، وَلاَ يُدْخِلْنَ أَحَداً تَكْرَهُونَهُ بُيُوتَكُم إلاّ بإذْنِكُم، وَلاَ يـأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ[6]، فإنْ فَعَلْنَ فإنّ اللَّهَ قدْ أَذِنَ لكُم أنْ تَعضُلُوهُنَّ[7]، وتَهْجُرُوهنَّ في

---

(١) العمد: القتل المتعمد. وحكمه: القود، وهو قتل القاتل بالقتيل.

(٢) النسيء: التأخير، تقول: نسأْتُ الشيء، فهو منسوء: إذا أخرته.

(٣) ليواطئوا: ليوافقوا.

(٤) في كتاب اللّه: في اللوح المحفوظ.

(٥) ألا يوطئن فرشكم غيركم: أي ألا يأذن لأحد ممن تكرهون دخوله عليهن. وليس وطء الفراش كناية عن الزنا، لأنه حرام مع كل أحد تكرهونه أو لا، ولأنه لو كان المراد كذلك لكان عقوبتهن الرجم دون الضرب، مع أنه عليه السلام قال: «فإن فعلن ذلك» أي الإيطاء المذكور« فاضربوهن ضرباً غير مبرح» أي: غير جارح،وغير شديد ولا شاق. (الإمام مسلم، الجامع الصحيح ٤/٤١). والإيطاء هنا بمعنى الجلوس في الفراش. . . واللّه أعلم. تقول: وطىء المرأة يطؤها: نكحها، ووطىء أو وطئنا العدوَّ بالخيل: دُسناهم. ولا تقول: وطئت المرأةُ الرجلَ. ويقال: أنه يراد بذلك أن لا يأذن لأحد من الرجال أن يدخل فيتحدث إليهن، لأن الحديث من الرجال إلى النساء من عادات العرب، لا يرون ذلك عيباً ولا يعدونه ريبة.

(٦) فاحشة مبينة: أي ظاهرة فحشاً وقبحاً.

(٧) تعضلوهن: تضيقوا عليهن.

المَضاجِعِ[1]، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّح[2]، فإنِ انْتَهَيْنَ وأَطَعْنَكُم[3] فعَلَيْكُم رِزْقُهُنَّ وكُسْوَتُهُنَّ بِالمَعْروفِ. وإنّما النِّساءُ عِنْدَكُم عَوانٍ[4]، لا يَمْلِكْنَ لأنْفُسِهِنَّ شيْئاً[5]، أَخَذْتُموهنَّ بأمانَةِ اللَّهِ، واسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، فاتّقوا اللَّهَ في النِّساءِ، واسْتَوْصُوا بهِنَّ خَيْراً[6].

أَلا هَلْ بلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد!

أَيُّها النَّاسُ: إنّما المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ، وَلَا يحِلُّ لامْرِئٍ مُسْلِمٍ مالُ أَخيهِ إلّا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ.

أَلا هَلْ بلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد!

فلا تَرْجِعُنَّ بعْدِي كُفّاراً يضْرِبُ بَعْضُكُم رِقابَ بعْضٍ، فإنّي قدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ ما إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بعْدَهُ: كِتابَ اللَّهِ[7].

أَلا هَلْ بلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد!

أَيُّها الناسُ: إنّ ربَّكُم واحِدٌ، وإنّ أَباكُم واحِدٌ، كُلُّكُم لآدمَ وآدمُ مِنْ تُرابٍ. أَكْرَمُكُم عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ، إنّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبيرٌ، ولَيْسَ لعَرَبيّ على عَجَميّ فضْلٌ إلّا بالتَّقْوى.

أَلا هَلْ بلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد!

قالوا: نعم. قال: فلْيُبَلِّغِ الشاهِدُ الغائبَ.

---

(١) تهجروهن في المضاجع: أي فلا تدخلوهن تحت اللحف وتباشروهن، فيكون كناية عن الجماع.

(٢) غير مبرح: غير شديد ولا شاق.

(٣) وأطعنكم: أي في ترك النشوز.

(٤) العواني والعانيات: جمع عانية (والمذكر: العاني، والجمع: العُناة) وهي الأسيرة، أي هن عندكم بمنزلة الأسرى.

(٥) لا يملكن لأنفسهن شيئاً: كناية عن الضعف.

(٦) الإستيصاء هنا: قبول الوصية، أي: أوصيكم بهن خيراً فاقبلوا وصيتي فيهن.

(٧) يروى: «كتاب الله وسنّة نبيه».

أَيُّها النَّاسُ: إنَّ اللَّهَ قَسَمَ لِكُلِّ وارثٍ نَصِيبَهُ مِنَ المِيراثِ، فلا تَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ، ولاَ تَجُوزُ وَصِيَّةٌ في أَكْثَرَ مِنَ الثُّلُثِ. والوَلَدُ لِلْفِراشِ[1]. ولِلْعاهِرِ الحَجَرُ[2]. مَنِ ادَّعى إلى غَيْرِ أَبيهِ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فعَلَيْهِ لعْنَةُ اللَّهِ والملائكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ[3].

والسَّلامُ عليْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكاتُه.

ـ البيان والتبيين ٢/٣١ ـ ٣٣.
ـ (وانظر) السيرة النبوية ٢/٦٠٣ ـ ٦٠٤.
ـ (وانظر) العقد الفريد ٤/١٤٨ ـ ١٤٩.

٢ ـ خطبة أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه لما بويع بالخلافة في السنة الحادية عشرة للهجرة

حمد اللَّه، واثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد.

أيها الناسُ: إنّي قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن أَحْسَنْتُ فأعينوني، وإنْ رأيتموني على باطلٍ فسدِّدوني، أطيعوني ما أطعتُ اللَّه فيكم، فإذا عصيتُه فلاَ طاعةَ لي عليكم. ألا إنّ أقواكُم عندي الضعيفُ حتّى آخُذَ الحقَّ له، وأضعفكُم عندي القويُّ حتّى آخُذَ الحقَّ منهُ. أقولُ قولي هذا وأستغفر اللَّه لي ولكم.

ـ السيرة النبوية ٢/٦٦١.
ـ تاريخ الطبري ٣/٢٠٣.
ـ العقد الفريد ٤/١٥٠.
ـ عيون الأخبار م ١، ٢/٢٣٤.

٣ ـ خطبة لأبي بكر رضي اللَّه عنه في السنة الحادية عشرة للهجرة

حمد اللَّه، وأثنى عليه بالذي أهله، ثم قال:

إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يَقْبَلُ مِنَ الأعمالِ إلاّ ما أُريدَ بهِ وَجْهُهُ، فأَرِيدُوا اللَّهَ

---

(١) الولد للفراش: أي الولد لصاحب الفراش وهو الزوج.

(٢) وللعاهر الحجر: أي للعاهر الخيبة والحرمان. وقيل: للعاهر الرجم، والمعنى الأول أصح.

(٣) أي لا يقبل منهم شيء: وأصل العدل: أن يقتل الرجل بالرجل: وقيل: الفدية. والصرف: أن ينصرف عن الدم إلى أخذ الدية. وقيل: التوبة.

بأعمالِكم، واعلموا أنّ ما أَخْلَصْتُم للَّهِ مِنْ أعمالكم فطاعةٌ أُتيتموها، وحظٌّ ظَفِرْتُم به، وضرائبُ أدّيتموها، وسلَفٌ قدّمتموه، مِنْ أيّامٍ فانيةٍ لأخرى باقيةٍ، لحينِ فَقْرِكُم وحاجَتِكُم.

اعتبروا عبادَ اللَّهِ بمن ماتَ منكم، وتفكّروا فيمن كانَ قبلكُم. أينَ كانوا أمسِ؟ وأينَ همُ اليومَ؟ أين الجبّارون؟ وأينَ الذين كان لهم ذِكر القتالِ والغَلَبةِ في مواطنِ الحروبِ؟ قد تَضَعْضَعَ بهم الدّهْرُ، وصاروا رَميماً... وأينَ الملوكُ الذينَ أثاروا الأرضَ وعَمَرُوها؟ قد بَعِدوا وَنُسِيَ ذِكْرُهم، وصاروا كَلَا شيء، ألَا وإنّ اللَّهَ قد أبقى عليهم التَّبِعَاتِ، وقَطَعَ عنهم الشَّهواتِ، ومَضَوا والأعمالُ أعمالُهُمْ. والدّنيا دنيا غيرِهِم، وبقينا خَلَفاً لهم من بعدِهم. فإنْ نحن اعتبرنا بهم نَجَوْنا، وإن اغْتَرَرنا كُنّا مثلهم. أينَ الوِضاءُ[1] الحسنةُ وجوهُهم، المعْجَبُون بِشَبابِهِم؟ صاروا تُراباً، وصارَ ما فرَّطوا فيه حَسْرَةً عليهم. أينَ الذينَ بنوا المدائن وحصَّنُوها بالحوائطِ، وجَعَلوا فيها الأعاجيبَ؟ قد تركوها لمن خَلْفَهم، فتلك مساكِنُهم خاويةً، وهم في ظُلُماتِ القبورِ. هل تُحِسُّ منهم مِنْ أحدٍ، أو تسمعَ لهم رِكزاً[2]؟ أينَ مَنْ تعرفونَ مِنْ أبنائكم وإخوانِكم؟ قد انتهت بهم آجالهم، فَوَرَدُوا على ما قدَّموا، فحلُّوا عليه. وأقاموا للشَّقْوَةِ وللسعادةِ فيما بعدَ الموتِ. ألا إنّ اللَّهَ لا شريكَ لهُ ليس بينَهُ وبينَ أحدٍ مِنْ خَلْقِهِ سببٌ يعطيهِ به خَيْراً، ولا يصرفُ عنه به سوءاً إلّا بطاعتِهِ. واتباعِ أمرِهِ، واعلمُوا أنكُم عبيدٌ مدِينُونَ، وأنّ ما عنْدَهُ لا يُدْرَكُ إلّا بطاعَتِهِ، أمّا وإنّه لا خيرَ بخيرٍ بعده النارُ، ولا شرَّ بشرٍّ بعده الجنّةُ.

ـ تاريخ الطبري ٣/٢١١.

---

(١) الوضاء: جمع وضيء، أي الحسن والنظيف.

(٢) الركز: الصوت الخفي.

٤ ـ وصية أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه لأسامة بن زيد وجيشه عندما أرسله إلى أُبْنَى[1] في السنة الحادية عشرة للهجرة

قال:

يا أَيُّها الناسُ: قِفُوا أُوْصِكم بعشرٍ فاحفظُوها عنِّي: لا تَخُونوا، ولا تَغُلُّوا[2]، ولا تَغْـدُروا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تَقْتُلوا طِفْلاً صغيـراً، ولا شيخاً كبيـراً ولا امرأةً، ولا تَقْعَرُوا[3] نَخْلاً، ولا تَحْرُقوه، ولا تَقْطَعُوا شجرةً مثمرةً، ولا تَذْبَحُوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلّا لِمأكَلَة، وسوفَ تَمرُّونَ بأقوامٍ قدْ فَرَّغُوا أنْفسهم في الصوامعِ فدَعُوهُم وما فرَّغُوا أنفسهُم لهُ. وسوفَ تَقْدِمُونَ على قَوْمٍ يأْتُونَكُم بآنيةٍ فيها ألوانُ الطَّعامِ، فإذَا أَكلتُم منها شيئاً بعدَ شيءٍ، فاذْكروا اسمَ اللّهِ عليها، وتَلْقَوْنَ أقواماً قدْ فَحَصُوا أوساطَ رؤوسِهم[4]، وتَركُوا حولَها مثلَ العصائبِ، فاخْفِقُوهم[5] بالسَّيْفِ خَفْقاً، اندفعوا باسمِ اللّه.

ـ تاريخ الطبري ٣/٢١٣.

٥ ـ خطبة عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه حين ولي الخلافة في السنة الثالثة عشرة للهجرة.

صعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال:

يا أَيّها الناسُ: إنّي داعٍ فأمِّنوا، اللهم إني غليظٌ فليِّنِّي لأهلِ طاعَتِكَ بموافقةِ الحقِّ، ابتغاءَ وجهِكَ والدارِ الآخرةِ، وارْزقني الغِلْظَةَ والشدةَ على أعدائك، وأهلِ الدّعارةِ والنِّفاقِ، مِنْ غيرِ ظلمٍ منِّي لهم، ولا اعتـداءٍ عليهم. اللهم إني شحيحٌ، فسخِّنِي في نوائبِ المعروفِ، قصداً من غيرِ سَرَفٍ ولا تبذيرٍ، ولا رياءٍ ولا سُمْعَةٍ، واجعلني أبتغي بذلك وجْهَكَ والدّارَ الآخـرةَ، اللهم ارزقني خَفْضَ الجَنَاحِ، ولينَ

---

(١) مكان بالقرب من مؤتة بالشام.

(٢) ولا تغلوا: لا تحقدوا.

(٣) تقعروا: تستأصلوا وتقطعوا.

(٤) أي: كأنهم حلقوا وسطها وتركوها مثل أفاحيص القطا. والأفاحيص جمع الأفحوص، وهو مَجْثَم القطا ومبيضها، سمي بذلك لأنها تفحص الموضع ثم تبيض فيه. انظر: لسان العرب (مادة فحص).

(٥) اخفقوهم: اضربوهم.

الجانبِ للمؤمنين، اللهم إنِّي كثيرُ الغفلةِ والنِّسيانِ، فألهمني ذكْرَكَ على كلِّ حالٍ، وَذِكْرَ الموتِ في كلِّ حينٍ. اللهم إني ضعيفٌ عن العملِ بطاعَتِكَ، فارزقني النشاطَ فيها، والقوةَ عليها بالنِّيةِ الحسنةِ التي لا تكونُ إلّا بعَوْنِـكَ وتوفيقِـكَ. اللهم ثبِّتني باليقينِ والبرِّ والتقوى، وذِكرِ المقامِ بينَ يديْكَ والحياءِ مِنْكَ، وارزقني الخشوعَ فيما يرضيكَ عني. والمحاسبَةَ لنفسي. وإصلاحَ السَّاعاتِ والحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ. اللهم ارزقني التّفكُّرَ والتّدَبُّرَ لما يتلوهُ لساني مِنْ كتابِكَ، والفهمَ له، والمعـرفةَ بمعـانيهِ، والنظرَ في عجائبِهِ، والعملَ بذلك ما بقيت، إنّك على كلِّ شيءٍ قديرٍ.

ـ العقد الفريد ٤/١٥٥ ـ ١٥٦.

٦ ـ خطبة عثمان بن عفان رضي اللّه عنه.
بعدما بويع بالخلافة في السنة الثالثة والعشرين للهجرة.

قال:

أمّا بعد، فإنّي قدْ حُمِّلتُ وقدْ قَبِلْتُ، ألا وإنِّي مُتَّبِعٌ، ولستُ بمبتدعٍ، ألَا وإنْ لكُمْ عليَّ بعْدَ كتابِ اللّهِ عزَّ وجل، وسنَّةِ نبيِّهِ ﷺ ثلاثاً: اتِّبـاعَ مَنْ كان قَبلي فيمـا اجتمعتم عليه وسننتم. وسنَّ سُنَّةَ أهلِ الخيرِ فيما لم تَسُنُّوا عن ملإٍ، والكفَّ عنكم إلّا فيما استوجبتُم. ألا وإنَّ الدُّنيا خَضِرَةٌ قدْ شُهِّيتْ إلى النّاس. ومالَ إليها كثيرٌ منهم. فلا تَرْكَنُوا إلى الدّنيا، ولا تَثِقوا بها، فإنّها ليست بثقةٍ، واعلموا أنّها غيرُ تـاركةٍ إلّا مَنْ تركها.

ـ تاريخ الطبري ٥/١٤٩.

٧ ـ خطبة علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه[1] في الجهاد

أمّا بعْدُ، فإنّ الجهادَ بابٌ مِنَ أبْوابِ الجَنَّةِ فتَحَهُ اللّهُ لخاصّةِ أوْليائِهِ وهُوَ لباسُ التَّقْوَى ودِرْعُ اللّهِ الْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الوَثِيقَةُ[2]. فمن تَرَكَـهُ رغْبَةً عنْهُ ألْبَسَهُ اللّه ثوْبَ

(١) باعث الخطبة: أغار سفيان بن عوف الأسدي بجيش من جيوش معاوية على الأنبار، وقتل عامل علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه عليها، فنقم على جماعته، وخرج إليهم، وأخذ يخاطبهم بخطبته هذه.

(٢) جنته: وقايته.

الذُّلَّ وشَمْلَةَ البَلاءِ. ودُيِّثَ بالصَّغَارِ والقَمَاءَةِ[1] ، وضُرِبَ على قَلْبِهِ بالأَسْدَادِ[2]، وأُديلَ الحَقُّ مِنْهُ[3] بِتَضْيِيعِ الجهاد، وسيمَ الخَسْفَ[4]، ومُنِعَ النَصْفَ[5]. أَلا وإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إلى قِتَالِ هَؤُلاءِ القَوْمِ لَيْلاً ونَهاراً، وسِرًّا وإعْلاناً، وقُلْتُ لكُمْ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ. فَوَاللَّهِ ما غُزِيَ قَوْمٌ في عُقْرِ دارِهِمْ إلاّ ذلُّوا، فتواكَلْتُمْ[6] وتَخَاذَلْتُم حَتّى شُنَّتِ الغاراتُ عليْكُمْ، ومُلِكَتْ عليكُمُ الأَوْطانُ. وهَذا أُخو غامِدٍ قدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأَنْبارَ[7]، وقدْ قَتَلَ حسَّانَ بنْ حسَّانَ البكْرِيَّ وأزالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا[8] ، ولقدْ بلغني أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كانَ يَدْخُلُ على المرأةِ المُسْلِمَةِ والأُخْرَى المُعَاهِدَةِ[9] ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَاوقَلاَئدَهَا وَرِعاثَهَا[10] مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إلاّ بالاسْتِرْجَاعِ والاسْتِرْحَامِ[11] ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وافِرِينَ[12] ما نالَ رجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلاَ أُريقَ لهُمْ دمٌ. فلوْ أَنَّ آمْرأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذا أسفاً ما كانَ بِهِ مَلُوماً بلْ كانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً. فيا عَجَباً واللَّهِ يُميتُ القلب، ويَجْلِبُ الهَمَّ من اجْتِماعِ هؤلاءِ القَوْمِ على باطلِهِمْ وتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فقُبْحاً لكُمْ وَتَرحاً[13] حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى يُغارُ عليْكُمْ وَلا تُغِيرُون. وتُغْزَوْنَ ولا تَغْزُونَ. ويُعْصَى اللَّهُ وتَرْضَوْنَ، فإذاأَمَرْتُكُمْ بالسَّيْرِ إلَيْهِمْ في أَيَّامِ الحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حمارَّةُ القَيْظِ[14]، أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ

---

(١) ديث: من ديثه، أي ذلله. والصغار والقماءة: الذل.

(٢) الأسداد: جمع السد، يريد الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد.

(٣) أديل الحق منه: أي صارت الدولة للحق.

(٤) وسيم الخسف: أولى الخسف وكلفه، والخسف: الذل والمشقة.

(٥) النَصْفُ: العدل، أي حرم العدل بأن يسلط اللّه عليه من يغلبه على أمره فيظلمه.

(٦) تواكلتم: تعاجزتم، وكّل كل منكم الأمر إلى صاحبه.

(٧) أخو غامد: هو سفيان بن عوف من بني غامد قبيلة من اليمن، بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق. والأنبار بلدة على الشاطىء الشرقي للفرات.

(٨) المسالح: جمع مسلحة وهي الثغر.

(٩) المعاهدة: الذمية.

(١٠) الحجل: الخلخال. والقُلب: السوار. والرعاث: جمع رعثة، وهو القرط.

(١١) الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء، والاسترحام: أن تناشده الرحم.

(١٢) وافرين: تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم.

(١٣) الترح: الهم والحزن. والغرض: ما ينصب ليرمى بالسهام، فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون.

(١٤) حمارة القيظ: شدة الحر.

عَنَّا الحَرُّ[1]، وإِذَا أَمَرْتُكُمْ بالسَّيْرِ إِلَيْهِم في الشِّتاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صبارَّةُ القُرِّ[2] أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عنّا البَرْدُ. كُلُّ هذا فِراراً مِنَ الحرِّ والقُرِّ، فإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الحَرِّ والقُرِّ تَفِرُّونَ فإِذاً أَنْتُمْ واللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفرُّ. يا أَشباهَ الرِّجالِ وَلاَ رجالَ. حُلُومُ الأَطْفالِ. وعُقُولُ ربَّاتِ الحِجَالِ[3]. لوَدِدْتُ أَنِّي لمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ. مَعْرِفَةٌ واللَّهِ جرَّتْ نَدَماً وأَعْقَبَتْ سدَماً[4]. قاتلكُمُ اللَّه لقدْ ملأتُمْ قلْبِي قَيْحاً. وشحَنْتُمْ صدْرِي غيْظاً. وجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفاساً[5]. وأَفسدْتُمْ عليَّ رأْيي بالْعِصيانِ والخِذْلانِ حتَّى لقدْ قالتْ قرَيْشٌ إِنَّ آبنَ أَبي طالبٍ رجُلٌ شُجَاعٌ ولكِنْ لا عِلْمَ لهُ بالحَرْبِ.

للَّهِ أَبوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشدُّ لها مِرَاساً وأَقْدَمُ فيها مقاماً مِنِّي؟ لقد نَهَضْتُ فيها ومَا بَلَغْتُ العِشْرِينَ، وهَا أَنا ذَا قدْ ذَرَّفْتُ على السِّتِّينَ[6]. ولَكِنْ لا رأْيَ لمَنْ لا يُطاعُ.

ـ نهج البلاغة ١/٦٧ ـ ٧٠.
ـ العقد الفريد ٤/١٦٠ ـ ١٦١.
ـ (وانظر) عيون الأخبار م ١، ٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧.

٨ ـ من وصية علي بن أبي طالب كرم اللَّه وجهه لابنه الحسن رضي اللَّه عنه كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفّين

أَحْيِ قَلْبكَ بالمَوْعِظَةِ، وأَمِتْهُ بالزَّهَادَةِ، وقوِّهِ باليقينِ، ونوِّرهُ بالحِكْمَةِ، وذلِّلْهُ بذِكْرِ المَوْتِ، وقرِّرهُ بالفناءِ[7]، وبصِّرْهُ[8] فجائعَ الدُّنيا، وحَذِّرْهُ صوْلَةَ الدَّهْرِ وفحْشَ تقلُّبِ اللَّيالي والأَيَّامِ، واعْرِضْ عليْهِ أَخْبارَ المَاضينَ، وذَكِّرْهُ بمَا أَصابَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ

---

(١) التسبيخ: التخفيف والتسكين.
(٢) صبارة الشتاء: شدة البرد، والقر بالضم: البرد.
(٣) ربات الحجال: النساء.
(٤) السدم: الهم والحزن والأسف.
(٥) النغب: جمع نغبة، وهي الجرع. والتَّهام: الهم والحزن.
(٦) ذرَّفْتُ: زدت عليها ونيفت.
(٧) قرره بالفناء: اطلب منه الإقرار بالفناء
(٨) بصره: اجعله بصيراً بالفجائع، جمع فجيعة، وهي المصيبة، تفزع بحلولها.

من الأوّلين، وسِرْ في ديارِهِمْ وآثارِهِمْ،فانْظُرْ فيمَا فعَلُوا وعمَّا انْتقَلُوا وأَيْنَ حلُّوا ونَزَلُوا، فإنّك تجِدُهُم قدِ انْتقَلُوا عن الأَحِبَّةِ، وحلُّوا دِيارَ الغُرْبَةِ، وكأنَّكَ عَنْ قليلٍ قدْ صرْتَ كـأَحَدِهِمْ: فـاصْلِحْ مَثْوَاكَ، ولاَ تَبِـعْ آخِرَتَـكَ بِدُنْيـاكَ. ودعِ القولَ فيمـا لا تَعْرِفُ، والخِطابَ فيمَا لمْ تُكَلَّفْ. وأَمْسِكْ عَنْ طريقٍ إذَا خِفْتَ ضلالَتَهُ فإنَّ الكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلالِ خَيْرٌ مِنْ رُكوبِ الأَهْوالِ. وأْمُرْ بالمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ. وأَنْكِرِ المُنْكَرَ بيدِكَ ولسانِكَ،وبايِنْ[1] من فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ. وجَاهِدْ في اللّه حَقَّ جِهادِهِ، ولا تأْخُذْكَ في اللّهِ لومةُ لائمٍ. وخُضِ الغَمَراتِ[2] للْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وتَفَقَّهْ في الدِّينِ، وعـوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ على المَكْرُوهِ ونِعْمَ الخُلُقُ التَّصَبُّرُ. وأَلْجِئْ نَفْسَكَ في الأُمورِ كُلِّهَا إلى إلهِكَ فإنّكَ تُلْجِئها إلى كَهْفٍ حَريزٍ[3]. ومَانِعٍ عَزِيزٍ. وأَخْلِصْ في المَسْأَلةِ لرَبِّكَ فإنَّ بيَدِهِ العَطَاءَ والحِرْمَانَ، وأَكْثِرِ الاسْتِخَارَةَ[4] وتَفَهَّمْ وصِيَّتِي ولاَ تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً[5]، فإنَّ خَيْرَ القَوْلِ مَا نَفَعَ. واعْلَمْ أَنّه لا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لا يَنْفَـعُ، وَلاَ يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ[6].

ـ نهج البلاغة ٣/٣٨ ـ ٤٠.

---

(١) باين: أي باعد، وجانب الذي يفعل المنكر.

(٢) الغمرات: الشدائد.

(٣) الكهف: الملجأ، والحريز: الحافظ.

(٤) الاستخارة: إجالة الرأي في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه.

(٥) لا تذهبن عنها صفحاً: أي لا تعرض عنها.

(٦) أي: لا يكون من الحق تعلمه كالسحر والشعوذة ونحو ذلك.

٣

العصر الأموي

أولا: الشعر

١ ـ قصيدة[١] لقيس بن الملوح (مجنون ليلى)[٢]

(من الطَّويل)

تذكَّرْتُ ليْلى والسنين الخَواليا ... وأيّامَ لا نَخْشى على اللَّهوِ ناهِيا

(١) تسمى هذه القصيدة «المؤنسة» لأنه كان لا يخلو بنفسه، إلاّ وينشدها.

(٢) مجنون ليلى: هو قيس بن معاذ، ويقال: قيس بن الملوح أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة العامري، من نجد ولقبه المجنون لذهاب عقله بشدة عشقه. ويقال: إنه لم يكن مجنوناً. وكان المجنون وليلى (بنت مهدي بن سعد العامري) صاحبته يرعيان البهم، وهما صبيان، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه، يقول في ذلك:

تعلَّقتُ ليلى وهي ذاتُ ذؤابةٍ ... ولم يبدُ للأترابِ من ثديها حجمُ

صغيرين نرعى البهمَ يا ليتَ أننا ... إلى اليومِ لم نكبر ولم تكبرِ البهمُ

وكان ظريفاً جميلاً، راوية للأشعار، حلو الحديث، وكانت تعرض عنه،وتقبل على غيره بالحديث، حتى شقّ عليه ذلك، فأقبلت عليه وقالت:

كلانا مظهرٌ للناس بغضاً ... وكلٌّ عند صاحبه مكينُ

تبلّغنا العيونُ بما أردنا ... وفي القلبين ثمَّ هوىً دفينُ

فلما سمع البيتين شهق شهقة شديدة وأغمي عليه، فمكث على ذلك ساعة، حتى أفاق، وتمكن حب كلّ واحد منهما في قلب صاحبه. ولكن أباها حجبها عنه، فهام على وجهه ينشد الأشعار حتى ذهب عقله، وهام مع الوحش. فيرى حيناً في الشام، وحيناً في نجد، وحيناً في الحجاز، إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل إلى أهله. توفي سنة ٦٨ هـ /٦٨٨ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء، ص ٣٥٥ ـ ٣٦٤. والأغاني ٢/ ٥ ـ ٧٩. (طبعة دار الثقافة). وانظر أيضاً: ديوانه في مواضع متفرقة.

ويـوم ٍ كـظلِّ الـرمْحِ قصَـرْتُ ظلَّهُ بِلَيْلَى فَلَهّـاني ومـا كُنت لاهـيـا[١]
بثمْـدينَ لاحَتْ نـارُ ليْلى وَصُحْبتي بذاتِ الغضى تُزْجى المطيَّ النـواجِيا[٢]
فقـالَ بصيـرُ القـوم ِ: لمحةُ كـوكب بـدَا في سـوادِ الليـل ِ فـرْداً يمـانيَـا[٣]
فقلتُ لـهُ: بـلْ نـارُ ليْلى تـوَقَّـدَتْ بعليَـا تسامَى ضَـوؤُها فبـداليـا[٤]
فليْتَ رِكـابَ القوْم ِ لمْ تقـطع ِ الغضى وليْتَ الغضى مَاشَى الـركابَ لياليـا[٥]
فيـا ليْـل كم منْ حـاجةٍ لي مُهمَّـةٍ إذَا جئتُكم بـالليـل ِ لمْ أدْرِ مـاهيـا
خليـليَّ إنْ لا تَبْكِيـانيَ أَلْـتمس خَليـلاً إذا أنـزفتُ دمعي بكى لـيـا
فمـا أُشـرفُ الأيْفـاعَ إلاّ صبـابـةً ولا أُنْـشِدُ الأشـعارَ إلاّ تـداويـا[٦]
وقـدْ يجمَـعُ اللّهُ الشّتيتَيـنِ بعْـدمـا يـظُنّانِ كـلَّ الـظنَّ أنْ لا تَـلاقِيَـا
لحـا اللّهُ أقْـوامـاً يقُـولـون: إنّنـي وجـدتُ طِوالَ الـدَّهرِ للحُبِّ شـافيا[٧]
وعَـهـدي بليْـلى وهْيَ ذاتُ مُـؤصَّـدٍ تـرُدُّ علينـا بـالعشيِّ المَـوَاشِيَـا[٨]
فشبَّ بنُـو لِيْـلى وشبَّ بنُـو ابنـهـا وأعـلاقُ ليلى في فؤادي كـمـا هيـا
إذا مـا جـلسْنـا مَجْلسـاً نَسْتَلذُّهُ تَـوَاشـوْا بنـا حَتى أَمـلَّ مكـانِيـا
سقى اللّهُ جـاراتٍ لليْـلى تَبـاعـدتْ بهن النـوى حيثُ احتللْنَ المـطاليا[٩]
ولـمْ يُنْسِنـي ليْـلى افْتِـقـارٌ ولا غِنـىً ولا تَـوْبـةٌ حتى احتَضنْتُ السَّواريـا[١٠]

---

(١) كظل الرمح: في القصر؛ لأنه مرّ وهو غافل عنه بمحبوبته.

(٢) والثمدين: موضع. ولاحت: بانت وظهرت، وذات الغضى: الواحدة منه «غَضَاة» شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب. والغضى: موضع وأهل الغضى: سكان نجد. وتزجى: تسوق. والنواجيا: جمع ناجية وهي الناقة السريعة تنجو براكبها.

(٣) لمحة كوكب: خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هذه» أي: هذه لمحة كوكب. ويمانيا: من جهة اليمن.

(٤) بعليا: كل ما علا من شيء.

(٥) ركاب القوم: مطاياهم. والمراد بالقوم: قوم ليلى الذين سافروا بها.

(٦) ما أشرف الأيفاع: ما أعلوها إلاّ لأنظر ركبهم. والايفاع: جمع اليفع، وهو المكان المرتفع.

(٧) لحا اللّه أقواماً: قبحهم ولعنهم.

(٨) أصدّه: ألبسه الأُصَدَة، قميص صغير، والجمع الأصَد والإصاد.

(٩) المطاليا: المواضع تغدو فيها الوحش أطلاءها.

(١٠) السواريا: جمع سارية وهي الأسطوانة.

ولا نسْوةٌ صبَّغْنَ كَبْداءَ جَلْعَداً … لِتُشْبِهَ لَيْلى ثمّ عرَّضنها لِيا[1]

خليليّ لا واللّهِ لا أمْلكُ الذي … قضى اللّهُ في ليلى ولا ما قضى لِيَا

قَضَاهَا لغيري وابْتلاني بحبِّها … فهلّا بِشَيْءٍ غيرِ لَيْلى ابتلانِيَا

وخَبَّرْ تُماني أنّ تَيْمَاءَ منزلٌ … لِلَيْلى إذا ما الصيفُ ألقى المراسيا[2]

فهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عنّا قدِ انقضتْ … فما لِلنَّوَى تَرْمِي بلَيْلى المَرامِيَا

فلوْ كانَ وَاشٍ باليمامَةِ دارُهُ … ودَارِي بأعْلَى حَضرموْتَ اهْتَدَى لِيا

وماذَا لَهُمْ لا أَحْسنَ اللّهُ حالهم … من الحظّ في تصريمِ ليلى حِياليا[3]

وقدْ كنْتُ أعْلو حُبّ ليلى فلمْ يزَلْ … بيَ النَّقْضُ والإبْرَامُ حَتى عَلانِيَا[4]

فيا ربّ سوِّ الحُبَّ بيْني وبيْنها … يكونُ كفافاً لا عليّ ولا لِيا

فما طَلَعَ النَّجْمُ الذِي يُهْتَدَى به … وَلَا الصُّبْحُ إلَّا هيَّجا ذِكْرَهَا لِيا

ولا سِرتُ مِيلا منْ دِمشقَ ولا بَدا … سُهيْلٌ لأهلِ الشامِ إلّا بداليا

وَلا سُمِّيتْ عندي لها منْ سَمِيَّةٍ … منَ الناسِ إلّا بلَّ دمعِي رِدَائيا[5]

ولا هبَّتِ الرِّيحُ الجنوبَ لأرْضِها … مِنَ اللَّيلِ إلا بِتُّ للرِّيحِ حَانِيا

فإنْ تَمْنعُوا ليلى وتحْمُوا بلادَها … عليَّ فلنْ تحْموا عليَّ القوافِيا

فأشْهَدُ عِندَ اللّهِ أني أُحِبُّها … فهَذَا لهَا عِنْدِي فمَا عِنْدَها لِيا

قضى اللّهُ بالمعْروفِ مِنها لِغيرِنا … وبالشَّوْقِ منّي والغرامِ قضى ليا

وإنّ الذِي أمّلْتُ يا أُمَّ مالِك … أشابَ فُوَيْدِي واستهامَ فؤاديا[6]

أعُدُّ اللَّيالي ليْلةً بعْدَ ليلةٍ … وقدْ عشتُ دهراً لا أُعُدُّ اللياليا

وأخْرُجُ مِنْ بينِ البيوتِ لعلّني … أُحَدِّثُ عنكِ النفسَ بالليْلِ خاليا

---

(١) كبداء: امرأة ضخمة الوسط. وجلعدا: مسنة.

(٢) تيماء: بلد صغير في أطراف الشام.

(٣) في تصريم ليلى حياليا: قطعها عهودي.

(٤) النقض: نقض العهد. والإبرام: أي إبرام العهد.

(٥) سمية: تسمى باسمها أي ليلى.

(٦) أم مالك: كنية ليلى، وفويدي: تصغير فود، وهو جانب الرأس.

أراني إذا صلَّيْتُ يمَّمْتُ نحوَها بوَجْهي وإنْ كانَ المُصلَّى ورائيا[1]

ومَا بيَ إشْراكٌ ولكنَّ حُبَّها وعُظْمَ الجَوى أعْيَا الطبيبَ المدَاويا[2]

أُحِبُّ منَ الأسماءِ ما وَافَق آسمَهَا أوْ آشبهَه أوْ كانَ منهُ مُدانِيا

خَليليّ ليلى أكبرَ الحاجِ والمُنَى فمنْ لي بليلى أوْ فمنْ ذا لَها بِيا

لعَمري لقدْ أبْكَيْتِني يا حَمامَةَ الْـ ـعَقيقِ وأبكيتِ العيونَ البواكِيا[3]

خَليليَّ ما أرْجو منَ العيْشِ بَعدَما أرى حاجتي تُشرَى ولا تُشترى ليا[4]

وتُجرِمُ ليلى ثمَّ تزعمُ أنَّني سلوْتُ ولا يخْفى على النَّاسِ مابيا

فلمْ أرَ مِثْلَيْنا خليليْ صبابةٍ أشدَّ على رغمِ الأعادي تصافِيا

خَليلانِ لا نرْجو اللِّقاءَ وَلاَ نَرى خَليلينِ إلَّا يَرْجُوَانِ تلاقيا

وإنّي لأسْتَحييكِ أنْ تعرضَ المُنَى بوَصْلِك أوْ أنْ تعرَضي في المنى لِيا[5]

يقولُ أناس: علَّ مجنون عامرٍ يرُومُ سُلُوًّا قُلتُ: أنّى لِما بيا[6]

بيَ اليأسُ أوْ دَاءُ الهيامِ أصابَني فإيَّاكَ عني لا يكنْ بك ما بِيا

إذا ما استطالَ الدهْرُ يا أُمّ مالكٍ فشأْنُ المنايا القاضِياتِ وشانيا[7]

إذا اكتحلتْ عَيْني بِعَيْنِكِ لمْ تَزلْ بخيرٍ وجَلَّتْ غَمْرَةً عنْ فؤادِيا[8]

فأنْتِ التي إنْ شِئْتِ أشقيْتِ عيشَتي وأنتِ التي إنْ شِئْتِ أنْعمتِ باليا

وأنتِ التي ما مِن صديقٍ ولا عِدا يَرى نِضوَ ما أبقيتِ إلَّا رَثى لِيا[9]

---

(١) يممت نحوها: جعلتها قبلتي.

(٢) وما بي إشراك: أي اعتقاد في أنها آلهة يصلّى لها. والجوى: شدة الوجد من الحزن أو العشق.

(٣) العقيق: هو الوادي وكل مسيل ماء شقّه السيل قديماً فوسّعه.

(٤) تشرى: تباع لغيري.

(٥) استحييك: استحي منك. يقول: أخجل أن أتمنى وصالك أو أن تُقَدّمي لي في الأماني، لأنال منك وصالاً، تعففاً مني.

(٦) عل: لغة في لعلّ. وأنى: كيف؟ وهو استفهام يقصد منه استبعاد سلوّه.

(٧) أم مالك: كنية ليلى.

(٨) جلت: انكشفت، وغمرة: شدة.

(٩) النضو: الجسم المهزول. ورثى: حزن.

أَمَضْرُوبةٌ ليلى على أَنْ أَزُورَها … ومُتَّخِذٌ ذنباً لها أَنْ تَرَانِيا

إِذَا سِرتُ في الأَرْضِ الفضاءِ رأَيْتُني … أُصانِعُ رحْلي أَنْ يميلَ حِياليا[1]

يميناً إِذَا كانتْ يميناً وإِنْ تَكُنْ … شِمالاً يُنازِعْني الهوَى عنْ شِماليا[2]

وإِني لأَستَغْشِي وما بيَ نَعْسَةٌ … لعلَّ خَيالا منكِ يَلقى خياليا[3]

هيَ السِّحرُ إِلاّ أَنَّ للسِّحرِ رُقْيَةً … وأَنّيَ لا أُلفى لها الدَّهرَ رَاقِيا

إِذَا نحنُ أَدْلجنا وأَنْتِ أَمامَنا … كفى لِمَطايانا بذِكراك هادِيا[4]

ذكتْ نارُ شَوْقي في فُؤادي فأَصْبحتْ … لها وهجٌ مُستضْرَمٌ في فُؤادِيا[5]

أَلا أَيُّها الركْبُ اليمانونَ عرِّجُوا … علَيْنَا فقدْ أَمْسَى هَوانَا يمانِيا[6]

أُسائلُكمْ: هَل سالَ نَعمانُ بَعْدَنا … وحُبَّ إِلَيْنَا بطْن نعمانَ وَاديا؟[7]

أَلا يا حَمامَيْ بَطْنِ نَعمانَ هِجتُما … عليَّ الهوى لمَّا تغنَّيْتُما لِيا

وأَبْكيْتُماني وسْطَ صحْبي ولمْ أَكُنْ … أُبالي دمُوعَ العينِ لوْ كُنْتُ خالِيا

ويا أَيُّها القُمْريتانِ تجاوَبا … بلحْنَيكما ثمّ اسْجعا عَلِّلانيا[8]

فإِنْ أَنْتمَا استطْرَبْتُما أَو أَرَدتُما … لحاقاً بأَطْلالِ الغَضَا فاتْبعانِيا

أَلا ليْتَ شِعْري ما لليلى ومَالِيا … وما للصِّبا من بعدِ شيب عَلانِيا[9]

أَلا أَيُّها الوَاشِي بليْلى أَلا ترى … إِلى منْ تَشِيها أَو لمنْ أَنتَ واشِيا

لئن ظعَنَ الأَحبابُ يا أُمَّ مالكٍ … فما ظَعنَ الحبُّ الذي في فؤَاديا[10]

---

(١) أصانع . . . . : أحَايله أن يميل مقابلي لخفة جسمي وهزاله.

(٢) يميناً إذا كانت يميناً: أميل يميناً إذا كانت في جهته.

(٣) لاستغشى : أطلب النعاس فأتمطى لأنام.

(٤) أدلجنا: سرنا في الظلمة.

(٥) ذكت: اشتعلت.

(٦) اليمانون: الآتون من جهة اليمن. وعرجوا: ميلوا علينا لنسألكم عمن نحبه. وهوانا: من نهواه.

(٧) نعمان: واد. وحب إلينا: فعل مدح مثل نعم.

(٨) عللانيا: يقال علله بكذا ، أي: شغله ولهاه به. والقُمْري: جمع القُمْر والقَماريّ، والأنثى: قَمْريّة، وهي ضرب من الحمام حسن الصوت.

(٩) الصبا: الصبوة والميل إلى المحبوبة.

(١٠) ظعن: رحل. وأم مالك: كنية ليلى.

فيـا ربّ إذْ صيَّـرْتَ ليلى هيَ المُنَى ... فـزِنّي بعيْنيْهـا كـمـا زِنْتَهـا لِيـا
وإلّا فـبـغِّـضْـهـا إلـيّ وأهْـلَها ... فـإنّي بليْلى قـدْ لقيتُ الـدَّواهـيَـا
عَلَى مِثْـلِ ليلى يَقْتُلُ المـرْءُ نَفْسَهُ ... وإنْ كُنْتُ مِنْ ليلى عَلى اليأسِ طَاوِيـا
خـليليَّ إنْ ضـنُّـوا بِـليْـلى فـقـرِّبـا ... ليَ النَّعْشَ والأكفـانَ واستغفرا ليـا[1]

- ديوان مجنون ليلى، ص ١٢٦ - ١٣٤.

٢ - قصيدة قَطَرِيِّ بنِ الفُجاءَة[2]
في الحماسة والشجاعة

(من الوافر)

أقـولُ لـهـا وقـدْ طـارَتْ شَعَـاعـاً ... مِنَ الأبْـطالِ ويْحَـكِ لنْ تُـراعِي[3]
فـإنّـكِ لـوْ سـألْـتِ بـقـاءَ يـوْمٍ ... على الأجَلِ الّذي لـكِ لمْ تُطَاعِي[4]

---

(١) ضنوا بليلى: بخلوا بها.

(٢) كان قطري بن الفجاءة بن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي، زعيماً من الخوارج وبطلاً من أبطالهم، وكانت له كنيتان: كنية في السلم، وهي أبو محمد، وكنية في الحرب، وهي أبو نعامة (ونعامة فرسه). وهو من أهل «قطر» بالقرب من البحرين، عرف بخطبه، وفروسيته، وشعره، فقد كان خطيباً مشهوراً، وفارساً شجاعاً، وشاعراً معروفاً، خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير. وكانت ولاية مصعب سنة ٦٦ هـ. فبقي قطري عشرين سنة يقاتل، ويسلَّم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين. والحجاج بن يوسف الثقفي يسير إليه جيشاً بعد جيش، وهو يردهم ويستظهر عليهم. قيل: عثر به فرسه، فاندقت فخذه فمات سنة ٧٨ هـ /٦٩٧ م. وقيل في وفاته غير ذلك. انظر: وفيات الأعيان ١/ ٤٣٠. والبيان والتبيين ١/٣٤١ - ٣٤٢. والأعلام ٥/٢٠٠ - ٢٠١. ويقال: إنه كان له امرأة من الخوارج يقال لها أم حكيم. وكانت من أشجع الناس وأحسنهم بدينهم تمسكاً. انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/٢٤.

(٣) أقول لها: أي أقول للنفس. والشعاع: المتفرق، وهذا مثل، ومعناه المبالغة في الفَزَع. وطارت شعاعاً: تبددت من الخوف، أي: خافت خوفاً شديداً. ولن تراعي: من الروع وهو الفزع، أو الخوف. والمعنى: أقول للنفس، وقد طارت متفرقة من خوف الأبطال، ويحك لا تراعي ولا تفزعي، ولكن تشجعي واصبري. أي أنه يذكر تشجيعه نفسه وتعريفه إياها - بعدما استشعرت الفزع - أن الأجل مُقدَّر، وأن الزيادة لا تلحقه، ويوضح هذا في البيت التالي.

(٤) بقاء يوم: أي زيادة يوم. والمعنى: أن النفس إذا طلبت أن يفسح لها في أجلها زيادة عن الأجل المسمى لها لا يجاب طلبها.

فصبْـراً في مَجَـالِ المَـوْتِ صَبْـراً فـمـا نَيْـلُ الـخُلُودِ بِمُسْتَـطَاعِ[1]

ولا ثـوْبُ الـبـقـاءِ بـثَـوْبِ عِـزٍّ فيُطْوَى عنْ أخِي الخَنَعِ الْيَـرَاعِ[2]

سبيـلُ الْـمَـوْتِ غـايـةُ كُـلِّ حَيٍّ فـداعِيـهِ لأَهْـلِ الأرْضِ دَاعِـي[3]

ومَــنْ لا يُـعْـتَـبطْ يـسْـأَمْ ويَـهْـرَمْ وتُـسْلِمْـهُ الْـمَنُـونُ إلى انْقِـطاعِ[4]

ومَـا لِـلمَـرْءِ خَـيْـرٌ فِـي حَـيـاةٍ إذَا مـا عُـدَّ مِـنْ سَقَطِ الـمَـتَـاعِ[5]

ـ شرح ديوان الحماسة، للتبريزي ١/٢٤ ـ ٢٥.

٣ ـ قصيدة لـ جميل بن مَعْمَر[6]

(من الطّويل)

ألا ليتَ ريعـانَ الشَّبـابِ جـديـدُ ودَهـراً تـولّى، يـا بُثَيْنَ، يـعـودُ[7]

---

(١) فصبراً الثانية تأكيداً لصبراً أو البيت.

(٢) أخو الخنع: الذليل. والخنوع: الذلة. واليراع: هنا الرجل الجبان، الذي لا قلب له. كأنه لا جوف له. فوضع اليراع مكان الجبان لأنه بمعناه. وأصل اليراع: القصبة التي لا جوف لها. يقول: إن الجبان وإن لبس ثوب البقاء والحياة، فإنه ليس بثوب عز وشرف فينزع عنه ويطوى.

(٣) غاية كل حي: يعني أنه لا بدّ لكل حي وإن طال عمره من سلوك سبيل الموت.

(٤) الاعتباط: أن يموت من غير علّة، أي: من لم يمت شاباً مات هَرِماً. ويسأم: أي يسأم ما يعتريه من تكاليف الهرم. يقول: إن من لم يمت شاباً ملّ وسئم من طول العمر. وتكاليف الحياة، ولا بدّ في يومٍ من الأيام أن يسلمه إلى الموت وانقطاع الأجل.

(٥) السقط: الرديء. والمتاع: الأداة. وسقط المتاع: الشيء التافه، أو هو الشيء الذي لا فرق بين وجوده وعدمه ولا توقف المنفعة عليه. يقول: إن المرء لا فائدة له في هذه الحياة، إذا لم يكن عنده كفاية في المهمات والموت حينئذٍ خير له من تلك الحياة.

(٦) جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث... من عُذْرة، ولهذا يسمى جميل بن معمر العذري، ويكنى أبا عمرو، وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك. وصاحبته بثينة. وهي من عذرة أيضاً، افتتن بها، وخصّها بقصائد كثيرة، وأكثر شعره في النسيب والغزل والفخر، وله شعر قليل في المدح. وشعره في الغزل رقيق، صادق، عفيف، طاهر. وقد لقي في سبيل حبه الألم والحزن والعنت والحرمان والنفي، حيث كانت منازل بني عذرة في وادي القرى (في المدينة) ورحلوا إلى أطراف الشام. ثم لجأ إلى مصر وافداً على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه عبد العزيز، فأقام قليلاً، ومات في مصر سنة ٨٢ هـ/٧٠١م. انظر ترجمته وأخباره في: طبقات فحول الشعراء، ص ٦٤٨، ٦٦٩ ـ ٦٧٩. والشعر والشعراء، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٨. والأغاني ٨/٩٠ ـ ١٥٥. (طبعة دار الثقافة). والأعلام ٢/١٣٨. وانظر: مقدمة ديوان جميل بثينة، ص ٥ ـ ٣٠.

(٧) ريعان الشباب: أوله وأفضله. وتولى: مضى.

فنَبْقى كما كُنّا نكونُ، وأنتمُ ... قريبٌ، وإذ ما تبذُلينَ زهيدُ

وما أنسَ، م الأشياءِ، لا أنْسَ قَوْلَها ... وقد قُرِّبتْ نَضْوِي: أَمِصْرَ تُريدُ؟[1]

ولا قولَها: لولا العيونُ التي ترى ... لزُرْتُكَ، فاعذِرْني، فدَتكَ جُدُودُ

خليليَّ، ما أَلقى منَ الوجدِ باطنٌ ... ودمعِي بما أُخفي، الغَدَاةَ، شهيدُ[2]

ألا قدْ أرى، واللهِ، أنْ رُبَّ عَبْرةٍ ... إذا الدارُ شطَّتْ بيْننا، ستَزيدُ[3]

إذا قلتُ: ما بي يا بُثَيْنَةُ قاتِلي ... من الحبِّ، قالتْ: ثابتٌ، ويزيدُ[4]

وإنْ قلتُ: رُدِّي بعضَ عقلي أَعِشْ به! ... تولَّتْ وقالتْ: ذاكَ منكَ بعيدُ!

فَلا أَنا مَرْدودٌ بما جئتُ طالباً، ... ولا حُبُّها فِيمَا يَبيدُ يَبيدُ[5]

جَزَتْكِ الجوازِي، يا بثينَ سلامةً ... إذا ما خليلٌ بانَ وهوَ حميدُ[6]

وقلتُ لها: بيني وبينَكِ، فاعْلَمي ... منَ اللهِ ميثاقٌ لهُ وعُهودُ[7]

وقد كانَ حُبِّيكُمْ طريفاً وتالداً ... وما الحُبُّ إلّا طارفٌ وتَليدُ[8]

وإنّ عَرُوضَ الوصلِ بيني وبينَها ... وإنْ سهَّلَتْهُ بالمُنى، لكَؤودُ[9]

وأفنيتُ عُمري بانْتظارِيَ وعْدَها ... وأبليتُ فِيها الدّهرَ وهوَ جديدُ

فليتَ وُشاةَ الناسِ، بيني وبينها ... يدوفُ لهُم سُمّاً طماطِمُ سُودُ[10]

---

(١) م الأشياء: من الأشياء. ونضوي: ناقتي الهزيلة الضامرة.

(٢) خليلي: من عادة الشعراء العرب أن يخاطب أحدهم صاحبيه. والخليل: الصديق المختص بالمودة. وشهيد: يشهد لي بذلك، ويقرّبه. والوجد: الحب الشديد. والغداة: ما بين الفجر، وطلوع الشمس.

(٣) شطت: بعدت، والعبرة الدمعة، يقسم أن دموعه ستزداد غزارة بعد الفراق الذي نصحه بعضهم به، أملاً في التخلّص من الحب.

(٤) ثابت: باق. ويزيد: أنه سيزيد.

(٥) يبيد: ينقضي، ويفنى، أي: ينقضي حبها ويفنى لأستريح.

(٦) جزتك: كافأتك. والجوازي: واحدتها الجازية، وهي المكافأة، أي: وجدت جزاء ما فعلت، وكوفئت سلامة. وبان: فارق. وحميد: صيغة مبالغة من حمد: شكر.

(٧) الميثاق: ما كان ثابتاً وقوياً ومحكماً من العهد. كأنه مشدود بالوثاق.

(٨) طارف: جديد. وتليد: قديم.

(٩) العروض: الطريق في عرض الجبل. وكؤود: شاقّة وصعبة.

(١٠) الوشاة: مفردها الواشي، وهو الغمام. ويدوف: من داف أي خلط وأذاب في الماء. والطماطم: أناس في ألسنتهم عجمة. والظاهر أن هؤلاء كانوا حاذقين في خلط الأدوية وإعدادها في تلك الأيام.

وليتهُمُ، في كلِّ مُمسىً وشارقٍ ... تُضاعَفُ أكبالٌ لهم وقُيودُ[1]
ويحسَبُ نِسوانٌ مِنَ الجهلِ أنّني ... إذا جئتُ، إيّاهُنَّ كنتُ أُريدُ
فأُقسِمُ طرْفي بينهنَّ فيستوي ... وفي الصدْرِ بوْنٌ بينهنّ بعيدُ[2]
ألا ليتَ شعري، هل أبيتنّ ليلةً ... بوادي القُرى؟ إني إذَنْ لسعيدُ![3]
وهل أهبطَنْ أرضاً تظلُّ رياحُها ... لها بالثّنايا القَاوياتِ وئِيدُ؟[4]
وهلْ ألقَيَنْ سُعدى من الدَّهْرِ مرّةً ... وما رَثَّ مِنْ حَبلِ الصَّفاءِ جديدُ؟[5]
وقد تلتقي الأشتاتُ بعد تفرُّقٍ ... وقد تُدرَكُ الحاجاتُ وهي بعِيدُ
وهل أزْجُرَنْ حرْفاً عَلاةً شِمِلَّةً ... بخَرْقٍ، تُباريها سَوَاهِمُ قُودُ[6]
على ظهرِ مرهوبٍ، كأنَّ نُشوزَهُ ... إذا جازَ هُلّاكُ الطّريقِ، رُقُودُ[7]
سبتني بعيْنَيْ جُؤذُرٍ وَسْطَ رَبربٍ ... وصدرٌ كفاثُورِ اللُّجينِ، وجِيدُ[8]
تَزيفُ، كما زافتْ إلى سَلِفاتِها ... مُباهيةٌ، طيَّ الوشاحِ، مَيُودُ[9]

---

(١) ممسى وشارق: مساء كل يوم وصباحه. والأكبال: مفردها الكبل. وهو القيد العظيم.

(٢) طرفي: يقصد نظراته. والبون: الفرق الكبير بين أمرين.

(٣) ليت شعري: ليتني أعرف. ووادي القرى: واد بين الشام والمدينة فيه قرى كثيرة، فيه منازل لقضاعة ثم جهينة وعذرة، وهنا يتمنى أن يبيت بوادي القرى، حيث يقيم الأحبة.

(٤) الثنايا: جمع الثنية، وهي ما انطوى وانحنى واعوجّ من الأرض. والقاويات: الأرض المقفرة الخالية والتي لا تمطر. ووئيد: الصوت الشديد، الآتي كالدوي من بعيد.

(٥) رث: بلى.

(٦) أزجرن: أسوق النوق صائحاً بها، وكأنني أطردها: والحرف: الناقة الظامرة. وعلاة: الناقة العالية المشرفة، وشملةٌ: الناقة السريعة. والخرق: الأرض الواسعة التي تهب فيها الرياح وكأنها تخرقها. والسواهم: النوق الضوامر. والقود: المذللة للمسير. واحدها: أقود وقوداء.

(٧) النشوز: جمع النشز: وهو المكان المرتفع. يتساءل متمنياً عما إذا كان سيسوق ناقته العالية السريعة على طريق مخيف أشد الخوف. أو لعله يريد أنه يسير إلى غرضه على ظهر ناقة جهدها السير لكثرة ما سارت. وجاز هلّاك الطريق: مرّ بهم وتجاوزهم وأبقاهم وراءه، وهم الذين ما عادوا قادرين على اجتياز تلك الأرض المقفرة الوعرة.

(٨) جؤذر: ولد البقرة الوحشية. والربرب: القطيع من بقر الوحش. والفاثور: المائدة من رخام، أو قرص الشمس. واللجين: الفضة.

(٩) تزيف: تمشي كما تمشي الحمامة، أي مسترخية في المشي متمهلةً جارة أذيالها. وسلفاتها: نساء إخوة =

إذا جئتُها يوماً من الدهرِ، زائراً تعرَّضَ منفوضُ اليدينِ، صدُودُ[1]

يصدُّ ويُغضي عن هَوايَ، ويجتني ذُنُوباً عليها، إنّهُ لعَنُودُ!

فأصرِمُها خوفاً، كأني مُجانِبٌ ويَغفُلُ عنّا مرّةً، فنعودُ [2]

ومن يُعْطَ في الدنيا قريناً كمِثلِها فذلكَ في عيشِ الحياةِ رَشيدُ[3]

يموتُ الهوى مِني إذا ما لقيتُها ويحيا، إذَا فارقْتُها، فيعودُ

يقولون: جاهِدْ، يا جميلُ، بغزوةٍ وأيَّ جهادٍ، غيرهنّ، أريدُ!

لكُلِّ حديثٍ بينَهنَّ بشاشةٌ وكُلُّ قتيلٍ عندهنّ شهيدُ

وأحسنُ أيّامي، وأبهجُ عِيشتي إذا هِيجَ بي يَوْماً، وهُنّ قُعُودُ

تذكّرتُ ليلى، فالفؤادُ عميدُ وشطّتْ نَواهَا، فالمَزارُ بعيدُ[4]

عَلِقْتُ الهوَى مِنها وَليداً، فلم يَزَلْ إلى اليومِ يَنمي حُبُّها ويَزيدُ

فما ذُكِرَ الخُلاّنُ إلاّ ذَكَرْتُها، ولا البُخلُ إلاّ قلتُ سَوفَ تجودُ

إذَا فكّرتْ قالتْ: قد آدْركتُ وُدَّهُ وما ضرَّني بُخلي، فكيفَ أجودُ!

فلو تُكشفُ الأحشاءُ صُودِفَ تحتَها لِبَثْنَةَ، حُبٌّ طارفٌ وتَليدُ[5]

ألَمْ تعلمي يا أُمَّ ذي الوَدْعِ أنّني أُضاحِكُ ذِكراكمْ، وأنتِ صَلودُ؟[6]

فهلْ ألقَيَنْ فرداً بُثَيْنَةَ ليلةً تجودُ لنا مِن وُدِّها ونجودُ؟

= زوجها. شبه مشيتها مباهية بمشية المرأة التي تسير قاصدة نساء إخوة زوجها. والوشاح: نسيج عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها. وميود: كثيرة التمايل والاهتزاز.

(١) منفوض اليدين: من أصابته رعدة من غضب وسواه كالغيرة. . . . ولعله يريد زوجها. ويصد: يعرض ويمنع.

(٢) أصرمها: أهجرها. ومجانب: أي نحاه وأبعده ودفعه.

(٣) رشيد: موفق.

(٤) العميد: العاشق الذي هدّه العشق. وشطت: بعدت. ونواها: النوى: البعد. رحلة بعيدة ينويها المسافر.

(٥) الطارف: القديم. والتليد: الجديد.

(٦) الودع: الواحدة الودعة، صدفات صغار تخرج من البحر، في وسطها شقّ مثل شقّ نواة التمر تعلّق في العنق للزينة، أو لدفع الإصابة بالعين. وأم ذي الودع: يقصد حبيبته التي تتزين بهذه الأشياء. وصلود: شديدة البخل لا تلين.

ومنْ كـانَ في حبِّي بُثينَـةَ يمتـري فبـرقـاءُ ذي ضـالٍ عليَّ شهيـدُ[1]

ـ ديوان جميل بثينة، ص ٤٣ ـ ٤٦.

٤ ـ من قصيدة عُبيد اللّه بن قيس الرقيات[2] في مدح مُصْعَب بن الزبير[3]

(من الخفيف)

حَبَّـذا العَيْشُ حِينَ قَـوْمي جَميـعٌ لَـمْ تُـفَـرِّقْ أُمُـورَهـا الأَهْـواءُ

قَبْـلَ أَنْ تَـطْمَـعَ القبـائـلُ في مُلْـ ـكِ قُـرَيْشٍ وتَـشْـمَـتَ الأَعْـداءُ

أَيُّهـا الـمُشْـتَهِي فَـنـاءَ قُـرَيْشٍ بِـيَـدِ الـلَّهِ عُـمْـرُهـا والْـفـنـاءُ

إِنْ تُـودِّعْ مِـنَ الـبِـلادِ قُـرَيْشٌ لا يكُـنْ بـعْـدَهُـم لِـحَـيٍّ بقـاءُ[4]

لـوْ تُـقَفِّي وتَتْـرُكُ النّـاسَ كـانُـوا غَنَمَ الـذِّئْبِ غـابَ عنْهـا الـرِّعـاءُ[5]

هَـلْ تـرى مِـن مُخَـلَّدٍ غَيْـرَ أَنَّ الْـ ـلَّهَ يـبْـقَـى وتَـذْهَـبُ الأَشْـيـاءُ

يـأْمُلُ النّـاسُ في غـدٍ رغَبَ الـدَّهْـ ـرِ، أَلا فـي غـدٍ يـكـونُ الـقـضـاءُ

لـمْ نَـزَلْ آمِنِيـنَ يـحْسُـدُنـا الـنّـا سُ ويـجْـرِي لـنَـا بِـذاكَ الـثَّـراءُ

(١) يمتري: يشك، وبرقاء ذي ضال: موضع في وادي القرى. ويروي صاحب الأغاني (١٢٨/٨): أن رهط بثينة قالوا: إنما يتبعُ جميلٌ أمةً لنا. فواعد جميل بثينة حين لقيها ببرقاء ذي ضال، فتحادثا ليلاً طويلاً حتى أسحرا. ثم قال لها: هل لك أن ترقدي؟ قالت: ما شئت، وأنا خائفة أن نكون قد أصبحنا، فوسّدها جانبه ثم أضجعها، ونامت، فانسلّ واستوى على راحلته فذهب، وأصبحت في مضجعها، فلم يُرَع الحيُّ إلا بها راقدة عند مناخ راحلة جميل في يوم ذي ضال، بوادي القرى.

(٢) عبيد اللّه بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة. . . بن لؤيّ بن غالب من قريش، وقد نسب إلى الرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة سمين جميعاً رقية. وهو من الطبقة السادسة من الإسلاميين، وكان غزلاً، وأغزل من شعره شعر عمر بن أبي ربيعة، وكان عمر يضرح بالغزل، ولا يهجو ولا يمدح، وكان عبد اللّه يشبب ولا يصرح.. وكان انقطاعه إلى آل الزبير، وقد خصهم بغرر قصائده، وكان يهاجم الأمويين، وهو القائل لعبد الملك بن مروان:

قـد رضـيـنـا، فـمُـتْ بـدائـك غـيـظاً لا تـمـيـتـنّ غـيـرَك الأدواءُ.

وكان مقيماً في المدينة، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير، مصعب وعبد اللّه، ثم سأل عبد الملك ليؤمنه، فأمّنه، توفي سنة ٨٥ هـ/٧٠٤ م. انظر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء، ص ٦٤٧ ـ ٦٥٥. والأغاني ٦٤/٥ ـ ٩١، ١٩٦/١٧ ـ ٢٠٠ (طبعة دار الثقافة). والأعلام ١٩٦/٤.

(٣) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو عبد اللّه، أحد الولاة، نشأ بين يدي أخيه عبد اللّه بن الزبير، ولاّه البصرة، وجه إليه عبد الملك جيشاً، فانتصر عليه، وقتل سنة ٧١ هـ/٦٩٠ م. (الأعلام ٢٤٧/٧).

(٤) تودع: تهلك.

(٥) تُقفّي: تذهب. والرعاء: جمع الراعي. يقول: لو ذهبت قريش، لكان الناس كالغنم للذئاب إذا تركها الرعاة.

فـرضِيـنَـا فـمُـتْ بـدائـكَ غـمَّـا ... لا تُـمِـيـتَـنَّ غَـيْـرَكَ الأَدْواءُ

لَـوْ بَـكَتْ هـذِهِ الـسَّمَـاءُ عَـلَى قَـوْ ... مٍ كِـرَامٍ بَـكَـتْ عَـلَيْـنَـا الـسَّـمَـاءُ

نَـحْنُ مِـنَّـا الـنَّبِيُّ الأُمِّيُّ والـصِّـدّ ... يـقُ مِـنَّـا الـتَّـقِـيُّ والـخُـلفـاءُ

وقـتِـيـلُ الأَحْـزَابِ حَـمْـزَةُ مِـنَّـا ... أَسَـدُ اللَّهِ والـسَّـنـاءُ سَـنَـاءُ[1]

وعـلِيٌّ وجَـعْـفَـرٌ ذُو الـجَـنَـاحَـيْـ ... ـنِ هُـنَـاكَ الـوَصِـيُّ والـشُّـهَـداءُ[2]

والـزُّبَيْـرُ الـذي أَجـابَ رسـولَ الـ ... ـلَّهِ فـي الـكَـرْبِ والـبَـلاءُ بَـلاءُ[3]

والَّـذي نَـغَّصَ ابنَ دَوْمَـةَ مـا تُـو ... حِي الشَّيـاطينُ والسُّيُـوفُ ظِمـاءُ[4]

فـأَبـاحَ العِـرَاقَ يَضْـرِبُهُمْ بـالسَّيْـ ... ـفِ صَلْتـاً وفي الـضِّـرَابِ غَـلاءُ[5]

فـسَـعَوْا كَـيْ يُـفَـلِّلوكَ ويَـأْبى الـ ... ـلَّهُ إلَّا الَّـذي يـرَى ويَـشَـاءُ[6]

حَـسَـداً إِذْ رأَوْكَ فـضَّـلَكَ الـلَّـ ... ـهُ بِـمـا فُـضِّـلَتْ بـهِ الـنُّـجَـبَـاءُ

فـعَـلى هَـدْيِـهِـمْ خَـرَجْـتَ ومَـا طِـ ... ـبُّـكَ في اللَّهِ إِذْ خَـرَجْـتَ الـرِّيـاءُ

إِنْ تَـعِشْ لا نَـزَلْ بِـخَـيْـرٍ وإِنْ تَـهْـ ... ـلِكْ نَـزُلْ مِثْـلَ ما يَـزُولُ العَمـاءُ[7]

إِنَّـمـا مُـصْـعَـبٌ شِـهـابٌ مِـن الـلَّـ ... ـهِ تـجلَّتْ عَـنْ وَجْهِـهِ الـظُّلْمـاءُ[8]

مُـلْكُـهُ مُـلْكُ قُـوَّةٍ لـيْسَ فـيـهِ ... جَـبَـرُوتٌ وَلا بِـهِ كِـبْـرِيـاءُ

يـتَّـقِـي الـلَّهَ فـي الأُمـورِ وَقَـدْ أَفْـ ... ـلَحَ مَـنْ كـانَ هَـمَّـهُ الاتِّـقـاءُ

---

(١) حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ قتله وحشي غلام جبير بن مطعم يوم أحد.

(٢) جعفر بن أبي طالب. والوصي: يعني علياً كرم الله وجهه.

(٣) الزبير بن العوام، أبو عبد الله، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، هاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها، وهو أول من سلّ سيفاً في سبيل الله، قتل يوم الجمل.

(٤) يعني مصعباً. وابن دومة: المختار، أي نغص ابن دومة ملكه. وابن دومة: المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان المختار لا يوقف له على مذهب، كان خارجياً ثم صار زبيرياً ثم صار رافضياً في ظاهره. وقوله: ما توحي الشياطين، فإن المختار كان يدعي أنه يلهم ضرباً من الشجاعة لأمور تكون، ثم يحتال فيوقعها. فيقول للناس: هذا من عند الله عز وجل.

(٥) الصلت من السيوف: الصقيل الماضي. والصلت من الرجال: الشجاع الماضي في الحوائج . وفي الضراب غلاء: لا يقدر عليه كلّ إنسان.

(٦) يفلل: يضلل، يهزم، يكسر.

(٧) العماء: السحاب.

(٨) الشهاب: الكوكب، وتجلت: انكشفت.

إنّ لِلّهِ درَّ قَوْمٍ يُرِيدُو ... نَكَ بِالنَّقْصِ والشَّقاءُ شقاءُ
بعْدَمَا أَحْرزَ الإلَهُ بِكَ الرَّتْ ... قَ وهَرَّتْ كِلابُكَ الأعْدَاءُ[1]
وَرِجالٌ لَوْ شئتَ سمَّيْتَهُمْ مِـ ... ـنَّا وَمِنَّا القُضاةُ والعُلَماء
مِنْهُمُ ذو النَّدَى سُهَيْلُ بنُ عمروٍ ... عِصْمَةُ الجَارِ حينَ حُبَّ الوَفَاءُ[2]
حَاطَ أخْوَالَهُ خُزَاعَةَ لمّا ... كَثَرَتْهُمْ بِمَكّةَ الأحْيَاءُ
حِينَ قالَ الرَّسُولُ زُولُوا فَزالوا ... شَرَعَ الدّينَ، ليْسَ فيهِ خَفَاءُ

* * *

عَيْنِ فابْكِي على قُرَيْشٍ، وَهَلْ يُرْ ... جِعُ مَا فَاتَ إنْ بَكَيْتِ البُكَاءُ
مَعْشَرٌ حَتْفُهُمْ سُيوفُ بني العَلّا ... تِ يَخْشَوْنَ أنْ يَضِيعَ اللِّواءُ[3]
تَرَكَ الرَّأسَ كالثَّغَامَةِ مِنِّي ... نَكَبَاتٌ تَسْرِي بِهَا الأنْبَاءُ[4]
مِثْلُ وَقْعِ القَدُومِ حَلّ بنا فالنَّـ ... ـاسُ مِمَّا أصابَنَا أخْلاءُ[5]
لَيْسَ لِلّهِ حُرْمَةٌ مِثْلُ بَيْتٍ ... نَحْنُ حُجَّابُهُ عَلَيْهِ المُلاءُ[6]
خَصَّهُ اللّهُ بالْكَرَامَةِ فالْبَا ... دُونَ والعاكِفُونَ فيهِ سواءُ[7]
حَرَّقَتْهُ رِجالُ لخْمٍ وَعَكٍّ ... وَجُذَامٌ وَحِمْيَرٌ وَصُدَاءُ[8]
فَبَنَيْنَاهُ مِنْ بَعْدِ مَا حَرَّقُوهُ ... فاسْتَوَى السَّمْكُ واسْتَقَلَّ البِناءُ[9]

---

(١) أحرز الرتق: أزال التصدع والفرقة.

(٢) سهيل بن عمرو بن عبد شمس، هو الأعلم الخطيب، وكان من أشراف قريش وأمه من خزاعة، أسلم يوم الفتح، وقام بعد ذلك بمكة خطيباً حين توفي الرسول ﷺ وهاج أهل مكة، وكادوا يرتدون، فسكن الناس، وقبلوا منه. وخرج سهيل بجماعة أهله إلى الشام فجاهدوا حتى ماتوا كلهم هناك، توفي بالطاعون سنة ١٨ هـ.

(٣) بني العلات: الأقارب، والأصل: بنو أمهات شتى من أب واحد. يريد لخم وعكّ وجُذام أيام عبد الله ابن الزبير وبني أمية.

(٤) الثغامة: واحدة الثغام، وهو نبت يبيضّ عندما ييبس، يشبه به الشيب. وتسري: تسير ليلاً.

(٥) أخلاء: أي أخلياء من الهموم، وما نحن فيه من شقاق.

(٦) الملاء: جمع الملاءة، وهي الريطة أو الثوب.

(٧) البادون: من هم خارج المسجد. والعاكفون: من هم داخله. يريد من في مكة وخارجها.

(٨) أي هدمته رجال لخم وجذام وحمير (من اليمن) وعك من نزار.

(٩) السمك: السقف. واستقل: ارتفع.

كَيْفَ نَـوْمِي على الـفِـراشِ ولمّـا ... يَـشْمَـلِ الـشَّـامَ غَـارةٌ شَـعْـوَاءُ[1]

تُـذْهِـلُ الشَّيْـخَ عَن بنِيـهِ وتُبْـدِي ... عـن بُـرَاهـا الـعَـقِـيلَةُ الـعَـذْرَاءُ[2]

أنـا عَـنْـكُـمْ بَـنـي أُمـيَّـةَ مُـزْوَرٌّ ... وأَنْـتُـمْ فـي نَـفْـسِـيَ الأَعْـداءُ[3]

إنّ قَتْلَى بـالـطَّفِّ قـدْ أَوْجَعَتْنِـي ... كـانَ مِـنْكُـمْ لئـنْ قُـتِـلتُـمْ شِـفَـاءُ[4]

- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص ٨٧ - ٩٦

٥ - من قصيدة للأخطل[5] في مدح عبد الملك بن مروان[6] وهجاء قيس وبني كليب رهط جرير

(من البسيط)

خَفَّ القَطِيْنُ، فراحُوا مِنكَ، أو بَكَرُوا ... وأَزْعَجَتْهُمْ نَـوىً، في صَرْفِهـا غِيَـرُ[7]

---

(١) غارة شعواء: أي متفرقة، أي: حرب الأمويين.

(٢) البُرى: الخلاخيل، واحدتها برة، يريد: أن النساء يكشفن عن خلاخيلهن، وسيقانهـن أثناء الهرب حين وقوع الفزع.

(٣) مزور: كاره.

(٤) يشير إلى مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه في كربلاء، وهي تقع في الطف، من ضواحي الكوفة، وقد قتـل فيها معه نفر كثير من القرشيين، في سنة ٦١ هـ .

(٥) هو غياث بن غوث بن الصّلت بن الطّارقة التغلبي، أبو مالك، نشأ على النصرانية في أطراف الحيرة بالعراق، اتصل بالأمويين فكان شاعرهم، ومحلّه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف، وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة، جعلها ابن سلام أول طبقات الإسلام، ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل ولكل واحد منهم طبقة تفضله على الجماعة، يقال عن التحامه بالشعراء: أنـه بلغه تهـاجي جريـر والفرزدق، فقال لابنه مالك: انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما فتأتيني بخبرهما ، فانحدر مالك حتى لقيهما، واستمع منهما، ثم لقي أباه فقال: وجدت جريراً يغرف من بحر، ووجـدت الفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطل: الذي يغرف من بحر أشعرهما. وحين علم بشر بن مروان والي الكوفة بقدوم الأخطل عليه. أرسل إليه شخصاً ليرشوه بـألف درهم وبغلة وكسـوة وخمر، وقـال له: اهـج جريراً، . . . وقد فعل ذلك. . . ولكنه لم يصمد لجرير، فدفعه ذلك إلى أن يعين الفرزدق عليه. . . .
وقد تقدم الأخطل في المدح ونعت الخمر على صاحبيه لنصرانيته وإسلامهما، وأعانه على السبق في المديح عنايته بالصياغة وتعلقه بالصنعة، وحرصه على إرضاء الخلفاء حماية للنصرانيين من تغلب.
توفي سنة ٩٠ هـ/ ٧٠٨ م. انظر ترجمته في: طبقات الشعـراء، ص ٧٥ - ١١٧. وطبقات فحـول الشعـراء، ص ٤٥١ - ٥٢١. والشعـر والشعـراء. ص ٣٠١ - ٣١٢. والأغـاني ٨/ ٢٧٩ - ٣٢١، ١١/ ٥٥ - ٦٢. (طبعة دار الثقافة) والأعلام ٥/ ١٢٣. وانظر تعريف النقائض: قصيدة الفرزدق رقم ٨.

(٦) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي تولى الخلافة سنـة ٦٥ هـ . وتوفي سنـة ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م. الأعلام ٤/ ١٦٥.

(٧) خف: أسرع. والقطين: القـوم المجاورون. وأزعجتهم: أشخصتهم وأقلقتهم. وراحـوا: ذهبوا في =

إلى امرىءٍ، لا تُعَرِّينا نوافِلُهُ ... أَظْفَرَهُ اللّهُ، فلْيَهْنَأْ لهُ الظَّفَرُ(١)

الخائضِ الغَمْرَ، والمَيْمُونِ طائرُهُ ... خَليفةِ اللّهِ، يُسْتَسْقى بهِ المَطَرُ(٢)

والهَمُّ، بعدَ نَجيِّ النَّفْسِ، يبْعَثُهُ ... بالحَزْمِ، والأَصمعانِ:القلبُ والحَذَرُ(٣)

والمُسْتَمِرّ بهِ أَمْرُ الجَميعِ، فما ... يغْتَرُّهُ، بعدَ تَوكيدٍ لهُ، غَرَرُ(٤)

وما الفُراتُ ـ إذا جاشَتْ حوالِبُهُ ... في حافَتَيْهِ، وفي أوساطِهِ العُشَرُ(٥)

وزَعْزَعَتْهُ رياحُ الصَّيْفِ، واضطَرَبَتْ ... فوقَ الجآجِىءِ، مِن آذيِّهِ، غُدُرُ(٦)

مُسْحَنْفِراً، مِن جِبالِ الرُّومِ، تَسْتُرُهُ ... مِنها أَكافيفُ، فيها دُونَهُ زَوَرُ(٧)

يوماً بأَجْوَدَ مِنهُ، حِينَ تسأَلُهُ ... ولا بأَجْهَرَ مِنهُ، حينَ يُجْتَهَرُ(٨)

ولم يَزَلْ بِكَ واشِيهِمْ، وَمَكْرُهُمُ ... حتّى أَشاطُوا، بِغَيْبٍ، لَحْمَ مَنْ يَسَرُوا(٩)

فمَنْ يكُنْ طاوِياً عنّا نَصِيحَتَهُ ... وفي يدَيْهِ، بِدُنْيا غَيْرِنا، حَصَرُ(١٠)

= الرواح، أي: العشي، وهي ضد بكروا. والصرف: التقلب. والغير: التغيُّر.

(١) لا تعرينا: لا تتركنا ولا تغفلنا. والنوافل: الهبات.

(٢) الغمر: الماء الكثير، وأراد به شدة الحرب. والميمون الطائر: المبارك الحظ.

(٣) نجيّ النفس: ما ناجى به نفسه. والأصمع: الذكي الحاد. ويقال: أصمع القلب، إذا كان ذكياً. يقول: إذا همّ بأمر بعثه الهمُّ بالحزم، وكذلك القلب والحذر يبعثانه أيضاً.

(٤) يغتره: يأتيه على حين غرة، والغرر: التغرير. يقول: استمر به أمر الناس، واستقام وصلح، وأنه إذا وكّد عهداً وفى به.

(٥) جاشت: زخرت واضطربت. وحوالبه: موادُّه التي تصب فيه. والعشر: كبار شجر العضاه. يريد أنه يقتلع بجريه الشجر.

(٦) زعزعته: حركته. والجوجؤ: مقدم السفينة. وجآجئه: قيل صدوره، وقيل صدور السفن. والآذي: الموج. والغدر: جمع غدير.

(٧) المسحنفر: المتدفق السريع الجري. والأكافيف: المناكب من الجبال والجوانب، أي: ما يحبس الماء، واحدها الإكفاف. والزور: الميل.

(٨) الجهير: الجسيم الرائع، يقال: جَهَرْتُ الرجلَ واجتَهَرتُهُ: إذا أعجبك حسنه.

(٩) أشاطوا: فرقوا. ويسرت الناقة: إذا جزّأت لحمها أجزاءً. وهنا يعرض بعبد اللّه بن الزبير بن العوام، يقول: لم يزالوا يمكرون بك حتى عاد مكرهم بك عليهم، فيسروا لحومهم كما ييسرون الجَزور.

(١٠) طاوياً: مضمراً ممسكاً. وحصر: ضيق وبخل. يقول: من كان من الناس يذخرك نصيحة ولا يجود بماله على السؤال والمعتفين فهم فداؤك إذا اشتد الأمر.

فهْــوَ فِــداءُ أَمِيــرِ الـمُؤمِـنيـنَ، إذا ... أَبـدَى النَّواجِـذَ يومٌ، بـاسـلٌ، ذَكَـرُ[1]

مُفْتَـرِشٌ كـافْتِـراشِ اللَّيْـثِ كَلْكَـلَهُ ... لِـوَقْعَـةٍ، كـائنٍ فيهـا لـهُ جَـزَرُ[2]

مُـقـدِّمُ مـائـتـيْ أَلْـفٍ، لِـمَـنْـزِلَـةٍ ... مـا إنْ رأَى مِثلَهُـمْ جِنٌّ، ولا بَـشَـرُ

يغْشَى القَنَـاطِـرَ، يبْنِيهـا، ويَهْـدِمُهـا ... مُسَـوِّمٌ، فـوقَـهُ الـرّايـاتُ، والقَتَـرُ[3]

حَتّى تكـونَ لهُمْ بـالـطّفِ مَلْحَمَـةٌ ... وبـالـثُّـوِيّـةِ، لم يُنْبَضْ بِهـا وَتَـرُ[4]

وتَـسْـتَـبِـيْـنَ لِأَقْـوامٍ ضـلالَـتُـهُـمْ ... ويَستَقيْمَ الـذي في خَـدِّهِ صَـعَـرُ[5]

والمُسْتَقِـلُّ بـأثقـالِ العِـراقِ، وقـد ... كـانتْ لـهُ نِعْمَـةٌ فِيهم، ومُـدَّخَـرُ[6]

في نَبْعَـةٍ، مِن قُريشٍ، يَعْصِبُـونَ بِهـا ... مـا إنْ يُوازَى بـأَعْلَى نَبْتِهـا الشَّجَـرُ[7]

تَعْلُو الهِضـابَ، وحَلُّوا في أُرُومَـتِهـا ... أَهلُ الرِّباءِ، وأَهلُ الفَخْرِ، إن فخَروا[8]

حُشْدٌ على الحَقِّ، عَيّـافُو الخنا، أُنُفٌ ... إذا أَلَمَّتْ بهم مَكْـرُوهَـةٌ صَبَـرُوا[9]

---

(١) النواجذ: جمع الناجذ، وهو الضرس الذي يلي الناب. والباسل: الكريه الشديد. الذكر: الصلب العسير، يقول: فهم فداء أمير المؤمنين إذا اشتد اليوم وكشفه اللّه به.

(٢) المفترش: البارك على صدره. والكلكل: مقدّم الصدر والجزر: القتلى.

(٣) المسوم: المعلم خيله بعلامات الحرب. والقتر: الغبار. يقول: هو يأمر بقطع جسور وببناء جسور، وهو مسوّم أي قد علّم خيله بعلامات الغزو وفوقه الرايات والألوية.

(٤) أراد بقوله: «الطف» مصعب بن الزبير، بها قتل. والثوية: بظهر الكوفة وبها قبر زياد بن أبيه. ولم ينبض بها وتر: يريد أنها حرب صعبة، ليس فيها رَمْيٌ، وإنما فيها الطعن والضرب.

(٥) الصعر: الميل في الرأس من الكبر والنخوة.

(٦) استقل: نهض بأثقال، أي بحمالات ودماء، والمدخر: الصنائع المدخرة.

(٧) يعصبون بها: يجتمعون حولها. والنبعة: ضرب من الشجر، وهي أجوده. ويوازي: يحاذي. وقريش: هو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن الياس بن مُضر. والحديث عن عبد الملك وقومه يقول: هو في أمنع قريش، وأعزهم، فسائر قريش يُمْنَعُون بهم وليس يوازيهم قومٌ في الشرف والمنعة.

(٨) حلوا: نزلوا: والأرومة: الأصل. والرباء: العدد والكثرة. يقول: فرَعَت هذه النبعةُ الهضابَ ونزلوا في أصلها.

(٩) الحشد: المتحاشدون، أي أنهم يتحاشدون على الحق ويتعاونون عليه. ويجتهدون فيه. والخنا: الفحش. والعياف: الشديد الكره. والأنف: جمع أنوف وأنِف. وألمت: أصابتهم مكروهة داهية وشدّة، يقول: هم يتعاونون على إقامة الحقوق، وهم حلماء، يصمتون عن الفحش، وإن أصابتهم الشدائد صبروا لها.

وإنْ تَـدَجّتْ على الآفـاقِ مُـظْلِمَـةٌ ... كـانَ لهُمْ مَخْـرَجٌ مِنهـا، ومُعْتَصَرُ[1]

أَعـطاهُمُ اللّهُ جَـدّاً، يُنصـرُونَ بِـهِ ... لا جَدَّ إلّا صَغيرٌ، بعْـدُ، مُحْتَقَرُ[2]

لم يـأْشَـرُوا فيـهِ، إذْ كـانُـوا مَـواليَـهُ ... ولـو يكونُ لِقَـومٍ، غَيْرِهِمْ، أَشِـرُوا[3]

شُمْسُ العَـدواةِ، حَتّى يُستـقـادَ لهُـمْ ... وأَعظمُ النّاسِ أَحـلاماً، إذا قَـدَرُوا[4]

لا يستـقِـلُّ ذوُو الأَضغـانِ حَـرْبَـهُمُ ... ولا يُـبَيِّنُ في عِيْـدانِـهِـمْ خَـوَرُ[5]

هُـمُ الـذينَ يُـبـارُون الـرّيـاحَ، إذا ... قلَّ الطّعـامُ على العافِيْنَ، أَو قَتَـرُوا[6]

بنِي أُمـيّـةَ، نُـعْـمـاكُـمْ مُـجَـلِلَّةٌ ... تَمَّتْ، فـلا مِنَّةٌ فيهـا، ولا كَـدَرُ[7]

بنِي أُمـيّـةَ، قـد نَـاضلْتُ دُوْنَـكُـمْ ... أَبناءَ قومٍ، هُمُ آوَوْا، وهمْ نَصـرُوا[8]

أَفْحَمْتُ عنكم بني النَّجّارِ، قد عَلِمتْ ... عُلْيـا مَعَدٍّ، وكـانـوا طـالمـا هَـدَرُوا[9]

---

(١) تدجت: أظلمت، والمعتصر: الملجأ. يقول: وإن فُتن النـاس، كانـوا غياثهم وملجأهم الذي إليـه يفرّون.

(٢) الجد: الحظ. يقول: أعطاهم اللّه حظاً من الخير ينصرون به، فكل حظوظ الناس عنده محتقرةٌ صغيرةٌ.

(٣) يأشرون: يبطرون. ومواليه: أولياؤه، والهاء في مواليه، كناية عن الحق.

(٤) الشمس: جمع الشموس، وهو الصعب العسر. أي: أنهم يشمسون على أعدائهم حتى يذلوهم، فإذا أطيعوا واستُسلم لهم فهم أعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا على من بغى عليهم.

(٥) يستقل: يطيق، والأضغان: الأحقاد. ويبين: يظهر ويبدو. والخور: الضعف. وفي عيدانهم: أي في أنفسهم.

(٦) العافون: جمع عاف. وهو طالب الخير والعطاء. وقتروا: أصابهم إقلال من الملال. ويبارون الرياح: يسابقونها في الإسراع إلى الكرام.

(٧) المجللة: العامة الشاملة. والكدر: التنغيص. وأمية: هو ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

(٨) أراد بالقوم: الأنصار. وناضلت دونكم: دافعت عنكم الأنصـار الذين آووا الـرسول ﷺ بعـد الهجرة ونصروه. وكان يزيد بن معاوية أمره أن يهجو الأنصار فهجاهم قائلاً:

ذهـبـت قـريش بـالـمـكـارم والـعـلى ... والـلـؤم تـحـت عـمـائـم الأنـصـار

(٩) أفحمته: أسكتّه وقطعته عن قول الشعر. وبنو النجار: أخوال الرسـول ﷺ من الأنصار. ومعـد: جدّ النزارية. وهدروا: افتخروا. يقول: اسكت عنكم الأنصار بهجائي ولساني. وكـانوا طـالما تكلمـوا فيكم. وكان عبد الرحمن بن حسان بن ثابت يشبب بابنة معاوية، فأمر يزيد كعب بن جعيل التغلبي بهجاء الأنصار. فقال: أرادي أنت إلى الكفر بعد الإيمان؟! ودله على الأخطل، فهجاهم بقصيدة.

حتّى استكانُوا، وهُمْ مِنّي على مَضَضٍ ... والقَولُ يَنْفُذُ مالا تَنْفُذُ الإبَرُ[1]

بَنِي أُميَّةَ، إنّي ناصِحٌ لكُمُ ... فلا يَبِيتَنَّ، فيكُمْ، آمِناً، زُفَرُ[2]

واتَّخِذُوهُ، عَدُوّاً، إنّ شاهِدَهُ ... وما تَغيَّبَ، مِن أخلاقِهِ، دَعَرُ[3]

إنّ الضَّغِيْنَةَ تَلقاها، وإن قَدُمَتْ ... كالعَرِّ، يكْمُنُ حِيناً، ثمّ يَنْتَشِرُ[4]

وقد نُصِرْتَ، أميرَ المؤمنينَ، بنا ... لمّا أتاكَ، بِبَطْنِ الغُوطَةِ، الخَبَرُ[5]

يُعَرِّفونَكَ رأسَ ابنِ الحُبابِ، وقد ... أضْحَى، وللسَّيفِ في خَيْشومِهِ أثَرُ[6]

لا يسْمَعُ الصَّوْتَ، مُسْتَكّاً مسامِعُهُ ... وليسَ يَنْطِقُ، حتّى يَنْطِقَ الحَجَرُ[7]

أمْسَتْ إلى جانِبِ الحشّاكِ جِيفَتُهُ ... ورأسُهُ دونَهُ اليحْمُومُ، والصِّوَرُ[8]

يسْألُهُ الصُّبْرُ من غسّانَ، إذ حَضَرُوا ... والحَزْنُ: كيف قَراكَ الغلْمَةُ، الجَشَرُ؟[9]

والحارثَ بنَ أبي عوفٍ، لَعِبْنَ بهِ ... حتّى تعاوَرَهُ العِقْبانُ، والسُّبَرُ[10]

وقَيْسَ عَيْلانَ، حتّى أقْبلُوا رَقَصاً ... فبايعوكَ، جِهاراً، بعدَ ما كفرُوا[11]

---

(١) استكانوا: سكنوا. والمضض: الوجع. ونفذ القول: مضى وجرى. يقول: حتى أقروا وسكنوا بطاعتكم وفضلكم، والقول يدخل مداخلَ لا تجوزها الإبر.

(٢) زفر: هو ابن الحارث الكلابي، أحد بني نفيل بن عمرو بن كلاب، كان زعيم قيس على تغلب وعلى أمية.

(٣) شاهده: ظاهره. والدعر: الفساد والخبث. أي لا تغتروا بصلحه، لأنه لا خير فيه.

(٤) العر: الجرب. يقول: إن الجرب وإن كان كامناً لا بدّ أن يظهر. وكذلك العداوة وإن بعد عهدها.

(٥) الخبر: خبر مقتل عمير بن الحُباب، ولما انتهى الأخطل في الإنشاد إلى هذا البيت، قال له عبد الملك: بل اللّه أيّدني. أي: أنك نصرت بنا على قيس عيلان لما أتاك الخبر بقتلنا عمير.

(٦) عمير بن الحُباب قتلته تغلب، وكان الحباب أبوه من أغربة العرب. والخيشوم: أعلى الأنف.

(٧) استك سمعه: إذا صمّ من دويّ يسدُّ المسمعَ، والمسمع مدخل السمع إلى الدماغ. والمستك: الأصم.

(٨) الحشاك واليحموم والصور: أسماء مواضع.

(٩) الصبر والحزن: قبائل من غسان بالشام. والجشر: الذين يعزّبون في إبلهم، أي: الذين غابوا بها في الرعي، فلم يرجعوا إلى منازلهم ليلاً ولا نهاراً. وكان عمير يقول: إنما بنو تغلب جَشَرٌ لي. آخذ منهم ما شئت. فلما مرّوا برأسه على هؤلاء القبائل قالوا: كيف رأيت قِرى غلمتِكَ الجَشَرِ؟ مستهزئين به.

(١٠) الحارث بن عوف: رجل من بني عامر بن صعصعة، وقيل هو ابن عوف بن أبي حارثة المرّيّ صاحب الحمالة في حرب داحس والغبراء. وتعاوره: تنازعه وتداوله. والسبر: طائر كبير، شبيه بالصقر، يقال إنه كان من بُزاة سليمان، يصيد الفأر.

(١١) الرقص: السرعة في الجري، وكفروا: أي جحدوا خلافتك. وقيس عيلان كانت مع عبد اللّه بن الزبير لما خرج على الأمويين بعد معاوية وقتل في زمن عبد الملك بن مروان.

فلا هَدَى اللّهُ قَيْساً، مِن ضلالتِهِمْ ... ولا لعاً لبَنِيْ ذَكْوانَ، إذ عَثَرُوا[1]

ضجُّوا، مِن الحَرْبِ، إذ عضَّتْ غَوارِبَهُمْ ... وقَيْسُ عَيلانَ، مِن أَخلاقِها الضَّجَرُ[2]

كانوا ذَوِي إمَّةٍ، حتّى إذا عَلِقَتْ ... بِهِمْ حبائلُ للشَّيطانِ، وابْتَهَرُوا[3]

صُكُّوا على شارِفٍ، صَعْبٍ مَراكِبُها ... حَصَّاءَ، ليسَ لها هُلْبٌ، ولا وَبَرُ[4]

ولم يزَلْ بِسُلَيْمٍ أَمْرُ جاهِلِها ... حتّى تعيَّا بها الإيرادُ، والصَّدَرُ[5]

إذ يَنْظُرُونَ، وهُمْ يجْنُونَ حَنْظَلَهُمْ ... إلى الزّوابي، فقُلنا: بُعْدَ ما نَظَرُوا[6]

كَرُّوا إلى حرَّتَيْهِمْ، يَعْمُرُونَهما ... كما تَكُرُّ إلى أوطانِها البقرُ[7]

فأصبحَتْ، مِنْهُمُ، سِنْجارُ خاليةً ... فالمَحْلَبِيّاتُ، فالخابُورُ، فالسُّرَرُ[8]

وما يُلاقُونَ فرّاصاً إلى نَسَبٍ ... حتّى يُلاقي جَدْيَ الفرْقَدِ القَمَرُ[9]

ولا الضِّبابَ، إذا اخضرّتْ عُيونُهُمُ ... ولا عُصَيَّةَ، إلاّ أنّهُمْ بشَرُ[10]

---

(١) لا لعا: أي لا أقامهم اللّه من عثرتهم. وذكوان: قبيلة من رهط عمير بن الحباب. كانوا قد خرجوا على الأمويين بعد معاوية، وحاربوا قبيلة تغلب، التي ينتمي إليها الشاعر.

(٢) الغوارب: جمع الغارب وهو أعلى الكتف.

(٣) الإمة: النعمة. والابتهار: قذف الإنسان بالباطل. وعلقت بهم حبائل للشيطان: ضلوا.

(٤) صكوا: حُملوا على خُطةٍ صعبة وداهية. والشارف: الناقة الكبيرة الهرمة. والحصاء: التي لا وبر لها. والهلب: شعر الذنب. شبه الحرب بالناقة الشارف الهرمة.

(٥) جاهل سليم: عمير بن الحُباب. وتعيا بها: اشتدّ فعجزت عنه. والإيراد: الورد. والصدر: الرجوع. يقول: لم يزل بهم عمير حتى وقعوا في بلية لا يقدرون على التخلّص منها.

(٦) استعار الحنظل لما جنته الحرب. وقيل: الحنظل هو ما تجنيه سليم في ديارها. والزوابي: أنهار في الجزيرة، مفردها: الزابي وهو الزاب. يقول: طمعوا فينا في ديارنا فما أبعد ما نظروا إليه، أي تعجباً منهم.

(٧) حرة بني سليم: هي أم صبّار بالبادية، أي: موضع فيه حجارة سود، ويقال: إنها شرّ مكان بالبادية، وجعلها الأخطل مثنى. يقول: فروا منا ورجعوا إلى البادية إلى آكل الحنظل.

(٨) هذه بلدان من الجزيرة.

(٩) فراص: هو ابن معن بن مالك بن يعصر، وكان يقال: إن بني فراص من بني تغلب. وجدي الفرقد: نجم يدور مع بنات نعش ولا ينزل به القمر أبداً.

(١٠) الضباب: معاوية بن كلاب، من قيس عيلان. وعصية: من بني سُليم. واخضرت: اسودت. يقول: ليس بينهم وبينهم نسب، إلا أن آدم يجمعهم.

وما سَعَى مِنْهُمْ ساعٍ، لِيُدْرِكَنا إلّا تَقاصَرَ عنّا، وهْوَ مُنْبَهِرُ[1]

وقد أصابَتْ كِلاباً، مِن عَدَاوَتِنا إحدَى الدَّواهي التي تُخْشَى، وتُنْتَظَرُ

وقد تفاقَمَ أمْرٌ، غيرُ مُلتئِمٍ ما بيْنَنا فيهِ أرحامٌ، ولا عِذَرُ[2]

أمّا كُلَيْبُ بنُ يَرْبُوعٍ فليسَ لهُمْ عند المكارِمِ لا وِرْدٌ، ولا صَدَرُ[3]

مُخَلَّفُونَ، ويقْضِي النّاسُ أمْرَهُمُ وهُمْ بِغَيْبٍ، وفي عمياءَ، ما شَعَرُوا[4]

مُلَطَّمُونَ بأعْقارِ الحِياضِ، فما يَنْفَكُّ، مِن دارِميٍّ، فيهم، أثَرُ[5]

بِئسَ الصُّحاةُ، وبِئسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ إذا جَرَى فيهِمِ المُزّاءُ، والسَّكَرُ[6]

قومٌ تناهَتْ إليهِمْ كُلُّ فاحِشَةٍ وكُلُّ مخْزِيَةٍ، سُبَّتْ بِها مُضَرُ[7]

على العِياراتِ هَدّاجُونَ، قد بَلَغَتْ نَجْرانَ، أو حُدِّثَتْ سوآتِهِم هَجَرُ[8]

الآكِلُونَ خَبيثَ الزّادِ، وحْدَهُمُ والسّائلُونَ بِظَهْرِ الغَيْبِ: ما الخَبَرُ؟[9]

واذكُرْ غُدانَةَ عِدّاناً، مُزَنَّمَةً مِنَ الحَبَلَّقِ، تُبْنَى حَوْلَها الصِّيَرُ[10]

---

(١) المنبهر: المعيي. يقال: انبهر. إذا انقطع نفسه وتتابع من الإعياء. وتقاصر: قصّر وتأخّر.

(٢) تفاقم: اشتد اختلافه وفسد. والملتئم: المتفق المجتمع. والأرحام: الأنساب. والعذر: المعاذير، وهي جمع عذرة.

(٣) كليب بن يربوع: رهط جرير الشاعر. أي: هم أذلاء، فليس لهم في أمور الناس، إحلاءٌ ولا إمرار.

(٤) الغيب: ما غاب من الأرض وتطامن. والعمياء: الجهالة. وشعروا: دروا. يقول: يخلّفهم الناس، ويقضون عليهم الأمور في عمياء وجهالة، ما يدرون ما فيه الناس.

(٥) العقر: جمع عقر، وهو مقام الشاربة من الحوض، وهو أقصى الحوض حيث تضع الإبل أخفافها. يقول: هم أذلاء يُلَطَّمُون عند الحياض، ويُدفعون عنها، فما يزال دارميّ إلا وقد جرح.

(٦) الصحاة: جمع صاح وهو الذي ليس به سكر. والشرب: جماعة يشربون. والمزاء: الخمر بعينها. والسكر: ضرب من الأشربة.

(٧) يقول: رجعت إليهم المخازي والفواحش لأنهم أهلها.

(٨) الهداج: المشي المتقارب. والعيارات: جمع عير وهو الحمار. ونجران: اسم موضع باليمن. وسوآتهم: فضائحهم. وهجر: موضع في البحرين. يعني أن بني كليب أصحاب حمر وليسوا بأصحاب خيل، وقد شهرت مساويهم.

(٩) خبيث الزاد: أي لحم الضباب واليرابيع، وكلّ مكروه فهو خبيث. يعني أنهم رِعاءٌ، فهم يسألون الأشراف، عن الأخبار أبداً.

(١٠) غدانة: ابن يربوع. والعدان: جماعة عتود، وهو الجَذَع من المعزى. والحبلّق: أولاد المعز الصغار الأجسام القصار. والصير: الحظائر. والمزنمة: المشقوقة الآذان.

وما غُدانَةُ في شَيْءٍ، مكانَهُمُ ... ألحابِسُو الشَّاءَ، حَتّى تَفْضُلَ السُّؤَرُ[1]

يتّصِلُونَ بِيَرْبُوعٍ، وَرِفْدُهُمُ ... عندَ التَّرافُدِ مَغْمُورٌ، ومُحْتَقَرُ[2]

صُفْرُ اللِّحَى من وَقُودِ الأَدْخِناتِ، إذا ... رَدَّ الرِّفادَ، وكفَّ الحالِبِ، القِرَرُ[3]

قد أقْسَمَ المَجْدُ حَقّاً لا يَحالِفُهُمْ ... حتّى يُحالِفَ بطْنَ الرّاحةِ الشَّعَرُ

- شعر الأخطل ١/١٩٢ - ٢١١.

- نقائض جرير والأخطل، ص ١٤٨ - ١٦٥.

٦ - من قصيدة لكُثَيِّر عزَّة في الغزل[4]

(من الطّويل)

بعزَّةَ هَاجَ الشَّوقُ، فالدمعُ سافِحُ ... مغَانٍ، ورسمٌ قد تقادمَ ماصِحُ[5]

بذي المَرْخِ من وَدَّانَ غيَّرَ رسمَها ... ضَروبُ الندى، ثمَّ اعتقَتْها البوارِحُ[6]

---

(١) السؤر: جمع سؤر، وهو ما يفضل في الإناء أو الحوض. يقول: هم أذلاء، لا يستطيعون أن يسقوا شاءهم حتى يشرب الأقوياء، وإنما يسقون مما أفضل الأشراف.

(٢) يتصلون بيربوع: ينتسبون إلى يربوع. والرفد: الجمع والعدد في كل شيء.

(٣) الأدخنات: السرقين. والرفاد: القدح الضخم. والقرر: جمع قرة، وهي البرد. يقول: يجيء الحالب بالرفاد ليحتلب فيه، فيرده البرد خالياً لشدته. وانظر قصيدة جرير في الرد على هذه القصيدة: شرح ديوان جرير، ص ٣٠٨ - ٣١٦. ونقائض جرير والأخطل، ص ١٦٦ - ١٧٧.

(٤) كثير عزة: هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر، بن عويمر الخزاعي، ويكنى أبا صخر، وهو من فحول شعراء الإسلام، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى، وكان غالياً في التشيع رافضياً، يذهب مذهب الكيسانية، ويقول بالرجعة والتناسخ، وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيّرهم ذلك لجلالته في أعينهم، ولطف محلّه في أنفسهم وعندهم. وهو شاعر أهل الحجاز، أقام بالمدينة، وأكثر إقامته بمصر. كان قصير القامة، ويروى: «أنه لا يزيد على ثلاثة أشبار»، ويقال: إنه كان عاقاً لأبيه، نسب كُثَيِّر لكثرة تشبيبه بعزّة الضميرية إليها، وعرف بها وقيل: كثير عزة، وهي عزة بنت جُمَيل بن وقاص. وكان عفيفاً في حبّه. سئل ذات مرة: هل نلت من عزة شيئاً طول مدتك؟ فقال: لا واللّه، إنما كنت إذا اشتد بي الأمر أخذت يدها، فإذا وضعتها على جبيني وجدت لذلك راحة. توفي كثير بالمدينة سنة ١٠٥ هـ/٧٢٣ م. وقيل: ما تخلفت امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازته. وقيل: مات اليوم أشعر الناس. وقد غلب النساء على جنازته، يبكينه ويذكرن عزة في ندبتهن له. انظر ترجمته: طبقات فحول الشعراء ص ٥٣٤، ٥٤٠ - ٥٥١. والشعر والشعراء، ص ٣١٦ - ٣٢٩. والأغاني ٩/٣ - ٣٨. (طبعة دار الثقافة). وخزانة الأدب ٥/٢١٠ - ٢٢٤.

(٥) ما صح: دارس. وسفح الدمع: سفكه وأراقه وصبّه. ومغان: جمع المغنى، المنزل. والرسم: الأثر.

(٦) ذو المرخ: موضع في ساحل البحر بالقرب من ينبع. وودّان: موضع بين مكة والمدينة. والضروب:

أتـيٌّ ومفـعـومٌ حـثـيـثٌ كـأنّـه ... غُـروبُ السَّواقي أترعَتْها النَّواضِحُ[١]

ليـاليَ منهـا الـواديـانِ، مَـظِنَّـةٌ، ... فَبُرْقُ العُنَابِ دارُهـا، فـالأمـالِحُ[٢]

ولمـا قضينـا مِن مِنى كـلَّ حـاجـةٍ ... ومسَّحَ بـالأركـانِ مَن هـو مـاسِحُ[٣]

وشُـدَّتْ على حَدْبِ المَهَـارِي رِحَالُنـا ... ولا يعلمُ الغـادي الـذي هـو رائِحُ[٤]

أخَـذْنـا بـأطـرافِ الأحـاديثِ بيننـا ... وسـالتْ بـأعنـاقِ المطيِّ الأباطحُ[٥]

نَقَعْنَـا قلوبـاً بـالأحـاديثِ، واشتَفَتْ ... بـذاكَ صـدورٌ مُنضجـاتٌ قـرائـحُ[٦]

ولم نخشَ ريبَ الـدهرِ في كـل حالـةٍ ... ولا راعَنَـا منـه سنِيـحٌ - وبـارحُ[٧]

لِعَينيـكَ منهـا، يـومَ حَـزْمِ مَبَـرَّةٍ ... شريجانِ من دمعٍ: نَزيـعٌ وسافِحُ[٨]

الشديد الضرب. وأعتقتها: جعلتها قديمة، والأصل فيها الهمز، وقد وصل الهمز لضرورة استقامة الوزن. والبوارح: صفة الرياح الشديدة.

(١) الأتي: الماء السائل في الجدول. والمفعوم: الممتلىء. والحثيث: السريع. والغروب: جمع الغرب، وهو الدلو العظيمة. السّواقي: النياق يستقى عليها. والنواضح: مفردها الناضح والناضحة، البعير أو الناقة يستقى عليه أو عليها. وأترع الإناء وغيره: ملأه.

(٢) الواديان: أرض بمكة. والمظنة: جمعها مظانّ، وهي موضع يظن فيه الشيء، أي: موضعه ومألفه الذي يُظنّ فيه وجوده. تقول: فلانٌ مَظِنَّةُ الخير: أي مـألفه الـذي يظنّ فيـه وجوده. وفي المسألة مـظنة اعتراضٍ: أي موضع. وبُرْقُ العُناب: جبل بطريق مكة. والأمالح: موضع.

(٣) منى: المكان المعروف القريب من مكة، وهو من مناسك الحج. والأركان: يريد أركان الكعبة.

(٤) الحدب: جمع أحدب وحدباء. والمهاري: جمع المهريّة، الإبل السريعة. وهي المنسوبة إلى مَهْرَة بن حَيْدان من عرب اليمن. وقيل: إنها كانت لا يُعْدَل بها شيء في سرعة جريانها. والـرحال: جمع الرحل، وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج. والغادي: المسافر صباحاً. والرائح: المسافر في الرواح، أي: مساء.

(٥) الأباطح: جمع الأبطح، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(٦) نقعنا: سكّنا وأزلنا الهموم، ومنضجات: متألمات حتى النضج من الحر. والقرائح: جمع قـريحة. والمقروحة: الجريحة.

(٧) راعنا: أخافنا. والسنيح: ما يبدو عن يمين الإنسان من طائـر أو وحش. وهو رمـز الخير والتفـاؤل. والبارح: ما يبدو عن شماله وهو رمز الشر والتشاؤم. والمعنى: ترفعنا في غبطتنا تلك عن كلّ ما يبدو من صروف الدهر.

(٨) الحـزم: ما غلظ من الأرض، وارتفـع كالحـزن. ومبرة: اسم مـوضع. والشـريجان: خـطا النسيج المتعارضـان. والنزيع: القليل، النافذ.

وجدتُ بها وَجْدَ المُضِلِّ قَلوصَهُ بمكَّةَ، والركبانُ غادٍ ورائحُ[1]

رمَتني بِسهمٍ ريشُهُ الهُدبُ، لم يُصِب ظواهِرَ جِلدي، فهو في القلب جارح[2]

وإني لأكمي الناسَ ما أنا مضمِرٌ مخافةَ أن يثري بذلك كاشِحُ[3]

أغرُّكِ منّا أنَّ دلَّك عندنا وإسجادَ عينيكِ الصَيودَين رابحُ[4]

يروقُ العيونَ الناظراتِ، كأنَّه هِرَقليُّ وَزنٍ، أحمرُ التبرِ، راجحُ[5]

هو العسل الصافي مِراراً، وتارةً هو السُّمُّ مذروراً عليه الذُّرارحُ[6]

- من كتاب في النقد والأدب ٢/٢٩٧ - ٢٩٨

٧ - قصيدة كُثير في عزّة

(من الطويل)

خَليليَّ هذا رَبْعُ عزَّةَ فاعْقِلا قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ[7]

وما كُنْتُ أدْرِي قبْلَ عزَّةَ ما البُكَا ولا مُوجِعاتِ القلبِ حَتَّى تولَّتِ[8]

وقد حَلَفتْ جَهداً بما نحرَتْ لهُ قُريشٌ غَدَاةَ المأزِمَينِ وصَلَّتِ[9]

أناديكِ ما حَجَّ الحجيجُ وكَبَّرتْ بفَيْفا غَزَالٍ رُفْقَةٌ وأَهَلَّتِ[10]

وكانَتْ لِقَطْعِ الحَبْلِ بيْني وبَيْنَها كناذِرَةٍ نَذْراً وفَتْ فأَحَلَّتِ[11]

---

(١) وجدبه: أحبه حباً شديداً حتى الهيام والحيرة. والقلوص: الناقة.

(٢) الهدب: شعر الأجفان.

(٣) أكمي: أستر. ويثري: يسر ويفرح بذلك فيشمت. والكاشح: العدو.

(٤) الدل: التدلل. والإسجاد: فتور الطرف وإدامة النظر مع سكون. والصيود: الشديد الصيد والإصابة.

(٥) يروق: يعجب، وفاعله محذوف تقديره الوجه. وهرقلي: صفة الدينار المحذوف، منسوباً إلى هرقل، قيصر الروم. وهذا دليل على أن الدنانير حتى عهد كثير كانت تحمل من بلاد الروم. والتبر: الذهب.

(٦) الذرارح: ج الذراح والذروح، والذريح، والذرح: دويبة حمراء منقطة بسواد وهي من السموم القاتلة، يشير إلى حالتيه من حب عزة.

(٧) الربع: الدار، وعقل البعير أو الناقة: شدّ وظيفة إلى ذراعه. والقلوص: الناقة الشابة أو الطويلة القوائم.

(٨) هناك رواية «ولا موجعات الحُزنِ» والذي أثبتناه هو المشهور.

(٩) الجَهد: الطاقة، وحلفت جهداً: بالغت في اليمين. ونحرت: ذبحت الضحايا. والمازمان (والمأزم): مضيق بين جمع وعرفة وآخر بين مكة ومنى.

(١٠) وأناديك: أجالسك، وهو مأخوذ من النَّدِيِّ والنادي، وهما المجلس. وفيفاء الغزال: مكان بمكة، لا ماء فيه. والرفقة: الأصحاب. وأهلت: رفعت أصواتها بالتلبية والدعاء.

(١١) الحبل: الوصل. فأحلت: خرجت من عهدته لما أوفته.

فقُلْتُ لها: يا عزَّ كُلُّ مُصِيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النَّفْسُ ذلَّتِ[1]

ولم يَلْقَ إنْسانٌ مِنَ الحُبِّ مَيْعَةً ... تَعُمُّ ولا عَمْياءَ إلّا تَجَلَّتِ[2]

كأنِّي أنادِي صَخْرَةً حِينَ أعْرَضَتْ ... مِنَ الصُّمِّ لَوْ تَمْشِي بها العِيسُ زَلَّتِ[3]

صَفُوحاً فما تَلْقاكَ إلّا بَخِيلةً ... فمَنْ مَلَّ منها ذَلِك الوَصْلَ ملَّتِ[4]

أباحَتْ حِمًى لم يَرْعَهُ النَّاسُ قَبْلَها ... وحَلَّتْ تِلاعاً لم تَكُنْ قبْلُ حُلَّتِ[5]

فليت قَلوصي عندَ عزَّةَ قُيِّدَتْ ... بقيدٍ ضعيفٍ فرَّ منها فَضَلَّتِ[6]

وغُودِرَ في الحيِّ المقيمينَ رَحْلُها ... وكانَ لها باغٍ سِوَايَ فَبَلَّتِ[7]

وكنتُ كذي رِجْلَيْنِ: رِجْلٍ صحيحةٍ ... ورَجْلٍ رَمَى فيها الزَّمانُ فشلَّتِ[8]

وكنتُ كذاتِ الظَّلْعِ لمَّا تحامَلَتْ ... على ظَلْعِها بعْد العِثارِ استقلَّتِ[9]

أُرِيدُ الثَّواءَ عندها وأظُنُّها ... إذا ما أطَلْنَا عندها المُكْثَ مَلَّتِ[10]

فما أنصَفَتْ، أمّا النساءَ فبغَّضتْ ... إليَّ وأمَّا بالنَّوالِ فضنَّتِ[11]

يُكَلِّفُها الغَيْرانُ شَتْمِي وما بها ... هَوَانِي ولكِنْ لِلْمَلِيكِ اسْتَذَلَّتِ[12]

هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرُ داءٍ مُخامِرٍ ... لِعَزَّةَ من أعْراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ[13]

وواللَّهِ ما قاربتُ إلّا تباعدتْ ... بِصُرْمٍ ولا أكْثَرْتُ إلّا أقلَّتِ[14]

---

(١) وطنت: مهدت وأعدت. وذلت: سهلت ولانت. يروى أن عبد الملك بن مروان كان يقول: «لو كان هذ البيت في صفة الحرب لكان أشعر الناس».

(٢) ميعة الشيء: أوله. وتجلت: انكشفت.

(٣) الصم: الصلب.

(٤) الصفوح: المرأة المعرضة.

(٥) الحمى: هنا قلب الشاعر الذي احتلته.

(٦) القلوص: الناقة الطويلة القوائم.

(٧) الرحل: ما يوضع على ظهر الناقة كالسرج. وباغ: طالب. وبلت: نجت وذهبت.

(٨) رمى فيها الزمان: أصابها بالتلف والشلل. فشلّت: أي مشلولة، لا حراك فيها، ولا حياة.

(٩) الظلع: العيب في المشي. استقلت: استقام مشيها.

(١٠) الثواء: الإقامة.

(١١) النوال: العطاء. وضنت: بخلت.

(١٢) الغيران: الغيور.

(١٣) مخامر: مخالط.

(١٤) الصرم: القطيعة.

فـإنْ تكن العُتبى فـأهـلاً ومـرحبـاً ... وحَقَّتْ لهـا العُتبى لـدَينـا وقَلَّتِ[1]
وإن تـكـن الأخـرى فـإنّ وراءَنـا ... منـادِحَ لو سـارتْ بهـا العِيسُ كلَّتِ[2]
خـليليَّ، إنّ الـحـاجِبيَّـةَ طِـلَّحَـتْ ... قَلُوصَيْـكُمـا ونـاقـتي قـد أكـلَّتِ[3]
فـلا يَبْعَـدَنْ وصْـلٌ لعـزّةَ أصبحتْ ... بِـعـاقـبـةٍ أسـبـابُـه قـد تـولَّتِ
أسيئى بنـا أو أحسنِي لا مَلُومـةً ... لـدينـا ولا مَقْـلِيَّـةً إنْ تقـلَّتِ[4]
ولـكـن أنـيلي واذكُـري مِـنْ مـودَّةٍ ... لنـا خُلَّةً كـانتْ لـديـكِ فـطُلَّتِ[5]
وإنّـي وإنْ صَـدَّتْ لَـمُثْنٍ وصـادقٌ ... عليهـا بمـا كـانت إلينـا أزلَّتِ[6]
فمـا أنـا بـالـداعي لعـزَّةَ بـالجـوى ... ولا شـامـتٍ إنْ نـعـلُ عـزَّةَ زلَّـتِ
فـلا يَحْسبِ الـواشـونَ أنّ صَبَـابَتي ... بـعـزَّةَ كـانـتْ غَـمْـرةً فـتَجَلَّتِ[7]
فـأصبحتُ قـد أبْلَلْتُ من دَنَفٍ بهـا ... كمـا أُدْنِفَتْ هَيْمَـاءُ ثم آستبلَّتِ[8]
ووالـلَّهِ ثُـمَّ الـلَّـهِ مـا حـلَّ قَبْـلَهـا ... ولا بـعـدَهـا من خُـلَّةٍ حيث حَلَّتِ
ومـا مـرَّ من يـومٍ عليَّ كَيـوْمِهـا ... وإن عَـظُمَـتْ أيّـامُ أخـرى وجَـلَّتِ
فـأضحَتْ بـأعلى شـاهقٍ مِن فؤادِهِ ... فـلا القلبُ يسـلاهـا ولا العينُ ملَّتِ
فيـا عجبـا للقـلبِ كيف اعتـرافُـه ... ولِلنَّفسِ لـمَّـا وُطِّنَتْ كيفَ ذلَّتِ[9]
وإنّـي وتَـهْـيَـامِـي بِـعَـزَّةَ بَعْـدَمـا ... تَـخَلَّيْتُ مـمَّـا بيننا وتـخلَّتِ[10]

---

(١) العتبى: الرضا، أي: الرجوع عن الإساءة، إلى ما يرضى العاتب.
(٢) الأخرى: القطيعة والهجر. (والأولى: العتبى أي الرضا). والمنادح: الأماكن الواسعة البعيدة. والعيس: الإبل. وكلت: أعيت.
(٣) طلحت: أكلت وأتعبت، والطليح: المعيي الذي قد سقط من الإعياء. والحاجبية: يريد عزّة.
(٤) مقلية: من القِلى، وهو البعض: وتقلت: تبغضت. يروى: ان بعض العلماء قال: «لو جعل قوله - أي: البيت - في وصف الدنيا، كان أشعر الناس».
(٥) طلت: هُدِرت. والخلة: الصداقة والمودة. (٦) أزلت: اصطنعت.
(٧) الصبابة: الشوق ورقة الهوى والولع الشديد. وغمرة: شدة.
(٨) بل من مرضه وأبَلَّ واستبل: إذا برأ. ودنف: مرض ثقيل ملازم.
(٩) وطنت: مُهِّدَتْ وأعِدَّتْ. واعترافه: اصطباره. يقال: نزلت به مصيبة فوُجِدَ عَرُوفا: أي صبوراً، والعارف: الصابر.
(١٠) تخلّيتُ: تركتُ.

لكـــالمُـرْتَجِي ظِــلَّ الغَمـامَــةِ كُلَّمــا تبــوّأَ منهــا للمَقِيــلِ اضمحـلَّتِ [1]

كــأنّي وإِيّــاهـا سحــابـةُ مُمْـحِـلٍ رَجَاهـا فلمــا جـاوَزَتْـهُ استهلَّتِ [2]

فـإِنْ سـأَلَ الـواشـونَ فيم هَجَـرْتَهـا؟ فـقُــلْ نَـفْسٌ حُــرٌّ سُـلِّيَتْ فَـتَسـلَّتِ

- الشعر والشعراء، ص ٣٢٧ - ٣٢٨.
- الأمالي للقالي، ٢/١٠٧ - ١١٠.
- خزانة الأدب، ٥/٢١٢ - ٢٢٣.

٨ - قصيدة الفرزدق[3] في هجاء[4] جرير

(من الكامل)

---

(١) الغمامة: السحابة. وتبوأ: نزل. والمقيل: النوم نصف النهار. واضمحلت: انقشعت. وهنا تشبيه رائع، يشبه تعلقه بعزة بعد الفراق بالمستظل بظل سحابة، سرعان ما تنقشع، وكذلك طمعه في تعلقه سرعان ما يزول، لأنها لا تصل حبل الوداد معه.

(٢) الممحل: المجدب. وجاوزته: بعدت عنه. واستهلت: أمطرت.

(٣) الفرزدق لقب غلب عليه، وهو الرغيف الضخم الذي تجففه النساء للفتوت. وقيل: هو القطعة من العجين، التي تبسط فيخبز منها الرغيف، وشبه وجهه بذلك لأنه كان غليظاً جهماً، واسمه هَمّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم. كان شاعراً من الأجواد النبلاء، وكان أبوه وجده كذلك. وكان مشتهراً بالنساء، زير غوان. ولكنه لم يؤثر عنه أنه قال في النسيب. نشأ في البصرة. ويقال: «لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس». كان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والأمراء، إلا قاعداً، لأنه كان يعتز ويفخر بأصله. ويعتبر الفرزدق من شعراء الطبقة الأولى في الشعراء الإسلاميين. وقد اتفق العرب على أن أشهر أهل الإسلام ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض، ثم قضت كثرتهم: للفرزدق في الفخر، وللأخطل في المديح ونعت الخمر، وخصوا جريراً بالفضل في الهجاء والغزل والرثاء. أما تقدم الفرزدق في الفخر، فلتقدمه على صاحبيه في شرف العشيرة، وفخامة العبارة. ويطلق على هؤلاء الشعراء اسم «الثالوث الأموي» عرفوا بهجائهم، وكان جرير يناقض الفرزدق في كثير من قصائده، نسبه فيها إلى القين، وغمزه بأن قُفَيْرَةَ جدتهم بنت زنا، ورماه بنفور زوجته النوّار منه، وغدر قومه بالزبير، وقتل أعْيَنَ المجاشعي والد زوجه النوار، كما شنع بجِعْثِن أخت الفرزدق، وعيره بخيبته في الضرب بالسيف الذي أعطاه له سليمان بن عبد الملك ليقتل به أسيراً رومياً، ونبا في يده. أي: كلّ وارتد عن الضريبة ولم يقطع، وألقاه بين ضحك سليمان وسخرية القوم. تكاد تكون هذه النقاط أهم نقاط الضعف عند الفرزدق، والتي كانت غرضاً لجرير.

توفي الفرزدق بالبصرة سنة ١١٠ هـ /٧٢٨ م. ويقال: إنه حين علم جرير نبأ وفاة الفرزدق، حزن عليه حزناً شديداً، ورثاه بأبيات مختلفة، ويقال إنه لما رأى نعش الفرزدق بكى ودمعت عيناه. انظر ترجمته: طبقات الشعراء ص ٧٥ - ١٥٠ والشعر والشعراء، ص٢٨٩ - ٣٠١. والأغاني ٢١/٢٩٩ - ٤٢٧ (طبعة دار الثقافة) والأعلام ٨/٩٣. والفرزدق، د. شاكر الفحام.

(٤) نقصد بالهجاء، النقائض التي كانت بينه وبين جرير. والنقيضة مفرد النقائض، والنقيضة في البناء =

إنّ الـذي سمَـكَ السّمـاءَ بَنى لنـا بـيْتـاً، دَعـائـمُـهُ أعـزُّ وأطْـوَلُ[1]

بَيْتاً بَنَـاهُ لنَـا المَلِيـكُ، ومَـا بـنَى حَكَمُ السّمـاءِ، فـإنّـهُ لا يُنْقَـلُ[2]

بـيْتـاً زُرَارَةُ مُـحْتَـبٍ بِفِـنـائـهِ ومُجاشـعٌ وأبـو القَـوارس نَهْشَـلُ[3]

= والحبل والعهد وغيره، ضد الإبرام، تقول: نقض البناء: هدمه. ونقض الحبل: حلّه. ونقض العهد أو الأمر: أفسده بعد إحكامه. والتناقض: التخالف والتدافع. يقال: «في كلامه تناقض» إذا كان بعضه يقتضي إبطال بعض، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالتي نَقَضَتْ غزلها من بعدِ قوةٍ أنكاثا﴾ «سورة النحل آية ٩٢»، وقوله تعالى ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ «سورة النحل آية ٩١» وقوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهدَ اللهِ من بعدِ ميثاقه﴾ «سورة البقرة ٢٧». والمناقضة في القول أن تتكلم بما يتناقض معناه. والمناقضة في الشعر: أن يقول شاعِرٌ شعراً فينقض عليه شاعر آخر حيث يجيء بغير ما قال. أي: أن ينشيء شاعر قصيدة يفخر فيها بقبيلته وأمجادها ومناقبها، ويتحدى خصومها هاجياً، فيرد عليه خصمه بقصيدة على وزن القصيدة الأولى، وعلى نفس قافيتها ورويها ينقض بها قصيدته. والغرض من التزام الشاعر الثاني بما ألزم الشاعر الأول نفسه به من بحر وقافية وروي، إظهار تفوقه عليه. من حيث الموضوع والمعاني، ومن حيث الشاعرية والفن نفسه. لقد ظهرت النقائض في العصر الجاهلي، إلا أنها لم تكن كاملة الصورة، تامة العناصر، متوافرة الشروط، كما هي عند جرير والفرزدق والأخطل في عهد بني أمية. أما النقائض الإسلامية، فقد كانت امتداداً للنقائض الجاهلية، مع اختلاف في الأسباب والغايات، والمعاني والأساليب، وعلى الرغم من أن النقائض في العصر الأموي كانت خطراً اجتماعياً من حيث إثارتها لنعرة العصبية وإشاعة الفرقة وتنمية الإحن والأحقاد، إلا أن آثارها الفنية لا يمكن نكرانها، فقد أعطت ثراء شعرياً في تفجير طاقات فنية حيث يكمن عنصر الإثارة النفسية والوجدانية لدى الشعراء الذين انساقوا إلى تيار تلك النقائض، أضف إلى ذلك أنها تحولت من الهجاء الخالص إلى نوع من أنواع التسلية والترويح للجماعات العربية في البصرة «المِرْبَد». إلى جانب ما تذكره النقائض من الحوادث، وما تحتويه من ثروة لغوية ضخمة. لذلك يقال: النقائض تعلم اللغة ولا تعلم الأخلاق. لمزيد من التفصيل، انظر: لسان العرب (مادة نقض). والأغاني ٨/ ٣- ٩٢، ٢٨١ - ٣١٩، ١١/ ٥٥ - ٦١، ١٥/ ٢٧٣ - ٢٧٦، ١٦/ ٢٤٥ - ٢٤٨، ٢١/ ٢٩٩ - ٤٢٧. (طبعة دار الثقافة). والشعر والشعراء ص١٨٣ - ٣١٢. والهجاء والهجاءون. للدكتور محمد محمد حسين. واتجاهات الشعر في العصر الأموي، للدكتور صلاح الدين الهادي، ص ٢٣٣ - ٣٤٢.

(١) سمك: رفع. والدعائم: جمع دعامة وهي عمود البيت. وأعز: أقوى. وهنا إشارة إلى الآية القرآنية: ﴿أأنتم أشدُّ خلقاً أمِ السماءُ بناها، رفع سمكها فسوّاها﴾ «سورة النازعات، آية ٢٧». والسمك: السقف.

(٢) المليك: الله عز وجل. وحكم السماء: الله القوي المقتدر. ولا ينقل: لا يزول. إنما يريد بيتَ شرف وعزّ.

(٣) احتبى احتباء: جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها. وزرارة ومجاشع ونهشل: أولاد دارم من أجداد الفرزدق.

يلِجُونَ بَيتَ مُجاشِعٍ، وإذا احْتبوْا ... بَرَزُوا كأنّهُمُ الجِبالُ المُثَّلُ(1)

لا يَحْتَبي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلُهُمْ ... أبداً، إذا عُدَّ الفَعالُ الأفْضَلُ(2)

مِنْ عِزِّهِمْ جَحَرَتْ كُلَيبُ بيتَها ... زَرْباً، كأنّهُمُ لدَيْهِ القُمَّلُ(3)

ضربتْ عليكَ العَنكبوتُ بنَسْجِها ... وقضى عليكَ بهِ الكِتابُ المُنْزَلُ(4)

أينَ الّذينَ بِهِمْ تُسامي دارِماً ... أمْ مَنْ إلى سَلَفَيْ طُهيَّةَ تَجْعَلُ(5)

يَمْشُونَ في حَلَقِ الحَديدِ كما مشتْ ... جُرْبُ الجِمالِ بها الكُحَيلُ المُشعَلُ(6)

والمَانِعُونَ، إذا النّساءُ تَرادفَتْ ... حَذَرَ السِّباءِ جِمَالُها لا تُرْحَلُ(7)

يَحْمِي، إذا اخْتُرِطَ السّيوفُ، نِساءَنا ... ضَرْبٌ تَخِرُّ لهُ السّواعِدُ أرْعَلُ(8)

ومُعَصَّبٍ بِالتّاجِ يَخْفِقُ فَوْقَهُ ... خِرَقُ المُلُوكِ لهُ خَميسٌ جَحْفَلُ(9)

مَلِكٌ تَسُوقُ لهُ الرِّماحَ أكُفُّنا ... مِنْهُ نَعُلُّ صُدُورَهُنّ ونُنْهِلُ(10)

---

(1) يلجون: يدخلون. واحتبوا: اشتملوا بعمامة أو بثوب ونحوهما. المثل: الماثلة الشاخصة المنتصبة، يشبههم بالجبال الراسية.

(2) الفعال: الفعل الحسن.

(3) الزرب: الزريبة، موضع المواشي. وجحرت: دخلت زرباً كأنه الجحر. وكليب: قوم جرير. والقمل: دواب صغار تركب البعير عند الهزال.

(4) وهنا إشارة إلى قوله تعالى ﴿مَثَلُ الذين اتخذوا من دون الله أولياء كَمَثَلِ العنكبوتِ اتخذت بيتاً، وإنّ أوهنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون﴾ «سورة العنكبوت آية ٤١».

(5) تسامي: تفاخر. وطهية: هي بنت عبد شمس بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم، وهي من قوم الفرزدق. وتجعل: تقارن وتساوي.

(6) حلق الحديد: جمع حلقة، وهي الدرع. والكحيل: القَطِران. والمشعل: الحديدة التي يحرق بها الجلد. وهنا يشبه الرجال لعظمهم ولون الحديد عليهم بالجمال المدهونة بالقطران.

(7) ترادفت: أي أردفت خلف الفرسان الغزاة، وركب بعضهن خلف بعض. لا ترحل: لا توضع عليها الرحال للعجلة. يقول: إذا كانت الغارة وفزعت النساء، فركبت الجمال، فهن يركبن أعزاء.

(8) اخترط: سحب أوسل، والأرعل: المسترخي. يقول: تخر له السواعد، أي: تسقط، ويريد: أنه يميل ما قطَع فيسترخي.

(9) المعصب: المتوج. والخرق: الرايات والأعلام. والخميس: الجيش الضخم. والجحفل: الكثير الخيل. وهنا يقصد حسّان وقابوس ابني المنذر.

(10) ونعل صدورهن من الدم، وننهل الإنهال: الطعن الأول. والعلل: الطعن الثاني. وأصل هذا في الشرب أو السّقي. ومنه: أي من الملك.

قَدْ ماتَ في أَسلاتِنَا، أَوْ عَضَّهُ عَضْبٌ بِرَوْنَقِهِ المُلُوكُ تُقَتَّلُ (١)

ولنَا قُرَاسِيَةٌ تَظَلُّ خَوَاضِعاً مِنْهُ، مَخافَتَهُ، القُرُومُ البُزَّلُ (٢)

مُتَخَمِّطٌ قَطِمٌ لهُ عَادِيَّةٌ فيها الفَرَاقِدُ والسِّماكُ الأَعْزَلُ (٣)

ضخمُ المناكِبِ تحتَ شَجْرِ شؤونِهِ نابٌ إذا ضَغَمَ الفُحُولةَ مِقْصَلُ (٤)

وإذا دَعَوْتُ بني فُقَيْمٍ جاءَني مَجْرٌ، لهُ العَدَدُ الذي لا يُعدَلُ (٥)

وإذا الرّبائعُ جاءنِي دُفَّاعُها مَوْجاً، كأَنَّهُمُ الجَرادُ المُرْسَلُ (٦)

هذا وفي عَدَوِيّتي جُرْثُومَةٌ صعْبٌ مناكِبُها، نِيافٌ، عيطلُ (٧)

وإذا البراجِمُ بالقُرُومِ تخاطَرُوا حَوْلي، بأَغْلَبَ عِزُّهُ لا يُنزَلُ (٨)

وإذا بذَخْتُ وَرَايَتي يمْشِي بها سُفيانُ أَوْ عُدُسُ الفَعالِ وجَنْدَلُ (٩)

الأَكْثَرُونَ إذا يُعَدُّ حَصَاهُمُ والأَكْرَمُونَ إذا يُعَدُّ الأَوّلُ (١٠)

---

(١) الأسلات: الرماح. والعضب: السيف القاطع. وورنقه: فِرِنْدُه وجوهره.

(٢) القراسية: الفحل الضخم من الإبل .. والبزل: الواحد البازل وهو الذي نبت نابه. يقول: لنا عزّ قديم شبهه بالفحل. والقروم: جمع قرم، وهو السيد العظيم، أو الفحل الكريم.

(٣) المتخمط: المتغضّب في كِبْر. وقَطِمٌ: هائج. العادية: الأولية القديمة. والفراقد: جمع الفرقد، وهو نجم يهتدى به. والسِّماك الأعزل: الذي يكون في نوء المطر، يقال: إنه يهتدى به «ويقال: يستسقي به. يقول: لنا عزّ وشرف عال، كمكان النجوم التي لا تنال.

(٤) الشجر: مجتمع اللحيين. والشؤون: جمع الشأن، وهو ملتقى الرأس. وضغم: عضّ. والمقصل: القاطع.

(٥) فقيم بن جرير بن دارم بن مالك من عشيرة الشاعر. والمجر: الجيش الكثير العدد. ولا يعدل: أي ليس له نظير.

(٦) الربائع ثلاثة: ربيعة الكبرى وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة وهم رهط علقمة بن عبدة الشاعر. وربيعة الوسطى وهو ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد وهم رهط المغيرة بن حبناء الشاعر. وربيعة الصغرى، وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة، وكلّ واحد من الربائع عمّ صاحبه. شبه كثرة الرجال بالسيل حين يندفع، أي:أنهم يفدون كالجراد المنتشر أو كالموج المتلاطم.

(٧) عدويتي: أي: نسبتي إلى بني عدي. والجرثومة: تراب تجمعه الريح في أصل شجرة فيرتفع على ما حولها. وصعب مناكبها: أي نواحيها. ونياف: مشرفة. وعطيل: طويلة.

(٨) البراجم: من بني حنظلة، أي الشجعان. والقروم: الفحول. والأغلب: البطل الذي لا يقهر. تخاطروا حولي كما تخطر الفحول بأذنابها إذا تهدد بعضها بعضاً.

(٩) بذخت: فخرت في كبر. والأسماء المذكورة من بني دارم.

(١٠) حصاهم: عددهم. والأول: أي الآباء والأجداد.

وزَحَلْتَ عَن عَتَبِ الطَّريقِ، ولم تَجِدْ قَدَمَاكَ حَيْثُ تَقُومُ، سَدَّ المَنْقَلُ[1]

إنّ الزِّحَامَ لغَيرِكُمْ، فَتَحَيَّنُوا وِرْدَ العَشِيِّ، إليْهِ يَخْلُو المَنهَلُ[2]

حُلَلُ المُلُوكِ لِبَاسُنَا في أهْلِنَا والسَّابِغَاتِ إلى الوَغَى نَتَسَرْبَلُ[3]

أحْلامُنَا تَزِنُ الجِبالَ رَزَانَةً وتَخالُنَا جِنّاً، إذا مَا نَجْهَلُ

فادْفَعْ بكَفّكَ، إنْ أرَدْتَ بنَاءَنَا ثَهْلانَ ذا الهَضَبَاتِ هل يتَحلحَلُ؟ [4]

وأنا ابنُ حَنظَلَةَ الأغَرُّ، وإنّني في آلِ ضَبَّةَ، للْمُعَمِّ المُخْوَلُ[5]

فَرْعانِ قدْ بَلَغَ السّماءَ ذُرَاهُما وإليْهِما مِنْ كلّ خَوْفٍ يُعْقَلُ[6]

فلئِنْ فخَرْتُ بهِمْ لمِثْلِ قديمِهِم أعْلُو الحُزُونَ بهِ ولا أتَسَهّلُ[7]

زَيْدُ الفَوارِسِ وابنُ زَيْدٍ منهُمُ وأبُو قَبيصَةَ والرَّئِيسُ الأوّلُ[8]

أوْصَى عَشِيّةَ حِينَ فَارَقَ رَهْطَه عندَ الشّهادَةِ والصّحيفةِ، دَغفَلُ[9]

إنّ ابنَ ضَبّةَ كانَ خَيراً والداً وأتَمُّ في حَسَبِ الكِرامِ وأفضلُ[10]

مِمّنْ يكُونُ بنُو كُلَيْبٍ رَهْطَهُ أوْ مَنْ يَكُونُ إليْهِمُ يتَخَوّلُ[11]

وهُمُ على ابنِ مُزَيْقِياءَ تَنَازَلُوا والخَيلُ بينَ عَجَاجتَيها القَسطَلُ[12]

---

(١) زحلت: تنحيت. والعتب: الغليظ مع ارتفاع. والمنقل: الطريق. وهنا يخاطب جريراً.

(٢) ورد العشي: أي ورود الماء ليلاً. أي: أنهم ضعفاء. لأنهم إنما يسقوْن من فضل غيرهم.

(٣) السابغات: الدروع السابغة، ونتسربل: نرتدي.

(٤) ثهلان: جبل كبير بنجد. هل يتحلحل: أي هل يزول ويتحرك؟ فكذلك نحن في العز والرفعة.

(٥) حنظلة من رهط الشاعر. والمعمم المخول: الكريم الأعمام والأخوال. والأغر: المشهور بالعز والشرف.

(٦) ذروة كل شيء: أعلاه. ويُعقل: يُلجأ.

(٧) الحزون: ما غلظ من الأرض. والسهل: ما سهل منها.

(٨) الرئيس الأول: محلِّم بن سُوَيْط من بني ثعلبة. وزيد الفوارس: هو ابن حصين بن ضرار، وإنما سمي بهذا الاسم لأن قوماً غازين مروا بحصين أبيه وكان شيخاً، فسألوه عن نسبه فقال: أنا الحصين. وكانوا يطلبونه بثأر، فدفع إليهم سيفه فقال: اضرب الرأس. فإن النفس فيه، فقتلوه ومضوا، فأخبر بذلك زيد فخرج في طلبهم فلحقهم فوالى بين سبعة فوارس، فسمي بذلك زيد الفوارس.

(٩) دغفل: ابن حنظلة النسابة، من بني ذهل بن ثعلبة.

(١٠) بنو ضبة: رهط الشاعر لأمه. والحسب: مفاخر الآباء.

(١١) يتخول: يفخر بأخواله. وبنو كليب: رهط جرير.

(١٢) ابن مزيقياء: الحارث عمرو بن عامر قتله عامر بن ضامر بن مالك. ومحرّقاً وزياداً ابني الحارث بن مزيقياء قتلهما زيد الفوارس. وعجاجتيها: يعني عجاجتي الجيشين اللذين التقيا. والقسطل: الغبار.

وهُمُ الـذينَ على الأميلِ تَـدَارَكُـوا	نَعماً يُشَـلُّ إلى الـرئيسِ ويُعْكَلُ [1]
ومُحَـرِّقـاً صفـدُوا إليْـهِ يَمِينَـهُ	بِصِفَـادِ مُقْتَسَـرٍ، أخُـوهُ مُكَبَّـلُ [2]
مَلِكَـانِ يَـوْمَ بُـزَاخَـةٍ قَتَـلُوهُمَـا	وكِـلاهُمَـا تَـاجٌ عَليْـهِ مُكَـلَّلُ [3]
وهُـمُ الـذِينَ عَـلَوْا عُمَـارَةَ ضَـرْبَـةً	فَـوْهَـاءَ، فَـوْقَ شُؤُونِهِ لا تُـوصَـلُ [4]
وهُـمُ، إذا اقتَسَمَ الأكـابِـرُ، ردَّهُـمْ	وافٍ لـضَبَّـةَ، والـرِّكَـابُ تُـشَـلَّلُ [5]
جـارٌ، إذا غَـدَرَ الـلِّئَـامُ، وفَى بـهِ	حَسَبٌ، ودَعْـوَةُ مَـاجِـدٍ لا يُخْـذَلُ [6]
وعَشِيَّـةَ الجَمَـلِ المُجَلَّلِ ضَـارَبُـوا	ضَـرْباً شُؤُونُ فَـرَاشِـهِ تَتَـزيَّـلُ [7]
يـا بنَ المَـرَاغـةِ! أيْنَ خَـالُـكَ؟ إنّني	خـالي حُبَيْشٌ ذو الفَعـالِ الأفْضَـلُ [8]
خـالي الـذي غَصَبَ المُلُوكَ نُفُوسَهمْ	وإليْـهِ كـانَ حِبـاءُ جَفْنَـةَ يُـنْقَـلُ [9]
إنّـا لَـنَضْـرِبُ رأسَ كُـلِّ قَـبِيـلَةٍ	وأبُـوكَ خَـلْفَ أتَـانِـهِ يَـتَـقَمَّـلُ [10]
وشُغِلْتَ عن حَسبِ الكِـرَامِ ومَـا بَنَـوْا	إنّ اللَّئِيمَ عنِ المَكَـارِمِ يُـشْغَـلُ [11]

(١) الأميل: موضع لبني ضبة. ويشل: يطرد. والنعم: الإبل والماشية. ويعكل: يجمع. والأميل: كذلك اسم يوم لبني ضبة على بني شيبان، وذلك أن بِسْطام الشيباني، أغار على بني ضبة، فاستاق ألف بعير لمالك رئيس بني ضبة، فتداركت ضبة الموقف، وردت النعم.

(٢) المحرق: انظر البيت الثاني قبل هذا البيت. وصفدوا: جمعوا إليه، أي: أسروه. والصفاد: الحديد الذي قيد فيه.

(٣) بزاخة: وقعة لضبة على غسان. والمكلل: المعقود على رأسه.

(٤) عمارة بن زياد العبسي قتله شِرْحاف بن ضبة. وفوهاء: واسعة. والشؤون: المفرد الشأن. ملتقى قبائل الرأس. ولا توصل: لا تلتئم.

(٥) الأكابر: شيبان وعامر وجليحة من بني تيم اللّه بن ثعلبة أجارهم بدر بن حمراء الضبي، فوفى لهم. وتشلل: تطرد وتساق.

(٦) جار: يعني بدر بن حمراء الضبي. والماجد: جيرانه من بني تيم اللّه الذين التجأ إليهم في إحدى السنين. فوفوا له.

(٧) الجمل: وقعة الجمل مع عائشة رضي اللّه عنها. والفراش: جمع فراشة، كل دقيق من العظم أو الحديد. وتتزيل: تتفرق، يقول: وقتل من بني ضبة يوم الجمل فيما يذكرون ألف ومائة رجل ما منهم رجل يتحرك من مكانه.

(٨) ابن المراغة: جرير، وحبيش: من ضبة أسر عمرو بن الحارث الغساني، فجز ناصيته. واشترط عليه أن لا يبعث إليه كلّ سنة بحباء حتى يموت.

(٩) الحباء: العطية. وجفنة: من آباء الغساسنة، ويسمون آل جفنة، وهم ملوك الشام في الجاهلية.

(١٠) الرأس: الرئيس. والأتان: الحمارة.

(١١) اللئيم: الدنيء الأصل والبخيل.

إنَّ الّتي فُقِئَتْ بهَا أَبْصارُكُمْ ... وهيَ التي دَمَغَتْ أباكَ، الفَيصَلُ [(١)]
وهَبَ القصائدَ لي النّوابغُ، إذْ مَضَوْا ... وأبُو يزيدَ وذو القُروحِ وجَرْوَلُ [(٢)]
والفَحْلُ عَلقمَةُ الذي كانَتْ لهُ ... حُلَلُ المُلُوكِ كَلامُهُ لا يُنحَلُ [(٣)]
وأخو بني قيسٍ، وهُنّ قَتَلْنَهُ ... ومُهَلْهِلُ الشّعَرَاءِ ذاكَ الأوّلُ [(٤)]
والأعْشَيانِ، كِلاهُمَا، ومُرَقِّشٌ ... وأخو قُضاعَةَ قَوْلُهُ يُتَمَثّلُ [(٥)]
وأخُو بَني أسدٍ عَبِيدٌ، إذْ مَضَى ... وأبُو دُوَادٍ قَوْلُهُ يُتَنَحَّلُ [(٦)]
وابْنَا أبي سُلْمَى زُهَيرٌ وابْنُهُ ... وابنُ الفُرَيعَةِ حِينَ جَدّ المِقْوَلُ [(٧)]
والجَعْفَرِيُّ، وكَانَ بِشْرٌ قَبْلَهُ ... لي من قصائدِهِ الكِتابُ المُجمَلُ [(٨)]
ولَقَدْ وَرِثْتُ لآلِ أوْسٍ مَنْطِقاً ... كالسّمّ خَالَطَ جانِبَيْهِ الحَنْظَلُ [(٩)]
والحَارِثيُّ، أخُو الحماسِ، ورِثْتُهُ ... صَدْعاً، كَمَا صدَعَ الصَّفاةَ المِعْوَلُ [(١٠)]
يصْدَعنَ ضاحيةَ الصّفا عن مَتنِها ... ولهُنّ مِنْ جَبَلَيْ عَمايةَ أثْقَلُ [(١١)]

---

(١) دمغت: أي بلغت دماغه . والفيصل: مقطع الحق فيما بيننا وبينكم. ويقال: إن هذه القصيدة كانت تسمى: «الفيصل».

(٢) النوابغ: هما النابغتان : نابغة بني ذبيان، ونابغة بني جعدة. وأبو يزيد: المخبل، وذو القروح: امرؤ القيس. وجرول: الحطيئة.

(٣) علقمة الفحل : شاعر جاهلي، معاصر لامرئ القيس، فضلته أم جندب على زوجها امرئ القيس، فطلقها، فتزوجها علقمة، ولذلك سمي الفحل. ويقال: لأن في بني عبد الله بن دارم علقمة الخصي فلذلك سمي الفحل.

(٤) أخو بني قيس: طرفة بن العبد . وهن قتلنه: يعني القوافي. ومهلهل بن ربيعة شاعر معروف.

(٥) الأعشيان: أعشى بني قيس وأعشى باهلة . والمرقش: هو الملقب بالأكبر. وأخو قضاعة: أبو الطمحان القيني.

(٦) عبيد: هو عبيد بن الأبرص الشاعر من أصحاب المعلقات العشر. وأبو دؤاد: جارية بن حُمْران.

(٧) وابنا أبي سلمى: زهير بن أبي سلمى وابنه كعب. وابن الفريعة: حسان بن ثابت. وجد المقول: جد القول بيننا.

(٨) والجعفري: لبيد بن ربيعة الشاعر. وبشر: هو بشر بن أبي خازم الأسدي.

(٩) أوس: هو أوس بن حَجَر، الشاعر الجاهلي المشهور.

(١٠) الحارثي: أخو الحماس: أراد النجاشي، وهو قيس بن عمرو الحارثي النجاشي الشاعر، توفي نحو سنة ٤٧ هـ. والصدع: القَسْم.

(١١) الصفا: الصخرة. وعماية: اسم جبل، وقيل: هو جبل بنجد.

دفـعُـوا إلـيّ كِـتـابَـهُـنّ وَصِـيّـةً ... فـوَرِثْـتُـهُـنّ كـأنّـهُـنّ الـجَـنْـدَلُ[١]

فِيهنّ شـارَكَنـي المُـسَـاوِرُ بَعْـدَهُـمْ ... وأخُـو هَـوَازِنَ والشّـآمِي الأخـطَلُ[٢]

وبَنُـو غُـدانَـةَ يُحْلِبُـونَ، ولمْ يـكُنْ ... خَيْلي يقُـومُ لهـا اللّئيمُ الأعْـزَلُ[٣]

فَلَيَبْرُكَنْ ، يـا حِقّ، إنْ لـمْ تَنتهـوا ... مِنْ مـالِكيٍّ على غُـدانَـةَ كَلكَـلُ[٤]

وإذا بكَيْتَ على أُمَـامَـةَ، فـاستمـعْ ... قـوْلاً يـعُـمُّ ، وتـارةً يُـتَـنَـخّـلُ[٥]

أسـألْتَني عنْ حُبْـوَتي مـا بـالُـهَـا ... فـاسـألْ إلى خَبَـرِي وعَمّـا تَسْـألُ[٦]

فـالـلّؤمُ يَمْـنَـعُ مِنْكُمُ أنْ تَـحْـتَـبُـوا ... والـعِـزُّ يَمْـنَـعُ حُبْـوَتـي لا تُـحْـلَلُ

والـلّـهُ أثْـبَـتَـهـا، وعِـزٌّ لـمْ يَـزَلْ ... مُقْعَنْسِـاً، وأبيـكَ، مـا يتحَـوّلُ[٧]

جَبَلي أعَـزُّ، إذا الحُـرُوبُ تَكَشّفتْ ... مِمّـا بنـى لـكَ والـداكَ وأفْضَـلُ[٨]

إنـي ارْتَفـعْـتُ عـلـيْـكَ كُـلَّ ثَـنِـيّـةٍ ... وعَلَوْتُ فَـوْقَ بني كُلَيبٍ من عَـلُ[٩]

هـلّا سـألْتَ بني غُـدانَـةَ مـا رأوْا ... حَيْثُ الأتـانُ إلى عَمُـودِكَ تُرْحَـلُ[١٠]

كَسَـرَتْ ثَنِيّتَـكَ الأتَـانُ، فشـاهِـدٌ ... مِنْهـا بِفِيـكَ مُبَيَّنٌ مُسْتَـقْـبَـلُ

ـ ديوان الفرزدق، ص ٤٨٩ ـ ٤٩٥ .

ـ كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق ١/١٨١ ـ ٢١١ .

---

(١) الجندل: الصخور، الواحدة جندلة. أي: أنهم أوصوا إليّ بالشعر، كتبوا لي الوصية، ودفعوها إليّ.

(٢) المساور: هو ابن هند بن قيس بن زهير العبسي، وأخو هوازن: الراعي.

(٣) وغدانة: ابن يربوع. ويحلبون: يناصرون ويساندون.

(٤) حق: مرخم حقه: امرأة من بني غدانة، وقيل هي أم جرير، قيل: إنهاّ هجت الفرزدق. والكلكل: الصدر. أراد هنا المصيبة والداهية. يقول: لأبركن بصدري على قومك إن لم تنتهوا من مالكيّ.

(٥) أمامة: وهي امرأة جرير، ويتنخل: يخصّ، ضد يعم ويشمل.

(٦) الحبوة: العزلة، أي الذين يجتمعون حوله من أهل وأقارب.

(٧) وأبيك: أقسم له بأبيه. والمقنعس: القوي.

(٨) الجبل هنا: العز والمناعة والعظمة.

(٩) الثنية: الطريق في الجبل.

(١٠) بنو غدانة: من يربوع.

٩ ـ قصيدة الفرزدق في مدح زين العابدين[١] رضي الله عنه

(من البسيط)

هَـذا الَّـذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وطْأَتَـهُ ... والبَيْتُ يَعْـرِفُـهُ والحِـلُّ والحَـرَمُ[٢]

هـذا ابنُ خيـرِ عبـادِ الـلّهِ كُـلِّهِـمُ ... هـذا التقيُّ النَّقيُّ الـطَّاهِـرُ العَلَمُ[٣]

هـذا ابنُ فـاطمـةٍ، إنْ كُنْتَ جاهِلَهُ ... بِجَـدِّهِ أَنْبِيـاءُ اللَّهِ قَـدْ خُتِمُـوا[٤]

وليْسَ قـوْلُـكَ: مَن هـذا؟ بضائـره ... العُرْبُ تَعرِفُ مَن أَنكَـرْتَ والعَجَمُ[٥]

كِلْتـا يَـدَيْـهِ غِيـاثٌ عـمَّ نَفـعُهُـمَـا ... يُسْتَـوْكَفَـانِ، وَلا يَعْـرُوهُمـا عَـدَمُ[٦]

سهْـلُ الخليقـةِ، لا تُخْشَـى بـوادِرُهُ ... يـزِينُهُ آثنـانِ: حُسنُ الخَلْقِ والشِّيمُ[٧]

---

(١) زين العابدين: هو عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن الملقب بزين العابدين، رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. ولد بالمدينة سنة ٣٨ هـ /٦٥٨ م. وتوفي بها سنة ٩٥ هـ/٧١٢ م. (الأعلام ٤/٢٧٧). وقيل في مناسبة القصيدة: إن هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي العاشر (تولى الخلافة سنة ١٠٥ هـ /٧٢٤ م) (وتوفي سنة ١٢٥ هـ /٧٤٣ م). حج في أيام أبيه (عبد الملك بن مروان تولى الخلافة سنة ٦٥ هـ /٦٨٥ م. وتوفي سنة ٨٦ هـ /٧٠٥ م). وطاف بالبيت وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه، فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام. فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان الشام. فبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام زين العابدين، فطاف بالبيت. فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس، حتى استلم الحجر، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أنه يرغب فيه أهل الشام. وكان الفرزدق حاضراً، فقال: أنا أعرفه، ثم اندفع فأنشد هذه القصيدة. ويقال: إن هشام الخليفة غضب أشد الغضب، عند سماعه هـذه القصيدة، ورمى بالشاعر في السجن. وأنفذ زين العابدين لشاعر أثني عشر ألف درهم، فردها، وقال: «مدحته لله تعالى لا للعطاء».

(٢) البطحاء: أرض منبطحة في وسطها مكة. والبيت: الكعبة، ويقال لها: البيت العتيق والبيت الحرام. والحرم: ما لا يحل انتهاكه، ويقصد هنا مكة وما أحاط بها من الأرض. والحل: ما جاوز الحرم من الأرض. والوطأة: موضع القدم، يريد: أن الممدوح يعرفه أهل الدنيا قاطبة.

(٣) العلم: كبير القوم وسيدهم.

(٤) فاطمة: بنت الرسول ﷺ وزوج الإمام علي جدّ زين العابدين رضي اللّه عنهم، أي: أنه ابن بنت محمد ﷺ خاتم النبيين.

(٥) بضائره: مضرٌّ به، أي: محطٌّ من قدره.

(٦) غياث: غوث وعون ومطر، واستوكف: استقطر الماء واستدعى جريانه. وعم: شمل الناس عامة. وعراه: ألم به. والعدم: الفقر، وفقدان الشيء.

(٧) الخليقة: الطبع والسجية. والبوادر: الواحدة البادرة، ما يبدو من الإنسان عند غضبه. والشيم: الأخلاق، يقول: هو حليم لا يخشى غضبه.

حَمَّالُ أَثْقالِ أَقوامٍ، إذا افْتُدِحُوا حُلْوُ الشَّمائلِ، تحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ(١)
ما قالَ: لا قطُّ، إلّا في تَشهُّدِهِ لَوْلا التَّشهُّدُ كانَتْ لاؤهُ نَعَمُ(٢)
عمَّ البَرِيَّةَ بالإحسانِ، فانْقَشَعَتْ عَنْها الغَياهِبُ والإمْلاقُ، والعَدَمُ(٣)
إذَا رأتْهُ قُرَيْشٌ قالَ قائِلُها: إلى مَكارِمِ هَذا يَنْتَهي الكَرَمُ
يُغْضِي حَياءً، ويُغْضَى من مَهابَتِه فَما يُكَلَّمُ إلّا حِينَ يَبْتَسِمُ(٤)
بِكَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ من كفِّ أرْوَعَ، في عِرْنِينِه شَمَمُ(٥)
يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ راحَتِهِ رُكْنُ الحَطيمِ إذا ما جاءَ يَسْتَلِمُ(٦)
اللهُ شَرَّفَهُ قِدْماً، وعَظَّمَهُ جَرَى بِذاكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلَمُ(٧)
أيُّ الخَلائِقِ لَيْسَتْ في رِقابِهِمُ لأوَّلِيَّةِ هَذا، أوْ لَهُ نِعَمُ
مَن يشكُرِ اللهَ يشكُرْ أوَّلِيَّةَ ذا فالدِّينُ مِن بيتِ هذا نالَهُ الأُمَمُ
يُنمَى إلى ذُرْوَةِ الدِّينِ التي قَصُرَتْ عنها الأكفُّ، وعن إدراكِها القَدَمُ(٨)

---

(١) افتدحوا: أثقلوا بالمصائب. والشمائل: الواحدة الشميلة، الطبع والخصلة. أي: أنه يساعد من تحلُّ بهم المصائب، ويجد لذة في الإجابة بنعم على كلّ طلب معونة. يقال: إنه أحصى بعد موته عدد من كان يقوتهم سراً، فكانوا نحو مئة بيت. وقال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السرّ إلّا بعد موت زين العابدين. ويقال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم، فلما مات علي بن الحسين رضي الله عنهما فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم. (الأعلام ٤/٢٧٧).

(٢) التشهد: ما يقوله المسلم من شهادة بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله. يقول: إن زين العابدين لا يعرف أن يقول: لا، إلّا حينما يتلو الشهادة.

(٣) عمّ البرية: شمل الخليقة بإحسانه. وانقشعت: انجلت. والغياهب: الواحد الغيهب: وهو الظلمة. والإملاق: الفقر المدقع.

(٤) يغضي: يخفض الطرف. أي: أنه يغض طرفه حياءً، لكن الناس لعظم هيبته لا يرفعون إليه أبصارهم إلا إذا ابتسم لهم إيناساً.

(٥) الكف: الراحة. والعبق: الذي يفوح بالشذا والطيب. والأروع: من يروعك حسنه وشجاعته. والعرنين: الأنف. والشمم: ارتفاع أرنبة الأنف مع حسنها واستوائها.

(٦) الراحة: الكف. والركن: الجانب الأقوى. والحطيم: ما بين ركن الكعبة، وقيل: جدار الكعبة. ويستلم: يلمس للتبرك. أي: أن حجر الكعبة نفسه يعرف كفّ زين العابدين فيكاد يمسكه، أي: يحسبه عنده شغفاً به.

(٧) اللوح: الكتاب الذي يسطره القضاء والقدر لكل إنسان. أي: أنه كُتِبَ له التعظيم منذ القدم.

(٨) ينمي: ينسب، وقد ورد الشطر الثاني في بعض الروايات: «عن نيلها عرب الإسلام والعجم».

مَنْ جَدُّهُ دانَ فضْلُ الأنْبياءِ لَهُ وفَضْلُ أُمّتِهِ دانَتْ لَهُ الأُمَمُ [1]

مُشْتَقّةٌ مِنْ رسولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ طابَتْ مَغارِسُهُ والخِيمُ والشِّيَمُ [2]

يَنْشَقّ ثَوْبُ الدُّجَى عن نورِ غُرّتِهِ كالشمسِ تَنْجابُ عَنْ إشرَاقِها الظُّلَمُ [3]

من معشرٍ حُبُّهمْ دينٌ، وبُغْضُهُمُ كُفْرٌ، وقُرْبُهُمُ مَنجىً ومُعْتَصَمُ [4]

مُقدَّمٌ بعدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمُ في كلِّ بدْءٍ، ومَختومٌ به الكَلِمُ [5]

إنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقى كانوا أئِمّتَهُمْ أوْ قِيل: «مَنْ خَيْرُ أهلِ الأرْضِ؟» قيل: هُمُ

لا يستطيعُ جَوادٌ بعدَ جُودِهِمُ ولا يُدانِيهِمُ قومٌ، وإنْ كَرُمُوا

هُمُ الغُيوثُ، إذا ما أَزْمَةٌ أَزَمَتْ والأسدُ أُسْدُ الشَّرَى، والبأسُ مُحْتَدِمُ [6]

لا يُنقِصُ العُسْرُ بَسْطاً مِنْ أَكُفِّهِمُ سِيّانِ ذلك: إنْ أثْرَوْا وإنْ عَدِمُوا

يُستَدْفَعُ الشرُّ والبَلْوَى بحُبّهِمُ ويُسْتَرَبُّ بهِ الإحسانُ والنِّعَمُ [7]

ـ ديوان الفرزدق ص ٥١١ ـ ٥١٤.

١٠ ـ من قصيدة للفرزدق في وصف ذئب صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده [8]

(من الطويل)

---

(١) دان: خضع.

(٢) نبعته: شجرته، أي: أصله الكريم. والنبع: شجرة تصنع منها القسي، وهي أجود الشجر. والخيم: السجية والطبيعة، يقول: إن شجرته من أصل شجرة النبي ﷺ، وقد طابت مغارسه، وطابت سجاياه وأخلاقه.

(٣) تنجاب: تنكشف.

(٤) معشر: قوم. ومعتصم: ملجأ.

(٥) أي: أن المسلم بعد أن يذكر اللّه في بدء الكلام وختامه، يصلي ويسلّم على النبي محمد ﷺ وآله. ولذلك قال: ذكرهم بعد ذكر اللّه.

(٦) الغيوث: الذين يغيثون الناس. والأزمة: الشدّة. أزمت: اشتدت. والشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل. والبأس: الشدة، الحرب.

(٧) يستدفع الشر: يبعد عنهم. ويُسْتَرَبُّ: يُستزاد.

(٨) يقال في مناسبة هذا النص: إن الفرزدق خرج في نفر من الكوفة يريد يزيد بن المهلب (بن أبي صفرة الأزدي أبا خالد، أمير خراسان، عزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج، ثم ولاه سليمان بن عبد الملك العراق ثم خراسان، ثم البصرة، عزله عمر بن عبد العزيز عند توليه الخلافة، ثم استطاع من السيطرة على البصرة، إلا أن مسلمة بن عبد الملك أمير العراقين قتله سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م ـ الأعلام ٨/١٨٩ ـ ١٩٠)، فلما عرسوا من آخر الليل، عند الغريين، وعلى بعير لهم مسلوخة، كان اجتزرها، =

وأَطْلَسَ عسّالٍ، ومَا كانَ صاحباً، دعَوْتُ بِنَارِي مَوْهِناً فأَتَانِي[1]
فلمّا دنَا قلتُ: ادْنُ دونَكَ، إنّني وإيّاكَ في زَادي لمُشْتَرِكَانِ[2]
فبِتُّ أُسوِّي الزَّادَ بيْني وبيْنَهُ على ضوْءِ نارٍ، مرَّةً، ودُخَانِ
فقلْتُ لهُ لمّا تَكَشَّرَ ضاحِكاً وقائمُ سيْفي مِنْ يدِي بمَكانِ[3]
تَعَشّ فإنْ واثقْتَنِي لا تخُونُني نكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذئبُ يصْطَحبانِ[4]
وأَنتَ امْرؤٌ يا ذئبُ، والغَدْرُ كُنْتُما أُخَيَّيْنِ، كَانَا أُرْضِعَا بِلِبَانِ[5]
ولَوْ غيْرَنا نَبَّهْتَ تَلتَمِسُ القِرَى أتاكَ بسهْمٍ أوْ شَباةِ سِنَانِ[6]
وكُلُّ رفيقَيْ كلِّ رَحْلٍ، وإنْ هُما تَعاطَى القَنَا قَوْماهُما، أَخَوَانِ[7]
فهَلْ يرْجِعَنَّ اللّهُ نَفْساً تَشَعّبتْ على أَثَرِ الغادينَ كُلَّ مَكَانِ[8]
فأَصْبَحْتُ لا أَدْرِي أَأَتْبَعُ ظَاعِناً أَمِ الشَّوْقُ مِني للمُقيمِ دعَانِي؟[9]
ومَا مِنهُما إلاَّ تَولّى بِشِقَّةٍ مِنَ القلبِ فالعينانِ تَبْتَدِرانِ[10]

ـ ديوان الفرزدق، ص ٦٢٨.

= ثم أعجله المسير، فسار بها، فجاء الذئب فحركها، وهي مربوطة على بعير، فذعرت الإبل، وجفلت الركاب منه، وثار الفرزدق، فأبصر الذئب ينهسها، فقطع رجل الشاة، فرمى بها إلى الذئب، فأخذها وتنحى، ثم عاد فقطع اليد فرمى بها إليه، فلما أصبح القوم خبرهم الفرزدق بما كان، وأنشد هذه القصيدة.

(١) الأطلس: الذئب الأغبر المائل إلى السواد. والعسال: المضطرب في جريه. والموهن: الليل.

(٢) ادن: اقترب. ودونك: أمامك.

(٣) تكشر: كشف عن أسنانه. وقائم السيف: مقبضه.

(٤) واثقتني: عاهدتني.

(٥) أُخيّان: أخوان توأمان. واللبان: الصدر.

(٦) شباة سنان: طرف الرمح. والقرى: ما يقدم للضيف.

(٧) تعاطى القنا قوماهما: تحارب أهلهما.

(٨) تشعبت: تفرقت من الهموم. والغادون: الراحلون صباحاً، وربما قصد الميتين، إشارة إلى بنيه المتوفين.

(٩) الظاعن: الراحل، ويقصد الميت. والمقيم: الباقي على قيد الحياة. وهنا يصف الاضطراب النفسي الذي يعتريه.

(١٠) نبتدران: تدمعان. وتولى بشقة: أخذ وشغل قسماً من قلبه.

١١ - من قصيدة لجرير [١] يناقض فيها الفرزدق[٢]

(من الكامل)

لِمَنِ الدِّيارُ كأنّها لم تُحْلَلِ ... بَيْنَ الكِناسِ وبَيْنَ طَلْحِ الأَعْزَلِ [٣]

ولقَدْ أرى بكِ والجَدِيدُ إلى بِلًى ... مَوْتَ الهَوى وشِفاءَ عَيْنِ المُجْتَلِي [٤]

نَظرتْ إليْكَ بِمِثْلِ عَيْنَيْ مُغْزِلٍ ... قَطَعَتْ حِبالَتَها بأَعْلَى يلْيَلِ [٥]

وإذا الْتَمَسْتَ نَوالَها بَخِلَتْ بِهِ ... وإذَا عَرَضْتَ بِوُدِّها لمْ تَبْخَلِ [٦]

ولقدْ ذَكَرْتُكِ والمَطِيُّ خَواضِعٌ ... وكأنّهُنَّ قَطا فَلاةٍ مَجْهَلِ [٧]

---

(١) جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفى بن بدر الكلبي اليربوعي من تميم، ولدت جريراً أمُّه لسبعة أشهر، وعمّر نيفاً وثمانين سنة، مات باليمامة سنة ١١٠ هـ /٧٢٨ م. وكان يكنى أبا حزرة، كان عفيفاً، وهو من أغزل الناس في الشعر، شب جرير بدوياً فقيراً يرعى الضأن والمعز، ويسوق الحمير، ونطق بالشعر صبياً ولما يبلغ الخامسة عشرة من عمره، قارض أخاه الأكبر عمراً الشعر، وهو من أسرة كلها شعراء، كان أبوه عطية شاعراً، وجده الخطفى، وأخوه، وبنوه، وبنو بنيه شعراء. اتصل بالولاة والأمراء والخلفاء، وخص الحجاج ببعض مدائحه، الذي أوصله إلى عبد الملك بن مروان، بعد أن كان زبيري الهوى، يقال: إن المعارك اشتدت بينه وبين الشعراء، وكان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعراً، ولم يثبت له غير الفرزدق والأخطل. وقد اتفقت العرب على تقدم جرير على صاحبيه، في الهجاء والغزلّ والرثاء. وجاء تفوقه في الهجاء بسبب عنفه في خصومته، وسخريته من غريمه، أما تفوقه في الغزل والرثاء فكان ذلك بسبب تدينه وعفته، وسلامة طبعه، وعذوبة منطقه، وصدق شعوره، وقلة تكلفه، فكان أغزرهم بحراً، إن طَلَبَ لم يُسبق. وإن طُلب لم يلحق. انظر ترجمته في: طبقات الشعراء، ص ٧٥ - ١٢١. وطبقات فحول الشعراء ص ٣٧٤ - ٤٥١. والشعر والشعراء، ص ٢٨٣ - ٢٨٩. والأغاني ٨/٣ - ٩٠، ١١/٥٥ - ٦٣. (طبعة دار الثقافة) والأعلام ١١٩/٢.

(٢) مضى ذكر قصيدة الفرزدق، ص ١٦٤.

(٣) كأنها لم تحلل: أي درست كأنها لم تكن مسكونة. والكناس: موضع ببلاد غنى. والاعزل: واد لبني كليب. والطلح: شجر من العضاه.

(٤) المجتلي: الناظر. يقول: كنّا بك يا دار مجتمعين متجاورين فهوانا ميت، فلما افترقنا جاء التذكر والأحزان.

(٥) المغزل: الظبية المطفل. ويليل: موضع.

(٦) النوال: القبلة واللمسة. يقول: تعطيك بلسانها ما لا تفعله. وإذا عرضت لها بالمودة والحديث فهي تبذله ولا تبخل به، وإذا أردت غير ذلك. بخلت به.

(٧) خواضع: مطأطئة رؤوسها في سيرها. والقطا: طير. والفلاة: القفر. والمجهل: المجهول المعالم.

يسْقِينَ بالأُدَمى فِراخَ تَنُوفَةٍ زُغْباً حَوَاجِبُهُنَّ حُمْرَ الحَوْصَلِ (١)
يا أمّ ناجيَةَ السَّلامُ عليْكُمُ قبْلَ الرَّوَاحِ وقبْلَ لوْمِ العُزَّلِ (٢)
وإذَا غَدَوْتِ فباكَرَتْكِ تَحيَّةٌ سَبَقَتْ سُروحَ الشَّاحِجَاتِ الحُجَّلِ (٣)
لوْ كُنْتُ أعْلمُ أنّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يوْمُ الرَّحِيلِ فعلْتُ ما لَمْ أفْعَلِ (٤)
أوْ كُنْتُ أرْهَبُ وشْكَ بيْنٍ عاجِلٍ لقَنَعْتُ أوْ لسأَلْتُ ما لمْ يسْأَلِ (٥)
أعْدَدْتُ للشُّعراءِ سُمًّا ناقِعاً فسقَيْتُ آخِرَهُمْ بكَأْسِ الأوَّلِ (٦)
لمَّا وَضَعْتُ على الفرَزْدَقِ مِيسَمي وضغا البَعيثُ جَدَعْتُ أنْفَ الأخْطلِ (٧)
أخْزَى الذي سَمَكَ السَّماءَ مُجَاشِعاً وبَنى بِناءَكَ في الحَضِيضِ الأسْفَلِ (٨)
بيْتاً يُحَمِّمُ قيْنُكُمْ بِفِنائِهِ دنِساً، مقاعِدُهُ خَبيثَ المَدْخَلِ (٩)
ولقدْ بنَيْتَ أخَسَّ بيْتٍ يُبْتَنَى فهَدَمْتُ بيْتَكُمُ بِمِثْلَيْ يذْبُلِ (١٠)
إنِّي بنى ليَ في المكارمِ أوّلي ونَفَخْتَ كيرَكَ في الزَّمانِ الأوَّلِ (١١)
أعْيَتكَ مأْثُرَةُ القُيونِ مُجاشِعٍ فانْظُرْ لعلَّكَ تدَّعي مِنْ نَهْشَلِ (١٢)
وامْدَحْ سَراةَ بني فُقَيْمٍ إنّهُمْ قتلُوا أباكَ وثأْرُهُ لمْ يُقْتَلِ (١٣)

---

(١) الأُدَمى: اسم موضع. والتنوفة: المكان المقفر. والزغب: أول ما يبدو من الريش.
(٢) الرواح: الذهاب عشية.
(٣) الشاحجات: الغربان التي تشحج، أي تصوت. والحجل: أي تقفز على الرجلين معاً.
(٤) عهدكم: لقاؤكم. يقول: إنه لما كان ارتضى بما جرى لو علم أنه سيكون آخر عهده بها.
(٥) البين: الفراق.
(٦) ناقعاً: قاتلاً. أي أنه أعدّ للشعراء قصائد قاتلة.
(٧) ضغا: صوّت، وأصلها في الخنزير. وجدع: قَطَعَ الأنف. والميسم: المكوى، يريد الشعر.
(٨) سمك: رفع. ومجاشع: قوم الفرزدق. والحضيض: أسفل الجبل، يقول: إن اللّه أرادهم أذلاء.
(٩) يحمم: يشعل فيه، فيسوده بالدخان. والقين: الحداد. وهنا يقصد الفرزدق.
(١٠) يذبل: جبل بنجد يشبه به مجده ورفعته.
(١١) أوّلي: آبائي. يقول: إن أجداده عظام، وأجداد الفرزدق حدّادون.
(١٢) مأثرة: مكرمة، أو عمل كريم. وتدعي: تنتسب. مجاشع ونهشل أخوان من تميم.
(١٣) السراة: جمع السري، وهو الشريف. وبنو فقيم: من دارم. أي: أنهم لم يأخذوا بثأره.

ودعِ البراجِمَ إنَّ شِرْبَكَ فيهمَ	مُرٌّ عواقِبُهُ كَطَعْمِ الحَنْظَلِ [1]
إنِّي انْصَبَبْتُ مِنَ السَّماءِ عَلَيْكُمُ	حتَّى آخْتَطَفْتُكَ يا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ [2]
مِنْ بَعْدِ صَكِّتِيَ البَعِيثَ كأنَّهُ	خَرَبٌ تَنفَّجَ مِنْ جِذارِ الأَجْدَلِ [3]
ولقدْ وَسَمْتُكَ يا بَعيثُ بِميسَمي	وضغا الفرزْدَقُ تَحْتَ حَدِّ الكَلْكَلِ [4]
حَسْبُ الفَرَزْدَقِ أَنْ تُسَبَّ مُجاشِعُ	ويَعُدَّ شِعْرَ مُرَقِّشٍ ومُهَلْهِلِ [5]
طلَبَتْ قُيُونُ بَني قُفَيْرَةَ سابِقاً	غَمْرَ البَدِيهةِ جامِحاً في المِسْحَلِ [6]
قُتِلَ الزُّبَيْرُ وأنْتَ عاقِدُ حُبْوَةٍ	قُبحاً لِحُبْوَتِكَ التَّي لم تُحْلَلِ [7]
لا تَذْكُرُوا حُلَلَ المُلُوكِ فإنَّكُمْ	بَعْدَ الزُّبَيْرِ كَحائِضٍ لَمْ تُغْسَلِ [8]
أَبَنِيَّ شِعْرَةَ لَمْ تَسُدَّ طَرِيقَنا	بالأَعْمَيَيْنِ وَلا قُفَيْرَةَ فآرْحَلِ [9]
وَلَقَدْ تَبَيَّنَ فِي وُجُوهِ مُجاشِعٍ	لُؤْمٌ يَثُورُ ضَبابُهُ لا يَنْجَلِي [10]
وَلَقَدْ تَرَكْتُ مُجاشِعاً وَكَأَنَّهُمْ	فَقْعٌ بِمَدْرَجَةِ الْخَمِيسِ آلْجَحْفَلِ [11]
إنِّي إلَى جَبَلَيْ تَمِيمٍ مَعْقِلي	وَمَحَلُّ بَيْتِي فيِ آلْيَفاعِ الأَطْوَلِ [12]

(١) الشرب: الحظ والنصيب. يقول: لا تقربهم فتنال الأذى. والبراجم: قوم من أولاد حنظلة بن مالك.

(٢) انصببت: انقضضت. من عل: من أعلى.

(٣) الصك: الضرب الشديد. والخرب: ذكر الحبارى، ويوصف بالجبن. وتنفج: أي تنفش ريشه ذعراً. والأجدل: الصقر.

(٤) الميسم: المكوى، والمقصود الشعر. وضغا: تذلل. والكلكل: الصدر.

(٥) المرقش: من شعراء الجاهلية العشاق. والمهلهل: من فرسان العرب، ومن شعراء الرثاء في الجاهلية.

(٦) غمر البديهة: خصب الارتجال. والمسحل: اللجام. وقُفيرة: جدة الفرزدق، يتهمها جرير أنها بنت زنا.

(٧) الحبوة: التربع، يقول: إنهم ظلوا قاعدين والزبير جارهم يقتل.

(٨) أي لا تفخروا بصلة الملوك فقد لوّثكم مقتل الزبير.

(٩) أبنى شعرة: يقال للرجل ذلك إذا أحتقر وعيب. وبالأعميين: كان غالب أعور وأخوه أعمى. يقول: إنهم عاجزون عن الصمود بوجههم بهولاء.

(١٠) يقول: إن ضباب اللؤم يغشى وجوههم.

(١١) فقع: كمأة بيضاء كبار، يضرب بها المثل في الذل، يقال أذلّ من فَقْعٍ بقاعٍ، لأنه يوطأ ويأكله الطير وغيره. والخميس: الجيش. وجحفل: كثير الجلبة. أراد أنهم خلفهم موطوؤون تحت أقدام الجيوش.

(١٢) المعقل: الملجأ والحرز. واليفاع: المكان المشرف.

أَحْلامُنا تَزِنُ الْجِبالَ رَزانَةً ... ويَفُوقُ جاهِلُنا فَعالَ الْجُهَّلِ[1]

فَارْجِعْ إلَى حَكَمَيْ قُرَيْشٍ إنَّهُمْ ... أَهْلُ النُّبُوَّةِ وَالْكِتابِ المُنْزَلِ[2]

فَاسْأَلْ إذا خَرَجَ الْخِدامُ وأُحْمِشَتْ ... حَرْبٌ تَضَرَّمُ كالحَرِيقِ الْمُشْعَلِ[3]

وَالْخَيْلُ تَنْحِطُ بِالْكُماةِ وَقَدْ رَأَوْا ... لَمْعَ الرَّبِيئَةِ في النِّيافِ الْعَيْطَلِ[4]

أَبَنُو طُهَيَّةَ يَعْدِلُونَ فَوارِسِي ... وَبَنُو خَضافِ وذاكَ ما لَمْ يُعْدَلِ[5]

وَإذا غَضِبْتُ رَمَى وَرائِي بِالْحَصَى ... أَبْناءُ جَنْدَلَتِي كَخَيْرِ الْجَنْدَلِ[6]

عَمْرٌو وَسَعْدٌ يا فَرَزْدَقُ فِيهِمُ ... زَهْرُ النُّجُومِ وبَاذِخاتُ الأَجْبُلِ[7]

كانَ الْفَرَزْدَقُ إذْ يَعُوذُ بِخالِهِ ... مِثْلَ الذَّلِيلِ يَعُوذُ تَحْتَ الْقَرْمَلِ[8]

وَافْخَرْ بَضَبَّةَ إنَّ أُمَّكَ مِنْهُمُ ... لَيْسَ ابْنُ ضَبَّةَ بِالْمُعَمِّ الْمُخْوَلِ[9]

وَقَضَتْ لَنا مُضَرٌ عَلَيْكَ بِفَضْلِنا ... وَقَضَتْ رَبِيعَةُ بِالْقَضاءِ الْفَيْصَلِ[10]

إنَّ الَّذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا ... بَيْتاً عَلاكَ فَما لَهُ مِنْ مَنْقَلِ[11]

أَبْلِغْ بَنِى وَقْبانَ أَنَّ حُلُومَهُمْ ... خَفَّتْ فَما يَزِنُونَ حَبَّةَ خَرْدَلِ[12]

---

(١) يقول: إنهم ذوو حلم وجهل ولكلٍ موضعه.

(٢) حكما قريش: عبد مناف وهاشم. ويقال: هاشم وأمية.

(٣) إذا خرج الخدام: أي إذا أغير عليكم وخرجت النساء مذعورات، مشمرات للركض، فظهرت خلاخيلهن. أحمشت النار: قويت. والخدام: الفرس المحجل.

(٤) تنحط: تصوّت من التعب. والكماة: جمع الكمي، المدجج بالسلاح. والربيئة: طليعة الجيش. والنياف: الطويل من الإبل. والعيطل: الطويل العنق.

(٥) طهية: أم جماعة من تميم، منهم مجاشع ودارم ونهشل. وبنو خضاف: هم بنو مجاشع.

(٦) الجندلة: المعقل ومن يحتمي بهم. والحصى: العدد الكثير. والجندلة: هي جندلة بنت تيم الأدرم بن غالب بن فهر بن مالك، وهي أم يربوع ومازن.

(٧) عمرو: يعني عمرو بن تميم بن مُرّ. وسعد بن زيد مناة: كانا حليفين لعشيرة جرير. وزهر النجوم: النابهون. والباذخات: العالية جداً. والأجبل: جمع جبل، يريد عظماء الرجال.

(٨) يعوذ: يحتمي. والقرمل: شجر ضعيف لا شوك له.

(٩) المعم المخول: كريم العم والخال.

(١٠) الفيصل: القاطع.

(١١) منقل: نقل.

(١٢) بنو وقبان: لقب لبني مجاشع. ومعنى الوقبان: الأحمق. والحلوم: جمع حلم، وهو العقل والرزانة.

أَبْلغ هَـدِيَّتِيَ الْفَـرزْدَقَ إِنَّـهـا ثِقَـلٌ يُـزادَ عَلَى حَسِيـرٍ مُثْقَـلِ[1]
إِنَّـا نُقيمُ صَغـا الـرُّؤُوسِ وَنَـخْتَلِي رَأْسَ المُتَـوَّجِ بالحُسَـامِ المِقْصَـلِ[2]

ـ شرح ديوان جرير، ص ٥٣٦ ـ ٥٤٠.
ـ كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق ١/٢١١ ـ ٢٣١.

١٢ ـ من قصيدة[3] لجرير في هجاء الراعي النميري[4] (الدامغة)[5]

(من الوافر)

أَقِـلِّي الـلَّوْمَ عـاذِلَ وَالْـعِـتـابـا وَقُـولي إنْ أَصَبْتُ لقَـدْ أَصـابـا[6]
وَوَجْـدٍ قَـدْ طَـوَيْـتُ يَـكـادُ مِـنْـهُ ضَميـرُ الْـقَلْبِ يَـلْتَهِبُ الْتـهـابـا[7]
سَـأَلْنـاهـا الشِّـفـاءَ فَمـا شَـفَتْنـا وَمَـنَّتْـنـا الـمَـواعِـدَ وَالْـخِـلابـا[8]

---

(١) الحسير: الواهي. والهدية: هنا القصيدة.
(٢) نختلي: نجز
(٣) كان للفرزدق صاحب من بني نمير اسمه عرادة النميري، استطاع أن يؤثر على الشاعر عبيدة بن حصين المعروف براعي الإبل ويقنعه بتفضيل الفرزدق على جرير، فقال الراعي في هذا الصدد:
يـا صـاحـبيَّ دنـا الـرَّواحُ فـسيـرا غـلبَ الفـرزدق فـي الـهـجـاء جـريـرا
ولما التقى جرير بالراعي النميري عاتبه على ذلك، ويبدو أنه لم يرض بهذا اللقاء، وغضب، وذهب بعدئذ إلى المربد، وقال قصيدته هذه أمام جمع غفير من الناس، يهجو فيها بني النمير والراعي والفرزدق والأخطل، بل تجد فيها هجاءً للشعراء عامة، ولما ختم قصيدته بالبيت الذي أوله: «فغضِّ الطرف إنك من نمير» كبَّر ثم قال: أخزيته ورب الكعبة.. ومنذ ذلك الحين سميت القصيدة بالدامغة، حتى أخذ بنو نمير يغيرون قبيلتهم، وينتسبون إلى قبائل أخرى. انظر: الأغاني ٨/١٤ ـ ٣١، ٢٣/٣٥٠ ـ ٣٥٥ (طبعة دار الثقافة). وكتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق ١/٤٢٧ ـ ٤٣٢.
(٤) هو عُبيد بن حصين بن معاوية النميري. ويكنى أبا جندل، والراعي لقب غلب عليه، لكثرة وصفه الإبل، وجودة نعته إياها وهو شاعر فحل من شعراء الإسلام، وكان مقدماً مفضلاً، حتى اعترض بين جرير والفرزدق، فاستكفَّه جرير، فأبى أن يكف، فهجاه ففضحه ويقال: إنه مات كمدا من هجاء جرير.
انظر ترجمته: الشعر والشعراء، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨. والأغاني ٢٣/٣٤٨ ـ ٣٦٥. (طبعة دار الثقافة).
(٥) كانت هذه القصيدة تسمى الدامغة، لأن جريراً دمغ بها الراعي النميري، أي: أصاب دماغه، وسميت قافيتها، كذلك المنصورة. انظر: الديوان، ص ٨٩. وكتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق ١/٤٣٠ ـ ٤٣٢.
(٦) يخاطب عاذلة تلومه ويدعوها إلى أن تقصر عنه وتكف عن معاتبته وأن تقرّ بصواب ما تقوله إذا ما شاهدته صائباً.
(٧) يتحدث عن الوجد الذي يعانيه لصاحبته ويقول: إنه يذكي في قلبه النار ويؤججها تأجيجاً.
(٨) الخلاب: الكذب من مواعيدهنّ وقول الباطل.

لَشَتَّانَ الْمُجاوِرُ دَيْرَ أَرْوَى وَمَنْ سَكَنَ السَّلِيلَةَ وَالْجِنابا[1]

أَسِيلةُ مَعْقِدِ السِّمْطينِ مِنْها وَرَيَّا حَيْثُ تَعْتَقِدُ الْحِقابا[2]

وَلا تَمْشي اللِّئامُ لَها بِسِرٍ وَلا تُهْدِي لجارَتِها السِّبابا[3]

أَباحَتْ أُمُّ حَزْرَةَ مِنْ فُؤادِي شِعابَ الْحُبِّ إِنَّ لَهُ شِعابا[4]

مَتَى أُذْكَرْ بِخُورِ بَني عِقالٍ تَبَيَّنَ في وُجُوهِهِمُ اكْتِئابا[5]

إذا لاقَى بَنُو وَقْبانَ غَمًّا شَدَدْتُ عَلَى أُنوفِهِمُ العِصابا[6]

أَبَى لي ما مَضَى لي في تَميمٍ وفَي فَرْعَيْ خُزَيْمَةَ أَنْ أُعابا[7]

سَتَعْلَمُ مَنْ يَصِيرُ أَبُوهُ قَيْناً وَمَنْ عُرِفَتْ قَصائِدُهُ اجْتِلابا[8]

فَلا وَأَبِيكَ ما لاقَيْتُ حَيًّا كَيَرْبُوعٍ إذا رَفَعُوا العُقَابا[9]

وَما وَجَدَ الْمُلُوكُ أَعَزَّ مِنَّا وَأَسْرَعَ مِنْ فَوارِسِنَا اسْتِلابا[10]

حَمَيْنا يَوْمَ ذِي نَجَبٍ حِمَانَا وَأَحْرَزْنا الصَّنائِعَ وَالنِّهابا[11]

لَنا تَحْتَ المَحامِلِ سابِغاتٌ كَنَسْجِ الرِّيحِ تَطَّرِدُ الْحَبابا[12]

---

(١) يقول: إن صاحبته التي تقيم في تلك المواضع قد ابتعدت ونأت عنه.

(٢) يقول: إنها طويلة العنق، وندِيَّة الخصر، ومهضومة الحشا.

(٣) أي لا تبوح بالسرِّ، كما أنها لا تفحش لجارتها الكلام.

(٤) يقول: إن حبيبته، وهي هنا زوجه قد استحلت سبل قلبه جميعاً، وأنَّ حبها أطبق عليه من كلّ جهة.

(٥) يبدأ بالهجاء، ويقول: إنه إذا ما ذكر إلى بني عقال، فإنهم يكتئبون لذكره، ويحزنون لشدة إيقاعه بهم وثلبه لهم.

(٦) العصابا: يعني عِصاب الغِمامة التي تشدّ على أنف الناقة وذلك إذا أرادوا أن يعطفوها على غير ولدها كيلا تشمه، وإنما تعرف ولدها بالشَّمِّ. يقول: إنهم إذا ما أصيبوا بمكروه، فإنه يشد العصابة على أنوفهم، يريد أنه يود أن يختنق أنفاسهم.

(٧) فرعى خزيمة: كنانة وأسد. وهنا يفخر بقومه بني تميم وبني أسد وكنانة.

(٨) القين: الحداد، يريد أحد أجداده. واجتلاباً: انتحالاً، وجمعاً من سائر الشعراء.

(٩) العقاب: هنا الراية التي تحمل في القتال، والناس يقاتلون معها وحولها ما دامت قائمة، فإذا سقطت انهزم أهلها. ويربوع: قومه.

(١٠) استلابا: أي هم أشد الفرسان استلاباً لأعدائهم وغزواً لهم.

(١١) يوم ذي نجب: كان لبني يربوع خاصة دون بني حنظلة. وهنا يفخر بانتصارهم في هذا اليوم الذي نكلوا فيه ببني حنظلة، واقتادوا منهم الأسرى وحصلوا على غزو كثير..

(١٢) المحامل: مفردها المِحْمل، وهي محامل السيوف. والسابغات: الدروع الطويلة. والحباب: الذي تراه=

وَذي تـاجٍ لَـهُ خَـرَزاتُ مُـلْكٍ سَلَبْنَـاهُ السُّـرادقَ وَالْحِجـابـا[1]
أَلا قَـبَـحَ الإلَـهُ بَـنـي عِـقَـالٍ وَزَادَهُـمْ بِـغَـدْرِهِـمُ ٱرْتِـيـابَـا[2]
لَـقَـدْ خَـزِيَ الْفَـرَزْدَقُ في مَـعَـدٍّ فَـأَمْسَى جَهْد نُصْـرَتِـهِ اغْتِيـابـا[3]
وَلاقَى الْقَيْنُ والنَّخَبـاتُ غَمًّـا تَرَى لِوُكُـوفِ عَبْرَتِـهِ ٱنْصِبابـا[4]
فَمـا هِبْتُ الْفَـرَزْدَقَ قَـدْ عَـلِمْتُـمْ وَمـا حَـقُّ ٱبْنُ بَـرْوَعَ أَنْ يُـهـابـا[5]
أَعَـدَّ اللهُ لِـلـشُّـعَـرَاءِ مِـنِّـي صَواعِقَ يُخْضِعُـونَ لَهـا الرِّقـابـا[6]
قَـرَنْتُ الْعَبْـدَ عَبْـدَ بَنِي نُـمَيْـرٍ مَـعَ الْقَيْنَيْنِ إِذْ غُلِبـا وَخـابـا[7]
أَتـانـي عَـنْ عَـرادَةَ قَـوْلُ سُـوءٍ فَـلا وَأَبـي عَـرادَةَ مَـا أَصَـابـا[8]
أَنـا الـبـازِي الْمُـدِلُّ عَلَى نُـمَيْـرٍ أُتِحْتُ مِنَ السَّمـاء لَهـا ٱنْصِبـابـا[9]
إذا عَـلِقَـتْ مَـخـالِـبُـهُ بِـقِـرْنٍ أَصـابَ الْقَلْبَ أَوْهَتَـك الْحِجابـا[10]
تَـرَى الـطَّيْـرَ الْعِتـاقِ تَـظَلُّ مِـنْـهُ جَـوانِحَ لِلْكَـلاكِـلِ أَنْ تُصَابـا[11]

= على الماء مثل الوشم تراه وتبيِّنه إذا حركته الريح. ويشبه تموجها بتموج صفحة الماء إذ تعصف فيه الريح.

(١) الخرزات: جمع خرزة، وهي قطعة الحليّ. والسُّرادق: الفسطاط أو الخيمة التي تمدّ فوق سقف البيت. وهنا العمد التي ترفع فوق هامة الملوك.

(٢) بنو عقال: رهط الفرزدق. يهجوهم بغدرهم، ويتمنى أن يتفاقم أمره فيهم ويزيدهم ريبة على ريبة.

(٣) يقول: أخزيته، فلم يكن عنده انتصار لنفسه إلّا الاغتياب فقط.

(٤) القين: الحداد. والنخبات: جمع النخبة، الجبناء من الرجال. يقول: إنه أصاب القيون، أي: قوم الفرزدق في ذلك اليوم غمٌّ عظيمٌ وأنهم بكوا جزعاً منه فوكف دمعهم، أي: سال بغزارة.

(٥) ما هبت: ما خفت. وابن بروع: الراعي النميري، وبروع: اسم أمه.

(٦) يبدأ بالفخر المباشر. يقول: إن اللّه خصَّه بقدرة في الهجاء تجعل سائر الشعراء يهابونه بها، ويحنون رقابهم له، صاغرين أذلاء.

(٧) أي: أنه انتصر على مُهاجيه، وأنه قرنهم بعضاً ببعض، وأذلهم جميعاً.

(٨) عرادة النميري، هو راوية الراعي النميري. أي: أن عرادة نمّ عليه وخبرٌ عنه أخبار السوء، ثم يقبح به لكذبه.

(٩) البازي: طائر قوي من الطيور الجارحة، يستخدم في صيد الطيور وغيرها. والمدل على النمير: الذي له عليه دالة وسلطة.

(١٠) القرن: الخصم في القتال. والحجاب: غشاء يحيط بالقلب.

(١١) الكلاكل: الصدور. أراد أنها لاصقة بالأرض من مخافته، فشبه نفسه بالبازي

فَلا صَلَّى الإلهُ عَلَى نُمَيْرٍ وَلا سُقِيَتْ قُبُورُهُمُ السَّحابا[١]

وَلَوْ وُزِنَتْ حُلُومُ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى الْمِيزانِ ما وَزَنَتْ ذُبابا[٢]

فَصَبْراً ياتُيُوسَ بَنِي نُمَيْرٍ فَإِنَّ الْحَرْبَ مُوقِدَةٌ شِهابا[٣]

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ من نُمَيْرٍ فَلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلا كِلابا[٤]

فَياعَجَبِي أَتُوعِدُني نُمَيْرٌ بِراعِي الإبْلِ يَحْتَرِشُ الضِّبابا[٥]

لَعَلَّكَ يا عُبَيْدُ حَسِبْتَ حَرْبِي تُقَلِّدُكَ الأَصِرَّةَ وَالْعِلابا[٦]

إذا نَهَضَ الْكِرامُ إِلَى المَعالي نَهَضْتَ بِعُلْبَةٍ وَأَثَرْتَ نابا[٧]

قُرُومٌ تَحْمِلُ الأَعْباءَ عَنْكُمْ إذا ما الأَمْرُ في الْحَدَثان نابا[٨]

هُمُ مَلَكُوا الْمُلوكَ بِذات كَهْفٍ وَهُمْ مَنَعُوا مِنَ الْيَمَنِ الْكُلابا[٩]

إذا غَضِبتْ عَلَيْكَ بَنُو تَميمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضابا[١٠]

---

(١) يريد: ألا تحلّ ببني نمير رحمة الله، وهنا يلعنهم ويستنزل عليهم غضب الله.

(٢) يهجوهم بالجهل والطيش.

(٣) يتوعدهم بالحرب.

(٤) هذا بيت مأثور أدرك فيه غاية الهجاء للراعي النميري، إذ يدعوه إلى أن ينكس نظره، ويخفض جبينه ذلاً ومهانة لانتسابه إلى النميريين الأذلاء من دون بني كعب وكلاب. يروى عن الراعي أنه قال: هجوت جماعة من الشعراء، وما قلت فيهم ما تستحي العذراء من إنشاده في خدرها. ولما قال جرير هذا البيت، أطفأ مصباحه ونام، لأنه رأى أنه بلغ حاجته وشفى غيظه من بني نمير، ويقول الراعي: خرجنا من البصيرة فما وردنا ماء من مياه العرب إلّا وسمعنا البيت قد سبقنا إليه، حتى أتينا حاضر بني نمير، فخرج إلينا النساء والصبيان يقولون: قبحكم الله وقبح ما جئتمونا به.

(٥) يحقر من شأن الراعي النميري، وينفي عنه الفروسية، إذ يقصر جُل أمره على صيد الضباب، وهو أمر لا يدأب عليه إلّا الخاملون.

(٦) يخاطب الراعي ساخراً: أتراك حسبت حربي يسيرة سهلة كالعمل الذي دأبت عليه من فكّ لصرار الناقة وحلب لها في علابها. أي: انه راع قليل الشأن وليس فارساً مقداماً.

(٧) يقول له: إنك تكتفي من الأمر كله أن تحمل العلبة التي تستدر فيها الحليب وأن تستكشف نياب الماشية، فيما ينهض سواك إلى المعالي ويأتون بالعظائم.

(٨) القروم: جمع القرم، وهو الفحل، والسيد العظيم الشريف.

(٩) ذات كهف: موضع كان فيه يوم من أيامهم. والكلاب: يوم لبني سعد على الرباب. وملكوا الملوك بذات كهف: إن بني يربوع أسروا قابوس بن المنذر بن ماء السماء، وحسان أخاه. والكلاب الأخير: هو لسعد والرباب على أهل اليمن ومذحج وغيرهم.

(١٠) يقول: إذا غضب التميميون فإن غضبهم يعادل غضب الناس جميعاً.

أَلَسْنَا أَكْثَرَ الثَّقَلَيْنِ رَجْلاً ... بِبَطْنِ مِنىً وَأَعْظَمَهُ قِبَابَا[1]
سَتَعْلَمُ مَنْ أَعَزُّ حِمىً بِنَجْدٍ ... وَأَعْظَمُنَا بِغَائِرَةٍ هِضَابَا[2]
أَتَيْعَرُ يَا آبْنَ بَرْوَعَ مِنْ بَعِيدٍ ... فَقَدْ أَسْمَعْتَ فَاسْتَمِعِ الْجَوَابَا[3]
فَلاَ تَجْزَعْ فَإِنَّ بَنِي نُمَيْرٍ ... كَأَقْوَامٍ نَفَحْتَ لَهُمْ ذِنَابَا[4]
شَيَاطِينُ الْبِلادِ يَخَفْنَ زَأْرِي ... وَحَيَّةُ أَرْيُحَاءَ لِيَ اسْتَجَابَا[5]
تَرَكْتُ مُجَاشِعاً وَبَنِي نُمَيْرٍ ... كَدَارِ السَّوْءِ أَسْرَعَتِ الْخَرَابَا[6]
أَلَمْ تَرَنِي وَسَمْتُ بَنِي نُمَيْرٍ ... وَزِدْتُ عَلَى أُنُوفِهِمُ الْعِلابَا[7]
إِلَيْكَ إِلَيْكَ عَبْدَ بَنِي نُمَيْرٍ ... وَلَمَّا تَقْتَدِحْ مِنِّي شِهَابَا[8]

- شرح ديوان جرير، ص ٨٩ - ١٠١.
- كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق ١/٤٣٢ - ٤٥١(*).

١٣ - من قصيدة[9] لجرير في رثاء زوجته خالدة بنت سعد.

(من الكامل)

لَوْلاَ الْحَيَاءُ لَعَادَنِي آسْتِعْبَارُ ... وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَآلْحَبِيبُ يُزَارُ[10]

---

(١) الثقلان: الإنس والجن. يقول: إنهم الأكثر عدداً في جبل منى، وإنهم يضربون فيه القباب التي تدل على مجدهم وسؤددهم. أي: أنه يفخر بقيام بني قومه في بطحاء مكة.

(٢) يفخر بالمواضع التي يقيمون فيها والتي لا يقطنها إلا الأشراف.

(٣) تيعر: تصيح وتصوت. وبروع: يقال إنها أمه. ويقال: ناقة ذكرها الراعي فنسبه إليها جرير. يقول: إنك لا تزال تصيح كالماعز من بعيد، لجبنك، وها إني أجيبك في هذه الأبيات على صياحك.

(٤) نفحت: رمت. والذناب: النصيب، وأصله الدلو. وهنا يحقّر من أمر النميريين الذين يكتفون بما يرمي لهم من متاع هزيل.

(٥) أريحاء: مدينة بالشام، وهي الآن مدينة بالضفة الغربية، والله أعلم. يقول: إن من عرفوا بالشر في كلّ مكان يخشون بطشي.

(٦) مجاشع: قوم الفرزدق. وهنا يفخر بما أوقعه بقوم الفرزدق والراعي، ويقول: إنه خلفّهم إثر هجائه لهم كالأطلال.

(٧) يقول: إنه وسمهم وسمة الذل التي لا تمحى. وعَلب الشيء: حزّه، وسمه وأثر فيه وخدشه.

(٨) ينهي قصيدته بزجر الراعي عنه ويقول: إنه مهما جهد وتألّب لم يصبه بأذى ولم يقدح فيه شرارة حقد أو أذى.

(*) انظر رد الفرزدق على جرير في كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق ١/٤٥١ - ٤٧٧.

(٩) كان يسمي هذه القصيدة: الجوساء لذهابها في البلاد. وزوجته خالدة هي أم ابنه حَزْرَة. وقد هجا فيها الفرزدق.

(١٠) إن الحياء يحول بينه وبين دمعه، ويتمنى أن يزور قبرها، لكنه يعفّ عن ذلك كي لا يستضعف به.

وَلَقَدْ نَظَرْتُ وَما تَمَتُّعُ نَظْرَةٍ   في اللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ المِحْفارُ[1]

فَجَزاكِ رَبُّكِ في عَشيرِكِ نَظْرَةً   وَسَقى صَداكِ مُجَلْجِلٌ مِدْرارُ[2]

وَلَّهْتِ قَلبي إذْ عَلَتْني كَبْرَةٌ   وَذَوُو التَّمائِمِ مِن بَنِيكِ صِغارُ[3]

أَرْعَى النُّجومَ وَقَدْ مَضَتْ غَوْرِيَّةً   عُصَبُ النُّجومِ كَأَنَّهُنَّ صِوارُ[4]

نِعْمَ القَرِينُ وَكُنْتِ عِلْقَ مَضِنَّةٍ   وَأَرَى بِنَعْفِ بُلَيَّةَ الأَحْجارُ[5]

عَمِرَتْ مُكَرَّمَةَ المَساكِ وفارَقَتْ   ما مَسَّها صَلَفٌ وَلا إقْتارُ[6]

فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ بِبُرقَةِ ضاحِكٍ   هَزِمٌ أَجَشُّ وَدِيمَةٌ مِدْرارُ[7]

هَزِمٌ أَجَشٌّ إذا اسْتَحارَ بِبَلْدَةٍ   فَكَأَنَّما بِجِوائِها الأَنْهارُ[8]

مُتَراكِبٌ زَجِلٌ يُضيءُ وَمِيضُهُ   كَالبُلْقِ تَحْتَ بُطُونِها الأَمْهارُ[9]

---

(١) يقول: إنه نظر إليها في قبرها، فلم تمتعه نظرته، وأية جدوى من النظر إليها وقد غشيها تراب الرمس.

(٢) تدعو الله أن يؤدي لها ما أعياه أداؤه، ويستسقي لها المطر الذي يقصف الرعد في سحابة فيتدفق تدفقاً في هطوله.

(٣) يقول: إنها أورثته الأحزان بعد أن تقدّم به العمر. وارتحلت عنه مخلّفة أولادها الصغار من دونها. وكبرة: كبر وضعف. والتمائم: جمع التميمة، وهي العوذة تعلق على الصبي خوف الحسد.

(٤) أرعى النجوم: اراقبها. وغورية: غائبة. والعصب: هنا الفرق والجماعات. والصوار: القطيع من بقر الوحش.

(٥) العلق: النفيس. والمضنة: ما يضن به. ونعف بلية: مكان قبرها. يقول: إنها كانت كالعلق النفيس الذي يضن به ويحرص عليه، ويتحسر أنها غدت في التراب وقد ردمت عليها الأحجار.

(٦) عمرت: عاشت. المساك: يريد البقاء مع زوجها. والصلف: التكبر. والإقتار: البخل. يقول: إنها أنفقت عمرها وهو يحرص عليها، ويؤثرها، وماتت دون أن يعاني لها سوى المحبة لكرمها وامتناعها عن البخل والتقتير.

(٧) الصدى: هنا روح الميت. والجدث: القبر. وبرقة ضاحك: موضع. والهزم: السحاب الراعد. والأجش: الغليظ الصوت. والديمة: المطر يدوم. والمدرار: الغزير. يستسقي لقبرها المطر الشديد الذي لا يكفّ ولا ينقطع، دائم الانهمار.

(٨) يستكمل وصف المطر، ويقول: إنه شديد، قوي الصدى إذا دام انهماره على بلدة، يفيض عليها بمثل فيض الأنهار.

(٩) زجل: رفع صوته. والبلق: جمع الأبلق، فرس في لونه سواد وبياض. والمتراكب: المتلاحق القصف. والأمهار: جمع المهر. يتابع وصفه ويقول: إن قصف الرعد يتلاحق فيه، مصوتاً، كما أن وميض البرق يتلألأ فيه، فتبدو سحبه كالنياق الرمادية التي تحتضن أمهارها.

كـانَتْ مُكَــرِّمَـةَ الْعَشِيــرِ وَلَمْ يكُنْ يَخْشَى غَـوائـلَ أُمِّ حَـزْرَةَ جـارُ [١]

وَلَقَـدْ أراكِ كُسيتِ أَجْـمَـلَ مَـنْـظَرٍ وَمَـعَ الْجَمـالِ سَكِينـةٌ وَوَقـارُ [٢]

وَٱلـريـحُ طيِّبَـةٌ إذا آستَقْبَلْتِهـا وَالْـعِـرْضُ لا دَنِسٌ ولا خَـوَّارُ [٣]

وَاذا سَـرَيْـتُ رأَيتُ نـارَكِ نَـوَّرَتْ وَجْـهـاً أَغَـرَّ يَـزِيـنُـهُ الإِسْـفـارُ [٤]

صَلَّى المَـلائـكَـةُ الّـذينَ تُـخُيِّـروا والـصَّـالِحُـونَ عَـلَيْـكِ والأَبْـرارُ [٥]

وَعَـلَيْـكِ مِنْ صَلَواتِ رَبِّـكَ كُلّمـا نَصَبَ الْحَجِيـجُ مُلَبِّـدينَ وغَـارُوا [٦]

يـا نَـظْرَةً لَـكَ يَـوْمَ هـاجَتْ عَبْـرَةً مِـنْ أُمِّ حَـزْرَةَ بـالـنُّـمَـيْـرَةِ دارُ [٧]

تُحْيِي الـرَّوامِسُ رَبْعَهـا فَـتُـجِـدُّهُ بَـعْـدَ الْـبِلَى وَتُـمِيتُـهُ الأَمْـطارُ [٨]

وَكَـأَنَّ مَـنْـزِلَـةً لَـهـا بِجُـلاجِـلٍ وَحْيُ الـزَّبُـورِ تُـجِـدُّهُ الأَحْـبـارُ [٩]

لا تُـكْـثِـرَنَّ إذا جَـعَـلْتَ تَـلُومُـنِـي لا يَـذْهَـبَنَّ بِـحِـلْمِـكَ الإِكْـثـارُ [١٠]

---

(١) الغوائل: مفرد الغائلة، وهي الشر والفساد. والعشير: الزوج. يقول إنها كانت تكرم زوجها، وتعفّ عن ثلب جاراتها، فلا يلقين منها إلا خيراً.

(٢) الوقار: الرزانة. يقول إنها كانت جميلة وقورة، هادئة.

(٣) خوار: مريب.

(٤) سريت: سرت ليلاً. وأغر: حسن له غرة. والأسفار: كشف الوجه. يقول: إنها إذا أقبل عليها ليلاً، فإن النار التي توقدها للضيفان، كانت تبعث التألق وتعكسه على وجهها.

(٥) يقول: إنها لصلاحها تحسرٌ عليها الملائكة وأخيار الناس، فصلوّا عليها مترحمين. والأبرار: جمع البار، وهو الصالح.

(٦) نصب: تعب. وملبدين: محرمين، وقد وضعوا على شعرهم مادة ليتلبد، كالصمغ ونحوه. وغاروا: نزلوا الغور. وهنا يرجو أن تنالها الصلاة، ما دام هناك حجاج إلى مكة يصلّون فيها.

(٧) يقول: إنه نظر إلى دارها، فأثارت دمعه. والنميرة: موضع.

(٨) الروامس: الرياح لكشفها التراب عن الآثار. والرمس: الدفن. والربع: الدار. وتجد: تجدد. يقول: إن الرياح كانت تعصف بربعها فتكشف آثاره، ثم تقبل عليه الأطار، فتطويه وتطمره.

(٩) جلاجل: موضع. والوحي: المكتوب. والزبور: الكتاب. والأحبار: جمع الحبر، وهو العالم الصالح المتدين. تمثّل بقايا الدار التي كانت تقيم فيها بموضع جلاجل بحروف الكتب المقدسةالتي يجدد الكهان كتابتها.

(١٠) الحلم: الصبر والعقل. وهنا يخاطب من يلومه على حزنه ويعذله على البكاء عليها، ويدعو إلى الصبر والتحلّم.

كَـانَ الْخَلِيطُ هُمُ الخَلِيط فـأَصْبَحُـوا مُـتَبَـدِّلِـيـنَ وَبِـالـدِّيـارِ ديـارُ[1]

لا يُـلبِثُ آلْـقُـرَنـاءَ أَنْ يَـتَـفَـرَّقُـوا لَـيْـلٌ يَـكُـرُّ عـليـهِـمُ ونَـهَـارُ[2]

ـ شرح ديوان جرير، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٩ .

١٤ ـ قصيدة جرير في مدح عبد الملك بن مروان[3].

(من بحر الوافر)

أَتَـصْحُـو بَـلْ فُـؤادُكَ غَـيْـرُ صـاحِ عَشِيَّـةَ هَـمَّ صَحْبُـكَ بِـالـرَّواحِ[4]

تَـقُـولُ الْـعـاذِلاتُ عَـلاكَ شَـيْـبٌ أَهَـذَا الـشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مِـراحِـي[5]

يُـكَـلِّفُـنِـي فُـؤادي مِـن هَـواهُ ظَـعـائِنَ يَـجْتَـزِعْنَ عَلَى رُمَـاحِ[6]

ظَـعـائِنَ لَـمْ يَـدِنَّ مَـعَ الـنَّـصـارَى وَلا يَـدْرِينَ مـا سَمَـكُ الْـقُـراحِ[7]

فَـبَـعْضُ الْــمـاءِ مـاءُ رَبـابِ مُـزْنٍ وَبَعْضُ الْمـاءِ مِنْ سَبَـخٍ مِـلاحِ[8]

---

(١) الخليط: القوم الذين يخالطونك في السكن. ومتبدلين: متغيرين. وبالديار ديار: رحلوا إلى ديار أخرى. يقول: إنه كان يلازم فيها صحبه، فتولّوا عنه وتبدّلوا بديارهم دياراً أخرى.

(٢) القرناء: جمع القرين، وهو العشير. ولا يلبث: لا يهمل. وفي هذا البيت يتعظ بعظة الأيام، ويقول: إن التغيّر يصيب كلّ شيء في العالم فلا يقيم قوم على عهد دائم، بل إنهم يتفرقونَ ويمضونَ كلّ في سبيل، يدفعهم إلى ذلك كرُّ الأيام والليالي.

(٣) تعتبر هذه القصيدة من أفضل مدائح جرير، وقد نظمها في عبد الملك الذي كان يحقفظه عليه ولاؤه القديم لابن الزبير، ولم يكد يتلوها أمامه ويستهلّ بها قائلاً: «أتصحو أم فؤادك غير صاح»؟! حتى شتمه قائلاً: بل فؤادك يا بن الفاعلة. وأقام على غضبه حتى وصل جرير إلى قوله: «ألستم خير من ركب المطايا». فسري عن عبد الملك وقال: من مدحنا منكم، فليمدحنا بمثل هذا أو يسكت. وبعد أن انتهى من القصيدة، أمر له بمائة ناقة، وغير ذلك من العطايا. انظر: الديوان، ص ١١٥. والشعر والشعراء، ص ٢٨٧.

(٤) الرواح: الذهاب عشيّة. يتساءل إذا كان سيصحو أم أنه سيظل مسلوب اللب، إثر النوى الذي أزمع به صحبه على الرواح.

(٥) المراح: الاختيال والتبختر. يقول: إن العاذلات لا يزلن يعيرنه بالشيب الذي علا رأسه، فيعجب من ذلك، ويردف بأن الشيب لا يمنع صاحبه من اللهو والمرح.

(٦) الظعائن: جمع الظعينة، وهي المرأة في الهودج. والاجتزاع: القطع. يقول: إن قلبه المشغوف لا يزال يكلفه تتبع آثار الرّاحلات على هوادجهن، واللواتي يملن إلى موضع رماح.

(٧) القراح: قرية بالبحرين، وربما كانت للنصارى، يريد: أنهن بدويات لسن بحضريات. ولعله يريد: أنهن لسن من النصارى، فهن لا يعرفن ما عمق الماء القراح، لأنهن لم يغطسن بهذا الماء لأجل عمادهن.

الرباب: جمع الربابة، وهي السحابة البيضاء. والمزن: السحاب ذو الماء، أو البرد. والسبغة: أرض=

سَيَكْفِيكَ العَواذِلَ أَرْحَبِيٌّ هِجانُ اللَّوْنِ كالفَرَدِ اللَّياحِ (1)

يَعُزُّ عَلى الطَّرِيقِ بِمَنْكِبَيْهِ كَما ابْتَرَكَ الخَلِيعُ عَلى القِداحِ (2)

تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قالَتْ رَأَيْتُ الوارِدِينَ ذَوِي امْتِناحِ (3)

تُعَلِّلُ وَهِيَ ساغِبَةٌ بَنِيها بِأَنْفاسٍ مِنَ الشَّبِمِ القَراحِ (4)

سَأَمْتاحُ البُحُورَ فَجَنِّبِينِي أَذاةَ اللَّوْمِ وَانْتَظِرِي امْتِياحِي (5)

ثِقِي بِاللهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمِنْ عِنْدِ الخَلِيفَةِ بِالنَّجاحِ (6)

أَغِثْنِي يا فَداكَ أَبِي وَأُمِّي بِسَيْبٍ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِياحِ (7)

فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقّاً زِيارَتِيَ الخَلِيفَةَ وَامْتِداحِي (8)

سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيشِي وَأَثْبَتَّ القَوادِمَ فِي جَناحِي (9)

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا وَأَنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ راحِ (10)

= ذات نزّ وملح. وملاح: الواحد ملح: صفة المالح غير العذب. يقول: إن البدويات يفضلن الحضريات كما يفضل الماء العذب الماء الصالح.

(1) يكفيك: يكف عنك. والأرحبي: فرس ينسب إلى أرحب من همدان. والهجان: الأبيض الكريم. والفرد: الثور المنفرد. واللياح: الأبيض، أي: أنه سيمتطي فرسه، ليتروّح ويبتعد عمّن يعذلنه، ويصف فرسه، فيقول: إنه أصيل تحدّر من فحل أرحب وأنه أبيض اللون كالثور الوحشي المقيم منفرداً.

(2) يعز: يغلب. وابترك: حنا للركب. والخليع: المقامر. والقداح: جمع القدح، وهو سهم الميسر. يريد: أنه يغلب الإبل على الطريق، ويسبقها إليه، كما يلجّ المقمور على ماله المبتز منه، ليسترجعه.

(3) يبدأ حواره مع زوجه أم حرزة. امتناح: عطاء. يقول: إنها تعزّت لرحيله عنها إذ استبان لها بأن زوجها سيعود مزوّداً بعطاء كثير من الموضع الذي انتجعه ومن المرء الذي اعتفاه. والواردين: أصحاب الإبل يوردون الماء.

(4) تعلل: تلهى وتشغل. وساغبة: جائعة. والشبم: البارد من الماء. والقراح: الصافي. يقول: إن أبناءه كانوا مقيمين على جوعهم وإن والدتهم كانت تعلّلهم بالماء القراح من دون الطّعام، لشدة فقرها، وعوزها.

(5) الامتياح: العطاء. يقول: إنه قوّى من عزمها إذ وعدها بأنه سينال عطاء كثيراً كمن يغترف الماء من البحر، ولقد شبه كرم عبد الملك بالبحور.

(6) يطلب منها أن تثق بالله الواحد الأحد، وبالخليفة الذي لن يبخل عليه بالعطاء.

(7) السيب: العطاء. وذو ارتياح: أي كريم. يطلب من الخليفة اغاثته على ما دأب عليه واطمأن له.

(8) يقول: إنه من واجبه أن يزور الخليفة وأن يمتدحه.

(9) القوادم: الريش في مقدمة الجناح. أي إذا ما أزلت فقري، فإنني حقيق بشكرك وامتداحك.

(10) يبدأ في مدح الخليفة ويقول: انكم خير الناس، وأكثرهم عطاء.

وَقَــوْمٍ قَـدْ سَمَـوْتَ لَهُـمْ فَـدانُـوا بِـدُهْــمٍ فـي مُـلَمْـلَمَـةٍ رَداحِ [1]
أَبَحْتَ حِمَى تِـهـامَةَ بَعْـدَ نَجْـدٍ وَمـا شَيْءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبـاحِ [2]
لَكُمْ شُمُّ الْجِبـالِ مِنَ الـرَّواسي وَأَعْـظَمُ سَيْـلِ مُعْتَلَجِ الْبِـطاحِ [3]
دَعَـوْتَ الـمُلحِـدِيـنَ أَبـا خُبَيْبٍ جمـاحـاً هَـلْ شُفِيتَ مِنَ الْجِمـاحِ [4]
فَـقَـدْ وَجَـدوا الْخَـليفَـةَ هِبْـرِزِيّـاً أَلَفَّ العِيصِ لَيْسَ مِنَ النَّـواحِي [5]
فَمـا شَجَـراتُ عِيصِـك في قُـرَيْشٍ بِـعَشّـاتِ الـفُـرُوعِ وَلا ضَـواحِي [6]
رَأى النَّـاسُ الْبَصِيـرَةَ فَـاسْتَقـامُـوا وَبَيَّنَـتِ المِـراضُ مـنَ الصِّحـاحِ [7]

ـ شرح ديوان جرير، ص ١١٥ ـ ١١٨.

١٥ ـ من قصيدة لذي الرُّمَّة [8] في الغزل

(من الطويل)

---

(١) سموت لهم: خرجت لهم. ودانوا: خضعوا. والدهم: الخيل السود، واحدها الأدهم. والململمة: المجتمعة. ورداح: كتيبة عظيمة. وهنا يمتدح الخليفة بشدته في القتال، ويقول له: إنك تتعرض لأعدائك بخيلك الدّهماء، وكتيبتك الثقيلة المجتمعة.

(٢) يقول: إنك حللت في ذينك الموضعين ـ وهنا إشارة إلى حروبه في بلاد العرب ـ وأخضعت أهلها، فيما يعجز أعداؤك عن استباحة حماك.

(٣) شم الجبال: أعاليها. واعتلجت الأرض: تراكمت الرمال فيها. يقول: لك في المجد والعلى مثل الجبال الشامخة، وفي الكرم مثل السيل المتدفق في البطاح المتراكم الرمل فيها. وقد ذكر اعتلاج الرمل ليضاعف من صخب السيل وبالتالي من كرم الممدوح.

(٤) أبو خبيب: عبد اللّه بن الزبير. وهنا يشمت بابن الزبير، مع أن هواه كان زبيرياً، ولعل المقام اقتضاه ذلك.

(٥) الهبرزي: الأسد. والعيص: منبت خيار الشجر، الأصل. وألفّ: كثيف. يريد: أنه في أصل العزّ لا من نواحيه.

(٦) عشات الفروع: لئيمات أصول نبتها. يكرر المعنى السابق، ويقول: إنه من أصل شجرة العز، لا من أصولها الهزيلة العارية.

(٧) يقول: إن الناس استقادوا لك بعد أن رأوك على حق، وبرئوا من الضّلال، وتبيّنوا الحقّ من الباطل.

(٨) ذو الرمة: هو غَيْلان بن عقبة بن بهَيْش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ملكان بن عَديّ بن عبد مناة، ويكنى أبا الحارث، وذو الرمة لقب، يقال لقبته به ميّة، وذلك حين طلب منها أن تسقيه ماء، فقامت فأتته بماء، وكانت على كتفه رُمّة، وهي قطعة من حبل، فقالت: اشرب يا ذا الرمة، فلقب =

أَمَنْـزِلَتَيْ مَيٍّ سـلامٌ عـليكـمـا ... على النأْيِ والنَّـائِي يَـوَدُّ وينصحُ(1)

ولا زالَ من نـوءِ السـمـاءِ عليكمـا ... ونـوءِ الثُّـريَّـا وابـلٌ مُتَـبَـطِّحُ(2)

وإنْ كنتمـا قـد هِجتُما راجِعَ الهـوى ... لـذي الشوقِ حتَّى ظلَّتِ العينُ تَسفحُ

أَجـلْ عَبرةً كـادت لِعرفـانِ منزلٍ ... لميَّـة لـو لم تُسهِـلِ الماءَ تَـذْبَـحُ

على حينِ راهقتُ الثـلاثينَ وارعَـوَتْ ... لداتي وكاد الحلمُ بـالجهلِ يَـرْجَحُ(3)

إذا غيَّـرَ النـأيُ المحبِّيـن لم يَكَـدْ ... رَسيسُ الهـوى من حبِّ ميَّـة يبـرَحُ(4)

فـلا القربُ يُـدني من هـواهـا مَـلالـةً ... ولا حبُّهـا إنْ تَنْـزَحِ الـدارُ يَنْـزَحُ(5)

إذا خَـطَرَتْ مِنْ ذِكْـرِ مَـيَّـةَ خَـطْرَةٌ ... على النفسِ كـادتْ في فؤادِكَ تَجْـرَحُ

تُـصَـرِّفُ أهـواءُ الـقـلوبِ ولا أرى ... نصيبَـكِ من قـلبي لـغيـرِكِ يُـمنَـحُ

وبعضُ الهـوى بالهجـرِ يمحى فيمَّحي ... وحبُّـكِ عنـدي يستجـدُّ وَيـربـحُ

ذكـرتُـكِ إذ مـرَّتْ بنـا أُمُّ شـادِنٍ ... أمـامَ المـطايـا تشـرئبُّ وتَسْنَـحُ(6)

بذلك. وقيل: بل كان يصيبه في صغره فزع، فكتبت له أمه تميمة فتعلقهابحبل، فلقب بذلك. وهو من الطبقة الثانية في العصر الإسلامي، وقيل: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. وكان أكثرشعره في التشبيب وبكاء الأطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين، وكان مقيماً بالبادية، ويذهب إلى اليمامة والبصرة كثيراً. توفي سنة ١١٧هـ/ ٧٣٥م. انظر ترجمته في: طبقات فحول الشعراء، ص ٥٣٤، ٥٤٩ - ٥٧٠. والشعر والشعراء، ص ٣٣٣ - ٣٤١. والأغاني ١٧/٣٠٦ - ٣٥١. (طبعة دار الثقافة). والأعلام ٥/١٢٤.

(١) النأي: البعد. والنائي: البعيد، يريد: نفسه. ومي: صاحبته.

(٢) النوء: سقوط نجم مع ظهور نجم آخر. وكانت العرب تنسب الأمطار إلى هذه الأنواء، فتسمى المطر نوءاً. والوابل: المطر الشديد الانهمار.

(٣) راهقت: بلغت سن المراهقة. ولداتي: جمع لدة، ولدة الرجل: من كان في سنه. وارعوت: كفّت، واقلعت عن الجهل.

(٤) رسيس الهوى: خفيه، وقيل: أوله. ويروى صاحب الأغاني عن ذي الرمة انه قدم الكوفة، فوقف يُنشد الناس بالكُناسة قصيدته الحائية هذه، حتى أتى على هذا البيت، فناداه ابن شُبْرُمة: يا غَيْلان أراه برِّح. فشنق ناقته (أي كفها بزمامها حتى ألصق ذفراها بقادمة الرحل)، وجعل يتأخر بها ويفكر، ثم عاد فأنشد البيت الذي يليه. . (الأغاني ١٧/٣٣٤ - ٣٣٥).

(٥) ينزح: يبعد. أي: أن حبها ثابت لا يتغير في القرب والبعد.

(٦) أم شادن: الظبية. والشادن ولدها. وتشرئب: ترفع برأسها. وتسنح: تعرض.

من المؤلِفَـاتِ الـرَّمْـلَ أدمـاءُ حُـرَّةٌ شُعـاعُ الضُّحى في مَتْنِهَـا يَتَـوَضَّـحُ[1]
تُغَـادِرُ بـالـوَعْسـاءِ وَعْسـاءِ مُشْـرِفٍ طَـلا طَـرْفُ عينيهـا حـواليـهِ يَلْمَـحُ[2]
رَأتْنـا كـأنَّـا قـاصِـدونَ لِعَـهْـدِهـا بـهِ فهي تَـدنـو تـارةً وتَـزَحْـزَحُ[3]
هِيَ الشِّبْـهُ أعـطافـاً وجيـداً ومُقْلةً وَمَيَّـةُ أبهـى بَعْـدُ منهـا وَأمْـلَحُ[4]

ـ شرح ديوان ذي الرمة، ص ٢٠ ـ ٢١.

١٦ ـ من قصيدة للكُمَيْت بن زيد الأسدي[5] في مدح بني هاشم

(من الطّويل)

طَـربتُ وَما شـوقاً إلى البِيضِ أطـرَبُ وَلا لَعِبـاً مِنِّي وَذو الـشَّيـب يَلْعَـبُ[6]
وَلَـمْ يُـلهِنِي دارٌ وَلا رَسـمُ مَنـزِلٍ وَلَـمْ يَتَـطَرَّبْني بَنَـانٌ مُـخَضَّـبُ[7]
وَلا أنَـا مِمَّن يَـزْجُـرِ الطيـرَ هَمُّـه: أصـاحَ غُـرابٌ أمْ تَعرَّضَ ثَعْلَبُ؟[8]
وَلا الســانِحاتُ البـارِحَـاتُ عَشِيَّـةً أمَـرَّ سَلِيمُ القَـرْنِ أم مَـرَّ أعْضَبُ[9]

---

(١) المؤلفات الرمل: المقيمة، والمستأنسة به. وأدماء: بيضاء. والمتن: الظهر.

(٢) الوعساء: الرملة اللينة. والطلا: ولد الظبية.

(٣) العهد: المكان الذي تعهد فيه. وتزحزح: تتأخر وتتخلف. أي: خافت على ولدها منا فهي تتقدم وتتأخر.

(٤) الأعطاف: الجوانب. والجيد: العنق. والمقلة: العين ذاتها. أو هي شحمة العين، أو هي السواد والبياض منها.

(٥) الكميت بن زيد من بني أسد، ويكنى أبا المُسْتَهِلّ، وكان معلماً، قيل: إنه كان في مسجد بالكوفة يعلم الصبيان. وكان أصم، لا يسمع شيئاً، وكان رافضيا، متعصباً لأهل الكوفة، وكان شديد التكلف في الشعر، كثير السرقة، وكان كثير المدح لبني هاشم فعرف بشعر الهاشميين. يقال إنه مرّ بالفرزدق وهو ينشد، والكميت يومئذ صبي، فقال له الفرزدق: يا غلام أيسرك أني أبوك؟ فقال الكميت، أما أبي فلا أريد به بدلاً، ولكنه يسرني أن تكون أمي، فحصر الفرزدق يومئذ، وقال: ما مرّ بي مثلها قط. توفي سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء، ص ٢٦٨ ـ ٢٧١. والأغاني ١٦/ ٣٢٨ ـ ٣٦٠.

(٦) الطرب: استخفاف القلب في حزن أو لهو. والبيض: النساء اللواتي لسن بسود، أي: نقيات الألوان. يقول: لم أطرب شوقاً إلى البيض، ولا طربت لعبا وأنا ذو شيب، ولكن طربي إلى أهل الفضائل.

(٧) يتطربني: يحملني على الطرب. يقول: لم يحملني على الطرب بنان مخضب لأني مجتنب اللهو والنساء.

(٨) الزجر: الاستدلال بأصوات الطير وحركاته على الأمور المستقبلية، وكذلك الحيوان. يقول: لست ممن همه زجر الطير لأني جربت الأمور. وتعرض الثعلب: أي أخذ يمينا وشمالاً.

(٩) السانح: الذي يجيء من يسارك إلى يمينك، وهذا فأل حسن عند العرب، ولكن أهل الحجاز يتشاءمون

وَلَكِن إِلَى أَهْلِ ٱلْفَضَائِلِ وَالنُّهى ... وَخيرِ بني حَوَّاءَ، وَالخيرُ يُطلَبُ(١)
إِلَى النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذينَ بِحُبِّهِمْ ... إِلَى اللهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ(٢)
بَنِي هَاشِمٍ رهطِ النَّبيِّ، فَإِنَّني ... بِهم وَلَهُم أَرْضَى مِرَاراً وَأَغْضَبُ(٣)
خَفَضْتُ لهم مِنِّي جَنَاحَيْ مَوَدَّةٍ ... إِلَى كَنَفٍ عِطفاهُ أَهلٌ وَمرحبُ(٤)
وَكنتُ لَهُمْ مِن هٰؤلاءِ وَهٰؤلاَ ... مِجَنًّا عَلَى أَنِّي أُذَمُّ وَأُقْصَبُ(٥)
وَأُرْمَى وَأَرْمِي بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا ... وَإِنِّي لأُوذَى فِيهِمُ وَأُؤَنَّبُ(٦)
فَما ساءَني قولُ امرئٍ ذِي عَدَاوَةٍ ... بِعَوْراءَ فِيهِمْ يَجْتَدِيْني فَيُجْدَبُ(٧)
فَقُل لِلَّذي في ظِلِّ عَمْيَاءَ جَوْنَةٍ ... يَرَى ٱلجوْرَ عَدلاً أَيْنَ لا أَيْنَ تَذْهَبُ(٨)
بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَةِ سُنَّةٍ ... تَرَى حُبَّهُمْ عاراً عَلَيَّ وَتَحْسَبُ؟(٩)

* * *

يُشيرون بِالأَيْدِي إِلَيَّ وَقَولُهُمْ: ... أَلاَ خَابَ هٰذَا، وَالمشيرونَ أَخْيَبُ(١٠)
فطائفةٌ قد كفَّرَتْني بِحُبِّكُمْ ... وَطَائفةٌ قالوا: مُسِيءٌ ومُذْنِبُ(١١)

= بالسانح. والبوارح من الظباء والطير وغير ذلك ما تجيء من ميامِنك إلى مياسرك، وأهل نجد يتشاءمون بالبوارح. وسليم القرن: الذي يتيمن به. والأعصب: المكسور أحد قرنيه، وهو الذي يتشاءم به.

(١) النهي: جمع نُهْيَة، العقل. يقول: طربي إلى أهل الفضائل والنهى وهم بنو هاشم.

(٢) يعني بني هاشم.

(٣) أي: أرضى بهم في أمر ديني وأغضب لهم إذا عابهم عائب.

(٤) الكنف: الجانب، الناحية. وعطفاه: جانباه. أي: لينت لهم جانبي وجنحت لهم بالمودة.

(٥) لهم: لبني هاشم. والمجن: الترس. وأقصب: أشتم. وهؤلاء: الحَرُورِيَة. وهؤلاء: المرجئة. فمن أراد نقيصة بني هاشم كنت مجناً أقيهم وأذبّ عنهم بلساني.

(٦) أرمى بالعداوة: أي يرمونني بها في ميلي إلى بني هاشم وأرمى أهلها أي أهل العداوة. وأؤنب: أوبخ.

(٧) العوراء: الكلمة القبيحة. وفيهم: أي في الصنفين. ويجتديني: يجيئني ويسأل الجَدَاء، وهي العطية.

(٨) العمياء: الجهالة. والعمى: الجهل. وجونة: أي سوداء مظلمة لا يهتدى بها إلى الرشد، ويقال العمياء: الفتنة. أي: ليس لك مذهب.

(٩) تحسب: تستيقن. يقول: بأي كتاب جاء من الله تعالى (أي القرآن) أم سنة جاءت عن الرسول ﷺ تحسب حب آل محمد ﷺ عاراً.

(١٠) يقول: الذين يشيرون هم أخيب منّي لأني محبّ وهم مبغضون. والخيبة: الخسران.

(١١) طائفة: يريد من الحَروْرِية. وطائفة: من المرجئة.

فَمــا ساءَني تَكْفِيــرُ هَــاتِيْــكَ مِنهمُ   وَلا عيبُ هَـاتيْـكَ آلتي هِيَ أَعْيَبُ (١)

يعِيبـُونني مِن خُـبْثِـهِمْ وضَـلالِـهِمْ   عَلَى حُبِّكُمْ بـلْ يَسْخَـرُونَ وَأَعجَبُ(٢)

وقــالـوا: تُــرَابِــيٌّ هَــواهُ وَرأيُــه،   بِــذٰلِـكَ أُدْعَـى فـيـهـمُ وأُلَــقَّـبُ(٣)

عَلَى ذَاكَ إجــرِيَّـايَ، فيكم ضَـرِيْبَتِي   وَلَــو جمعــوا طُــرًّا عَلَيَّ وَأَجْلَبُــوا(٤)

وَأَحْـمِـلُ أَحـقـادَ الأَقـارِبِ فـيكـمُ   وَيُنْصَبُ لِيْ فِي الأَبعـدينَ فـأَنْصِبُ(٥)

بخَـاتَمِكمْ غَـصْبـاً تـجـوزُ أُمـورُهمْ   فَـلم أَرَ غَصْبــاً مـثـلَه يَـتَـغَـصَّـبُ(٦)

* * *

بـحقِّـكُـمْ أَمْسَـتْ قُــرَيشٌ تَـقُــودُنَــا   وَبِـالْفَـذِّ مِنهـا والـرَّدِيْفَيْن نُـركَبُ(٧)

إِذَا اتَّـضَـعُــونَــا كَــارهـيـنَ لِبَـيْـعَـةٍ   أَنَـاخُـوا لأُخــرى وَالأَزِمَّـةُ تُجْـذَبُ(٨)

رُدَافَـى علينــا لَـم يُـسِيـمُــوا رَعِـيَّـةً   وَهَمُّهُـمُ أَنْ يَمْـتَـرُوهــا فَـيَـحْلُبُــوا(٩)

---

(١) يقول: سرني تكفيرهم إياي ، لأني على يقين من الصواب في حبي لهم. وهاتيك: يعني الحَرُورِيَّة. ولا عيب هاتيك: يعني المرجئة. وأعيب: أي أكثر عيباً.

(٢) الضلال: الكفر في الموضع.

(٣) يريد الحرورية والمرجئة. وترابي: أي النسبة إلى حبّ عليّ كرم الله وجهه لكنيته بأبي تراب، وذلك حين نفض النبي ﷺ الترابَ عن ظهره، فقال: «قم يا أبا تراب». فجعل ذلك بنو أمية من حسدهم ذماً له.

(٤) اجرياي: خلقي. وطبيعتي: سنتي. وضريبتي: طبيعتي. وأجلبوا: جمعوا الجموع. وطراً: جميعاً.

(٥) يقول: من حَقَد عليّ من أقاربي في الميل إليكم احتملت منه حقده عليّ في حبكم، تقرباً إلى الله عز وجل، ومن ناصبني من الأبعدين في حبي لكم، نصبت له العداوة.

(٦) بخاتمكم: أي خاتم النبي ﷺ وهو خاتم الخلافة. يقول: بخاتم بني أمية تجوز أمور بني أمية في الرعية، فلم أر مثل هذا الغصب حين يغصب على الخلافة وأنتم أحقّ بها.

(٧) الفذ هو معاوية بن أبي سفيان. والرديفان: وليا عهده: يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد. يعني بحق هاشم تقودنا بنو أمية وتسوس أمورنا. أي: غصبوكم على حقكم فصاروا إلى الخلافة.

(٨) اتضعونا: ركبونا قهراً ونحن كارهون له. وأصله أن يأخذ برأس البعير فيمد عنقه ويضرب بجرانه الأرض ثم يركبه على عنقه. يقول: إذا فعلوا هذا بنا على كره منا، قربوا إلى بيعة أخرى، وأناخوا لها بعيراً آخر، وجذبوا زمامه حتى يذل، فيضرب للبيعة والقهر علينا مثلاً مثل إناخة البعير وجذبه بالزمام، وهو يأبى ذلك، فكذلك نحن نأباه ونتكرهه.

(٩) أي: يركبها واحد بعد واحد على كره منا يبايعون له ولولده، فيترادفون علينا. ولم يسيموا رعيــة: أي لم يرعوا ولم يسوسوا أمة غيرنا. وهمهم: أي هم بني أمية أن يستدرّوا، أي: يوظفوا على الرعية الخراج فيحتلبون كما تستدر الناقة، يطلب منها الدرة.

لِيَنتَتِجُوهـا فِتْنَـةً بعـدَ فِتْنَـةٍ فيفتَعلوا أَفْـلاءَهـا ثُمَّ يـركبـوا[1]
أَقـارِبُـنـا الأدنـوْنَ مِنْـهُم لِعَلَّةٍ وَسَـاسَتُنـا مِنْهُـمْ ضِبـاعٌ وأَذْؤُبُ [2]
لنـا قـائـدٌ منهمْ عَنِيفٌ وسـائـقٌ يُقحِّمُنَـا تِلْكَ الجـراثيمَ مُتْعِبُ [3]
وقـالـوا: وَرِثْنَـاهَـا أَبـانَـا وأُمَّنَـا وَمَـا وَرَّثَتْـهُـمْ ذاكَ أُمٌّ وَلاَ أَبُ[4]
يَـرَوْنَ لَهُمْ فَضـلاً على النَّاسِ وَاجباً سَفَـاهـاً وَحَقُّ آلهـاشِمِيينَ أَوْجبُ[5]

ـ شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، ص ٤٣ ـ ٥٩.

---

(١) الأفلاء: جمع الفلو، المهر الصغير. وافتعل: اختلف. يريد: أنهم يدبرون الفتن ويحيكون الخطط ليحكموا.

(٢) لعلة: لامهات شتى وهم لرجل واحد. وأذؤب: جمع ذئب. ومنهم: من بني امية، هم لنا في العداوة كعداوة بني العلات. يقول: سياستهم لنا كسياسة الذئاب يعيشون فينا، كما تعيش السباع في البهائم.

(٣) القائد: يريد بـه الخليفة. ومنهم: من بني أميـة. والعنيف: الذي يعنف بهم ويخرق. والسائق: عاملهم. ويقحمنا: يحملنا على القحم، وهي الأمور الصعبة والجراثيم: أصول الشجـر، الواحدة جرثومة. ومتعب: من أتعبهم السائق إذا جشمهم ما لا طاقة لهم به.

(٤) ورثناها: يعني الخلافة. وذاك: يريد أمر الخلافة. وهنا يكذّبهم ويقول: ما ورّثتهم ذاك أمهم ولا أبوهم.

(٥) السفه: الجهل والباطل.

ثانيا: النثر

١ ـ خطبة زياد بن أبيه[١] حين قدم إلى البصرة سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م (والياً لمعاوية بن أبي سفيان)

(البتراء)[٢]

أما بعدُ فإنَّ الجهالَةَ الجَهلاءَ[٣]، والضَّلالَةَ العمياءَ[٤]، والغَيَّ المُوفِيَ بـأَهْلِهِ على النارِ، ما فيه سفهاؤكم ويشتملُ عليه حلماؤكم، من الأمورِ العظامِ يَنْبُتُ فيها

(١) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة. من أهل الطائف. اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عُبَيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية (جارية الحارث بن كلدة الثقفي) في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي (مولى الحارث بن كلدة) وأدرك النبي ﷺ ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لأبي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة. ثم ولّاه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إمرة فارس. ولما توفي عليٌّ (رض) امتنع زياد على معاوية، وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه (أبي سفيان) فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤ هـ. فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة ٥٣ هـ/ ٦٧٣م. وكانت ولادته سنة ١ هـ/٦٢٢ م. قيل فيه: انه ما رأى الناس أحداً أخطب من زياد. انظر: الأعلام ٣/٥٣. وانظر: البيان والتبيين ٢/٦، ٦١ ـ ٦٢.

(٢) ما زال خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين باحسان يسمون الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد: «البتراء»، ويسمون التي لم توشّح بالقرآن، وتزيّن بالصلاة على النبي ﷺ: «الشوهاء».

وقال عمران بن حِطّان (خطيب وشاعر توفي سنة ٨٤ هـ /٧٠٣م) خطبتُ عند زياد خطبة ظننت أني لم أقصّر فيها عن غاية، ولم أدعْ لطاعن علّة، فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول: هذا الفتى أخطبُ العربِ لو كان في خطبته شيء من القرآن (البيان والتبيين ٢/ ٦). قيل: خطب زياد خطبة البتراء لم يَحمد الله فيها، ولم يصلِّ على النبي ﷺ. وقيل: بل قال: الحمد لله على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيدَ من نعمه وإكرامه. اللهم كما زدتنا نعماً فألهمنا شكراً (البيان والتبيين ٢/٦٢).

(٣) أي: شديدة، مثل ليلة ليلاء.

(٤) الضلالة العمياء: التي لا هدى لها.

الصغيرُ، ولا ينْجاشُ عنها الكبيرُ[١]، كأنّكم لم تقرءوا كتابَ الله، ولم تسمعوا ما أَعَدَّ الله مِنَ الثَّوابِ الكريم لأهلِ طاعتِهِ، والعذابِ الأليم لأهلِ معصيتهِ، في الزمنِ السَّرمَدِيِّ[٢] الذي لا يزول، أتكونون كمنْ طَرَفَت عينَهُ الدُّنيا، وسَدَّت مسامعَهُ الشهواتُ، واختار الفانيةَ على الباقيةِ، ولا تذكرون أنّكم أحدثتم في الإسلامِ الحَدَثَ الذي لم تُسبَقوا إليه: مِن تَرْكِكُم الضعيفَ يُقهر ويؤخذُ مالُهُ، وهذه المواخيرَ المنصوبةَ[٣]، والضعيفةَ المسلوبةَ في النَّهارِ المُبْصِر، والعددُ غيرُ قليلٍ. ألم تكن منكُم نُهاةٌ تَمنعُ الغُواةَ عن دَلَجِ الليلِ[٤] وغارةِ النَّهارِ؟! قرَّبتُم القَرابةَ، وباعدتم الدِّينَ، تعتذرونَ بغيرِ العُذرِ، وتَغُضُّونَ على المختلسِ. أليْسَ كلُّ امرىءٍ منكم يذُبُّ عن سفِيهِهِ، صُنْعَ مَن لا يخافُ عاقبةً ولا يرجو مَعاداً. ما أنتم بالحلماءِ، ولقد اتبعتم السُّفهاءَ، فلم يَزَلْ بكم ما تَرَوْنَ[٥] من قيامِكم دُونَهم حتّى انتهكوا حُرَمَ الإسلامِ، ثم أطرقوا وراءَكم كُنُوساً في مَكَانِسِ الرِّيبِ[٦]. حَرامٌ عليَّ الطَّعامُ والشرابُ حتّى أسَوِّيها بالأرضِ، هَدْماً وإحراقاً. إنّي رأيتُ آخِرَ هذا الأمرِ لا يصلُحُ إلاّ بما صَلُحَ به أوَّلُه: لينٌ في غيرِ ضَعفٍ، وشدةٌ في غيرِ عُنفٍ. وإنّي أُقسمُ بالله، لآخُذَنَّ الوليَّ بالمولَى[٧]، والمقيمَ بالظَّاعنِ، والمقبلَ بالمدْبرِ، والمطيعَ بالعاصي، والصَّحيحَ منكم في نفسهِ بالسقيمِ، حتَّى يَلقَى الرَّجُلُ منكم أخاه فيقول: انْجُ سعدُ فقد هلكَ سُعَيْدٌ[٨]، أو

(١) انحاش عن الأمر: نفر منه.

(٢) السرمدي: الدائم، الأبدي.

(٣) المواخير: مجامع أهل الفسق والفساد.

(٤) دلج الليل: السير فيه.

(٥) قيامكم دونهم: دفاعكم عنهم.

(٦) المكانس: جمع مكنس. وهو الموضع الذي يؤوي إليه، ويختبأ فيه، والكنوس: جمع كانس، الظبي يدخل في كناسه، أي: مأواه. وأطرقوا وراءكم: اقتدوا بكم. يروى عن الشعبي أنه قال: لما خطب زياد خطبته البتراء بالبصرة ونزل، سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون. فقال: ما هذا؟ قالوا: إن البلد مفتون، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان الفساق. فيقال لها: نادي ثلاثة أصوات، فإن أجابك أحد. وإلاّ فلا لوم علينا فيما نصنع». انظر: جمهرة خطب العرب ٢ / ٢٧١.

(٧) الولي: السيد. والمولى: العبد.

(٨) هذا مثل يضرب في تتابع الشر، وأصله أن أخوين (سعد وسُعَيد) خرجا في طلب إبل لهما، فوجدها سعد، وقتل سعيد.

تستقيمَ لي قناتُكم[1]. إنَّ كِذْبَةَ المِنبرِ بَلقاءُ مَشْهُورةٌ[2]، فإذا تعلَّقتم عليَّ بكِذبةٍ فقد حلَّتْ لكم معصيتي، وإذا سمعتموها مِنّي فاغتمزُوها فيَّ[3]، واعلموا أنَّ عندي أمثالَها. من نُقِبَ منكم عَلَيْهِ فأنا ضامنٌ لما ذهَب منه. فإيايَ ودَلَجَ اللّيلِ؛ فإنّي لا أُوتَى بمُدْلِجٍ إلا سفكتُ دمَهُ[4]. وقد أجَّلتُكم في ذلك بمقدارِ ما يأتي الخبرُ الكُوفَةَ ويرجعُ إليكم. وإيايَ ودعْوةَ الجاهليّة[5]؛ فإني لا آخُذ داعياً بها إلا قطعتُ لسانَهُ. وقد أحدثْتم أحداثاً لم تكُن، وقد أحدثْنا لكلِّ ذنبٍ عقوبةً: فمَنْ غرَّق قوماً غرَّقناه، ومَن أحرقَ قوماً أحرقناه، ومن نَقَبَ بيتاً نقبنا عن قلْبِهِ، ومَن نبشَ قبراً دفنّاه فيه حَيَّاً. فكُفُّوا عَنِّي أيديَكم وألسنَتَكُم، أكفُفْ عنكم يدي ولساني. ولا تَظْهَرُ على أحدٍ منكم ريبةٌ بخلافِ ما عليه عَامَّتُكُم[6] إلاَّ ضربتُ عنقَهُ. وقد كانت بيني وبينَ أقوامٍ إِحَنٌ فجعَلتُ ذلك دَبْرَ أُذْني[7] وتحتَ قَدَمي، فمَنْ كانَ منكم مُحْسِناً فليَزْدَد إحساناً، ومن كان منكم مُسيئاً فلينْزِع عن إساءته. إنِّي والله لو علمتُ أنّ أحدكم قد قتله السُّلُّ مِن بُغضي لم أكشِفْ له قِناعاً، ولم أهْتِكْ له سِتراً، حتى يُبدِيَ له صفحتَهُ[8]، فإذا فعَلَ ذلك لم أُناظِرْهُ. فاستأنِفُوا أمورَكم، وأَرْعُوا على أنفسكم[9]، فَرُبَّ مَسُوءٍ بقدومنا سنسرُّهُ، ومسرورٍ بقدومنا سنسوؤُهُ.

أيها الناسُ، إنّا أصبحنا لكم سادةً، وعنكم ذادةً[10]، نَسُوسُكم بسلطانِ الله الذي أعطانا، ونذودُ عنكم بفَيءِ الله الذي خَوَّلَنا[11]. فلنا عليكم السَّمعُ والطاعةُ فيما

---

(١) القناة: عود الرمح، وهنا تشبيه، أي: حتى تستقيموا.

(٢) البلقاء: الفرس المحجلة، وتكون مشهورة عن غيرها لارتفاع التحجيل.

(٣) اغتمزوها: أي عدوها من عيوبي، وأخطائي.

(٤) المدلج: الذي يسير في الليل، والمقصود الفاتك وغيره.

(٥) دعوى الجاهلية: يريد أنهم يدعون بعضهم بعضاً عند الأمر الحادث الشديد، أي: التناصر بتأثير العصبية.

(٦) أي: تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم.

(٧) دبر أذني: خلفها، والإحن: الأحقاد.

(٨) صفحة الرجل: عرض وجهه، والمراد: حتى يجهر بالعداوة.

(٩) الإرعاء: الإبقاء والرفق.

(١٠) ذادة: حماة، مدافعون.

(١١) الفيء: مال الخراج أو الغنيمة، وبفيء الله: أي بظله.

أحبَّنا، ولكم علينا العدلُ والإنصافُ فيما وُلِّينا. فاستوجِبُوا عَدْلنا وفَيئَنا بمناصَحتِكم لنا، واعلموا أني مهما قصَّرتُ عنه فلن أقصِّر عن ثلاثٍ: لستُ محتجباً عن طالبِ حاجةٍ منكم ولو أتاني طارقاً بلَيلٍ، ولا حابساً عطاءً ولا رزقاً عن إبَّانِهِ[1] ولا مُجمِّراً لكم بَعْثاً[2]. فادعُوا الله بالصَّلاحِ لأئِمَّتكم؛ فإنهم ساستُكم المؤدِّبونَ لكم، وكهفُكمُ الذي إليه تأوُون، ومتى يصلُحوا تَصلُحوا، ولا تُشْرِبوا قلوبَكم بُغْضَهم فيشتدَّ لذلك غيظُكم، ويطولَ له حُزنُكم، ولا تُدْرِكوا بِهِ حاجَتكم، مع أنّه لو استُجِيبَ لكم فيهم لكانَ شراً لكم. أسألُ الله أنْ يُعينَ كُلَّاً على كلٍّ. وإذا رأيتُموني أُنْفِذُ فيكم الأمرَ فأَنْفِذوه على أذلالِهِ[3]، وأَيْمُ الله إنَّ لي فيكم لَصَـرْعَى كثيرةً، فليحذَرْ كلُّ امرىءٍ منكم أن يكونَ من صَرْعَايَ.

- البيان والتبيين ٢/ ٦٢ - ٦٥.
- العقد الفريد ٤/ ١٩٩ - ٢٠١.
- صبح الأعشى ١/ ٢١٦ - ٢١٨.
- عيون الأخبار م ١ جـ ٢/ ٢٤١ - ٢٤٢.
- ذيل الأمالي، ص ١٨٥ - ١٨٦.

٢ - خطبة معاوية بن أبي سفيان[4]
(لما قدم المدينة عام الجماعة سنة ٤١ هـ/ ٦٦١ م)

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعدُ، فإنِّي واللهِ ما ولِيتُها بمحبة علمتُها منكم، ولا مسرَّةٍ بولايتي؛ ولكنِّي

---

(١) إبانه: أوانه، ووقته.

(٢) جمر الجند: حبسهم في أرض العدو ولم يقفلهم.

(٣) أي: وجوهه وطرقه، واحده ذِل بكسر الذال، وهو ما مهد وذلل من الطريق وأيم الله: هذا قسم، أي: يمين الله.

(٤) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي الأموي، أبو عبد الرحمن، أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة، وشهد حنيناً، وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وكان أحد الكتاب لرسول الله ﷺ وكان رجلاً طويلاً، أبيض، جميلاً، مهيباً، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ينظر إليه فيقول: هذا كسرى العرب، ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا تكرهوا إمرة معاوية، فإنكم لو فقدتموه لرأيتم الرؤوس تندر (تسقط) عن كواهلها. وكان يضرب المثل بحلمه. وقد امتلأت الكتب بذكر الخلافات بينه وبين علي بن أبي طالب وأبنائه، واستطاع أن يؤسس الدولة الأموية، توفي سنة ٦٠ هـ/ ٦٧٩ م. انظر ترجمته في: مروج الذهب ٢/ ٣٦٦. وما بعدها، ٣/ ٥ وما بعدها. وتاريخ الخلفاء، ص ١٩٤ - ٢٠٥. وتاريخ مختصر الدول، ص ١٨٧ - ١٩٠. أما هذه الخطبة، فقد قدم المدينة عام الجماعة (بعد أن سلم الحسن الخلافة إلى معاوية) وتلقاه رجال من قريش فقالوا: الحمد لله الذي أعز نصرك، وأعلى كعبك، وصعد المنبر، وخطب هذه الخطبة.

جالدتكم[1] ببسيفي هذا مجالدةً، ولقد رُضْتُ[2] لكم نفسي على عمل ابن أبي قُحافة[3]، وأردتُها على عمل عُمَرَ، فنفرتْ من ذلك نِفاراً شديداً؛ وأردتها مثل ثُنيّات[4] عثمان، فأبتْ عليَّ؛ فسلكتُ بها طريقاً لي ولكم فيه منفعةٌ: مؤاكلةٌ حسنةٌ، ومُشاربةٌ جميلةٌ؛ فإن لم تجدوني خَيْرَكم فإنّي خيرٌ لكم ولايةً؛ والله لا أحملُ السيفَ على من لا سيفَ له، وإن لم يكن منكم إلا ما يَسْتَشْفى به القائلُ بلسانِهِ، فقد جعلتُ ذلك له دَبْرَ[5] أُذني وتحت قَدَمي؛ وإن لم تجدوني أقومُ بحقكم كلِّه فاقبلوا مني بعضَه، فإنْ أتاكم منّي خيرٌ فاقبلوه، فإنَّ السيلَ إذَا زادَ أثرى، وإذا قلَّ أغنى[6]؛ وإياكم والفتنةَ، فإنها تُفْسِدُ المعيشةَ، وتكدِّر النعمةَ. ثم نزل.

ـ العقد الفريد ٤/ ١٧٠ ـ ١٧١.

٣ ـ خطبة لقَطَرِيِّ بن الفُجاءَة[7]

صعد قَطَريٌّ بن الفُجاءَة منبر الأزارقة ـ وهو أحد بني مازن بن عمرو بن تميم ـ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّها حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ[8]، وَتَحَلَّتْ بِالآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ. لاَ تَدُومُ

---

(١) جالدتكم: ضاربتكم.

(٢) رضت: ذللت.

(٣) يقصد: أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وهو أول الخلفاء.

(٤) الثنيات: جمع ثنية، الطريق العالي في الجبل، يريد حكم عثمان.

(٥) دبر أذني: خلفهما، أي أتركه.

(٦) أغنى: كفى. وأثرى: أي جعلهم أثرياء.

(٧) سبقت ترجمته مع شعراء العصر الأموي، ص ١٤٤.

وقد وردت خطبته هذه في كثير من المصادر، لكننا نجد أنها وردت في نهج البلاغة (١/ ٢١٦ ـ ٢٢٠). وفي نهج البلاغة بشرح ابن الحديد (٢/ ٢٣٨) منسوبة إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويعلل ابن الحديد هذه القضية بقوله: وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره، وقد لقي قطري أكثرهم.

(٨) أي: راقت الأعين بقلة متاعها، وتحببت إليهم باللذة العاجلة.

حَبْرَتُها[1]، وَلاَ تُؤمَنُ فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، خَوَّانَـةٌ غدَّارةٌ، حَـائِلَةٌ زَائِلَةٌ[2] نَافِـدَةٌ بَائِدَةٌ[3]، أكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ . لاَ تَعْدُو إذا هي تَنَاهَتْ إلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبةِ فِيها وَٱلرِّضَا عنها[5] أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فأَصْبَحَ هَشيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّياحُ[6] وَكانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدراً﴾[7] لَمْ يَكُنْ ٱمْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إلاَّ أَعْقَبَتْهُ بَعْدَها عَبْرَةً[8]، وَلَمْ يَلْقَ في سَرَّائِهَا بَطْناً[9] إلاَّ مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائهَا ظَهْراً. وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيْمَةُ رَخاءٍ[10] إلاَّ هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلاَءٍ[11]. وَحَرِيٌّ إذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ خاذِلَةً متنكِّرةً، وَإنْ جَانِبٌ مِنْهَا ٱعْذَوْذَبَ وَٱحْلَوْلَى أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى[12] لاَ يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً[13] إلاَّ أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوائِبِهَا تَعَباً[14].

وَلاَ يُمْسِ مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إلاَّ أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ[15]. غَرَّارَةٌ غرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ، فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا. لا خَيْرَ في شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إلاَّ ٱلتَّقْوَى. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ. وَمَنِ ٱسْتَكْثَرَ منْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ[16]، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ. كَمْ

---

(١) الحبرة: السرور والنعمة.

(٢) حائلة: متغيرة.

(٣) نافدة: فانية. وبائدة: هالكة.

(٤) غوالة: مهلكة.

(٥) أي: أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانيهم، فلا تتجاوز الوصف الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿كماء...﴾

(٦) الهشيم: النبت اليابس المكسر، وتذروه: تطيره.

(٧) من الآية ٤٥ سورة الكهف.

(٨) الحبرة: السرور والنعمة، والعبرة: الدمعة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء في الصدر أو الحزن بلا بكاء.

(٩) كنى بالبطن والظهر عن الإقبال والإدبار.

(١٠) الطل: المطر الضعيف. وطلت السماء: أمطرته. والديمة: مطر يدوم في سكون لا رعد ولا برق معه. والرخاء: السعة.

(١١) وهتنت المزن: انصبت.

(١٢) أوبى: صار كثير الوباء. والوباء: هو المعروف بالريح الأصفر.

(١٣) الغضارة: النعمة والسعة، ورغبا: ما ترغب فيه.

(١٤) أرهقته التعب: ألحقته به.

(١٥) القوادم: جمع القادمة، الواحدة من أربع أو عشر ريشات في مقدم جناح الطائر.

(١٦) يوبقه: يهلكه.

مِنْ وَاثِقٍ بِهَا فَجَعَتْهُ[(١)]، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ. وَذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً[(٢)]. سُلْطَانُهَا دُوَلٌ[(٣)]، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ[(٤)]، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ[(٥)] وَحُلْوُهَا صَبِرٌ[(٦)]، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ[(٧)]، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ[(٨)]. حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ. وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ. مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ[(٩)]. وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ[(١٠)]. أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالاً، وَأَعَدَّ عَدِيداً، وَأَكْثَفَ جُنُوداً. تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ. ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ، وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ[(١١)]، فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ[(١٢)]، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً، بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ[(١٣)]، وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ[(١٤)]، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ[(١٥)]، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ[(١٦)]، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ. فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا[(١٧)]، وَآثَرَهَا

---

(١) فجعته: أوجعته بفقد ما يعز عليه.

(٢) النخوة: الافتخار.

(٣) دول: جمع دولة، وهي انقلاب الزمان.

(٤) رنق: كدر.

(٥) أجاج: مالح شديد الملوحة.

(٦) الصبر: عصارة شجر مرّ.

(٧) سمام: جمع سم، وهو من المواد، ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه.

(٨) رمام: جمع رُمة، بالضم، وهي القطعة البالية من الحبل، أي: ما يتمسك به منها فهو بال منقطع.

(٩) موفورها: ما كثر منها مصاب بالنكبة، وهي المصيبة.

(١٠) محروب: أي مسلوب ماله.

(١١) ظهر قاطع: راحلة تركب لقطع الطريق.

(١٢) أي سخت نفسُها لهم بفداء.

(١٣) أرهقتهم: غشيتهم. بالقوادح: جمع القادح، وهو أكال يقع في الشجر والأسنان، أي: بما ينهكهم ويمزق أجسادهم.

(١٤) ضعضعتهم: ذللتهم.

(١٥) عفرتهم للمناخر: كبتهم على مناخرهم في العفر، وهو التراب.

(١٦) المناسم: جمع المنسم، وهو مقدم خف البعير، أو الخف نفسه.

(١٧) دان لها: خضع.

وَأَخْلَدَ لَهَا[١]، حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِراقِ الأَبَدِ[٢]. وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ[٣]، أَوْ أَحلَّتْهُمْ إِلَّا ٱلضَّنْكَ[٤]، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا ٱلنَّدَامَةَ. أَفَهذِهِ تُؤْثِرُونَ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟. فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا،وَلَمْ يَكُنْ فِيها عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا فَاعْلَمُوا - وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - بِأَنَّكُمْ تارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا. وَٱتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً». حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْباناً[٦]، وأُنْزِلُوا الأَجْدَاثَ[٧]. فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفاناً. وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ ٱلصَّفِيحِ أَجْنَانٌ[٨]، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفانٌ[٩]، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرانٌ[١٠]، فَهُمْ جِيرَةٌ لا يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً. إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا[١١]، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا. جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ.مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ[١٢]، وَقَرِيبُونَ لا يَتَقَارَبُونَ. حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ. لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ[١٣]، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ٱسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْناً، وَبِالسَّعَةِ ضِيْقاً، وَبِالأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً. فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا[١٤]، حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا[١٥] عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى ٱلْحَيَاةِ ٱلدَّائِمَةِ وَٱلدَّارِ

---

(١) أخلد لها: ركن إليها.

(٢) أي: فراق مدته لا نهاية لها.

(٣) السغب: الجوع.

(٤) الضنك: الضيق.

(٥) أونوّرت.....: لم يكن لهم مما ظنوه نوراً لها إلّا الظلام.

(٦) لا يدعون ركباناً: لا يقال لهم ركبان (جمع راكب) لأن الراكب من يكون مختاراً وله التصرف في مركوبه.

(٧) الأجداث: القبور.

(٨) الصفيح: وجه كلّ شيء عريض، والمراد وجه الأرض، والأجنان: جمع الجن، وهو الستر، وهنا القبر.

(٩) أي: لأن أكفانهم تبلى، ولا يغشى أبدانهم سوى التراب.

(١٠) الرفات: العظام المندقة المحطومة.

(١١) جيدوا: مطروا.

(١٢) متدانون: متقاربون، لا يزور بعضهم بعضاً.

(١٣) لا تخاف منهم أن يفجعوك بضرر.

(١٤) جاءوا إلى الأرض واتصلوا بها بعدما فارقوها وانفصلوا عنها في بدء خلقتهم، فإنهم خلقوا منها كما قال تعالى ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ (الآية ٥٥ سورة طه).

(١٥) قد ظعنوا عنها: يشير إلى أنهم بعد الموت يذهبون بأرواحهم إما إلى نعيم وإما إلى شقاء، أو الظعن عنها: =

ٱلْباقِيةِ، كما قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[1]، فاحذروا ما حذَّرَكُم اللَّهُ، وانتفعوا بمواعظه، واعتصموا بحبله، عَصَمَنا اللَّهُ وإيَّاكم بطاعتِهِ، ورزقنا وإيَّاكم أداءَ حقِّهِ.

- البيان والتبيين ٢/١٢٦ - ١٢٩.
- العقد الفريد ٤/٢٢٥ - ٢٢٨.
- نهج البلاغة ١/٢١٦ - ٢٢٠.
- صبح الأعشى ١/٢٢٣ - ٢٢٥.

٤ - خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي[2] حين ولي العراق[3] سنة ٧٥ هـ/٦٩٤ م

(صعد الحجاج بنَ يوسف الثقفي المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على

= هو البعث منها يوم القيامة، ومفارقتها إما إلى الجنة، وإما إلى النار كما يرشد إليه الاستشهاد بالآية.

(١) الآية ١٠٤ سورة الأنبياء.

(٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد (سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م) ونشأ في الطائف بالحجاز، وانتقل إلى الشام فلحق بسلك الشرطة، ثم ما زال يظهر حتى قلّده عبد الملك بن مروان أمر عسكره، وأمره بقتال عبد اللّٰه بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير، وقتل عبد اللّٰه وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق، والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة، وبنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة. توفي فيها سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م. انظر: مروج الذهب ٣/١٣٢ - ١٦٤. والأعلام ٢/١٦٨.

(٣) لما غلبت الخوارج على البصرة بعث إليهم عبد الملك جيشاً فهزموه، ثم بعث إليهم آخر فهزموه، فقال: من للبصرة والخوارج؟ فقيل له: ليس لهم إلا المهلب بن أبي صفرة، فأخذوا يقولون: ولى عبد الملك على العراق رجلاً ضعيفاً، فخرج عبد الملك إلى أصحابه فقال: ويلكم! من للعراق؟ فسكت الناس وقام الحجاج، وقال: أنا لها، قال: اجلس. فردد عبد الملك قوله مرة ثانية، وأجابه الحجاج، وقام الحجاج الثالثة فقال: واللّٰه أنا لها يا أمير المؤمنين، قال: أنت زنبورها فكتب إليه عهده، وسار بجيش كبير، ولما دخل القادسية، أمر جيشه أن يروحوا، ولبس ثياب السفر، وتعمم بعمامة، حتى دخل الكوفة وحده، فجعل ينادي: الصلاة جامعة، وما منهم رجل جالس في مجلسه إلّا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر من ذلك من أهله، وصعد المنبر متلثماً متنكباً قوسه، فجلس واضعاً إبهامه على فيه، فقال بعضهم لبعض: قوموا حتى نحصبه (أي نرميه بالحجارة)، فقال له البعض: أصلحك اللّٰه اكفف عن الرجل حتى نسمع ما يقول، فمن قائل يقول: حُصِرَ الرجل فما يقدر على الكلام، ومن قائل يقول: أعرابي ما أبصر حجته، فلما غصّ المسجد بأهله حسر اللثام عن وجهه ثم قام، ونحّى العمامة عن رأسه. وخطب. انظر: مروج الذهب ٣/١٣٢ - ١٣٤.

نبيه[1]، ثم قال: (من الوافر)

أنـا ابـنُ جَـلا وطَـلّاعُ الثَّـنـايـا متى أضَـعِ العمامـةَ تعـرفـوني[2]

يا أهل الكوفة:

أَمَا والله إني لأحتملُ الشرَّ بِحِمْلِهِ، وأحذُوه بنَعلِهِ، وأجزيه بمثلِهِ، وإنِّي لأَرَى رؤوساً قد أينعَتْ وحانَ قِطافُها، وإنّي لَصَاحِبُها، وإنّي لأنظُرُ إلى الدِّماء تَرَقْرَقُ بين العمائم واللِّحَى.

ثم قال: (من الرجز)

هـذا أوانُ الشَّـدِّ فـاشـتـدِّي زِيَمْ قـد لَفَّهـا الليـلُ بسَـوَّاقٍ حُـطَمْ[3]

لـيسَ بـراعِـي إبـلٍ ولا غَـنـمْ ولا بـجـزّارٍ عـلى ظَـهـرِ وَضَـمْ[4]

وقال أيضاً:

قـد لـفّهـا الـلَّيْـلُ بعَـصْـلَبِـيِّ أَرْوَعَ خـرَّاجٍ مـن الـدَّوِّيِّ[5]

* مهاجِرٍ ليسَ بأعرابيِّ *

إنّي والله يا أهلَ العراقِ، والشِّقاقِ والنِّفاقِ، ومساويء الأخلاقِ، ما أُغْمَزُ تَغماز التِّين، ولا يُقعقَعُ لي بالشِّنانِ[6]، ولقد فُررت عن ذَكاءٍ[7]، ولقد فُتِّشتُ عن تَجْرِبةٍ،

---

(١) يقال: أنه ما حمد اللّه ولا أثنى عليه، ولا صلّى على نبيه. انظر: مروج الذهب ١٣٤/٣. ويقال: إنه صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خزّ حمراء، فقال: عليّ بالناس! فحسبوه وأصحابه خوارج، فهمّوا به، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام فكشف عن وجهه، ثم بدأ في خطبته. انظر: البيان والتبيين ٣٠٨/٢.

(٢) ابن جلا: ابن رجل جلا الأمور وكشف الصعاب. والثنايا: جمع الثنية، وهي الطريق في الجبل. يريد: أنه قائد شجاع.

(٣) زِيَمْ: اسم فرس أو ناقة..ولفها: جمعها. والحطم: الذي لا يبقى من السير شيئاً.

(٤) الوَضَم: ما يُقطع عليه اللحم.

(٥) العَصْلَبيّ: الشديد الباقي على المشي والعمل. والأروع: الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسؤدد، الذكي، وقيل: هو الجميل الذي يروعك حسنه، والدوي: المفازة، الصحراء المتسعة.

(٦) الشنان: جمع شَن، وهو القربة البالية، وكانوا يحركونها إذا استحثوا الإبل للسير لتفزع فتسرع.

(٧) فر الدابة: كشف عن أسنانها ليعرف بذلك عمرها. والذكاء: نهاية الشباب وتمام السن.

وجَرَيْتُ مِن الغايةِ[1]. إنَّ أميرَ المؤمنين كبَّ كِنانَتَه ثم عَجَمَ عيدانَها[2]، فـوَجَدَنِي أَمَرَّها عوداً، وأصلبَها عموداً، فوجَّهنِي إليكم؛ فإنَّكم طالما أوضعتُم في الفِتن[3]، واضـطجعتم في مَراقِـدِ الضَّـلالِ، وسننتم سُنَنَ الغَيِّ. أمَـا والله لألحـوَنَّكُم لَحـوَ العصـا[4]، ولأعصِبَنَّكم عَصْبَ السَّلَمَة[5]، ولأضـرِبنّكم ضَرْبَ غـرائبِ الإبلِ[6]؛ فإنكم لكأهلِ قريةٍ كانت آمنةً مطمئنّةً يأتيها رزقُها رَغداً مِنْ كُلِّ مكانٍ فكَفرتْ بأنعُم الله فأذاقَها الله لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعونَ[7]. إنِّي والله لا أعِدُ إلَّا وَفيتُ، ولا أهُمُّ إلَّا أمضيتُ، ولا أخلُقُ إلا فَرَيْتُ[8]، فإيَّاي وهذه الجماعاتِ، وقالَ وقيلَ، وما تقولون؟ وفيم أنتم وذاك؟ أمَا والله لتستقيمُنَّ على طريق الحقِّ، أو لأدَعَنَّ لكلِّ رجلٍ منكم شُغْلاً في جسدهِ، وإنَّ أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتِكم، وأن أوجهكم لمحاربةِ عدوِّكم مع المهلَّب بن أبي صُفْرة[9]. وإني أقسم بالله لا أجِدُ رجلاً تخلَّف بعد أخذِ عطائهِ بثلاثة أيام إلَّا ضربتُ عُنقَه، وأنهبتُ مالَه[10]، وهدمتُ منزلَه.

- البيان والتبيين ٢/٣٠٨ - ٣١٠.
- العقد الفريد ٤/٢٠٨ - ٢٠٩.
- صبح الأعشى ١/٢١٨ - ٢٢٠.
- مروج الذهب ٣/١٣٤ - ١٣٥.
- عيون الأخبار م ١ جـ ٢/٢٤٣ - ٢٤٤.

---

(١) كأنه عنى أنه جاوز الغاية، والغاية: قصبة تنصب في الموضع الذي تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق.

(٢) الكنانة: جعبة السهام. وعجم عيدانها: نظر أيها أصلب. والمعنى: أنه اختبر أعوانه وأصحابه، فوجدني أصلبهم، وأصلحهم وأقواهم.

(٣) الإيضاع: السير بين القوم، أي أسرعتم في الشر.

(٤) لحا العصا: قشرها.

(٥) السلمة: واحدة السلم، وهو شجر ذو شوك يدبغ بورقه وقشره. والسلم: يعسر خرط ورقه لكثرة شوكه، فتعصب أغصانه ويشد بعضها بعضاً، ثم يهصرها الخابط إليه ويخبطها بعصاه، فيتناثر ورقها للماشية.

(٦) ذاك إن الإبل إذا وردت الماء فدخل عليها غريبة من غيرها، ضربت وطردت حتى تخرج عنها.

(٧) وهنا يقتبس من القرآن الكريم، من سورة النحل، من آية رقم ١١٢.

(٨) خلف الأديم: قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه. والفرى: القطع، وفريت: قطعت.

(٩) المهلب بن صفرة: أرسله عبد الملك إلى إخماد ثورة الخوارج في العراق، وقد أشرنا إليه، ص ١٧٤ - ١٧٥. توفي سنة ٨٢ هـ / ٧٠١ م.

(١٠) أي: جعلته نهبا، يغار عليه.

٥ ـ كتاب عبد الحميد إلى أهله [١]

كتب عبد الحميد (من رسالة إلى أهله) وهو منهزم مع مروان

أمَّا بَعد، فإنَّ الله تعالى، جعلَ الدُّنيا محفوفَةً بالكَرْه والسرور، وجعلَ فيها أقساماً مختلفةً بين أهلِها، فمَن درَّت له بحلاوتها، وساعدَه الحظُّ فيها، سكنَ إليها ورَضيَ بها، وأقامَ عليها، ومَن قرَصتْهُ بأظفارها، وعضَّته بأنيابها، قَلاها نافراً عنها، وذمَّها ساخطاً عليها، وشكاها مستزيداً لها؛ وقد كانت أذاقَتْنا أفاويق[٢] استحليناها، ثمَّ جَمَحَتْ بنا نافرةً، ورَمَحَتْنا مُولِّيةً، فمَلُحَ عذْبُها، وخَشُنَ لِيِّنُها، فأبعدَتْنا عن الأوطان، وفرَّقتنا عن الإخوانِ، فالدَّار نازحةٌ[٣]، والطَّيرُ بارحةٌ[٤]؛ وقد كتبتُ والأيَّامُ تَزيدنا منكُم بُعداً، وإليكم صبابَةً ووجداً، فإن تتمَّ البليَّة إلى أقصى مُدَّتها، يكن آخرَ العَهدِ بكُم وبنا، وإن يَلْحَقْنا ظِفْرٌ جارحٌ من أظفارِ من يَليكُم نرجَعْ إليكُم بذُلِّ الإسارِ[٥]، والذلُّ شرُّ جارٍ، نسألُ الله الذي يُعِزُّ من يشاءُ، ويُذِلُّ من يشاءُ، أن يَهَبَ لنا ولكُم أُلْفَةً جامعةً، في دارٍ آمنةٍ، تجمع سلامةَ الأديانِ والأبدانِ، فإنَّه ربُّ العالَمين وأرحمُ الرَّاحمين.

ـ في النقد والأدب، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠.
ـ جمهرة رسائل العرب ٢/٤٨٦ ـ ٤٨٧.

---

(١) عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء، المعروف بالكاتب، عالم بالأدب، من أئمة الكتاب. يضرب به المثل في البلاغة، أصله من قيسارية، سكن الشام، واختص بمروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي (آخر ملوك بني أمية في الشام، توفي سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م). ويقال: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد، له رسائل تقع في نحو ألف، طبع بعضها، وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب. ولما قوي أمر العباسيين، وشعر مروان بزوال ملكه، قال لعبد الحميد: وقد احتجت أن تصير إلى عدوي، وتظهر الغدر بي، وإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك ستحوجهم إلى حسن الظن بك. فأبى عبد الحميد مفارقته. وبقي معه إلى أن قتلا معاً في بوصير بمصر سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م. انظر ترجمته في: مروج الذهب ٣/٢٦٣ ـ ٢٦٤. ووفيات الأعيان ٣/٢٢٨ ـ ٢٣١. والأعلام ٣/٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٢) الفيقة : اسم اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين

(٣) نازحة. بعيدة.

(٤) البارح من الطير والوحش: ما مر من ميمنك إلى ميسرك والعرب تتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف. والسانح: ما مر من مياسرك إلى ميامنك. والعرب تتيمن به لأنه أمكن للرمي والصيد.

(٥) الإسار: القيد الذي يشد به.

٤

العصر العباسي

أولا: الشعر

١ ـ من قصيدة لبشار بن برد[1] في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة

(من الطويل)

رُوَيـدَ تَصاهَـلْ بـالعِـراقِ جيـادُنـا   كـأنّـكَ بـالضَّحـاكِ قـدْ قـامَ نـادِبَـهْ[2]

---

(١) بشار بن برد، مولى لبني عُقَيل، ويكنى أبا مُعاذ، ويلقّب المُرَعَّث، والمرعّث: الذي جعل في أذنيه الرِّعاث، وهي القرطة. أصل آبائه من بلاد فارس من طخارستان، ونسبته إلى امرأة عُقَيلية، قيل: إنها أعتقته من الرق. وكان ضريراً، نشأ بالبصرة، وقدم بغداد، وهو من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وقد شهر فيهما ومدح وهجاء، ويعتبر بشار أحد المطبوعين الذين كانوا لا يتكلفون الشعر، ولا يتعبون فيه، ويقال: محلّه في الشعر، وتقدُّمه طبقات المحدثين فيه حينذاك، كان بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف. ويقال: إنه كان ضخماً، عظيم الخلق والوجه، مجدوراً، طويلاً، جاحظ المقلتين وقد تغشاهما لحم أحمر، فكان أقبح الناس عمى، وكان إذا أراد أن ينشد صفّق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله، ثم ينشد فيأتي بالعجب. ويقول ابن المعتز: كان شاعراً مجيداً مُفْلِقاً ظريفاً محسناً، خدم الملوك، وحضر مجالس الخلفاء، وأخذ فوائدهم، وكان يمدح المهديّ، ويحضر مجلسه، وكان يأنس به، ويجزل له في العطاء، وكان بشار يعدّ من الخطباء البلغاء الفصحاء وله قصائد وأشعار كثيرة، فوشى به بعض من يبغضه إلى المهدي بأنه يدين بدين الخوارج، فقتله المهدي. وقيل: إنه هجا المهدي فنقم عليه وصدفه مرة يؤذن، وهو سكران فأمر به، فجلد ثمانين جلدة حتى مات. ولكن الثابت هو أنه رمي بالزندقة، فضرب بالسياط فمات بالبصرة، وقيل: ضرب عنقه. وكان ذلك في سنة ١٦٧ هـ /٧٨٤ م. وكانت ولادته في سنة ٩٥ هـ /٧١٤ م. ويقال: إن المهدي ندم على قتله.

أما هذه الأبيات فهي من قصيدة مدح بها يزيد بن عمر بن هبيرة، عامل الأمويين على الكوفة، وقد انتصر مع الخليفة مروان بن محمد على الضحاك زعيم الخوارج وقتله. وذلك في سنة ١٢٨ هـ /٧٤٥ م. انظر: الشعر والشعراء، ص٤٧٦ ـ ٤٧٩. والأغاني ٣/١٢٩ ـ ٢٤٥. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢١ ـ ٣١. والأعلام ٢/٥٢. ومطلع القصيدة:

جَـفـا وُدّه فـازورّ أو مـلّ صـاحـبـهْ   وأزرى بـه ألاّ يَـزالَ يُـعـاتِـبُـهْ

(كره صحبة صديقه فابتعد عنه، أو أن الصديق ملّه. وعيب هذا الرجل أنه كثير العتاب لصديقه).

(٢) رويد: مصدر أرود، مصغراً تصغير الترخيم: تقول: «رويداً زيداً» أي مهلاً، وهو هنا مصدر، وإذا أردت =

وســامٍ لمــروانٍ ومن دونــهِ الشَّجَــا	وهَـوْلٌ كلُجِّ البحر جـاشَتْ غوارِبُـهْ(١)
وجيشٍ كجُنْحِ الليلِ يزحَفُ بالحَصى	وبـالشَـوْكِ والخَـطِّيُّ حُمرٌ ثعـالِبُـهْ(٢)
وارعنَ يَغْشى الشمسَ لـونُ حـديـدهِ	وتَحْبِسُ أبصـارَ الكُمـاةِ كتـائِبُـهْ(٣)
تَغَصُّ بـه الأرضُ الفضـاءُ إذَا غَـدا	تُـزاحِمُ أركـانَ الجبـالِ مَنـاكِبُـهْ(٤)
رَكِبْنـا لـه جَهْـراً بكـل مُثَقَّفٍ	وأبيضَ تَسْتَسقي الـدمـاءَ مَضـارِبُـهْ(٥)
فلمَّـا تـولّى الحـرُّ واعْتَصَـرَ الثَّـرَى	لـظَىٰ الصيفِ من نجمٍ تَوَقَّـدَ لاهِبُهْ(٦)
وطــارتْ عصـافيـرُ الشقائقِ واكْتسى	من الآلِ ـ أمثالَ المَجَرَّةِ ـ نـاضبُـهْ(٧)

= برويداً الوعيد نصبتها بلا تنوين. والضحاك بن قيس الشيباني، قصد أرض الموصل، واجتمعت عليه الصفرية (فرقة الخوارج) حتى صار في أربعة آلاف، فسار إلى العراق، واستولى على الكوفة، وحاصر واسطاً، واحتل الموصل، وكان جيشه حينذاك مائة ألف. وصهيل العراق: أي القتال هناك. ونادبه: أي أنه بكى على موت الضحاك، والمقصود أن الضحـاك قضى نحبه، وأن النـادبين أقامـوا على ندبه. والمعنى: انتظر حتى تسمع صهيل خيلنا بالعراق، حينئذ تقوم النادبة على الضحاك، أي يقتل.

(١) وسام لمروان: متطلع إلى حرب مروان بن محمد، أي: من يتطلع إلى مروان يلقى الشجا، والشجا: الغصة في الحلق. ولج البحر: معظم الماء فيه. وجاش: هاج واضطرب. والغوارب: الأمواج العالية القوية.

(٢) جنح الليل: جزء منه، أي أنه أسود لكثرة ما فيه من الحديد: دروع وسيوف الخ، فهو جيش يكاد يسد الآفاق كالظلام. والحصى: العدد الكثير. والشوك: السلاح. والخطي: الرماح نسبة إلى الخط بالبحرين، وهو مكان تباع فيه الرماح. وثعالب: جمع ثعلب، وهو طرف الرمح الداخل في السنان. أي: أن رؤوس رماحه حمر لما اصطبغت به من دماء الأعداء.

(٣) أرعن: أحمق، يقصد الجيش، يصفه بالرعونة لأنه ممتلىء حماسة وهو ذاهب إلى الحرب. ويغشى الشمس لون حديده: إن سواد الدروع والسلاح يغطي نور الشمس. والكماة: جمع كميّ. الشجاع التام السلاح، ومعنى الشطر الثاني: أن أقسام هذا الجيش كثيرة جداً حتى إنها سدت الأفق، فأصبح الكمي لا يبصر حوله إلا جنوداً، ولا يستطيع أن يبصر شيئاً آخر.

(٤) إن الأرض الواسعة تضيق بهذا الجيش، حتى أن الجبال، على سعة ما بينها تعرقل مسيره، ويصف بشار بهذه الأبيات الثلاثة جيش العدو.

(٥) المثقف: الرمح. والأبيض: السيف القاطع الحاد. يقول: هاجمنا هذا الجيش علنا، غير مستترين، بالرماح وبالسيوف العطشى إلى الدم.

(٦) تولى الحر: صار والياً، اشتد. واعتصر الثرى (مفعول به) للظى الحر: إن شدة الحر قد عصرت التراب فأصبح شديد الجفاف. ومن نجم توقد لاهبه: إشارة إلى نزول الشمس في برج الجوزاء: لأن ذلك يكون في نصف الصيف.

(٧) الشقائق: جمع شقيقة: الأرض الصلبة. والآل: السراب. والمجرة: نظام عظيم من النجوم يعترض في =

غَـدَتْ عانـةٌ تشكو بـأبصارِهـا الصَّدى | إلى الجـأبِ إلاّ أنّهـا لا تُخـاطِبُـهْ[(١)]
غَـدَوْنَـا لـهُ والشّمسُ في خِـدْرِ أُمِّهـا | تُـطالِعُنا والـطَّلُّ لم يَجْـرِ ذَائِبُـهْ[(٢)]
بِضَرْبٍ يذوقُ المـوتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ، | وتُـدرِكُ من نَجّى الفِـرارُ مثـالِبُـهْ[(٣)]
أحـلّتْ به أمُّ الـمـنـايـا بنـاتِهـا | بـأسيافِنـا، إنّـا رَدى مَنْ نُحـارِبُـهْ[(٤)]
وكُنّـا إذا دَبَّ الـعَـدُوُّ لسُخـطِنـا | ورَاقبَنـا فـي ظـاهـرٍ لا نُـراقِبُـهْ[(٥)]
كـأنَّ مُثـارَ النّقـعِ ـ فـوقَ رؤوسِنـا ـ | وأسيـافَنـا لَيْـلٌ تَهـاوَى كـواكِبُـهْ[(٦)]
بَـعَثْنَـا لَهُـمْ مَـوْتَ الفُـجـاءةِ إنّـنـا | بنـو المـوتِ خفّـاقٌ علينـا سبَـائبُـهْ[(٧)]
فـراحـوا: فـريقٌ في الإسـارِ، ومثلُهُ | قتيـلٌ، ومثـلٌ لاذَ بـالبحـرِ هـاربُـهْ[(٨)]

= السماء. والمعنى: جفت هذه الأرض جفافاً شديداً فطارت عصافيرها، وامتلأ سطحها بسراب متسع يرى شديد اللمعان من بعيد كالمجرة.

(١) عانة: قطيع من حمر الوحش. والصدى: العطش. والجأب: الذكر من حمر الوحش. والمعنى: اشتد العطش بهذا القطيع فجعل يشكو إلى الجأب (زعيم القطيع) بنظراته، لأن شدة العطش منعته الكلام.

(٢) والشمس في خدر أمها: لم تطلع بعد. والغدوة: أول النهار، والخدر: الستر أو المنزل. وتطالعنا: أي الشمس، تريد أن تطلع علينا. والطل: الندى. والمعنى: غدونا له، والشمس لم تطلع بعد، وكذلك الندى لا يزال جامداً على الأغصان. وليس ذلك بمستغرب. فمناخ العراق قاري شديد الحرارة في النهار، بارد في الليل وفي الصيف أيضاً. ومع ملاحظة مبالغة بشار أيضاً.

(٣) بضرب: أي غدونا بضرب. والمثالب: جمع المثلبة، العيب، والمعنى: باكروا العدو، وأمعنوا فيه ضرباً حتى بات قسمين: إما من القتلى، و إما من الهاربين حاملي عار الهزيمة والفرار.

(٤) أم المنايا بناتها: أي كأن للمنايا بنات تطلقهن بالدواهي والكوارث والموت. والمعنى: إن الموت قد وضع في سيوفنا آجال الناس، فكل من حاربنا كان حربنا إياه موتاً له.

(٥) دبّ: جرى وسرى. والمعنى: إذا اقترب عدونا منّا خفية، ثم تظاهر بالمودة، فإننا لا نخافه، بل نجاهره العداوة.

(٦) النقع: الغبار. وتهاوى: تتساقط. وهنا يشبه الغبار الأسود الثائر فوق رؤوس المتحاربين بالليل. ويشبه رؤوس السيوف، بحركاتها ولمعانها أي: وهي تتوالى بسرعة، ارتفاعاً وانخفاضاً على العدو ـ في وسط الغبار ـ بالرجوم التي تتساقط من السماء في الليلة المظلمة. وهذا إيهام، لا حقيقة له، لأنه ليس هناك ليل تتهاوى فيه الكواكب إلاّ يوم الحشر.

(٧) الفجاءة: المفاجىء، والسبائب: جمع السبيبة، وهي القطعة الرقيقة من الكتان، والمقصود هنا: أعلام الجيش المحارب، وهذا كناية عن النصر والقوة والشجاعة. والمعنى: كان العدو يعتقد أننا لم نفطن لما يريد، فلما جاهرناه بالعداوة وهاجمناه، كان ذلك مفاجأة له.

(٨) الإسار: أي الأسر. والهارب: الفار من المعركة.

إذا الملكُ الجبّارُ صَعَّرَ خَدَّه مَشَيْنا إليهِ بالسيوفِ نُعاتبهْ[1]

- بشار بن برد وفاتحة العصر العباسي، للدكتور عمر فروخ، ص ١٣٤ - ١٣٨ .
- وانظر:الأغاني ٣/١٩١ - ١٩٢ ، ٢٣١ - ٢٣٢ .
- وانظر:طبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢٧ - ٢٨ .

٢ - مقطوعة لبشار بن برد في الهجاء .

(من البسيط)

استمنح بشار بن برد العباس بنَ محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس فلم يمنحه، فقال يهجوه :

ظِلُّ اليَسارِ على العبّاسِ ممدودُ وقلبُهُ أبداً في البُخْلِ مَعْقودُ[2]
إنَّ الكريمَ لَيُخفِي عنكَ عُسْرَتَهُ حتّى تَراهُ غَنِيّاً وَهْوَ مَجْهودُ[3]
وللبَخيلِ على أمْوالِهِ عِلَلٌ زُرْقُ العُيونِ عَلَيْها أوْجُهٌ سُودُ[4]
إذا تَكَرَّهتَ أن تُعطي القليلَ وَلَمْ تَقْدِرْ على سَعَةٍ لم يَظْهَرِ الجُودُ[5]
أوْرِقْ بخيرٍ تُرَجّى لِلنَّوالِ فَما تُرْجَىٰ الثِّمارُ إذا لم يُورِقِ العُودُ[6]
بُثَّ النَّوالَ ولا تَمْنَعْكَ قِلَّتُهُ فكلُّ ما سَدَّ فَقْراً فهو مَحْمُودُ[7]

- الأغاني ٣/١٨٩ - ١٩٠

٣ - قصيدة لصريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري[8]

(من الطويل)

---

(١) صعر خده: أماله عن النظر إلى الناس كبراً وتيهاً، واحتقاراً لهم. ونعاتبه: نقاتله. أي: أنهم لا يعاتبون عدوهم بالكلام بل بالسيوف أي: بالقتال والقتل.

(٢) اليسار: الغنى، وفي البخل معقود: أي ملازم له، لا يفارقه.

(٣) المجهود: المعسر الذي شق عليه أمره، من قلة المال. والعسرة: الفقر، والضيق.

(٤) العلل: جمع العلة، الحجة، والعذر الذي يمنعه الكرم. يريد: أنها أعذار شائنة كريهة منكرة متنافرة.

(٥) تكرهت: أي فعلته كرهاً. والسعة: العطاء. أي: إذا بذلت القليل كرهاً، ولم تقدر على بذل الكثير، فإن العطاء لا يظهر.

(٦) النوال: العطاء. أورق بخير: أي أظهر الخير والعطاء. يريد: أن يظهر الجود ولو بالشيء اليسير، لأنه إذا لم يعط القليل، فإنه لم يعط الكثير.

(٧) بثّ النوال: نشره وفرقه بين الناس.

(٨) مسلم بن الوليد، كان أبو الوليد مولى الأنصار، فهو أنصاري بالولاء، لقب بصريع الغواني، ولد ونشأ بالكوفة. وهو أول من قال الشعر المعروف بالبديع، وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه: أبو تمام الطائي. =

أديـري عليَّ الـرَّاحَ سـاقيـةَ ٱلْخَمْـرِ ... ولا تسْأليني وٱسألي الكأْسَ عنْ أمْري[1]

كـأنَّكِ بي قـدْ أظْهَرَتْ مُضْمرَ ٱلْحَشَـا ... لكِ ٱلْكأْسُ حتَّى أطْلعْتِكِ على سِرِّي[2]

وقـد كُنْتُ أقْلي الـراحَ أن يسْتفـزَّني ... فتنْـطِقَ كَأْسٌ عنْ لِسـاني وَلا أدْري[3]

ولـكنّني أُعْـطَيْتُ مِقْـوَدِيَ الـصِّبـا ... فقـادَ بنـاتِ اللَّهْـوِ مخْلوعَـةَ العُـذْرِ[4]

إذا شئْتُ غـاداني صَبُـوحٌ مِن الهـوىٰ ... وإنْ شِئْتُ مـاساني غُبوقٌ مِن الْخمْرِ[5]

ذهَـبْتُ وَلـمْ أُحـدِدْ بعـيْنِـيَ نـظْرةً ... وأيْقنْتُ أنَّ العيْنَ هـاتِكـةُ سِتْـري[6]

جـعَلْنـا عَـلامـاتِ الـمـوَدَّةِ بَيْـنـنـا ... مصايدَ لحْظٍ هُن أخْفَىٰ مِنَ السِّحْـرِ[7]

= ومسلم كان شاعراً غزلاً، متفنناً متصرفاً في شعره، نزل بغداد، ومدح الرشيد باللامية السائدة التي مطلعها:

أديـرا عـليَّ الـكـأسَ لا تـشـربـا قـبـلي ... ولا تَـطْلُبـا مـن عـنـدِ قـاتـلتـي ذَحْـلِي

فلما بلغ قوله:

هـل الـعـيشُ إلاّ أن تـروحَ مـع الـصِّـبـا ... وتـغـدو صـريـعَ الكـأسِ والأعـينِ الـنُّجْـلِ

(ذحلي: ثأري. والنجل: الواسعة). قال له: أنت صريع الغواني، فسمي بذلك حتى صار لا يعرف إلا به. ويقال: إن الرشيد كتب شعره بماء الذهب. وجلّ مدائح مسلم في يزيد بن مَزْيد، وداود بن مزيد صاحب ديوان الخراج ـ فقلّده مظالم جرجان ـ وفي البرامكة، وقد مدح الخلفاء، توفي بجرجان سنة ٢٠٨ هـ /٨٢٣ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء، ص ٥٢٨ ـ ٥٣٥. والأغاني ١٨ /٣١٥ ـ ٣٥٤. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢٣٤ ـ ٢٤٠.

(١) يقول: أديري عليّ الراح يا ساقية الخمر، ولا تسأليني عن أمري، واسألي الكأس تخبرك عن أمري.

(٢) الحشا هنا: القلب أو الصدر، وهو مكان السر. يقول: كأنك بي إذ سكرتُ قد أظهَرَتْ لكِ الكأس، مضمر الحشا، حتى أظهرت ما كنت أكتم عنك، وأطلعتك على سري.

(٣) أقلي: أكره وأبغض. أي: كنت أكره الخمر خوف ذهاب عقلي، فينطق كأسي عن لساني ولا أدري لأني سكران.

(٤) العذر: جمع عِذار، الحياء. وخلع عذاره: اتبع هواه. أي: قادني مخلوع العذار إلى اللذات. وأوقع الفعل على بنات اللهو، وهو واقع عليه هو، لأنه هو المقود بيد الصبا.

(٥) أي: أصبح إلى الهوى ومراسلة النساء، وإذا شئت اغتبقت الخمر، فأنا بين لذّات الهوى وشرب الخمر. والصبوح: شرب الغُدُوّ. والغبوق: شرب العِشيّ.

(٦) يقول: ذهبت خاطراً. بمن أحب، ولم أُحدّ إليها نظرة بعيني مخافة الرقباء والوشاة، وأيقنت أن عيني مظهرة لسرّي.

(٧) مصايد لحظ: غمزات العين، وهن أخفى من السحر، لأنه لا يفطن لها أحد. وجعلها مصايد، لأنه يصيد بها من يحب. وجعلنا: يعني نفسه والتي يعشق.

فـأعْرفُ مِنْهَـا الْوَصْـلَ في لينِ طَرفِهـا	وأعْـرفُ منها الْهَجْـرَ بالنَّـظَرِ الشَّـزْرِ (١)
وَفي كُـلِّ يـوْمٍ خشْيَـةٌ مِنْ صُـدُودِهـا	أَبِيتُ علىٰ ذنبٍ وَأغْـدو عَلىٰ عُـذْرِ (٢)
ومُلْتَـطِمِ الأمْـواجِ يَـرْمِي عُبـابُـهُ	بِجَـرْجَـرَةِ الآذِيِّ لِلْعِبْـرِ فـالْعِبْـرِ (٣)
مُـطَعَّـمَـةٍ حِيتـانُـهُ مَـا يُغِبُّهـا	مَـآكِلُ زادٍ مِنْ غـريقٍ وَمِنْ كَسْرِ (٤)
إذا اعْتَنَقَتْ فيـهِ الجَنُـوبُ تَكَفَّـأَتْ	جَوارِيهِ أَوْ قامتْ معَ الرِّيحِ لا تجْري (٥)
كـأن مَـدَبَّ المَـوْجِ فِي جَنَبَـاتِهـا	مَدَبُّ الصَّبَا بَيْنَ الـوِعاثِ مِن العُفْـرِ (٦)
كشفْتُ أهـاويـلَ الـدُّجَى عَنْ مَهُـولِـهِ	بجـاريـةٍ محْمـولـةٍ حَـامِـلٍ بِكْـرِ (٧)
لَطَمَتْ بِخَـدَّيْهَـا الحُبَـابَ فـأَصْبحَتْ	مُـوَقَّفَـةَ الـدَّايـاتِ مَـرْتُـومَـةَ النَّحْـرِ (٨)

---

(١) لين طرفها: أي أن تعاين إليّ بعين المودة. والنظر الشزر: وهو النظر بجانب العين إعراضاً.

(٢) يقول: في كل يوم بي خشية من صدودها، أبيت على ذنب ترميني به لم أذنبه، واعتذر إليها، ولا أقول لها لم أفعل لئلا أردّ عليها وأكذبها في قولها فيعز عليها.

(٣) عباب البحر: موجه، وجرجرة الآذي: صوت الموج، والعبر: حافة النهر، وينتقل الشاعر ـ في هذا البيت ـ إلى وصف نهر الفرات، والسفينة التي تقلّه إلى ممدوحه. يقول: ورب ملتطم الأمواج ركبته، وكثرة الماء في هذا النهر ترمي بصوت الموج للحافة فالحافة.

(٤) مطعمة حيتانه: أي بدا أن حيتانه مشبعة من الغرقى فيه كلّ يوم. ما يغبها: أخذه من الغب، وهو أن تشرب الإبل يوماً وتدع يوماً. وكسر: أي كسر سفينة، وهنا يصف النهر بالهول، ويقول: إن الحيتان مشبعة، من كثرة ما تجد من الغرقى والأمتعة.

(٥) اعتنقت: اضطربت. والجنوب: الريح الجنوبية. وتكفأت: انقلبت. والجواري: السفن، وهنا يتابع وصف هول هذا النهر بقوله: إن السفن في هذا النهر تتكفىء من شدة هذه الرياح الجنوبية، أو أنها تقف دون حراك خشية أن تتحطم.

(٦) جنباتها: أي في جنبات السفينة، وقد ارتفع الموج حولها. والصبا: الريح الشرقية، والوعاث: الرمال اللينة، والعفر: جمع الأعفر، وهو الكثيب الأحمر. وهنا يشبه تحرك الموج بجوانب السفينة، بتحرك الريح بين الرمال التي تنقل جزءاً منها، فتتغير مواضعها، وأشكالها.

(٧) عاد الشاعر إلى وصف النهر. محمولة: يحملها الماء. وحامل: تحمل الناس. وبكر: أي أنها سفينة لم تركب قط قبل تلك المرة. يقول: لقد قطعت أهوال ذلك البحر بسفينة ركبتها إلى ممدوحي.

(٨) الحباب : الموج. وموقفة الدايات: أي مخططة الظهر، والدايات: أضلاع الكتف أو غضاريف الصدر، إنما تكون الدايات للمواشي، واحدتها الداية، فاستعارها للمركب. ومرتومة النحر: أي في نحرها بياض، وذلك أن أصحاب السفن يجعلون في صدر السفينة شيئاً أبيض، إما جيراً وإما محاراً أبيض، وإما ودع أبيض. يقول: إن الماء جعل فيها خطوطاً من الخضرة، وذلك بسبب الموج على جانبي السفينة.

إذا أَقْبَلَتْ راعَتْ بِقُنَّةِ قَرْهَبٍ وإنْ أَدْبَرَتْ راقَتْ بقادِمَتَيْ نَسْرِ[١]

تَجَافَى بها النُّوتيُّ حتّى كأنَّما يَسيرُ مِنَ الإشْفَاقِ في جَبَلٍ وَعْرِ[٢]

تَجَلَّجُ عَنْ وَجْهِ الحَبَابِ كما انثَتْ مُخَبَّأَةٌ مِنْ كِسْرِ سِتْرٍ إلى سِتْرِ[٣]

أطَلَّتْ بِمِجْذافَيْن يَعْتَوِرانِها وَقَوَّمَها كَبْحُ اللِّجام مِنَ الدُّبْرِ[٤]

فحامَتْ قليلاً ثُم مرَّت كأنَّها عُقابٌ تدلَّتْ مِنْ هَواءٍ على وَكْرِ[٥]

أنافَ بهادِيها وَمَدَّ زِمامَها شديدُ عِلاجِ الكفِّ مُعتمِلُ الظَّهْرِ[٦]

إذا ما عَصَتْ أَرْخَى الجَريرَ لِرأسِها فملَّكَها عِصيانَها وَهْيَ لا تدري[٧]

كأنَّ الصَّبا تحكي بها حين واجهَتْ نسيمَ الصَّبا مَشْيَ العروسِ إلى الْخِدرِ[٨]

يمَّمْنا بها ليلَ التَّمامِ لأرْبعٍ فجاءَتْ لِستٍّ قَدْ بَقِينَ مِنَ الشَّهرِ[٩]

---

(١) راعت: أفزعت. وقنة قرهب: رأس ثور وحشي مسنّ، شبه به السّلُوقيّة التي يقعد عليها الرائس في صدر المركب. وراقت: أعجبت، بقادمتي نسر: بمجذافين كأنهما جناحا نسر.

(٢) تجافى بها النوتي: أي تنحى عن الحشف، والحشف: حجارة تحت الماء، تقرب من أعلاه، فالماء يتحرك بذلك الموضع. والإشفاق: الحذر والخوف. يقول: إن النوتي تحاشى هذا الموضع الخطر، وكأنه يسير في جبل وعر.

(٣) تجلج عن وجه الحباب: تنحى عن موضع الحباب، وهو الموضع الذي يقرب فيه الحشف من أعلى الماء. ومخبأة: يريد، جارية. ومن كسر ستر إلى ستر: ما عن يمين الخباء وشماله، وهما كِسران. وهنا يشبه تنقل السفينة بين المواضع بالجارية التي تنتقل في نواحي البيت وأستاره مستترة.

(٤) يعتورانها: يتداولانها، واللجام: الرِّجل رجل المركب، وهو الذي يسميه أهل البحر الإشباطة (مجداف يقود السفينة). وبه يقوم المركب كما يقوم الفرس باللجام.

(٥) حامت: استدارت. والعقاب: طائر من الجوارح: والوكر: العش. ويشبه سرعة السفينة بانقضاض العقاب على وكره.

(٦) أناف بهاديها: أشرف بعنق السفينة. والمعتمل: العامل. والهادي: العنق. والجمع الهوادي. ومد زمامها: أي حبلها. والزمام: مقود البعير، فضربه مثلاً لحبل السفينة. يقول: يعالج السفينة رجل قوي نشيط، يستخدم ظهره مع يديه في جذب الحبال.

(٧) الجرير: الحبل، فملكها عصيانها: أي تماديها في الجري، وهي لا تدري: يعني أنها لا تعقل ذلك. والجرير: حبل يكون في عنق الجمل يجرّ به، ضربه مثلاً لحبل السفينة.

(٨) يقول: حين تواجه ريح الصّبا، أي ريح الشرق، السفينة، فإنها تبحر برفق، وبذلك تشبه مشي العروس إلى خدرها.

(٩) يقول: قصدت الممدوح ليل التمام لأربع عشرة مضت من الشهر، فوصلت، وقد بقي ست ليال من الشهر.

فمـا بلَغَتْ حتّى اطّـلاحِ خَفيـرِهـا — وحتّى أَتتْ لـوْنَ اللّحـاءِ مِن القِشْرِ[1]

وَحَتّى عَـلاهـا المـوْجُ في جنبَاتِهـا — بـأَرديـةٍ مِن نسْـجِ طُحْلُبِـهِ خُضْـرِ[2]

رَمَتْ بـالكرى أَهْـوالُهـا عن عُيُـونهمْ — فبـاتَتْ أَهاويـلُ السُّرى بهمُ تَسْـرِي[3]

تَـؤُمُّ مـحَـلَّ الـرَّاغِـبيـنَ وحيـثُ لا — تُـذادُ إذا حلَّتْ بـهِ أَرْجُـلُ السَّفْـرِ[4]

رَكِبْنـا إليْـهِ البَحْـرَ في مُـؤْخِـرَاتِـهِ — فأَوفتْ بِنَا مِنْ بَعْـدِ بَحْرٍ إلى بَحْـرِ[5]

- شرح ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري، ص١٠٣ - ١١١.

٤ - قصيدة لأبي العتاهية[6]

(من الطويل)

ألا طـالَ مـا خـانَ الـزّمـانُ، ويَدَّلا، — وَقَـصَّـرَ آمَـالَ الأنَـامِ، وَطَـوّلا

أَرَى النّاسَ في الدّنيا، مُعافىً وَمُبتلىً، — ومَا زالَ حُكمُ اللهِ في الأرْضِ مُرْسَـلا

---

(١) الطلاح: الكال من طول السفر. وخفيرها: حافظها. وحتى أتت: حتى صارت، واللحاء: قشر الشجرة. يقول: صار لون السفينة مثل لون الشجر الذي قشر لحاؤه، أي: أن السفينة تغير لونها بسبب ذهاب بعض قشرها.

(٢) يقول: ما وصلت حتى كساها الموج في جنباتها أردية خضراء من طحلب.

(٣) رمت بالكرى: أي بالنوم. أهوالها: يعني أهـوال السفينة عن جفونهم، أي: نفت الأهوالُ النومَ عن أعينهم، فباتوا يسيرون والأهوال معهم تسري. والأهاويل جمع الأهوال، والأهوال جمع الهول.

(٤) تؤم: تقصد. وتذاد: تمنع. والسفر: المسافرون. يقول: إن هذه السفينة، تقصد بنا المكان الذي يؤمه الراغبون في الحصول على الكرم والعطايا، أي: أنها تقصد منزل الرغبين، وحيث لا تذاد أواخر أرحل السفر إذا نزلوا به، أي: لا يمنعون من فنائه.

(٥) في مؤخراته: في أواخر ركوبه. والمعنى: بلغنا من بعد قطعنا البحر - أي: نهر الفرات - إلى رجل كالبحر في سخائه وكرمه.

(٦) أبـو العتـاهيـة، هـو إسمـاعيـل بن القـاسم، وكنيتـه أبـو إسحاق. ولد سنة ١٣٠ هـ/ ٧٤٨ م. بقريـة بـالقـرب من الكوفة، ونشأ فيها، وسكن بغداد، وكان جرّاراً، أي يبيع الجرار، ويقال إنه نظم الشعر وهو صبي، غلب عليه مذهب الزهد، ورمي بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواعظ، وذكر الموت والحشر، والنار والجنة، ويقال: إنه كان ثَنَوِيّاً (المذهب القائل: إن الآلهة اثنان: إله الخير وإله الشر) كان أبو العتاهية أحد المطبوعين وممن كاد يكون كلامه شعراً كله. وغزله لين جداً مشاكل لكلام النساء، موافق لطباعهن. وكان لسهولة شعره وجودة طبعه فيه، ربما قال شعراً موزوناً ليس من الأعاريض المعروفة، وكان يلعب بالشعر لعباً، ويأخذ كيف شاء. ويقال: إنه هجر الشعر مدة، فبلغ ذلك المهدي الخليفة، فسجنه، ثم هدده بالقتل أو يقول الشعر، فعاد إلى نظمه. فأطلقه. توفي في بغداد سنة ٢١١ هـ/٨٢٦ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء ص ٤٩٧ - ٥٠١. والأغاني ٤/٣ - ١١٤، ١٥/ ٢١٨ - ٢٢٣. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢٢٧ - ٢٣٤.

مَضَى في جَميعِ النّاسِ سابقُ عِلمِه، وَفَصَّلَهُ، مِن حيثُ شاءَ، وَوَصَّلا

وَلَسْنا على حُلْوِ القَضاءِ وَمُرّهِ، نَرَى حَكَماً فينا، مِنَ اللهِ، أعْدَلا

بَلا خَلْقَهُ بالخَيرِ وَالشّرِّ، فِتْنَةً، لِيَرْغَبَ مِمّا في يَدَيْهِ وَيَسألا[1]

ولَمْ يَبْغِ إلّا أنْ يَبُوءَ بفَضْلِهِ علَينا، وَإلّا أنْ نَتُوبَ، فيَقْبَلا

هُوَ الأحَدُ القَيّومُ مِنْ بَعدِ خَلْقِهِ، ومَا زَالَ في دَيمومَةِ المُلْكِ أوّلا[2]

وَمَا خَلَقَ الإنْسانَ إلّا لغَايَةٍ، وَلم يَترُكِ الإنسانَ في الأرْضِ مُهمَلا

كَفَى عِبرَةً أنّي وَأنّكَ، يا أخي، نُصَرَّفُ تَصريفاً لَطيفاً، وَنُبتَلَى

كأنّا، وَقد صِرْنا حَديثاً لغَيرِنا، يُخاضُ كما خُضْنا الحديثَ لمَن خلا

تَوَهّمْتُ قَوْماً قَدْ خَلَوْا، فكأنّهمْ بأجْمَعِهِمْ كانُوا خَيالاً تخَيّلا

وَلَستُ بأبْقَى منهُمُ في دِيارِهِمْ، وَلكِنَّ لي فيها كتاباً مُؤجَّلا

وَما النّاسُ إلّا مَيّتٌ وَابنُ مَيّتٍ، تأجّلَ حَيٌّ منهُمُ، أوْ تَعَجّلا

وَلا تحْسَبَنّ اللهَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ بما كانَ أوْصَى المُرْسَلِينَ، وأرْسَلا

هوَ المَوْتُ يا بنَ الموْتِ وَالبَعثُ بعدَهُ، فمِنْ بينِ مَبعوثٍ مُخِفّاً، وَمُثقَلا[3]

وَمِنْ بَينِ مَسحوبٍ على حُرّ وَجْهِه، وَمِنْ بَينِ مَنْ يأتي أغَرَّ مُحَجَّلا

عَشِقْنا، مِنَ اللّذّاتِ، كلَّ مَحرَّمٍ، فأُفٍّ عَلَيْنا ما أغَرَّ وَأجهَلا

رَكَنّا إلى الدّنْيا فَطالَ رُكُونُنا، وَلَسنا نَرَى الدّنْيا، على ذاك، مَنزِلا

لَقَدْ كانَ أقْوَامٌ مِنَ النّاسِ قَبلَنا يَعافُونَ مِنْهُنَّ الحَلالَ المُحَلَّلا

فَلِلّهِ دارٌ ما أحَثَّ رَحيلَها، وَما أعرَضَ الآمالَ فيها وَأطْوَلا

أبَى المَرْءُ إلّا أنْ يَطُولَ اغترارُهُ، وَتأبَى بِهِ الحالاتُ إلّا تَنَقُّلا

إذا أمّلَ الإنْسانُ أمْراً، فنَالَهُ، فَما يَبتَغي فَوْقَ الذي كانَ أمّلا

وَكَمْ من ذَليلٍ عَزَّ مِنْ بَعد ذِلّةٍ، وكَم من رَفيعٍ صارَ في الأرْضِ أسفَلا

---

(١) بلا: اختبر وجرب.

(٢) القيوم: الذي لا بدء له والقائم بذاته.

(٣) وأراد بالمثقل: الآثام.

وَلَـمْ أَرَ إِلاَّ مُـسْـلَـمـاً فـي وفَـاتِـهِ، وَإِنْ أَكْثَـرَ البَـاكي عَلَيْـهِ، وَأَعْـوَلا
وكم من عَـظيمِ الشَّأْنِ في قعرِ حُفرَةٍ تَلَحَّفَ فيهـا بـالـثَّـرَى، وتَسَـرْبَـلا
أيـا صـاحِبَ الـدُّنْيـا وَثِقْتَ بمنـزِلٍ، تَـرَى المَـوْتَ فيـهِ، بـالعِبـادِ، مُـوَكَّـلا
تُنـافِسُ في الـدُّنْيـا لِتَبلُغَ عِـزَّهـا، وَلَسْـتَ تَـنَـالُ العِـزَّ حتـى تُـذَلَّـلا
إذا اصْـطَحَـبَ الأقـوامُ كـانَ أَذَلُّهُـمْ لأصحـابِـهِ نَفْسـاً، أَبَـرَّ وَأَفْضَـلا
وَما الفَضْلُ في أَنْ يُؤْثِـرَ المرْءُ نَفْسَـهُ، وَلـكِنَّ فَـضْـلَ المَـرْءِ أَنْ يَـتَـفَـضَّـلا

ـ أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٥.

٥ ـ قصيدة أبي تمام[١] في مدح المعتصم بالله[٢] ويذكر حريق عمورية وفتحها[٣]

(من البسيط)

---

(١) هو حبيب بن أوس الطائي نسبة إلى قبيلة طيء، ولد في قرية جاسم من بلاد حوران بالشام، سنة ١٨٨ هـ /٨٠٤ م. رحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فقدمه على شعراء عصره، فأقام في العراق، وتوفي فيها سنة ٢٣١ هـ /٨٤٦ م. كان أبو تمام أسمر اللون، طويلاً، حلو الكلام، غير أن في لسانه حبسة، وفي كلامه تمتمة يسيرة، وكان فطناً شديد الفطنة، حاضر البديهة، وكان له مذهب في المطابق والمجانس، اشتهر به، ونسب إليه. وهذا المذهب لم ينسب لأبي تمام لأنه اخترعه، فقد طرقه الشعراء من قبله، ولكنه نسب إليه وعرف به لأنه فضل الشعراء جميعاً فيه، وأكثر منه، وسلك جميع شعبه، حتى لينـدر أن يخلـو بيت لـه منـه. واتصل أبو تمام برجال الدولة في عصره، ومدح وهجا ورثى، ونظم في كل أغراض الشعر، فمن الخلفاء الذين رافقهم في حياته أمير المؤمنين المعتصم بالله، وقد رثاه بعد موته، ومدح أمير المؤمنين الواثق بالله بن المعتصم، وقد توفي بالموصل. انظر ترجمته في: الأغاني ١٦/٣٠٣ ـ ٣١٧. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٦. والموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي (مقدمة المحقق محمد محيي الدين عبد الحميد). وأبو تمام وقضية التجديد في الشعر للدكتور عبده بدوي. والأعلام ٢/١٦٥.

(٢) هو أبو إسحاق، محمد بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٩ هـ /٧٩٥ م. بويع بالخلافة سنة ٢١٨ هـ. ويقال: إنه كان من أعظم الخلفاء وأهيبهم. وله محاسن وكلمات فصيحة، وشعر لا بأس به، غير أنه إذا غضب لا يبالي مَنْ قتل. وهو أول خليفة أدخل الأتراكَ الديوانَ. وكان يتشبه بملوك الأعاجم، ويمشي مشيهم، وبلغت غلمانه الأتراك بضعة عشر ألفاً. توفي سنة ٢٢٧ هـ /٨٤١ م. انظر: تاريخ الخلفاء للسيـوطي، ص ٣٣٣، ٣٤٠. وتـاريـخ مختصـر الـدول، لابن العبـري، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٤. والأعلام ٧/١٢٧.

(٣) في سنة ثلاث وعشرين ومائتين غزا المعتصم بالله الروم، فأنكاهم نكايـة عظيمـة، لم يسمع بمثلها الخليفة، وشتت جموعهم، وخرب ديارهم، وفتح عمـوريـة بالسيف، وقتـل منها ثـلاثين ألفا وسبى =

السَّيْفُ أَصْـدَقُ أَنْبَـاءً مِنَ الكُتُـبِ فِي حَـدِّهِ الحَـدُّ بَيْنَ الجِـدِّ واللَّعِبِ[1]
بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُـونِهِنَّ جِـلاءُ الشَّـكِّ والـرِّيَبِ[2]
والـعِلْمُ فِـي شُهُـبِ الأَرْمَـاحِ لَامِعَـةً بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ[3]
أَيْنَ الـرِّوايَـةُ بَـلْ أَيْنَ النُّجُـومُ وَمَـا صَاغُوه مِنْ زُخْرُفٍ فيها وَمِنْ كَـذِبِ[4]
تَـخَـرُّصَـاً وأَحَـادِيـثـاً مُـلَفَّـقَـةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إذا عُـدَّتْ ولا غَـرَبِ[5]
عَـجَـائِبـاً زَعَـمُـوا الأَيَّـامَ مُـجْفِـلَةً عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ[6]

= مثلهم، وكان لما تجهز لغزوها حكم المنجمون أن ذلك طالع نحس، وأنه يكسر، فكان من نصره وظفره ما لم يخف. (تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٦). وقد ورد في شرح ديوان أبي تمام: كان المنجمون قد حكموا أن المعتصم لا يفتح عمورية، وراسلته الروم بأنا نجد في كتبنا أنه لا تفتح مدينتنا إلا في وقت إدراك التين والعنب، وبيننا وبين ذلك الوقت شهورٍ يمنعك من المُقام بها البَرْدُ والثلج. فأبى أن ينصرف وأكب عليها ففتحها، فأبطل ما قالوا. (ص ٢٢).

(١) الأنباء: جمع نبأ، وهو الخبر، وقد نصبت على التمييز. والحد الأول: للسيف. والحد الثاني: الذي يفصل بين الشيئين. يشير إلى ما كان من أمر المنجمين. ويقول: إن كلام السيف أصدق من الكتب، لأنه يقوم على الفعل وليس على الافتراض والجدل واللعب بالألفاظ. والأفكار.

(٢) الصفائح: جمع الصفيحة، السيف العريض. والصحائف: جمع الصحيفة، القرطاس، أو الكتاب الذي يكتب فيه. يقول مكرراً المعنى: إن السلاح هو الذي يؤدي إلى اليقين وليست الكتب المكتوبة. وقد توسل لفظة متن لأنها جارية في الدلالة على نصوص الكتاب.

(٣) شهب الأرماح: أي الرماح التي هي كالشهب. والخميس: الجيش. والسبعة الشهب: الكواكب (الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ وعطارد والزهرة). يقول: إن المعرفة اليقينية هي التي تؤديها الرماح عندما تلتمع في القتال، فتبدو كالشهب، وليس في الكواكب التي يستنطقها المنجمون.

(٤) الزخرف: الكلام الموشّى المائل عن الصدق. وهنا: يهزأ بالمنجمين الذين تنبّأوا بالهزيمة، ويقول: إن كلامهم لا يعدو الكذب المنمق.

(٥) التخرص: التكذب وافتراء القول. وملفقة: المجموعة دون لحمة أو منطق، أي: ضم بعضها إلى بعض وليست من شكل واحد. والنبع: شجر صُلْب ينبت في رؤوس الجبال، تتخذ منه القسي والأقواس. والغرب: نبات خائر أي رخو ينمو على الأنهار. يقول: إن كلامهم لا يعدو الأكاذيب المجتمعة على غير لحمة أو منطق، جمعوها كذباً، وهي لا تستقيم ولا تتصف بالقوة ولا حتى بالهزال، فكأنها لا قيمة لها كاللاشيء.

(٦) يقول: إنهم تنبأوا بدواهي لم تُعْهَدْ من قبل، تنزل فتبث الذعر حتى أن الأيام نفسها تجفل منها، فكيف بالناس؟ كما أنهم عينوا زمنها إذ جعلوه في شهر صفر أو رجب، وقد أضاف «صفر» إلى جمعها ليوحي بعظم الهول الذي كان هذا الشهر مزمعاً أن يتفرد فيه.

وخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْياءَ مُظْلِمَةٍ إذا بَدَا الكَوْكَبُ الْغَربيُّ ذُو الذَّنَبِ[1]

وَصَيَّروا الأَبْرجَ العُلْيا مُرَتَّبَةً مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غيْرَ مُنْقَلِبِ[2]

يَقْضُونَ بالأمرِ عَنْهَا وَهْيَ غافلةٌ مَا دارَ في فَلَكٍ منها وفي قُطُبِ[3]

لو بَيَّنَتْ قَطُّ أَمْراً قَبْلَ موقِعِهِ لم تُخْفِ ما حَلَّ بالأوثانِ والصُّلُبِ[4]

فَتْحُ الفُتوحِ تَعَالَى أَنْ يُحيطَ بِهِ نَظْمٌ مِن الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ[5]

فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وتَبْرُزُ الأَرْضُ في أَثْوابِهَا القُشُبِ[6]

يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ مِنْكَ المُنَى حُفَّلاً مَعْسُولَةَ الحَلَبِ[7]

---

(١) الدهياء: الداهية والشدة. والمظلمة: هنا، التي لا سبيل إلى الخلاص منها، يقول: إنهم أنذروا الناس بكل خطب فادح عندما يظهر الكوكب المذنب، وهو ما يدأب عليه المنجمون، فأنكر الطائي ذلك من أحكامهم.

(٢) الوجه أن يروى: «مرتِّبة» بكسر التاء، ويكون قوله: «ما كان منقلباً» في موضع بدل من مرتبة، أي صيروا التدبير للنجوم، فكأنها هي التي تتصرف بمصائر القوم. ويعني بالأبراج: بروج السماء التي أولها الحَمَلُ وآخرها الحوت. والمنجمون يزعمون أنها على ثلاثة أقسام، أربعة منقلبة، وهي: الحمل والسرطان والميزان، والجَدْي. وأربعة ثابتة، وهي: الثور والأسد والعقرب والدلو: وأربعة ذوات جسدين، وهي: الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت. ويزعمون أن الحوادث تقع وفق الطالع، فإن كان الحادث سيقع في برج ثابت، فعلوه، وإن كان في منقلب لم يفعلوه.

(٣) الفلك: يقال لكل مستدير فَلَك، حتى يقال للقطعة المستديرة من الأرض فلَك أيضاً، والمراد هنا: مدار النجوم الذي يضمها. والقطب: كل ما ثبت فدار عليه شيء. وفي السماء قطب الجنوب وقطب الشمال. يقول: إنهم ينطقون باسمها ويحكمون عنها، وهي لا تدري بشيء، كما أن أفلاكها وقطبها لا علم لها بكل ما يُنْسَب إليها.

(٤) يقول: لو كان لها قِبَلٌ بالمعرفة، لأدركت الهزيمة المنكرة التي كانت مزمعة أن تحل بجماعة الروم، أصحاب الصليب والوثنيين. وفي هذا البيت مدح بالجهاد الديني، وبهذا الفتح الذي لم يكن فتح أجلّ منه.

(٥) يقول: إنه فتح لا مثيل له يُعْرَف من قبل، ولا قِبَلَ للشعر أنْ يَفِيَهُ حقَّه من الوصف، فهو أقصى من حدود التصور.

تفتح أبواب السماء له: أي بالغيث والرحمة، وقيل: لأنه من معالم الإسلام وليس كل الفتوح كذلك. وتبرز الأرض: مثل لتعظيم الفتح ومسرّة أهلِ الإسلام. و«القشب» جمع قَشِيب، وهو الجديد. يقول: إن أبواب السماء طربت، وتفتحت بالغيث والرحمة لهذا النصر، لما انطوى عليه من مجدٍ للإسلام، كما أن أبناء الأرض يَنْشؤون به أجمل الزّين والإحتفالات.

(٧) أصل النداء أن يكون لمن تخاطبه ويراجع القول، ثم اتسعوا فيه حتى خاطبوا الديار وغيرها من الجوامد، =

أبقيْتَ جَدَّ بَنِي الإسلامِ في صَعَدٍ ... والمُشْرِكينَ وَدارَ الشِّرْكِ في صَبَبِ[1]

أمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أن تُفْتَدى جَعَلُوا ... فِداءَهَا كُلَّ أُمٍّ مِنْهُمُ وَأَبِ[2]

وَبَرْزَةِ الوَجْهِ قَدْ أعْيَتْ رِيَاضَتُهَا ... كِسْرَى وصدَّتْ صُدوداً عَنْ أبِي كَرِبِ[3]

بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ ... وَلا تَرَقَّتْ إلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ[4]

مِنْ عَهْدِ إسْكَنْدَرٍ أوْ قَبلَ ذَلِكَ قَدْ ... شَابَتْ نَواصِي اللَّيَالِي وهْيَ لَمْ تَشِبِ[5]

حَتَّى إذَا مَخَّضَ اللّهُ السِّنين لَهَا ... مَخْضَ البَخِيلَةِ كانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ[6]

أتَتْهُمُ الكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً ... مِنْهَا وكانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الكُرَبِ[7]

= فكأنه خاطب يومَ وقعةِ عمورية لجلاله عنده. وعمورية: اسم أعجمي، واستعمله في هذا البيت بتشديد الميم والياء، وقد روي عنه في قصيدة أخرى بتخفيف الحرفين، والشعراء يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية أكثر من اجترائهم على تغيير الأسماء العربية. والحفل: جمع الحافل. وهي الناقة التي امتلأ ضرعها، وهو ها هنا مستعار للمنى. والمعسولة: التي فيها العسل. والحلب: ما حلب واستُدِرّ من اللبن. وهنا، يتغنّى بذلك النصر، ويقول: إن الأماني كلها تحققت وملأت الأنفس سعادةً.

(١) الجد: الحظ. والصعد: العلى. والصبب: الانحدار، وبنو الإسلام: الذين يدخلون فيه وينسبون إليه. يقول: إن حظ الدين قد ارتفع به، فيما انحدر حظُّ الملحدين وأهينوا.

(٢) الأم: أصل الشيء ومعدنه. يقول: هذه البلدة أمّهم (يقصد عمورية التي كانت عزيزة عليهم) تجمعهم وتضمهم، كما تضمّ الأمُّ ولدَها، فلو استطاعوا لافتدوا خرابها بكل أمٍّ لهم ولدتهم وأبٍ.

(٣) امرأة برزة: أي امرأة سافرة، تخاطب الرجال، ولا تتستّر عنهم. ورياضتها: أي ترويضها وإذلالها. وأبو كرب: هو أحد الملوك التبابعة الذين تعرضوا لها. يقرن تلك القلعة بالمرأة التي لا تتستّر عن الرجال، ويقول: إنّ أعاظم الفاتحين حاولوا اقتحامها فأعيتهم وتعصّت عليهم. أي: أنها مع بروزها للنظر قد أعيت كسرى إذ كان لا يقدر عليها، وقيل: كان كسرى قد فتحها، بعث إليها الإِصْبَهْبَذَ ففتحها ثم استعصى عليه وصار مع ملك الروم.

(٤) افترع: افتض. والنوب: جمع النائبة، وهي المصيبة. يقول: إنه لم تلمَّ بها الأهوال والحروب قبلاً، فكأنها عذراء لم تمسَّ بكارتَها يَدُ أيٍّ من الفاتحين.

(٥) النواصي: جمع الناصية، وهي مقدمة شعر الرأس. يقول: إن مناعتها عريقة، قديمة، منذ الإسكندر تتعصى على الدهر الذي يهرم ويشيب من دونها.

(٦) مخض اللبن: حركه ليخرج زُبْدَهُ. والحقب: جمع الحقبة، وهي السنة، وقيل الحقبة من الدهر: بُرْهة غير محدودة إلّا أنها زمان يطول. يقول: إن هذه المدينة ـ أي عمورية ـ لما أغفلتها السنون، وظلت الأجيال تمخضها مخض البخيلة، حتى زادت وحسنت، فصارت زبدةَ الدهور، فأتاه المعتصم ففتحها، وقد جاء بالبخيلة هنا، لأنها تمخض اللبن، ولا تبقى فيه أيّاً من الزّبد.

(٧) السادرة: من سدرت العين، إذا أظلمت يقول: إنهم كانوا يعتصمون بها في الملمات لتنجيهم من =

جَرَى لَهَا الفَألُ بَرْحَاً يَوْمَ أنْقِرَةٍ إذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ والرَّحَبِ[1]

لمَّا رَأَتْ أُخْتَها بِالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الجَرَبِ[2]

كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارسٍ بَطَلٍ قَانِي الذَوائِبِ مِنْ آنِي دَمٍ سَرِبِ[3]

بِسُنَّةِ السَّيْفِ والخَطِّيِّ مِنْ دَمِهِ لا سُنَّةِ الدِّينِ وَالإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ[4]

لَقَدْ تَرَكتَ أميرَ الْمُؤْمِنينَ بِهَا لِلنَّارِ يَوْماً ذَلِيلَ الصَّخْرِ والخَشَبِ[5]

غَادَرْتَ فيها بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحىً يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ[6]

= الشدائد، فإذا بها تغدو باعثاً لأعظم شدة وويل نزلا بهم. وهو إنما يعظّم من شأنها ليعظّم من انتصار الممدوح.

(١) الفأل: الحظ والخير، ومنها التفاؤل. والبرح: وهو ضد السانح، وهو ما ولّاك مياسره، والسانح: ما ولّاك ميامنه. ويوم أنقرة: اسم موقعة في بلاد الروم. ووحشة: موحشة. والرحب: جمع الرحبة، وهي الساحة. يقول: إن حسن الحظ الذي لازمها خلال العصور وأبقاها على مناعتها، استحال إلى سوء طالع، إذ خُلِّفت خَرِبة، مقفرة، تشيع الوحشة في أرجائها.

(٢) الهاء في أختها، راجعة إلى عمورية، ويريد بأختها أنقرة. أي: أنها لمّا خَرِبَتْ وهي اختُ عمورية أعدَتْها بالجرب، والجرب يوصف بالعدوى.

(٣) الذوائب: جمع الذؤابة وهي طرة شعر الرأس. والقاني: الشديد الحمرة. وهنا إشارة إلى اصطباغ شعره بالدم. والآني: الحار. والسرب: السائل. يقول: إنهم جندلوا (أي: صرعوا) الأبطال العظام، خلفوهم صرعى، يصبغ الدم القاني جباههم، ويسيل على وجوههم.

(٤) الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط، وهو مرفأ للسفن بالبحرين حيث تباع الرماح. يفيد الشاعر من سنة جرى عليها أئمة المسلمين في الخضاب. أي: خُضِب شعره بسُنَّةِ السيف والرمح، لا بسنّة الإسلام، لأنّ الصحابة والتابعين كانوا يَرَوْن من السنة أن يخضبوا شعورهم بالحناء وما يجري مجراها من نبات الأرض، ويكرهون الخضاب بالسواد، ويؤثرون الحمرة. وقد يجوز أن يقال: إن خضاب هذا الكافر بهذا الدم من سنة الدين والإسلام. إذ كان الجهاد مفترضاً على المسلمين. وتلخيص المعنى: إن هؤلاء الأبطال خضبوا من السيوف بالدماء، وليس خضابهم بالحناء. وهناك رواية «السيف والحناء» والحناء ليس من جنس السيف، والرواية التي أثبتناها أجود في صحة المقابلة، لأنه يقابل الدين والإسلام بشيئين ليسا في الحقيقة مختلفين، إذ كانا من آلة الحرب.

(٥) نصب «يوما» على أنه مفعول صحيح، ولا يحتمل أن يكون ظرفاً. والمعنى: يوماً ذليلاً صخره وخشبه. والغرضُ أنها أحرقت، فذلّ صخرها وخشبها للنار. أي: لقد تركت يا أمير المؤمنين الصخر والخشب ذليلين لما أعملت فيهما من النار.

(٦) غادرت: تركت. والبهيم: الليل الذي لا ضوء فيه. ويشله: يطرده. يقول: إن اشتعال النار، والتماع السلاح بدّدا ظلام الليل، وجعلاه يتألق كالصبح، فكأنّ اللهيب طرد الظلام وأقام من دونه. وقد جمع =

حَتّى كَــأَنَّ جَــلابيبَ الـــدُّجى رَغِبَتْ عَنْ لَــوْنِهَــا وكَــأَنَّ الشَّمْسَ لَم تَغِبِ[1]

ضَــوْءٌ مِنَ النَّــارِ والــظَّلْمَاءُ عَــاكِفَــةٌ وظُلْمَةٌ مِنَ دُخَانٍ في ضُحىً شَحِبِ[2]

فــالشَّمْسُ طَــالِعَــةٌ مِنْ ذَا وقَــدْ أَفَلَتْ والشَّمْسُ وَاجِبَــةٌ مِنْ ذا ولَمْ تَجِــبِ[3]

تَصَرَّحَ الدَّهْــرُ تَصْــرِيحَ الْغَمَــامِ لَهَــا عَنْ يَــوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَــا طَاهِــرٍ جُنُبِ[4]

لم تَــطْلُعِ الشَّمْسُ فيــهِ يَــومَ ذَاكَ على بــانٍ بِأَهــلٍ وَلَم تَغْرُبْ على عَــزَبِ[5]

مَــا رَبْــعُ مَيَّــةَ مَعْمُــوراً يُــطِيفُ بِــهِ غَيْلَانُ أَبْهَى رُبىً مِنْ رَبْعِهَا الخَرِبِ[6]

ولا الْخُــدُودُ وقَــدْ أُدْمِينَ مِنْ خَجَــلٍ أَشْهى إلى ناظِري مِنْ خَدِّها التَّرِبِ.[7]

سَمَــاجَــةً غَنِيَتْ مِنَّــا العُيُــونُ بِهَــا عَنْ كلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ.[8]

= بين الترك والطرد في قوله: «غادرت» و «يشله» وبين ظلمة الليل والصبح، فطابق في موضعين، إلاّ أن حقيقة المطابقة أن يقول: الليل والنهار والصبح والمساء، والأول أيضاً جائز.

(١) الجلابيب: جمع الجلباب، وهو القميص والرداء. يكمل المعنى، ويقول: إن تألق ذلك الصباح من اللهب في الليل يوهم بأن الليل قد بدّل رداءه المظلم، أو أن الشمس ظلّت مشرقة فيه، مخالفة نواميس الطبيعة.

(٢) يقول: ضوء النار يصير الليل نهاراً، وظلمة الدخان تصيِّر الضحى شحباً.

(٣) أفلت: غابت. وجبت الشمس: إذا سقطت في المغرب. و «من ذا» الأول: يعني به لهيب النار. و «ذا» الثاني: يريد به الدخان. يكرر المعنى. ويقول: إنّ النار جعلت الشمس تطلع في الظلام، كما أن الدخان جعلها تغرب وهي في النهار. وغاية المعنى: تقريب المتناقضات لإثارة الدهشة والغلو.

(٤) تصرح: تفعّل من الصريح، وهو الخالص، أي: تكشف الدهر كما يتكشف الغمام عن السماء. وطاهر جنب: أي أن هذا اليوم كان ما فُعِلَ فيه حلالاً لأن الغزو مندوب إليه، طاهر من هذا الوجه، وجنب، لأنهم أخذوا السبي، فوطئوه فاحتاجوا إلى الغُسل. والشاعر يشمت في ذلك بما نالوه من أعراض المشركين دون أن يصيبهم دنس لأن مواقعة السبايا لا تعتبر زنى.

(٥) يقول: إنهم قتلوا كل زوج من الأعداء. فأبادوا الرجال كما أنهم واقعوا نساءهم، فلم يَبْق من المسلمين عازب لم يقع على امرأة.

(٦) غيلان بن عقبة: هو ذو الرمة الشاعر الأموي المعروف الذي خصّ معظم شعره للتشبيب بميّة. يقول: إن منظر الخراب الذي حلّ في تلك المدينة أجمل بالنسبة إليه من ربع الحبيبة العامر.

(٧) يقول: إن خدها المتعفر بالتراب ، أجمل من الخدود المتوردة بالخجل. وهو هنا يظهر عظم شماتته لما حلّ بالمشركين.

(٨) السماجة: القبح ، يقول: خراب عمورية سماجة عند أهلها، وقد استغنت عيوننا عن كلّ حسن بها، لأنها تفوق كل حسن في عيون المسلمين الظافرين. فهو يستعذب ما يستقبحه المشركون.

وحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْقى عَواقِبُهُ جَاءَتْ بَشَاشَتُهُ مِنْ سُوءِ مُنْقَلَبِ(١)

لَوْ يَعْلَمُ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنَتْ لَهُ العَواقِبُ بَيْنَ السُّمْرِ والقُضُبِ(٢)

تَدْبيرُ مُعْتَصِمٍ، بِاللهِ مُنْتَقِمٍ، للهِ مُرْتَقِبٍ، في اللهِ مُرْتَغِبِ(٣)

وَمُطْعَمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ يَوْماً ولاَ حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ(٤)

لَمْ يَغْزُ قَوْماً، وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ إلاَّ تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعُبِ(٥)

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً، يَوْمَ الْوَغَى، لَغدَا مِنْ نَفْسِهِ، وَحْدَهَا، في جَحْفَلٍ لَجِبِ(٦)

رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَها ولَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ يُصِبِ(٧)

مِنْ بَعْدِ ما أَشَّبُوها واثقينَ بِهَا واللهُ مِفتاحُ بَابِ المَعْقِلِ الأَشِبِ(٨)

وقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لا مَرْتَعٌ صَدَدٌ للسَّارِحينَ ولَيْسَ الوِرْدُ مِنْ كَثَبِ(٩)

---

(١) يريد: حسن المنقلب كان للمسلمين، وسوء المنقلب، كان للكفار. أي: أنهم آلوا إلى مآل حسن من سوء مآل المنهزمين.

(٢) السمر: الرماح. والقضب: السيوف. يقول: إن ما حلّ بالمشركين كان معدّاً لهم منذ أقدم العصور لعتوّهم.

(٣) المرتقب: الذي يجعل ما يرقبه بين عينيه كأنه ينظر إليه. ومرتغب: أي يرغب فيما يقربه إلى اللّه تعالى.

(٤) مطعم النصر: أي الموفق في حروبه، يكسب رزقه منها، وأصله في الصيد إذ يقال مطعم الصيد: أي الذي لا يزال يُطْعم منه. ولم تكهم: لم تَنْبُ ولم تَكِلّ. يقول: إن الممدوح أَلِفَ الحروب، وهو يوفّق فيها، لا يزال يكسب منها رزقاً ومجداً، ويردف بأن سلاحه ينال كلّ حيٍّ، ولو تستّر واحتجب عليه.

(٥) يكرر المعنى السابق، ويقول: إنه لا يكاد يقصد بلداً لحربه حتى يتولّى أهله من دونه هرباً إذ يتولاهم الرعب لما أُثِرَ عن الممدوح من بطش وهول، فكأنّ الرعب يقاتل معه في صفوفه.

(٦) الوغى: الحرب. والجحفل: الجيش الهائل المُرَوِّع، واللجب: الكثير الصخب. يقول: إن له همّةً أو شجاعة توازي همّة جيش عظيم بأكمله.

(٧) يقول: كان قتالك في اللّه مستنصراً لدينه، ولو كان قتالك لغير دين اللّه لم تُنْصَرْ عليهم ولم تَصِبْهم، وهو إنما يمدحه بالجهاد المقدس الذي ينال به مرضاة اللّه ومؤازرته.

(٨) أشبّوها: حصنوها، وصعبّوا أمرها، وحقيقته لفّفوا حولها الجند، من قولهم تأشبت الغيضةُ: إذا التفت أغصانها، والغيضة: مجتمع الشجر في مغيض الماء، أو الأجمة، ومغيض الماء: مجتمع الماء ومدخله إلى الأرض. وهنا كناية عن إحاطتهم بالرماح الكثيرة التي توشك أن تشتبك كأغصان الشجر. يقول: إنهم أحاطوها بالسلاح الكثير، مطمئنين إلى مناعتها، فإذا هي تنهار دونهم، لأن اللّه هو الذي فتحها عليهم.

(٩) ذو أمرهم: رئيسهم. ومرتع: المكان الذي ترتع فيه الراعية: والصدد: المكان الداني القريب،=

أَمَـانِيـاً سَلَبْتَهُـمْ نُجْـحَ هَـاجِسِهـا ظُبَى السُّيوفِ وأطْرافُ ٱلقَنَا السُّلُبِ [(١)]

إنَّ الحِمَـامَيْنِ مِنْ بِيضٍ ومِـن سُمُـرٍ دَلْوَا الحَيَاتَيْنِ مِن مَـاءٍ ومن عُشُبِ [(٢)]

لَبَّيْتَ صَـوْتاً زِبَـطْرِيّـاً هَـرَقْتَ لَـهُ كَأْسَ الكَرَى ورُضَابَ الخُرَّدِ العُرُبِ [(٣)]

عَـداكَ حَـرُّ الثُّغُـورِ المُسْتَضَامَـةِ عَنْ بَـرْدِ الثُّغورِ وعَنْ سَلْسَالِها الحَصِبِ [(٤)]

أَجَبْتَـهُ مُعْلِنـاً بـالـسَّيْفِ مُنْصَلِتـاً وَلَـوْ أَجَبْتَ بِغَيْـرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ [(٥)]

حتّى تَـرَكْتَ عَمـودَ الشِّـرْكِ مُنْعَفِـراً ولَم تُعَـرِّجْ عَلى الأَوْتَـادِ وَالـطُّنُبِ [(٦)]

= والسارحون: الذين يسرحون دوابهم للمرعى. والكثب: القرب. يقول: إن رئيسهم سكّن روعهم بالقول: لا تخافوا، فإنهم لن يجدوا مرعى ولا مسرحاً لدوابهم، ولا ماء قريباً يردونه، ولن يطول أمرهم، حتى يتولّوا، إذ ستضيق عليهم سبل البقاء والصمود.

(١) الهاجس: هنا الفكر والمؤمّل. وظبى: جمع ظُبة، وهو حدّ السيف. والسلب: الطويل من الرماح، أو جمع سلوب: وهو الذي يسلب الناس أرواحهم وأموالهم. يقول: إن فألهم ذاك خاب إذ أخمدته في نفوسهم الرماح والسيوف التي سلبتهم أموالهم وأرواحهم، وبدّدتهم كلّ تبديد.

(٢) الحمام: الموت ، والبيض: السيوف. والسمر: القنا، أي الرماح. يقول: إن القوم لا يهنأون فيما يرتعون من ماء يحمونه أو عُشب يرعونه إلّا إذا بذلوا من دونهما الأرواح قتلاً بالسيوف والرماح. أي: أن الراحة والدعة لا يقيمان إلّا بالكفاح والتعب.

(٣) هَرَق: لغة في أراق. والرضاب: الريق. والخُرَّد: جمع الخريدة، وهي المرأة الحييّة. والعرب: جمع العروب، وهي المتحببة إلى زوجها. وزبطري: منسوب إلى زبطرة، وهي بلد فتحه الروم. فبلغ المعتصم فيما قيل: إن إمرأة قالت ذلك اليوم وهي مَسْبِيَّة: وامعتصماه! فنُقل إليه ذلك الحديث، وفي يدهِ قدح يريد أن يشرب ما فيه، فوضعه وأمر بأن يحفظ، فلما رجع من فتح عمورية شرب، يقول: إنه لبّى نداء تلك المرأة، مانعاً نفسه من الدعة والنعيم والتلهي بمعاتبة النساء الناعمات.

(٤) الثغور الأولى: جمع الثغر، وهو الموضع الذي يخاف أن يأتي منه العدو. والثغور الثانية: من ثغر الإنسان. والسلسال: الماء الصافي السهل الدخول في الحلق. والحصب: الذي فيه الحصباء، وهو صغار الحصى. وإنما أراد بالسلسال، الريق، وجعله حصباً، لأن فيه السنان ـ وعداك: أي صرفك عن برد هذا الريق في ثغور الحسان ما في قلبك من أمر الثغور التي أُبيحت وتمكّن العدوّ منها. وفي البيت مطابقة ومجانسة، فالمطابقة بالحر والبرد. والمجانسة بالثغور والثغور.

(٥) المنصلت: المتجرد. يقول: إنك أجبت المرأة الزبطرية التي استنجدت بك بالسيف مجرّداً للقتال، ولو لم تهرع إليها لظلّت استغاثتها دون منجد. وتحرير المعنى: أن كلّ جواب دون قتال لا طائل منه.

(٦) عمود: هنا عمود الخيمة. والمتعفر: المتمرغ في التراب. والأوتاد: جمع الوتد، الخشبة التي تغرز في الأرض وتُربط بها حبال الخيمة. والطنب: جمع الطنب، وهو الحبل الذي توثق به الخيمة في الأوتاد. يقول: إنك لم ترضَ بأن تغشى من المشركين قراهم وملاجئهم الضعيفة، بل نهدت إلى معاقلهم الحصينة، فدمّرتها وهدمت عمود قوتهم، ولم تكتفِ بما دونه.

لَمَّا رَأَى الحَرْبَ رَأْيَ العَيْنِ تُوفَلِسٌ ... والحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنَى مِنَ الحَرَبِ[(١)]

غَدَا يُصَرِّفُ بِالأَمْوالِ جِرْيَتَها ... فَعَزَّهُ البَحْرُ ذُو التَّيَّارِ والحَدَبِ[(٢)]

هَيْهَاتَ! زُعْزِعَتِ الأَرْضُ الوَقُورُ بِهِ ... عَن غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غَزْوِ مُكتسِبِ[(٣)]

لَمْ يُنفِقِ الذَهَبَ المُرْبي بكَثْرَتِهِ ... على الحَصَى وبِهِ فَقْرٌ إلى الذَّهَبِ[(٤)]

إنَّ الأُسُودَ أسُودَ الغِيلِ هِمَّتُها ... يَومَ الكَرِيهَةِ في المَسْلوبِ لا السَّلَبِ[(٥)]

وَلَّى، وَقَدْ أَلجَمَ الخَطِّيُّ مَنْطِقَهُ ... بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الأَحْشَاءُ في صَخَبِ[(٦)]

أَحْذَى قَرَابِينَهُ صَرْفَ الرَّدَى وَمَضى ... يَحْتَثُّ أَنْجى مَطَاياهُ مِنَ الهَرَبِ[(٧)]

مُوَكِّلاً بِيَفَاعِ الأَرْضِ يُشْرِفُهُ ... مِنْ خِفَّةِ الخَوْفِ لا مِنْ خِفَّةِ الطَرَبِ[(٨)]

---

(١) الحرب: ذهاب المال والهلاك. وتوفلس: من قوّاد الروم. يقول: إن قائد الروم إذ شاهد بطش الممدوح بأمِّ عينيه وتحقق من الهلاك المحتم. . . (تكملة المعنى في البيت التالي).

(٢) الجرية: من جري الماء، وقد قرن به زحف الجيش الكبير. وعزّه: غلبه. والتيار: الموج الذي يأتي تارة بعد أخرى. والحدب: ارتفاع الماء مرة بعد أخرى، يقول مكملاً المعنى السابق: إن قائد الروم إذ شاهد الجيش زاحفاً عليه كالسيل حاول أن يدفعه ببذل المال، إلا أن المعتصم أبى أن يرتشي به عن الثأر والقتال في سبيل اللّٰه.

(٣) هيهات: اسم فعل للدلالة على البعد والنأي. وزعزعت: حركت، وهنا بمعنى زلزلت. والوقور: بمعنى الصلابة والثبات. والمحتسب: من يعمل ليوم الحساب. يقول: إنه زلزل الأرض زلزالاً في غزوه الذي ابتغى منه مرضاة اللّٰه من دون أية غاية أخرى فهو يقاتل لاكتساب الأجر لا المال.

(٤) المربي: الزائد الكثير. يخاطب توفلس، ويقول: لم ينفق الذهب الكثير الذي هو أكثر من الحصى رغبة فيما تبذله من الذهب، بل لينتقم منك، ويقابلك بسوء صنيعك أو تُسَلِّم.

(٥) الكريهة: الحرب الشديدة. والغيل: الغابة الكثيفة التي يلجأ إليها الأسد. يقول: إن جند الممدوح لا يحفلون لما يكسبونه من سبي بل بأصحابه، أي: أنهم يقتلون المشركين، ويعفُّون عن أملاكهم وأموالهم، أو أنهم لا يأبهون لها.

(٦) ولى: يعني توفلس. والخطي: الرمح منسوب إلى الخط، وهو سيف عُمَان. وألجمه: أي كان له كاللجام. والصخب: أصله كثرة الكلام في الغضب، وهنا، وجيب القلب من الفزع. والمعنى: أنه أخرسه بالسيف.

(٧) أحذى: أعطى. والقرابين: جلساء الملك، وهي جمع القربان، وأصلها من فعل قَرُب لدنوّ هؤلاء من صاحب السلطة. ويحتث: يدفع ويحض. والأنجى: هنا الأسرع في النجاة. يقول: إنه بعد أن صُرِعَ أتباعه تولّى هارباً، يحث مطاياه الأسرع عدواً، ناجياً بنفسه هارباً.

(٨) الموكّل: هنا الدائم التنبه. واليفاع من الأرض: المرتفع. ويشرفه: أي يعلوه ويرتفع عليه. يقول: إنه لا يزال يستشرف ما دونه من أراض، وهو مقيم على مرتفع ليستطلع السبل إذا كان فيها من يقتفي أثره. =

إنْ يَعْـدُ مِنْ حَرِّهَـا عَدْوَ الـظَّليم، فَقَدْ ... أَوْسَعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْـرَةِ الحَطَبِ(١)

تِسْعُونَ أَلْفاً كـآسَـادِ الشَّـرَى نَضِجَتْ ... جُلُودُهُمْ قَبْـلَ نُضْـجِ التِّينِ والعِنَبِ(٢)

يـا رُبَّ حَـوْبَـاءَ لَمَّـا اجْتُثَّ دَابِـرُهُمْ ... طَابَتْ وَلَوْ ضُمِّخَتْ بالمِسْكِ لم تَطِبِ(٣)

ومُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ الـسُّيـوفِ بِـهِ ... حَيَّ الرِّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الغَضَبِ(٤)

والحَـرْبُ قـائِمَــةٌ في مَــأْزِقٍ لَجِـجٍ ... تَجْثُـو القِيَامُ بِـهِ صُغْراً على الـرُّكَبِ(٥)

كَمْ نِيـلَ تحتَ سَنـاهَـا مِن سَنا قَمَـرٍ ... وتَحْتَ عـارِضِها مِنْ عَـارِضٍ شَنِبِ(٦)

= ويردف بأنه بدا سريعاً خفيفاً في عدوه واستطلاعه لشدة ذعره، لا من شدة حماسه وطربه.

(١) يعدو: يركض. والظليم: ذكر النعام، وهو شديد الذعر، كثير الهرب. وأوسعت: أغنت. والحاجم: الذي يضرم النار العظيمة، يقول: إنه يهرب مذعوراً كالظليم النافر المستطار اللب، ولكنه خلّف أثره من القتلى ما اضطرم به جحيم القتال أي اضطرام.

(٢) يقول: إن جيش الروم كـان تسعين ألفاً جـاء أجلهم قبل أن ينضـج التين والعنب. وقد تهكم بقـول المنجمين. فقد قيل: إنما يفتح مدينتنا أولاد الزنا، فإن أقام (أي أقلع) هؤلاء إلى زمان التين والعنب، لم يفلت منهم أحـد، فبلغ المعتصم قولهم، فقـال: أرجو أن يكفيني اللّه أمـرهم قبل نضـج التين والعنب. ويقال: إن الصولي قال: فأما روايتهم أنه لا يفتح مدينتهم إلّا أولاد الزنا فما أريد أكثر ممّن معي منهم، يعني الأتراك الذين كانوا في جيشه. وقد بيّن هذا في قوله: «السيف أصدقُ أنبـاء من الكتب». ويقال: إن بعض من كان بعمورية من الرهبان، قال: إنّا نجد في كتبنا أنه لا يفتح هذه البلدة إلا ملكٌ يَغْرِسُ في ظاهرها شجر التين والكرم، ويقيم حتى يثمرا، فأمر المعتصم بأن يُغْتَرس التينُ والكرمُ، فكان الفتح قبل ذلك. فاستعار النضج للإعمار، لما قابله بنضج التين والعنب.

(٣) الحوباء: النفس. واجتث دابرهم: قطع أصلهم. ضمخ: طلس بالطيب. وطابت: اطمأنت. يقول: إن نفوس الرعية قد اطمأنت وطابت عند استئصالهم والإجهاز عليهم، وكانت قبـل ذلك لا تـطيب ولا تطمئنّ، وإن نُفِحَتْ بالطيب لشدة الهمّ والغيظ.

(٤) يقول: لكم كان بين المسلمين من امرىء، غاضب ساخط من أهل عمورية حتّى إذا اجتُثّوا وأُبيدوا عادَ مطمئناً راضياً، قد سكّن موتهم غضبه.

(٥) المأزق: الضيق. ولج: ضيق. وصغراً: أذلاء، ويروى: «تجثو الكماة» والكماة: الأبطال. يصف شدة الحرب ويقول: إنما اشتدت حتى لج المتحاربون وتضايقوا، وحتّى أنهم لم يعودوا يطيقون القيام على أرجلهم، فَجَثوا إرهاقاً، مكرهين.

(٦) سناها: هنا كناية عن نارها المتأجج وهو ضوْؤها، وسنا القمر: هنا المرأة المتألقة الجمـال كالقمـر. العارض الأول: السحاب، أو المطر الشديد الانهمار، أي: عارض الحرب التي تمطر المنايا، والعارض الثاني: ما يعرض من الأسنان، يقال للناب والضـرس الذي يليـه عارض. والشَنَبُ: بَـرْدُ الأسنان، ويقال: حدة أطرافها. يظهر الشاعر فرحه بما سبى المسلمون من نساء المشركين المتألقات الجمال كالقمر، الباردات الثغور.

كَمْ كَانَ في قَطْعِ أَسبَابِ الرِّقَابِ بِها ... إلى المُخَدَّرَةِ العَذْراءِ مِنَ سَبَبِ[1]

كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً ... تَهْتَزُّ مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ في كُثُبِ[2]

بيضٌ، إذَا انتُضِيَتْ مِن حُجْبِهَا، رَجعَتْ ... أَحَقُّ بالبيضِ أَتْراباً مِنَ الحُجُبِ[3]

خَلِيفَةَ اللهِ جَازَى اللَّهُ سعْيَكَ عَنْ ... جُرْثُومَةِ الدِّيْنِ والإسْلَامِ والحَسَبِ[4]

بَصُرْتَ بالرَّاحَةِ الكُبْرَى فَلَمْ تَرَها ... تُنَالُ إلَّا على جسْرٍ مِنَ التَّعَبِ[5]

إنْ كانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِن رَحِمٍ ... مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ[6]

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتي نُصِرْتَ بِهَا ... وبَيْنَ أيَّامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ[7]

أَبْقَتْ بَني الأَصْفَرِ المِمْرَاضِ كاسِمِهِمُ ... صُفْرَ الوجُوهِ وجَلَّتْ أَوْجُهَ العَرَبِ[8]

ـ شرح ديوان أبي تمام، للتبريزي ١ / ٤٠ ـ ٧٤.
ـ شرح ديوان أبي تمام، لايليا حاوي، ص ٢٢ ـ ٣٣.

---

(١) السبب: الحبل، وهنا عِرْق الرقبة، والمخدرة: المرأة، أو ذات الخدر، ولا يمتنع أن يعني بها عمورية، لأنه قد شبهها بالبكر في أول القصيدة، والأجود ها هنا أن يعني بها المرأة العذراء المقيمة في خدرها، والعذراء: البكر. يكرر المعنى السابق، ويقول: إن قتلهم للمشركين أدى بهم إلى إدراك بناتهم الجميلات المحصّنات.

(٢) قضب الهندي: السُيوف من صناعة الهند. وقضب الثانية: الغصون أو القدود التي تشبه بالقُضُب. ومصلتة: مشهورة. وكثب: جمع الكثيب من الرمل. يقول: إن سيوف المحاربين أحرزت لهم من السبايا من يشبه خصرها القضيب وردفها الكثيب.

(٣) البيض الأولى: السيوف، وانتضيت: سلّت . والحجب: الأغماد. والبيض الثانية: النساء. والأتراب: جمع التِّرب، وهو الرفيق والصاحب الذي نشأ معه، وله مثل عمره. ويروى أبداناً، وهي من صفات نساء الروم. والحجب الثانية: مخادع النساء. يقول: إن لنساء الروم مثل فتك السيوف المجردة القاتلة، وفي البيت تجنيس وتصدير ، فالتجنيس: بيض وبيض، والتصدير ردّ العجز على الصدر، قال في النصف الأول حجبها ثم قفّى بالحجب. وهذا قليل من كثير عند أبي تمام لأنه مولع ومغرم باستخدام الأساليب البلاغية، ويمكن تفسير البيْت على الوجه التالي: إن هذه السيوف أحقّ أن تغمد في صدور الأعداء البيض، أبداناً، من أن تغمد في أغمادها.

(٤) الجرثومة: الأصل، يكرر مدحه إيّاه بالجهاد.

(٥) يقول: لقد أدركت أن الطمأنينة لا تنال إلاّ بالكفاح والضنى.

(٦) الذمام: الحرمة. ومنقضب: منقطع. وصروف الدهر: أحداثه.

(٧) بدر: هو اسم الموقعة التي انتصر بها النبي ﷺ على المشركين. يقول: إن كانت أحداث الدهر التي تُنْزِل الهلاك في الخصوم تتولد وتتناسل عبر الزمن، فإن نصرك في عمورية هو حفيد نصر النبي ﷺ في بدر على كفار قريش.

(٨) الممراض: الكثير المرض، وبنو الأصفر: الروم. وهم فيما يزعم أهل الكتاب من ولد العيص بن=

٦ ـ قصيدة دِعْبِل الخزاعي[١] في مدح آل البيت[٢]

(من بحر الطويل)

مَـدَارِسُ أَيَـاتٍ خَـلَـتْ مِـن تـلاوةٍ ... وَمَنـزِلُ وَحيٍ مُقفـرُ ٱلْعَـرَصَـاتِ[٣]

لِآلِ رَسُـولِ اللهِ بِـالْخَيْفِ مِنْ مِنىً ... وَبِـالـرُّكْنِ وَالتَّعْـرِيفِ وَالْجَمَـرَاتِ[٤]

دِيَـارُ عَلِيٍّ وَالْـحُسَيْنِ وَجَعْـفَـرٍ ... وَحَمْـزَةَ وَالسَّجَّـادِ ذِي الثَّفِنَـاتِ[٥]

= إسحاق بن إبراهيم. وبعض الناس يقول: الروم جيل قديم كان قبل إبراهيم. وقال: الممراض ليدل على أن صفرته كانت من مرض لا من خلقه. وقال:«كاسمهم» وهو يريد اسم أبيهم على المجاز، لأنهم إذا ذكروا قيل بنو الأصفر فعرفوا بذلك فصار كالاسم لهم. وقد يجوز أن يسمّى نعت الرجل وكنيته ولقبه اسماً له.

(١) هو دعبل بن علي بن رَزِين الخزاعي، ويكنى أبا علي، ولد سنة ١٤٨ هـ/٢٤٦ م. وهو شاعر مطبوع مُفْلِقٌ، يقال: إن أصله من الكوفة، وكان أكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها من البلاد، فدخل دمشق ومصر، وكان هجاءً خبيث اللسان، لم يَسْلم منه أحد من الخلفاء ولا من الولاة أو الوزراء، ولا من أولادهم، ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن، فمن الخلفاء: الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق، وكان من مشاهير الشيعة، وقصيدته التائية ـ أي هذه ـ في أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدائح. توفي ببلدة تدعى الطيب بين واسط وخوزستان، سنة ٢٤٦ هـ/٨٦٠ م. انظر ترجمته في: الشعر والشعراء، ص ٥٣٩ ـ ٥٤١. والأغاني ٢٠/٦٨ ـ ١٤٥. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٨. ومعجم الأدباء ١١/٩٩ ـ ١١٢. ومقدمة ديوان دعبل، تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي، ص ١٣ ـ ٨٩. والأعلام ٢/٣٣٩.

(٢) يقول صاحب معجم الأدباء ١١/١٠٣: وقصيدته التائية قصد بها أبا عليٍّ بن موسى الرضا بخراسان. فأعطاه عشرة آلاف درهم وخلع عليه بردة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قمّ ثلاثين ألف درهم فلم يبعها، فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها، فقال لهم: إنها تُرَادُ للّه عزّ وجلّ وهي محرمةٌ عليكم، فدفعوا له ثلاثين ألف درهم فحلف ألّا يبيعها أو يُعْطُوه بعضها ليكون في كفنه، فأعطوه كُمًّا واحداً، فكان في أكفانه، ويقال: إنه كتب القصيدة في ثوب، وأحرم فيه، وأوصى بأن يكون في أكفانه، ونسخ هذه القصيدة مختلفة، في بعضها زيادات يُظَنُّ أنها مصنوعةٌ ألحقها بها أُناس من الشيعة، وإنا موردونَ هنا ما صحّ منها. ويقول محقق الديوان (ص ١٢٤) قال دعبل هذه القصيدة التائية الخالدة يذكر فيها ما أصاب آل البيت من كوارث وألمّ بهم من رزايا وحوادث. وقد قمت بتدوين الأبيات التي أشار إليها ياقوت.

(٣) المقفر: الخالي. والعرصات: جمع العرصة، وهي ساحة الدار. يقول: خلت ديار آل البيت بعد ما كانت مدارس لتلاوة القرآن الكريم، ومهبط وحي الرسول ﷺ.

(٤) الخيف: خيف منى الذي ينسب إليه مسجد الخيف. والتعريف والجمرات: مواضع في منى ترمى فيها الجمرات.

(٥) لعله يريد الإمام علي بن أبي طالب وابنه الإمام الحسين الشهيد سنة ٦١ هـ. وجعفراً الطيار اخا الإمام =

دِيَـارٌ عَفَـاهَـا كُـلُّ جَـوْنٍ مُبَـاكِـرٍ ... وَلَـمْ تَعْـفُ لِـلأَيَّـامِ وَالسَّـنَـوَاتِ[1]
قِفَـا نَسْـأَلِ الـدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَـا ... مَتَى عَهْـدُهَا بِـالصَّـوْمِ وَالصَّلَوَاتِ؟[2]
وأَيْنَ الأُولَى شَـطَّتْ بِهِمْ غُرْبَـةُ النَّـوَى ... أَفَـانِـينَ فـي الآفَـاقِ مُفْـتَـرِقَـاتِ[3]
هُمُ أَهْـلُ مِيـرَاثِ النَّبِـيِّ إِذَا اعْتَـزَوْا ... وَهُمْ خَيْـرُ قَـادَاتٍ وَخَيْـرُ حُمَـاةِ[4]
وَمَـا النَّـاسُ إِلَّا حَـاسِـدٌ وَمُكَـذِّبٌ ... وَمُـضْـطَغِـنٌ ذُو إِحْـنَـةٍ وَتِـرَاتِ[5]
إِذَا ذَكَـرُوا قَـتْـلَى بِـبَـدْرٍ وَخَيْـبَـرٍ ... وَيَـوْمِ حُنَيْـنٍ أَسْبَلُوا الْـعَـبَـرَاتِ
قُـبُـورٌ بِكُـوفَـانٍ وَأُخْـرَى بِـطَيْـبَـةٍ ... وَأُخْـرَى بِـفَـخٍّ نَـالَهَـا صَـلَوَاتِي[6]

= علي وابن عم الرسول ﷺ، وكان من عظماء المجاهدين، استشهد بمؤتة من أرض الشام مجاهداً للروم في حياة النبي ﷺ سنة ٨ هـ بعد أن قطعت يداه فعوضه الله عنهما بجناحين يطير بهما في الجنة. وحمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، أبو عمارة أسد الله وأسد رسوله، هاجر مع الرسول عليه الصلاة والسلام وشهد بدراً وأبلى في ذلك واستشهد في وقعة أحد سنة ٣ هـ. فبقرت هند أم معاوية بطنه ولاكت كبده تشفياً. والسجاد ذو الثفنات: هو الإمام زين العابدين أبو محمد علي بن الحسين بن علي، كانت بين عينيه ثفنة البعير من كثرة السجود، طيف به بعد قتل أبيه إلى الشام والغل في يديه وعنقه. توفي مسموماً سنة ٩٤ أو ٩٥ هـ.

(١) الجون: سحاب أسود ممطر. وعفاها: محاها.

(٢) خف القوم: ارتحلوا مسرعين.

(٣) شطت: بعدت، وأفانين: أنواع وأحوال. والنوى: البعد. يريد أن النوى ذهب بهم مذاهب شتى.

(٤) إحنة: حقد وعداوة. والتراث جمع الترة: الثأر، أي للموتور الذي قتل له قتيل، وذو ترات: ذو دماء.

(٥) بدر وخيبر وحنين: أمكنة دارت فيها معارك بين المسلمين، والمشركين، كانت وقعة بدر في السنة الثانية للهجرة، وكان النصر فيها حليف المسلمين. وكانت وقعة خيبر في السنة السابعة. وكانت وقعة حنين في السنة الثامنة، بعد فتح مكة، بين الرسول ﷺ وبين هوازن وثقيف، وانهزم الناس مع كثرتهم، غير أنه ثبت مع النبي الإمام علي والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب حتى انتصر المسلمون وهزم المشركون. وأسبلوا العبرات: أذرفوا الدموع.

(٦) كوفان أو الكوفة مصّرت سنة ١٧ أو ١٩ هـ، استوطنتها قبائل عربية متعددة، ولها تاريخ حافل طويل، وفي الكوفة في مسجدها اغتيل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سنة ٤٠ هـ. وفيها طعن الحسن بن علي. ومن الكوفة زحفت الجيوش الجرارة لحرب الحسين بن علي في كربلاء سنة ٦١ هـ. وفي طيبة ـ المدينة المنورة ـ قبور الحسن بن علي (ت ٥٠هـ). وعلي بن الحسين (ت ٩٥ هـ). والباقر أبي جعفر محمد بن علي (ت ١١٤ هـ) والصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد (ت ١٤٨ هـ). رضي الله عنهم. وفي فخ (واد بمكة) قبر الحسين بن علي بن الحسن، وقبور آخرين، استشهدوا في أيام بني العباس سنة ١٦٩ هـ.

وَقَـبْـرٌ بِـبَـغْـدَادٍ لِـنَـفْـسٍ زَكِـيَّـةٍ ... تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ في الْغُرُفَاتِ(١)

فَأَمَّا الْمُصِمَّاتُ الَّتِي لَسْتُ بَالِغاً ... مَبَالِغَهَا مِنِّي بِكُنْهِ صِفَاتِ(٢)

إِلَى الْحَشْرِ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ قَائِماً ... يُفَرِّجُ مِنْهَا الْهَمَّ وَالْكُرُبَاتِ

نُفُوسٌ لَدَى النَّهْرَيْنِ مِنْ أَرْضِ كَرْبَلاَ ... مُعَرَّسُهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فُرَاتِ(٣)

تَقَسَّمَهُمْ رَيْبُ الزَّمَانِ كَمَا تَرَى ... لَهُمْ عُمْرَةٌ مَغْشِيَّةُ الْحُجُرَاتِ(٤)

سِوَى أَنَّ مِنْهُمْ بِالْمَدِينَةِ عُصْبَةً ... مَدَى الدَّهْرِ أَنْضَاءً مِنَ الأَزَمَاتِ(٥)

قَلِيلَةَ زُوَّارٍ سِوَى بَعْضِ زُوَّرٍ ... مِنَ الضُّبْعِ وَالْعِقْبَانِ وَالرَّخَمَاتِ(٦)

لَهُمْ كُلَّ حِينٍ نَوْمَةٌ بِمَضَاجِعٍ ... لَهُمْ فِي نَوَاحِي الأَرْضِ مُخْتَلِفَاتِ

وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَأَهْلِهَا ... مَغَاوِيرُ يُخْتَارُونَ فِي السَّرَوَاتِ(٧)

تَنَكَّبُ لأْوَاءُ السِّنِينَ جِوَارَهُمْ ... فَلاَ تَصْطَلِيهِمْ جَمْرَةُ الْجَمَرَاتِ(٨)

إِذَا وَرَدُوا خَيْلاً تَشَمَّسَ بِالْقَنَا ... مَسَاعِرُ جَمْرِ الْمَوْتِ وَالْغَمَرَاتِ(٩)

وَإِنْ فَخَرُوا يَوْماً أَتَوْا بِمُحَمَّدٍ ... وَجِبْرِيلَ وَالْفُرْقَانِ ذِي السُّورَاتِ

مَلاَمَكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ ... أَحِبَّايَ مَا عَاشُوا وَأَهْلُ ثِقَاتِي(١٠)

---

(١) وفي بغداد، قبر: موسى الكاظم (ت ١٨٣ هـ) ومحمد الجواد علي بن موسى (ت ٢٢٠ هـ) رحمهما الله

(٢) المصمات: يريد السادة من قتلى كربلاء. والكنه: جوهر الشيء وحقيقته، أي: لا أستطيع أن أصف حقيقة صفاتهم.

(٣) نفوس: خبر المصمات. والمعرس: من التعريس، النزول في المكان. أما النفوس فهي: الحسين بن علي وأصحابه الذين استشهدوا سنة ٦١ هـ.

(٤) العمرة: الزيارة.

(٥) أنضاء: صفة عصبة.

(٦) الرخمات: مفردها الرخمة، طائر من الخبائث لا يؤكل لحمه.

(٧) المغاوير: جمع مغوار، المقاتل كثير الغارات. والسروات: جمع سراة، اسم الجمع لسري، وهو الشريف ذو المروءة يريد أنهم معدودون في السروات.

(٨) اللأواء: الشدة وضيق العيش. وتنكب: تعدل عنهم.

(٩) تَشَمَّسَ الفرس: منع ظهره، وأبى الركوب. والمساعر: جمع المِسْعَر، فاعل تشمس، وهو موقد النار. يقال: هو مِسْعَرُ الحرب. أي: موقد نار الحرب كأنه آلة لإيقاد نارها، يريد: أنهم إذا وردوا حرباً، كان بهم ما بالخيل من تشمس، فيسعرون جمرات الموت بالقنا، ولن يردهم عنها راد.

(١٠) ملامك: أي دع لومك إياي.

تَخَيَّرْتُهُمْ رُشْداً لأَمْرِي فَإِنَّهُمْ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ خِيرَةُ الْخِيَرَاتِ

فَيَارَبِّ زِدْنِي مِنْ يَقِينِي بَصِيرَةً ... وَزِدْ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي

بِنَفْسِيَ أَنْتُمْ مِنْ كُهُولٍ وَفِتْيَةٍ ... لِفَكِّ عُنَاةٍ أَوْ لِحَمْلِ دِيَاتِ(١)

أُحِبُّ قَصِيَّ الرَّحْمِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ ... وَأَهْجُرُ فِيكُمْ أُسْرَتِي وَبَنَاتِي(٢)

وَأَكْتُمُ حُبِّيكُمْ مَخَافَةَ كَاشِحٍ ... عَنِيدٍ لأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرِ مُوَاتِ(٣)

لَقَدْ حَفَّتِ الأَيَّامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا ... وَإِنِّي لأَرْجُو الأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي

أَلَمْ تَرَ أَنِّي مِنْ ثَلاَثِينَ حِجَّةً ... أَرُوحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ(٤)

أَرَى فَيْئَهُمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسَّماً ... وَأَيْدِيهِمُ مِنْ فَيْئِهِمْ صَفِرَاتِ(٥)

فَآلُ رَسُولِ اللهِ نُحْفٌ جُسُومُهُمْ ... وَآلُ زِيَادٍ حُفَّلُ الْقَصَرَاتِ(٦)

بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ ... وَآلُ رَسُولِ اللهِ فِي الْفَلَوَاتِ(٧)

إِذَا وُتِرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وِتْرِهِمْ ... أَكُفّاً عَنِ الأَوْتَارِ مُنْقَبِضَاتِ(٨)

فَلَوْلاَ الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْغَدٍ ... لَقَطَّعَ قَلْبِي إِثْرَهُمْ حَسَرَاتِ

خُرُوجُ إِمَامٍ ـ لاَ مَحَالَةَ ـ خَارِجٍ ... يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللهِ وَالْبَرَكَاتِ(٩)

يُمَيِّزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ ... وَيَجْزِي عَلَى النَّعْمَاءِ وَالنَّقِمَاتِ

سَأَقْصُرُ نَفْسِي جَاهِداً عَنْ جِدَالِهِمْ ... كَفَانِيَ مَا أَلْقَى مِنَ الْعَبَرَاتِ

فَيَانَفْسُ طِيبِي ثُمَّ يَا نَفْسُ أَبْشِرِي ... فَغَيْرُ بَعِيدٍ كُلُّ مَا هُوَ آتِ

---

(١) العناة: جمع العاني، الأسير. والديات: جمع الدية، التعويض الذي يعطى لذوي القتيل، والمعنى: انهم يفكون الأسرى ويحملون الديات عمن تلزمه.

(٢) قصي الرحم: بعيد القرابة.

(٣) الكاشح: الكاره، المبغض، العدو. والمواتي: المناصر.

(٤) الحجة: السنة،

(٥) الفيء: الخراج، أو الغنيمة. وصفرات: خاليات. يريد: أن أيديهم صفر من حقّهم المتقسم ظلماً.

(٦) حفل القصرات: ضخام الأعناق، كناية عن سمنهم.

(٧) الفلوات: جمع الفلاة، وهي الصحراء.

(٨) وتروا: ظلموا، والوتر: الظلم والانتقام. والأتار: جمع الوَتَر، الذي يشد به على عود اللهو. يريد: أنهم لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم.

(٩) خارج: صفة لإمام، وخبر لا محذوف تقديره واقع.

فَـإِنْ قَـرَّبَ الـرَّحْمَنُ مِنْ تِلْكَ مُـدَّتِي وَأَخَّـرَ مِنْ عُمْـرِي لِـطُولِ حَيَـاتِي
شُـفِيتُ وَلَمْ أَتْـرُكْ لِـنَفْـسِي رَزِيَّـةً وَرَوَّيْـتُ مِنْـهُمْ مُنْصُـلِي وَقَـنَـاتِـي[1]
أُحَـاوِلُ نَقْـلَ الشَّمْسِ مِنْ مُسْتَقَـرِّهَـا وَأُسْمِـعُ أَحْجَـاراً مِنَ الـصَّـلَدَاتِ
فَمِنْ عَـارِفٍ لَـمْ يَنْتَفِـعْ وَمُعَـانِـدٍ يَـمِيـلُ مَـعَ الأَهْـوَاءِ وَالشُّبُـهَـاتِ
قُصَارَايَ مِنْـهُـمْ أَنْ أَمُـوتَ بِـغُـصَّـةٍ تَـرَدَّدُ بَـيْـنَ الـصَّـدْرِ وَالـلَّهَـوَاتِ[2]
كَـأَنَّـكَ بِـالأَضْـلَاعِ قَـدْ ضَـاقَ رَحْبُـهَـا لِمَـا ضُمِّـنَتْ مِـنْ شِـدَّةِ الـزَّفَـرَاتِ

- معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١/١٠٣ - ١١٠.
- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، ص ١٣١ - ١٤٥.

٧ - قصيدة ابن الرومي[3] في وحيد

(من الخفيف)

يَـا خَـلِيـلَيَّ تَـيَّـمَـتْـنِـي وَحِـيـدُ فَـفُـؤَادِي بِـهَـا مُـعَـنًّـى عَـمِـيـدُ[4]

---

(١) الرزية: المصيبة، والمنصل: السيف، والجمع المناصل، سمي بذلك لبروزه وصفائه وجلائه. والقناة: الرمح، والجمع القَنَا.

(٢) قصاراي: يقال: قصاراك أن تفعل كذا: أي جهدك وآخر أمرك، أي: جهدي وغايتي منهم أن أموت. . . . واللهوات واللها: جمع اللها، اللحمة المشرفة على الحلق.

(٣) هو علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، أبو الحسن، ولد سنة ٢٢١ هـ /٨٣٦ م. رومي الأصل، ولد ونشأ ببغداد من أب رومي وأم فارسية، أثر تراثه اليوناني الفارسي في عبقريته فجاء بشعر غريب الأسلوب والفن عن أهل زمانه. كان ضيّق الأخلاق، متشائماً متطيراً، ملحاً في السؤال، خبيث اللسان، فلم يقربه إليه أحد. تغنى بجمال الطبيعة، ويقال: إنه ما مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس، إلاّ وعاد إليه فهجاه، ولذلك تحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفـاته، حيث دسّ له القاسم بن عبيد اللّه وزير المعتضد سماً، فمات مسموماً سنة ٢٨٣ هـ /٨٩٦ م. وكان ابن الرومي قد هجاه. ويقال: إنه كان من أكبر كتاب الدواوين، فغلب عليه الشعر، لأنه غلابٌ. انظر ترجمته وأخباره في: العمدة ١/٧٧، ١٦١، ١٦٥، ٢١٢، ٢١٤. وغيرها من المواضع. ووفيات الأعيان ١/٣٥٠. ومعاهد التنصيص ١/١٠٨. والمنجد في اللغة والأعلام. والأعلام ٤/٢٩٧. وابن الرومي شاعر الغربة النفسية، للدكتور فوزي عطوي. وابن الرومي، حياته وشعره، لإبراهيم عبد القادر المازني. وانظر: ثقافة الناقد الأدبي للدكتور محمد النويهي. وابن الرومي ، فنه ونفسيته من خلال شعره ، لإيليا حاوي . وابن الرومي، حياته من شعره، عباس محمود العقاد. وابن الرومي، حياته وشعره، روفون جست، ترجمة د. حسين نصار. وانظر بشأن تحليل هذه القصيدة دراسات في الأدب العربي لكاظم حطيط، ص ٨٠ - ٨٩. وابن الرومي، لإيليا حاوي، ص ١٧٩ - ١٩٩.

(٤) تيمتني: استعبدتني بحبّها. ومُعنّى: متعب. وعميد: مريض. ووحيد: مغنية.

غـادةٌ زَانَـهـا مِنَ الـغُـصْـنِ قَـدٌّ   وَمِنَ الـظَّبي مُقْلَتَـانِ وَجِـيـدُ[1]
وزَهَـاهَـا مِنْ فَـرْعِها ومِنَ الخـدْ   دَيْـنِ ذاكَ الـسَّـوادُ والـتَّـوْرِيـدُ[2]
أَوْقَـدَ الـحسْـنُ نَـارَهُ مِنْ وحـيـدٍ   فَـوْقَ خـدٌّ مـا شَـانَـهُ تَخْـدِيـدُ[3]
فَـهْـيَ بَـرْدٌ بـخـدِّهَـا وسـلامٌ   وهـي للعـاشقيـنَ جُهْـدٌ جَـهيـدُ[4]
لـم تَـضِـرْ قَطُّ وجـهَـهَـا وهــو مـاءٌ   وتُـذيـبُ الـقـلوبَ وهيَ حـديـدُ[5]
مَـا لِمَـا تَصْـطَليـهِ من وجَنَتَيْـهـا   غيـرُ تَـرْشـافِ رِيقِـهـا تَبْـرِيـدُ[6]
مثْـلُ ذاكَ الـرّضـابِ أطفـأَ ذاكَ الْـ   ـوَجْـدَ لَـوْلاَ الإبـاءُ والتَّصْـريـدُ[7]
وغَـريـرٍ بـحُسْنِهـا قـالَ: صِفْهَـا   قـلتُ: أمْـرانِ: هَـيِّـنٌ وشـديـدُ[8]
يَسْهُـلُ الـقـولُ إنَّهَـا أَحْسَنُ الأشْـ   ـيـاءِ طُـرًّا، ويعْسُـرُ التحـديـدُ[9]
شمسُ دُجْنٍ، كِلاَ المنيرَيْن من شَمْـ   ـسٍ وبـدْرٍ مِنْ نُـورها يستفيـدُ[10]
تـتجـلَّى لـلنَّـاظـريـنَ إلـيـهـا   فـشَـقِيٌّ بـحسنِـها وسعـيـدُ[11]
ظبيـةٌ تـسكُـن الـقـلوبَ وتـرعـا   هـا، وقُـمْـرِيَّـةٌ لـهـا تـغـريـدُ[12]

---

(١) غادة: فتاة جميلة. وزان: ضد شان، وزانه الشيء: حسّنه وزخرفة. والقد: القامة. والظبي: الغزال. والمقلة: جمعها المُقَل، شحمة العين، أو هي السواد والبياض منها، أو العين ذاتها. والجيد: العنق.

(٢) زهاها: جعلها زاهية، أي: جميلة. وفرعها: شعرها المنجدل. السواد: يريد، سواد الشعر. والتوريد: يريد توريد الخد.

(٣) أوقد: أشعل. وشانه: ضد زانه، أي: عابه. والتخديد: التجعيد.

(٤) برد وسلام: أي هناءة وطمأنينة. وجهد: تعب. يشير إلى الآية القرآنية التي تصول النار التي ألقي فيها سيدنا ابراهيم ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم﴾. سورة الانبياء، آية ٦٩.

(٥) لم تضر: لم تؤذ. أي: أن وجهها على لينه لا يتأثر بالغناء.

(٦) اصطلى اصطلاء بالنار: استدفأ. والوجنة: الخد.

(٧) الرضاب: الريق المرشوف، أو هو لعاب العسل ورغوته. والوجد: الحب الشديد. والتصريد: القوة على احتمال الشيء.

(٨) الغرير: المغرور، والشاب الذي لا تجربة له، الساذج.

(٩) طراً: جميعاً.

(١٠) الدجن: الظلام.

(١١) تتجلى: تظهر. والشقي: البائس.

(١٢) قمريّة: حمامة حسنة الصوت.

تـتـغـنّـى كـأنّـهـا لا تُـغـنّـي   مِنْ سكونِ الأوصالِ وهي تُجيدُ [١]

لا تَـراهـا هـنـاكَ تَـجْـحَظُ عـيـنٌ   لـكَ مـنـهـا ولا يَـدِرُّ وريـدُ [٢]

مـن هُـدُوٍّ ولـيـسَ فـيـه انْـقِـطاعٌ   وشُـجُـوٌّ ومـا بـهِ تـبْـلِـيـدُ [٣]

مَـدَّ فـي شـأوِ صـوتِهـا نَـفَسٌ كـا   فٍ كـأنفـاسِ عـاشِقيها مَـديـدُ [٤]

وأرقَّ الـدلالُ والـغُـنْـجُ مـنـهُ   وبَـراهُ الشَّـجـا فـكـاد يَـبِـيـدُ [٥]

فـتـراهُ يـمـوتُ طَـوْراً ويـحـيـا   مُسْتَلَذّاً بَسِـيـطُهُ والـنَّـشِـيـدُ [٦]

فـيـهِ وَشْيٌ، وفـيـهِ حَلْيٌ مِنَ الـنَّـغْـ   ـمِ مَصُوغٌ يَخْتالُ فيـهِ القصيدُ [٧]

طـابَ فُـوهـا ومـا تُـرَجِّـعُ فـيـهِ   كـلُّ شَـيْءٍ لهـا بـذاكَ شـهـيـدُ [٨]

ثَـغَـبٌ يَـنْـقَـعُ الـصَّـدَى، وغِـنـاءٌ   عـنـدَهُ يـوجَـدُ الـسـرورُ الفقيـدُ [٩]

فـلـهـا الـدَّهْـرُ لاثِـمٌ مُـسْـتَـزِيـدٌ   ولـهـا الـدهـرُ سـامـعٌ مُسْتَعِيـدُ

فـي هـوى مِـثْـلِـهـا يَـخِفُّ حَـلـيـمٌ   راجـحٌ حلْمُه، ويَغْـوى رَشـيـدُ [١٠]

مـا تُـعـاطِي الـقـلوبَ إلاّ أصـابـتْ   بـهـواهـا منهُنَّ حيْثُ تُـريـدُ [١١]

وَتَـرُ الـعَـزْفِ في يَـدَيْـهـا مُـضـاهٍ   وَتَـرَ الـزَّحْـفِ فيهِ سَهْمٌ شَـديـدُ [١٢]

---

(١) الأوصال: الأعضاء. أي: انها تجيد الغناء، وهي ساكنة لا تتحرك أوصالها شأن غيرها من المغنين.

(٢) تجحظ: تتسع. ويدرُّ: يتوتر. والوريد: عرق في العنق.

(٣) الهدو: ترخيم الهدوء. والسجو: مدّ الصوت بالحنين. والتبليد: التردد والتحير.

(٤) الشأو: الغاية، المدى.

(٥) أرَقَّ الشيءَ: جعله رقيقاً. وبراه: أضعفه. والشجا: الغصة أو البحة الجميلة في الصوت، يريد: ما اعترض الصوت من الغصة أو البحة عند الغناء. ويبيد: يختفي.

(٦) البسيط: ما يمتد به الصوت ويرق. والنشيد: رفع الصوت والترنيم.

(٧) الوشي والحلي: الزخرف والزينة. ويختال: يتمايل.

(٨) فوها: فمها. وترجع: تعيد وتكرر وتنغم.

(٩) الثغب: الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه. والصدى: ما يردُّه الجبل أو غيره إلى المصوّت مثل صوته. وينقع: يرفع.

(١٠) يخف حليم: يفقد العاقل رزانته. وحلمه: عقله. ويغوي رشيد: يضل مهتد ذو عقل.

(١١) تُعاطي: تعالج.

(١٢) مُضاهٍ: مشابهٌ.

وإذا أنْبَضَتْهُ لِلشُّرْبِ يوماً أيقنَ القومُ أنها ستَصيدُ[1]

مَعْبَدٌ في الغناءِ وابنُ سُرَيْجٍ وَهْيَ في الضَّرْبِ زَلْزَلٌ وَعَقِيدُ[2]

عَيْبُها أنَّها إذا غَنَّتِ الأحْـ ـرار ظَلُّوا وهُمْ لديها عَبِيدُ

وآستزادتْ قلوبَهم مِنْ هواها بِرُقاها، وما لَدَيْهِمْ مَزيدُ[3]

وحسانٍ عَرَضْنَ لي قلتُ: مهلاً عن وحيدٍ، فحقُّها التَّوْحِيدُ[4]

حُسْنُها في العيونِ حُسْنٌ وحيدٌ فلها في القلوبِ حُبٌّ وحيدُ[5]

ونَصيحٍ يلومُني في هواها ضَلَّ عنهُ التوفيقُ والتسديدُ[6]

لو رأى مَنْ يلُومُ فيه لأضحى وهو المسْتَرِيثُ والمسْتَزِيدُ[7]

ضِلَّةٌ لِلفُؤادِ يَحْنُو عليها وهي تَزْهُو حَياتَه وتَكيدُ[8]

سَحَرَتْهُ بمقْلتيْها فأضحتْ عندَه والذميمُ منها حميدُ

خُلِقَتْ فِتْنةً: غِناءً وحُسْناً ما لها فيهما جميعاً نَدِيدُ[9]

فَهْيَ نُعْمَى يميدُ منها كَبيرٌ وهْيَ بلْوى يشيبُ منها وليدُ[10]

لِيَ حيْثُ آنصرَفتُ منها رفيقٌ مِنْ هواها، وحيثُ حَلَّتْ قَعِيدُ[11]

عنْ يميني وعنْ شمالي وقُدّا مي وخلفي، فأينَ عنه أَحيدُ؟

---

(١) الشرب: جمع الشارب.

(٢) معبد المغني (ت ٧٤٣): عاش في العصر الأموي، نشأ في المدينة ثم رحل إلى الشام، فاتصل بأمرائها، وأصبح مشهوراً. وعبيد الله ابن سريج (ت ٧٢٤م تقريباً) ولد في مكة: مغن وملحن. ويقال: إنه أول من أدخل العود الفارسي إلى مكة. اشتهر بصياغة الألحان. وزلزل وعقيد: لعله يريد انهما كانا يضربان على آلات موسيقية.

(٣) رقاها: سحرها.

(٤) التوحيد: يريد أن حقها أن تختص بالحب، فلا يشرك أحد فيه.

(٥) أي أن حسنها متجدد في العيون، وحبّها متجدد في القلوب.

(٦) التسديد: الصواب.

(٧) المستريث: المستبطىء. والمستزيد: طالب المزيد.

(٨) ضلة: فتنة. تزهو وتكيد: تعذب.

(٩) النديد: الشبيه، المثيل.

(١٠) يميد: يتحرك ويضطرب ويزيغ.

(١١) القعيد: الجليس.

سدَّ شيطانُ حُبِّها كلَّ فَجٍّ ... إنَّ شيطانَ حبِّها لَمَرِيدُ(1)

ليتَ شعري إذا أدامَ إليها ... كَرَّةَ الطَّرْفِ مُبديءٌ ومُعِيدُ(2)

أهْيَ شيءٌ لا تسأَمُ العينُ منهُ ... أمْ لها كلَّ ساعةٍ تجْديدُ؟(3)

بل هي العيشُ لا يزالُ متى آستُعْـ ... ـرِضَ يُملي غرائباً ويُفيدُ

مَنْظَرٌ، مَسْمَعٌ، مَعانٍ من اللهْـ ... ـوِ عِتادٌ لما يُحَبُّ عَتيدُ(4)

لا يَدِبُّ الملالُ فيها ولا يَنْـ ... ـقُصُ مِنْ عَقْدِ سحْرِها تَوْكيدُ(5)

حُسنها في العيونِ حُسْنٌ جديدُ ... فلها في القلوبِ حُبٌّ جديدُ

أخذَ اللهُ يا وحيدُ لقلبي ... منكِ ما يأخذُ المُديلُ المُعيدُ(6)

حَظُّ غيْري مِنْ وصلِكُمْ قُرَّةُ العيْـ ... ـنِ وحظِّي البكاءُ والتَّسْهيدُ(7)

غيرَ أنِّي مُعَلَّلٌ منكِ نفسي ... بِعِداتٍ خلالَهُنَّ وَعيدُ(8)

ما تزالينَ نظرةٌ منك مَوْتٌ ... لي مُمِيتٌ، ونظرةٌ تخليدُ

نتلاقى فلحْظَةٌ منك وعْدٌ ... بوصالٍ، ولحظةٌ تهديدُ

قد تركْتِ الصِّحاحَ مَرْضَى يميدُو ... نَ نُحولا، وأنتِ خُوطٌ يميدُ(9)

والهوى لا يزالُ فيه ضعيفٌ ... بينَ ألحاظِهِ صريعٌ جليدُ(10)

ضافَنِي حُبُّكِ الغريْبُ فألوىٰ ... بالرُّقادِ النَّسيبِ فهو طريدُ(11)

---

(١) الفج: السبيل. والمريد: المتجاوز الحدّ.

(٢) ليت شعري: أي ليتني شعرت أي: علمت بما صنع. وشعري اسم ليت. والخبر مضمر تقديره واقعٌ.

(٣) تسأم: تمل.

(٤) العتاد: ما أعد لأمر. والعتيد: الحاضر المهيأ.

(٥) توكيد: توثيق وإحكام.

(٦) المديل: من أداله منه جعل له الدولة عليه. والمعيد: من أعاد الشيء، كرره وجعله عادة. يسأل الدهر أن يديل قلبه من وحيد، أي: يجعله له الدولة عليها. ويكرر ذلك حتى يجعله عادة لا انفكاك عنها.

(٧) التسهيد: الأرق وعدم النوم.

(٨) عدات: جمع عدة، الوعد. والوعيد: التهديد.

(٩) الخوط: الغصن الناعم الرقيق. يميدون: يتمايلون. ونحولا: ضعفاً.

(١٠) ألحاظه: نظراته. والجليد: القوي الشديد، الصبور.

(١١) ألوى: ذهب به. والرقاد: النوم. والنسيب: القريب. أي: ان حبك الغريب إذا ضافني، طرد النوم القريب مني، فأصبحت عاشقاً لك لا أنام.

عجبـاً لـي إنَّ الـغـريـبَ مُـقـيـمٌ بـيْنَ جَنْبيَّ والنسيبُ شـريـدُ!
قَـد مَلَلْنـا مِن سـتْـرِ شيءٍ مـليـحٍ نَشْتَهِيـهِ، فـهـلْ لـه تجـريـدُ؟ [1]
هُـوَ في القلبِ وهـوَ أبعـدُ مـن نجـ ـمِ الثُّـريَّـا، فهـو القـريبُ البعيـدُ
ـ ديوان ابن الرومي ٢/٧٦٢ ـ ٧٦٥.

٨ ـ قصيدة ابن الرومي في رثاء ابنه الأوسط محمد.

(من الطّويل)

بُكاؤُكُما يَشْفِي، وإنْ كَـانَ لا يُجدِي، فَجُودا، فَقَدْ أَوْدَى نَـظِيرُكُمـا عِنْدِي [2]
بُنيَّ الـذي أَهْـدَتْـهُ كَفَّـايَ للثَّـرَى فيا عِزَّةَ المُهْـدَىٰ، ويا حسـرةَ المُهدِي
ألا قَـاتَـلَ اللهُ الـمـنـايـا وَرَمْـيَـهـا من القومِ حبّاتِ القلوبِ على عَمْدِ [3]
تـوخَّى حِمـامُ المـوتِ أوسطَ صِبْيَتي فَللهِ كيفَ آختـارَ واسِـطَةَ العِقْـدِ [4]
على حينَ شِمْتُ الخيرَ مِنْ لَمَحَاتِـهِ وآنسْتُ مِنْ أفعـالِهِ آيَـةَ الـرُّشْـدِ [5]
طَـوَاهُ الـرَّدى عنِّي، فـأضحىٰ مـزارُهُ بعيـداً على قُربٍ، قـريباً على بُعـدِ [6]
لقـد أنْجَـزَتْ فيـه المنـايـا وعيـدَهَـا، وأخْلَفَتِ الآمـالُ مـا كـانَ مِنْ وَعْـدِ
لقـد قـلَّ بينَ آلمهـدِ واللَّحـدِ لُبْثُـهُ فلم يَنْسَ عَهْدَ المَهدِ، إذ ضُمَّ في اللَّحدِ [7]
ألـحَّ عـليـه الـنَّـزفُ حتَّى أحـالَـهُ إلى صُفرةِ الجاديِّ عن حُمرةِ الوردِ [8]
وظـلَّ على الأيـدي تَسَـاقَطُ نفسُـه ويذوِي كما يذوي القضيبُ مِنَ الرَّنْدِ [9]
فيـا لـكَ من نَفْسٍ تَسَـاقَطُ أنْـفُسـاً تَسَـاقُطَ دُرٍّ مِنْ نظامٍ بـلا عِقْـدِ [10]

---

(١) تجريد: إبراز واظهار.
(٢) في هذا البيت يخاطب عينيه. وأودى: هلك.
(٣) المنايا: جمع المنية، وهي الموت. وحبات القلوب: صميمها ومهجتها.
(٤) توخى: تحرى، وقصد. وحمام الموت: قدره.
(٥) شمت: توقعت. وآنست: أبصرت. والآية: العلامة.
(٦) أي انه قريب المكان، ولكن اللقاء بعيد. وطواه الردى: أخفاه الهلاك.
(٧) أي كان صغيراً، عند موته.
(٨) الجاديّ: الزعفران، لونه ضارب إلى الصفرة. وألح: استمر.
(٩) الرند: الغار. أو الآس، نوع من الريحان. والقضيب: الغصن. وذوى: ذبل
(١٠) النظام: كل خيط ينظم فيه اللؤلؤ وغيره. وبلا عقد: بلا ربط.

عجبتُ لقلبي كيفَ لم يَنْفَطِرْ لَهُ ... ولو أنَّه أقسى مِنَ الحجرِ الصَّلدِ (١)

بودِّي أنِّي كُنتُ قَدْ مِتُّ قبلَهُ ... وأنَّ المنايا، دونَهُ، صَمَدَتْ صَمْدِي (٢)

ولكنَّ ربِّي شاءَ غيرَ مشيئتي، ... وللربِّ إمضاءُ المشيئةِ، لا العبدِ

وما سرَّني أنْ بعتُهُ بثوابِهِ، ... ولو أنَّهُ التخليدُ في جنَّةِ الخُلدِ

ولا بعتُهُ طَوْعاً، ولكِنْ غُصِبْتُهُ، ... وليسَ على ظلمِ الحوادثِ من مُعْدِ (٣)

وإني، وإن مُتِّعتُ بابنيَّ بعدَهُ، ... لَذاكِرُه ما حنَّتِ النِّيبُ في نجدِ (٤)

وأولادُنا مثلُ الجوارحِ، أيُّها ... فقدناه، كانَ الفاجِعَ البيِّنَ الفَقْدِ (٥)

لكلٍّ مكانٌ، لا يَسُدُّ آختلالَهُ ... مكانُ أخيهِ في جَزُوعٍ ولا جَلْدِ (٦)

هل العينُ، بَعْدَ السمعِ، تكفي مكانَهُ ... أمِ السَّمعُ بعدَ العينِ، يَهْدِي كما تَهْدِي؟

لَعَمْرِي لقد حَالَتْ بيَ الحالُ بعدَهُ، ... فياليتَ شِعْرِي كيفَ حالَتْ بهِ بَعْدِي (٧)

ثَكِلْتُ سُرُورِي كلَّهُ إذ ثَكِلْتُهُ، ... وأَصبحتُ في لذَّاتِ عيشِي أخَا زُهْدِ (٨)

أريحانَةَ العينينِ والأنفِ والحَشَا ... ألا ليتَ شعري، هَلْ تَغيَّرتَ عن عَهْدِي

سأسقيكَ ماءَ العينِ ما أَسْعَدَتْ بهِ ... وإنْ كانتِ السُّقيا مِنَ العينِ لا تُجْدِي (٩)

أعينيَّ جُودَا لي، فقد جُدْتُ للثَّرَى، ... بأنْفَسَ ممَّا تُسألانِ من الرِّفْدِ (١٠)

أَقُرَّةَ عينِي، قَدْ أطلتَ بُكاءَها ... وغادَرْتَها أَقْذَى مِنَ الأعيُنِ الرُّمْدِ

أَقُرَّةَ عيني، لو فَدَى الحيُّ مَيِّتاً ... فديتُكَ بالحوباءِ أَوَّلَ مَنْ يَفْدِي (١١)

---

(١) لم ينفطر: لم ينشق. والصلد: الصلب.

(٢) صمدت: ثبتت واستمرت.

(٣) معدي: أعداه عليه، أي نصره وأعانه. والمعنى: ليس هناك من معين على ظلم الحوادث.

(٤) النيب: جمع الناب، وهي الناقة المسنة. وحنين الناقة: أن ترفع صوتها شوقاً وحنيناً إلى ولدها.

(٥) الجوارح: الأعضاء. والفاجع: الموجع.

(٦) الاختلال: النقص. والجزوع: الذي لا يصبر. والجلد: الصبور، القوي.

(٧) ليت شعري: أي ليتني أشعر وأعرف.

(٨) ثكل: فقد.

(٩) ماء العين: الدموع. وما أسعدت: ما أعانت.

(١٠) الرفد: العطاء.

(١١) الحوباء: النفس والجمع الحوباوات. قيل هي مأخوذة من الحوبة بمعنى الحاجة تكون النفس موطناً للحاجات.

كـأنّيَ مـا استمتعتُ منـكَ بضمَّـةٍ ولا شمَّـةٍ في مَلْعَبٍ لـكَ أو مَهْـدِ
أَلامُ لِمَـا أُبـدِي عليـكَ مِنَ الأسى وإني لأُخفي مِنْهُ أضعافَ ما أُبدِي
محـمـدُ، مـا شيءٌ تُـوُهِّـمَ سَلْوَةً لـقـلـبـيَ إلّا زادَ قـلبِـي من ٱلوَجْدِ
أرى أخـويْـكَ البـاقِيَيْنِ، كِلَيْهِمَا يكـونانِ لـلأحزانِ أَوْرَى مِنَ الزَّنْدِ[1]
إذَا لَـعِبَـا فـي مَـلْعَـبٍ لـكَ لَـذَّعَـا فؤادي بمثـلِ النارِ عن غيـرِ ما قَصْـدِ
فَمَـا فيهمـا لي سَلْوَةٌ، بـلْ حَـزَازَةٌ يَهِيجَانِها دوني، وأشقَى بهـا وَحْـدِي
وأنتَ، وإن أُفْـرِدْتَ في دارِ وَحْـشَـةٍ فـإني بـدارِ الأُنسِ في وحشـةِ الفَـرْدِ
أودُّ إذَا مـا المـوتُ أوفـدَ معشـراً، إلى عسكـرِ الأمواتِ، أنّي مِنَ ٱلـوَفْـدِ
ومَنْ كـانَ يستهـدِي حبيبـاً هـديَّـةً فطيفَ خيالٍ منكَ في النَّومِ أستهـدي
عـليـكَ سـلامُ الله منّـي تـحـيَّـةً، ومِنْ كـلِّ غيثٍ صادق البَـرْقِ والـرَّعْـدِ

ـ ديوان ابن الرومي ٢/٦٢٤ ـ ٦٢٧.

٩ ـ من قصيدة للبُحْتُريّ[2] في وصف الربيع[3]

(من الطويل)

---

(١) أورى الزند: أخرج ناره.

(٢) هو أبو عُبَادة الوليد بن عبيد بن يحيى، البحتريّ الطائيّ، أحد بني بحتر بن عتود، من طيىء. ولد بمنبج (بين حلب والفرات) سنة ٢٠٦ هـ/٨٢١م، نشأ في البادية بين قومه بني طيىء، وروى عن كثير من العلماء كأبي العباس المبرد، ثم اتصل بأبي تمام ولزمه، وترسم خطاه وحذا حذوه، فطار في الآفاق ذكره. كان على فضله وعلمه، ورقة كلامه، وبديع أسلوبه، من أبخل الناس، وأوسخهم ثوباً، وأبغضهم إنشاداً، وأكثرهم افتخاراً بشعره يقال: إنه كان شاعراً فاضلاً، نقي الكلام مطبوع، وكان المشايخ يختمون به الشعراء وله تصرف حسن في ضروب الشعر، سوى الهجاء، فإن نظمه فيه قليل، وجيده منه أقل. اتصل البحتري بكثير من رجالات الدولة، ومدح الكثيرين، وأكثر مدائحه في أمير المؤمنين المتوكل على الله، ووزيره الفتح بن خاقان. سئل أبو العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ أبـو تمام أم البحتري أم المتنبي؟ فقال المتنبي وأبو تمام حكيمان. والشاعر البحتري. وتوفي في منبج سنة ٢٨٤ هـ/٨٩٨ م. انظر ترجمته في: الأغاني ٢١/٣٩ ـ ٥٧. وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤. والموازنة بين أبي تمام والبحتري. ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ١٩/٢٤٨ ـ ٢٥٨. والاعلام ٨/١٢١.

(٣) هذه الأبيات من قصيدة مدح فيها الهيثم بن عثمان الغنويّ، الذي كان قائداً، واشترك في حرب بابك الخرّمي، ومطلع القصيدة:

أكـانَ الـصِّبـا إلاَّ خـيـالاً مُـسَـلِّمَـا أَقَـامَ كَـرَجْـعِ الـطَّرْفِ ثُمَّ تَـصَـرمـا =

أَتَاكَ الرَّبيعُ الطَّلقُ يَختالُ ضَاحِكاً مِنَ الحُسنِ حتّى كادَ أنْ يتَكَلَّمَا[1]
وَقد نَبّهَ النّوْرُوزُ في غَلَسِ الدُّجى أوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأمْسِ نُوَّمَا[2]
يُفَتّقُهَا بَرْدُ النّدَى فكَأنّهُ يَبُثُّ حَديثاً كانَ قَبلُ مُكَتَّمَا[3]
وَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبيعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ، كَما نَشَّرْتَ وَشْياً مُنَمْنَماً[4]
أَحَلَّ، فأبْدَى لِلعُيُونِ بَشَاشَةً، وكَانَ قَذًى لِلْعَيْنِ، إذْ كانَ مُحْرِماً[5]
وَرَقَّ نَسيمُ الرِّيحِ، حتّى حَسِبتُهُ يَجيءُ بأنْفَاسِ الأحِبّةِ، نُعَّمَا

- ديوان البحتري ٤/ ٢٠٩٠ - ٢٠٩١.

١٠ - قصيدة البحتري في وصف إيوان كسرى بالمدائن[6] سنة ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣ م

(من الخفيف)

صُنْتُ نَفْسِي عَمّا يُدَنّسُ نفسي، وتَرَفّعتُ عن جَدَا كلِّ جِبْسِ[7]

= (الطرف: العين. ورجع الطرف: ارتداده. وتصرم: تقطع وانقضى). انظر ديوان البحتري ٤/ ٢٠٨٠، ٢٠٨٧.

(١) الطلق: المشرق.

(٢) النوروز: أو النيرّوز: اكبر أعياد الفرس، ومعناه بالفارسية: اليوم الجديد، هو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس، أي مطلع الربيع. والغلس: ظلمة آخر الليل. ويروى «غسق». أي: ان الربيع قادم يصحبه تفتح الورود.

(٣) يفتقها: يفتحها. ويبث الحديث: يذيعه وينشره. وهنا يشبه انتشار رائحة الورد بعد تفتحها، بالسر الذي كان مكتوما، فأذيع ونشر.

(٤) الوشي: نقش الثوب. ومنمنم: منمق، مزخرف منقوش مزين.

(٥) أحل: لبس ثياب الحل. وأحل المحرم: دخل في أشهر الحل أو خرج إلى الحل وخرج من ميثاق كان عليه. والمحرم: الذي تجرد من ثيابه ولبس ثياب الإحرام في الحج. والقذى: ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة أو غيرها.

(٦) يقال: إن قصر الأكاسرة بالمدائن، كان من عجائب الدنيا، وكان لا يزال قائماً إلى أيام المكتفي في حدود سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م ويقال: إنه تعاون على بنائه عدة ملوك. وتعتبر هذه القصيدة من أروع ما في الشعر العربي.

(٧) الجدا: العطاء. والجبس: الجبان واللئيم والفاسق والثقيل الروح.

وَتَماسَكْتُ حَيثُ زَعزَعني الدّهْـ ـرُ آلتماساً منهُ لِتَعْسي، ونُكسي [١]

بُلَغٌ منْ صُبابةِ العَيشِ عندِي، طَفَّفَتْهَا الأيّامُ تَطفيفَ بَخْسِ [٢]

وَبَعِيدٌ مَا بَيْنَ وَارِدِ رَفْهٍ، عَلَلٍ شُرْبُهُ، وَوَارِدِ خِمْسِ [٣]

وَكَأنّ الزّمَانَ أصْبَحَ مَحْمُو لًا هَوَاهُ مَعَ الأخَسِّ الأخَسِّ [٤]

وَاشتِرَائي العِرَاقَ خُطّةُ غَبْنٍ بَعْدَ بَيعي الشّآمَ بَيْعَةَ وَكْسِ [٥]

لا تَرُزْنِي مُزَاوِلاً لاختِبارِي بَعْدَ هذي البَلْوَى، فَتُنْكِرَ مَسّي [٦]

وَقَديماً عَهِدْتَني ذا هَنَاتٍ آبِيَاتٍ، على الدَّنِيَّاتِ، شُمْسِ [٧]

وَلَقَدْ رَابَني نُبُوُّ ابنِ عَمّي بَعدَ لِينٍ مِنْ جانِبَيْهِ، وَأُنْسِ [٨]

وَإذا ما جُفِيتُ كُنْتُ جَديراً أنْ أرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمسِي [٩]

حَضَرَتْ رَحْلِيَ آلهُمُومُ فَوَجّهْـ ـتُ إلى أبيَضِ المَدائِنِ عَنْسِي [١٠]

---

(١) تماسكتُ: ثَبَتّ. زعزعني: حرّكني وهزني بعنف. والتماساً منه: طلباً منه. والتعس: الشر والهلاك. والنكس: الإذلال. انقلاب الرجل على رأسه، أو سقوطه كلما نهض.

(٢) البلغ: جمع بلغة وهي ما يتبلغ به في العيش ولا يفضل منه شيء. والصبابة: البقية. وطَفَّفَتْها: أنقصتها. والتطفيف: التنقيص في الوزن والتقدير. والبخس: الغبن والظلم.

(٣) الرفه : طيب العيش ولينه. وارد رَفْهٍ: أي يرد الماء كل يوم متى شاء. والعلل: ورود الماء ثانية بعد الورود الأول الذي يسمى النهل. والخمس: من أظماء الإبل وهي ترعى ثلاثة أيام وترد في اليوم الرابع.

(٤) محمولاً هواه : أي يميل إلى الأخساء. والمعنى: كأن الزمان ينصف الأخساء ويجور على الشرفاء.

(٥) اشترائى العراق: أي اقامتي بها. وبيعي الشآم: أي رحلتي عنها. والخطة: الأرض التي يختطها الإنسان لنفسه لينزل بها. والغبن: الخداع في البيع والشراء. والوكس: النقصان والخسارة.

(٦) ترزني: من رازه، أي: جربه وقدره ليعرف ثقله. ومزاولاً: محاولاً. فتنكرمسي: تجدني قوياً أبياً.

(٧) الهنات: خصال شرّ. والشمس: العنيدة التي لا تذل، الواحد شموس. وآبيات على الدنيات: أي لا ترضى الخسيس.

(٨) رابني: أوقعني في الريب، والريب: الشك. والنبو: الجفاء والبعد والخشونة. وابن عمه: قيل: الراهب عبدون بن مخلد، وهو من أصل يمني والشاعر طائي، أي: يمنى مثله. وقيل: قصد الخليفة المنتصر، وهو عدناني، وقحطان وعدنان أخوان.

(٩) يقول: إذا جفيت تنقلت، فلا أصبح في مكان حتى أمسى في سواه. وهنا يمهد لذكر رحيله إلى القصر الأبيض.

(١٠) حضرته: نزلت وطرأت. وأبيض المدائن: القصر الأبيض، قصر الأكاسرة. وعنسي: م العِنَاس، الناقة القوية.

أتَسَلَّى عَنِ الحُظُوظِ، وَآسَى لِمَحلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ، دَرْسِ[1]
أَذْكَرَتْنِيهُمُ الخُطُوبُ التَّوالي وَلَقَدْ تُذْكِرُ الخُطوبُ وتُنْسي[2]
وَهُمُ خافِضُونَ في ظِلِّ عَالٍ مُشْرِفٍ يُحْسِرُ العُيونَ ويُخسِي[3]
مُغْلَقٌ بَابُهُ عَلى جَبَلِ القَبْـ ـقِ إلى دارَتَيْ خِلاطٍ وَمُكْسِ[4]
حِلَلٌ لم تكُنْ كَأطْلالِ سُعدَى في قِفارٍ مِنَ البَسابِسِ، مُلْسِ[5]
وَمَساعٍ، لَوْلا المُحَابَاةُ مِنِّي لم تُطِقْهَا مَسْعَاةُ عَنْسٍ وَعبْسِ[6]
نَقَلَ الدَّهرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الجِدَّ ةِ حتَّى غدَوْنَ أنضَاءَ لُبْسِ[7]
فكأنَّ الجِرْمَازَ مِنْ عَدَمِ الأُنْـ ـسِ وَإِخْلالِهِ، بَنِيَّةُ رَمْسِ[8]

---

(١) درس: أي مندرس، وهو ما عفا أثره. وآل ساسان: ملوك الفرس من نسل أردشير حفيد ساسان مؤسس السلالة الساسانية. وآسى: أحزن.

(٢) التوالي: المتتالية. يريد الخطوب التي حلت بالدولة العباسية، من تحكم العناصر الأجنبية بها.

(٣) هم: أي آل ساسان. خافضون: ناعمو العيش. ويحسر: يرد البصر كليلاً. ويخسي: (مخففة الهمز) بمعنى يكل ويحسر، ويؤلم. ويريد الشاعر هنا المقابلة بين هذه العبارة (خافضون) وعبارة (في ظل عال). يشير بذلك إلى بلاد فارس بحدودها،وما يكتنفها من شواهق الجبال، كما يشير إلى باب من الأبواب الذي كان في أقصى شمالي بلاد شروان، وكانت أجمل موانيء بحر قزوين. وقيل :إن أنوشروان في سنة ٦٠٠ م بنى سوراً يمتد من دربند حتى الغرب بالصخر والرصاص، وجعل عرضه ثلثمائة ذراع، وعلّاه حتى ألحقه برؤوس الجبال، ثم قاده في البحر وجعل عليه باباً، ووكل به الحراس، ولذلك يشير إلى السور في البيت التالي بـ: «مغلق بابه».

(٤) الدارة: كل أرض واسعة بين جبال. والقبق: أي جبل القوقاز، ويقال له أيضاً القبج، فيه أمم مختلفة ولغات متعددة. وخلاط ومكس: من مدن أرمينية الوسطى.

(٥) الحلل: جمع الحلة، وهي المنازل والبسابس: القفار. والملس: التي لا نبت فيها. وهنا يقارن الشاعر بين حياة الفرس الناعمة وحياة العرب المتقشفة.

(٦) المساعي: المكرمات، واحدتها المسعاة. وعنس: قبيلة قحطانية من اليمن. وعبس: قبيلة عدنانية من نجد. يريد: أنه لو لم يكن عربياً لقال إن مساعي الفرس لم تدركها قبائل العرب. وهنا يذكر فضل الفرس على العرب.

(٧) أنضاء: الواحد نضو، المهزول. اللبس: التي تلتبس حقيقتها على الناظر، فلا يكاد يعرفها. وجدة الشيء: حداثته.

(٨) الإيوان بالفارسية كرمازي، فعربه، فقال جرماز، وهو بناء كان عند القصر الأبيض ثم عفا أثره. والرمس: القبر. والبنية: الشيء المبني. والإخلال: الترك والغياب، من أخل بالمكان أي غاب عنه وتركه.

لَـوْ تَـرَاهُ عَـلِمْـتَ أنّ الـلّيـالـي جَعَلَتْ فيـهِ مـأتَمـاً، بَعْدَ عُـرْسِ

وَهْـوَ يُنْبيـكَ عَنْ عَجـائِبِ قَـوْمٍ لا يُشَـابُ البَيـانُ فيـهِمْ بِلَبْسِ (١)

وإذا مَـا رَأيْـتَ صُـورَةَ أنْـطَا كِيَّـةَ ارْتَعْتَ بَيـنَ رُومٍ وَفُـرْسِ (٢)

وَالـمَـنَـايَـا مَـوَاثِـلٌ، وَأنُـوشَـرْ وانَ يُزْجي الصّفوفَ تحتَ الدِّرَفْسِ (٣)

في اخضِـرَارٍ منَ اللّبـاسِ على أصْـ ـفَـرَ يَختـالُ فـي صَبيغَـةِ وَرْسِ (٤)

وَعِـرَاكُ الـرِّجَـالِ بَيـنَ يَـدَيْـهِ في خُفوتٍ منهمْ وَإغماضِ جَرْسِ (٥)

مِنْ مُشيـحٍ يَهـوِي بعـامـلِ رُمْـحٍ وَمُـليـحٍ مِنَ السِّنَـانِ بِتُـرْسِ (٦)

تَـصِفُ العَيـنُ أنّهُـمْ جِـدُّ أحْيَـا ءٍ لَهُمْ بَينَهُـمْ إشـارَةُ خُـرْسِ (٧)

يَـغتَـلي فيـهـمُ ارْتـيـابيَ حَـتّى تَـتَـقَـرّاهُـمُ يَـدايَ بِـلَمْسِ (٨)

قَـد سَقـاني وَلَمْ يُصَـرِّدْ أبـو الغَـوْ ثِ على العَسكَرَينِ شَرْبَـةَ خُلْسِ (٩)

مِـنْ مُـدامٍ تَـظُنُّهَـا وَهْـيَ نَـجْـمٌ ضَـوَّأ اللّيْـلَ أوْ مُجَاجَـةُ شَمْسِ (١٠)

---

(١) البيان: المنطق الفصيح. واللبس: الالتباس.

(٢) ارتعت: فزعت. وأنطاكية: مدينة في شمال سوريا، في الحوض الأدنى لنهر العاصي، على مقربة من مصبه وهي الآن من مدن تركيا. ويقال إن معركة وقعت بين الفرس والروم في هذة المدينة، وقد صورت هذه المعركة في الإيوان على الجدران. وقعت هذه المعركة سنة ٥٤٠م.

(٣) يزجي: يسوق. والدرفس: العلم الكبير. ومواثل: قائمات تنتظر العمل وقت الحرب.

(٤) الورس: نبات ذو صبغة حمراء. والشاعر هنا يصف الفرس الذي يمتطيه أنو شروان. ويختال: يتبختر تكبراً.

(٥) الخفوت: السكوت. والجرس: الصوت الخفي.

(٦) المشيح: المقبل إليك والمانع لما وراء ظهره، أي الحذر. والمليح: المحاذر خوفاً. وعامل الرمح: صدره، وهو مايلي السنان. والسنان: نصل الرمح. والترس: صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه.

(٧) تصف العين: تتخيل من دقة الصورة.

(٨) يغتلي: من الغلوّ أي يتجاوز الحدّ ويزيد. أي: يزيد شكي في حياتهم. تتقراهم: تتبعهم، أي: أنه يلمسهم ليرى أصور مرسومة هم أم أشخاص أحياء يتحاربون.

(٩) لم يصرد: لم يقلل. وأبو الغوث: ابن الشاعر. وأراد بالخلس: شربة سريعة مختلسة. (والشَّربة بالفتح المرة من الشُّرب بالضم).

(١٠) تظنها: تحسبها. والمجاجة: الريق، عصارة كل شيء. ومجاجة الشمس: شعاعها.

وَتَــرَاهــا إذا أجَــدَّتْ سُــرُوراً وَارْتيــاحــاً للشّــارِبِ المُتَــحَسِّي [1]

أُفْــرِغَتْ في الـزُّجَــاجِ مِنْ كـلِّ قلبٍ فَـهْـيَ مَـحْـبـوبَـةٌ إلـى كـلِّ نَـفْسِ

وَتَــوَهَّــمْــتُ أنَّ كــسْــرَى أبَــرْوِيـ ـزَ مُـعَــاطِيَّ وَالـبَـلَهْـبَـذُ أُنْـسِـي [2]

حُلُمٌ مُـطبِقٌ عـلى الـشَّــكِّ عَـيْـنِـي أَمْ أَمَــانٍ غَيَّــرْنَ ظَنِّي وَحَــدْسي؟! [3]

وَكَــأَنَّ الإيــوَانَ مــنْ عَـجَـبِ الـصَّـنْـ ـعَةِ جَوْبٌ في جَنْبِ أَرْعَنَ جِلْسِ [4]

يُـتَـظَنَّـىٰ مِــنَ الـكَــآبَــةِ أنْ يَـبْـ ـدُو لِعَيْنَيْ مُـصَبِّـحٍ ، أوْ مُـمَسِّي [5]

مُــزْعَجــاً بــالفِـرَاقِ عَـن أُنْسِ إِلْفٍ عَــزَّ أَوْ مُـرْهَقــاً بتَـطْليقِ عِــرْسِ [6]

عَـكَسَـتْ حَــظَّهُ اللَّيــالـي وَبــاتَ الـ ـمُشْتَرِي فيهِ، وَهْـوَ كَوْكَبُ نَحْسِ [7]

فَــهْــوَ يُــبْــدي تَــجَــلُّداً وَعَــلَيْــهِ كَلْكَـلٌ مِنْ كَلاَكِـلِ الدّهـرِ مُرْسِي [8]

لَـمْ يَـعِبْـهُ أنْ بُـزَّ مِـنْ بُسُطِ الـدِّيـ ـبَاجِ وَاسْتُـلَّ من سُتورِ الـدِّمَقْسِ [9]

مُـشْـمَــخِــرٌّ تَـعْـلُو لَـهُ شُــرُفَـاتٌ رُفِعتْ فيرُؤوسِ رَضْـوَى وَقُدْسِ [10]

لابِسَــاتٌ مِنَ الـبَـيَــاضِ فَـمَــا تُـبْـ ـصِـرُ مِنْهَا إلاَّ غَـلائـلَ بُــرْسِ [11]

---

(١) أجَدَّت: أحدثت. والمتحسي: الذي يشرب شيئاً بعد شيء.

(٢) البلهبذ: مغني كسرى أبرويز. ومعاطي: يعاطيني الشراب ، يشاربني. يُقال: كان لكسرى أبرويز ثلاثة أشياء لم يكن لملك قبله ولا بعده مثلها: فرسه شبديز، وجاريته شيرين، ومغنيه وعوّاده بلهبذ.

(٣) الحدس: التوهم.

(٤) الجوب: قيل الترس. وقيل الخرق. والأرعن: الجبل ذوالرعن وهو أنف يتقدم الجبل. والجلس: الجبل العالي. فالشاعر هنا يشبه القصر بأنه لضخامته كأنه خرق أو نحت في الجبل.

(٥) يتظنى: أي يعمل الظن فيه.

(٦) مزعجاً: حال من فاعل يبدو في البيت السابق، أي: أن كآبته تجعله يبدو للعين كأنه منزعج بفراقة أليفاً أو عروساً.

(٧) المشتري: كوكب سعد. ولكن الشاعر يقول: إنه انقلب كوكب نحس بما أصاب القصر من مصائب.

(٨) الكلكل: الصدر. والمرسي: الثابت. والتجلد: الصبر.

(٩) بز: سلب. واستل: انتزع وأخرج كما ينتزع السيف من الغمد. والديباج: الثوب الذي سداه ولحمته حرير. والدمقس: الحرير الأبيض.

(١٠) المشمخر: ما أشرف من بنائه. ورضوى: ج.ل. وقدس: جبل كبير بنجد. يشبه القصر في ضخامته وارتفاعه بهذين الجبلين.

(١١) الغلائل: جمع الغلالة، وهي شعار يلبس تحت الثوب. والبرس: القطن.

لَيسَ يُدْرَىٰ: أَصُنْعُ إِنْسٍ لِجِنٍّ سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لإنْسِ
غَيرَ أَنّي أَراهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بَانِيهِ في المُلُوكِ بِنِكْسِ[1]
فَكَأَنِّي أَرَى المَرَاتِبَ وَالقَوْمَ إِذَا مَا بَلَغْتُ آخِرَ حِسِّي
وَكَأَنَّ الوُفُودَ ضَاحِينَ حَسْرَى من وُقوفٍ خَلفَ الزِّحَامِ وَخُنْسِ[2]
وَكَأَنَّ القِيَانَ وَسْطَ المَقَاصِيرِ، يُرَجِّعْنَ بَيْنَ حُوٍّ وَلُعسِ[3]
وَكَأَنَّ اللِّقَاءَ أَوَّلُ مِنْ أَمْسِ، وَوَشْكَ الفِرَاقِ أَوَّلُ أَمْسِ
وَكَأَنَّ الذي يُرِيدُ اتِّبَاعاً طَامِعٌ في لُحُوقِهِمْ صُبْحَ خَمْسِ[4]
عُمِّرَتْ لِلسُّرُورِ دَهْراً فَصَارَتْ لِلتَّعَزِّي رِبَاعُهُمْ وَالتَّأَسِّي[5]
فَلَهَا أَنْ أُعِينَهَا بِدُمُوعٍ مُوقَفَاتٍ عَلى الصَّبَابَةِ حُبسِ
ذاكَ عِندي وَلَيستِ الدَّارُ دارِي بِاقتِرَابٍ منها وَلا الجِنْسُ جِنْسِي
غَيرَ نُعْمَى لأهْلِهَا عِنْدَ أَهْلي غَرَسُوا مِنْ زَكَائِهَا خَيْرَ غَرْسِ[6]
أَيَّدُوا مُلْكَنَا وَشَدُّوا قُوَاهُ بِكُمَاةٍ تحتَ السَّنَوَّرِ حُمْسِ[7]
وَأَعَانُوا عَلى كَتَائِبِ أَرْيَاطَ بِطَعنٍ على النُّحُورِ وَدَعْسِ[8]

---

(١) النكس: الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه والمقصر عن غاية النجدة والكرم.

(٢) ضاحين: بارزين للشمس. وحسرى: متلهفين، وهي جمع حسير، أي: المعيي. والخُنس: المتأخرون.

(٣) القيان: الإماء المغنيات، واحدتهن قينة. والمقاصير: جمع المقصورة وهي الدار الواسعة المحصنة. والحو: ذوات الحوة وهي سواد إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد، وهي صفة للشفاه. واللعس: وهو سواد مستحسن في الشفاه.

(٤) يريد: أن الذي يطمع في إدراكهم لن يستطيع ذلك إلّا بعد أن يقطع خمس ليال.

(٥) رباعهم: دورهم، محلاتهم، منازلهم. التعزي والتأسي: البكاء عليهم.

(٦) الزكاء: النمو.

(٧) الكماة: جمع الكمي، وهو الشجاع، أو لابس السلاح لأنه يكمي نفسه، أي: يسترها بالدرع. والحمس: الشجعان. والسنور: كل سلاح من حديد، ويقال: هو الدرع. يشير الشاعر هنا وفي البيت السابق والبيت التالي إلى العون الذي قدمه الفرس في عهد أنو شروان إلى اليمنيين الذين يرجع إليهم نسب الشاعر، فهو قحطاني، وذلك حين ساعد الفرس سيف بن ذي يزن أمام غزو الأحباش لليمن بقيادة القائد الحبشي أرياط المذكور في البيت التالي.

(٨) الدعس: الدوس والطعن. وأرياط: القائد الحبشي الذي غزا اليمن، ثم خلفه القائد أبرهة صاحب الفيل وأبناؤه.

وَأَرَانـي، مـنْ بَــعْــدُ أُكْـلَفُ بـالأشْـ ـرَافِ طُـرّاً مِنْ كُـلِّ سِنْـخٍ وَأُسِّ [1]

ـ ديوان البحتري ٢/١١٥٢ ـ ١١٦٢.

١١ ـ قصيدة لأبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي [2] في الطرد (يصف كلباً أو كلبة)

(من السريع)

لـمَّـا تَـعـرَّى أُفـقُ الـضـيَـاءِ مِـثـلَ ابتِسَـامِ الشَّـفَـةِ اللمـيَـاءِ [3]

وَشَـمِـطَتْ ذَوَائِـبُ الـظَّلْمَـاءِ وَهَـمَّ نَـجْـمُ اللَّيْـلِ بـاخـتِـفَـاءِ [4]

قُـدْنَـا لِـعـيـنِ الـوَحْشِ والـظِّبَـاءِ دَاهِـيَـةً مَـحْـذُورَةَ الـلِّقَـاءِ [5]

شَـائِـلَةً كـالْـعَـقْـرَبِ الـسَّـمْـرَاءِ مُـرْهَـفَـةً مُـطْلَقَـةَ الأحْـشَـاءِ [6]

كَـمَـدَّةٍ مِـنْ قَـلَـمٍ سَـوْدَاءِ أو هُـدْبَـةٍ مِـنْ طَـرَفِ الـرِّدَاءِ [7]

تَـحْـمِـلُهـا أَجْـنِـحَـةُ الـهَـواءِ تَـسْـتَـلِبُ الـخُـطْوَ بِـلاَ إِبْـطَاءِ

تَمْشِي فَـلاَ تَعْـثـرُ فِي الـرَّمْـضَـاءِ أَسْـرعُ مِـنْ جَـفْـنٍ إِلـى إِغْـضَـاءِ [8]

---

(١) السنخ: الأصل والمنبت. والأس: أصل البناء. وأكلف بالأشراف: أولع بهم. وطراً: جميعاً.

(٢) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، ولد سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م، وبويع بالخلافة سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م. بعد خلع المقتدر، ولكن جند المقتدر ـ وهم من الأتراك ـ قبضوا على ابن المعتز وقتلوه، وقد مكث في الخلافة يوماً وليلة. برع في الشعر، فأجاد وأحسن، وتقدم جميع أهل عصره فضلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً، وتصرفاً في سائر الآداب. يقال: إنه كان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، صنف كتباً عديدة، أهمها طبقات الشعراء، وله ديوان شعر.
انظر ترجمته في: الأغاني ١٠/٢٨٦ـ٢٩٧. ومقدمة ديوان أشعار الأمير أبي العباس، ص ٤١ـ٢٠٩. ومقدمة طبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٨ـ١٤. والأعلام ٤/١١٨.

(٣) تعرى: تكشف، أي تلألأ، وتشقق بالضياء. واللمياء: المشربة سواداً مستحسنا.

(٤) شمطت: اختلط سوادها ببياضها.

(٥) العين: جمع الأعين، وهو ثور بقر الوحش. والداهية: كلبة. أي ان الحيوانات تخشى لقاءه.

(٦) شائلة: مرتفعة الذنب. ومرهفة: دقيقة.

(٧) المدة: الخط الممتد. والهدبة: طرف الثوب.

(٨) الرمضاء: شدة الحر. والأرض الحامية من شدة حرّ الشمس، ولعله قصد المعنى الثاني. وأغضى عينه: طبق جفنيه كي لا يرى شيئاً.

وَمُـخْـطَفـاً مُـوَثَّـقَ الأعْـضَـاءِ	خَـالـفـهـا بِـجِـلْدَةٍ بَـيْـضَـاءِ[1]
كَـأثَـرِ الـشِّـهَـابِ فِـي الـسَّـمَـاءِ	وَيَـعْـرِفُ الـزَّجْـرَ مِـن الـدُّعَـاءِ
بِـأُذُنٍ سَـاقِـطِةِ الأَرْجَـاءِ	كَـوَرْدِةِ الـسَّـوْسَـنَـةِ الـشَّـهْـلاءِ[2]
يَـبْـسُـطـهـا فِـي سَـاعـةِ الـتـعْـداءِ	ذَا بُـرْثُـنٍ كَـمِـثْـقَـبِ آلـحَـذَّاءِ[3]
وَمُـقْـلَةٍ قـلـيـلـةِ الأقْـذاءِ	صَـافـيـةٍ كَـقَـطْـرَةٍ مِـنْ مَـاءِ[4]
يَـنْـسَـابُ بـيـن أكَـمِ الـصـحْـرَاءِ	مِـثْـلَ انْـسِـيـابِ حَـيَّـةِ الأنْـقَـاءِ[5]
آنَسَ بـيـنَ الـسـفْـحِ والـفَـضَـاءِ	سِـرْبَ ظِـبـاءٍ رُتَّـعِ الأَطْـلاءِ[6]
فِـي عَـازِبٍ مُـنَـوِّرٍ خَـلاءِ	ضَـاعَ مِـن الـرواد والـجُـبَّـاءِ[7]
أَحـوى كَـبَـطْنِ الحَـيـةِ الخَـضْـرَاءِ	فـيـهِ مُـسُـوكُ الـحـيـةِ الـرقْـطاءِ[8]
كـأنَّـهـا ضَـفَـائـرُ الـشـمْـطاءِ	فـصَـارَ قَـبْـلَ الأيـنِ والـعَـنَـاءِ[9]
خمسينَ لَـمْ يَنْقُصْـنَ فِي الإحْـصَـاءِ	وَبَـاعَـنـا الـلُّحُومَ بـالـدِّمـاءِ[10]

ـ ديوان أشعار الأمير أبي العباس ٢/١٠٩ ـ ١١٠.

(١) المخطف: الضامر. أراد كلباً، ونجده هنا قد انتقل إلى وصف كلب، يقول: إنه موثق الأعضاء، أي شديدها محكمها، لكنه يخالف الكلبة بما تجده من بقع بيضاء على جلده، وهي كأثر الشهاب في السماء.

(٢) الأرجاء: الأنحاء. والسوسن: الزنبق. والشهلاء: التي يخالط سوادها زرقة، كالعين مثلاً.

(٣) البرثن: جمعه براثن، والبرثن من السباع والطير: بمنزلة الإصبع من الإنسان. والمثقب: المخرز.

(٤) المقلة: العين.

(٥) الأكم: جمع الأكَمَة، التل أو الموضع الذي يكون أكثر ارتفاعاً مما حوله. والأنقاء: جمع النقا، القطعة من الرمل المحْدَوْدَبَة.

(٦) السفح: عرض الجبل. وآنس: أبصر. أي أن هذا الكلب أبصر سرب ظباء. والأطلاء: أولادها.

(٧) العازب: المرعى البعيد المزهر.

(٨) أحوى: شديد الخضرة في سواد، وهذا وصف للمرعى. والشمطاء: التي خالط بياض رأسها سواد.

(٩) الأين: التعب.

(١٠) يقول: إن هذا الكلب يصيد خمسين طريدة، قبل أن يدركه التعب.

١٢ - قصيدة أبي الطيب المتنبي [(١)] في مدح سيف الدولة الحمداني [(٢)]، وتهنئته بعيد الأضحى سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م

(من الطويل)

لِكُـلِّ امْـرِئٍ مِن دَهْـرِهِ مـا تَعَـوَّدَا ... وعاداتُ سيفِ الدَّولةِ الطَّعنُ في العِدا [(٣)]

وأنْ يُكْـذِبَ الإرْجـافَ عنـهُ بِضِـدِّهِ ... ويُمْسِي بِمَـا تَنْوِي أعـادِيهِ أسْعَـدَا [(٤)]

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، الشاعر الحكيم، صاحب الأمثال السائرة، والحكم البالغة، والمعاني المبتكرة. وهناك من العلماء من يعده أشهر شعراء العربية على الإطلاق. ولد بالكوفة في محلة تدعى «كندة» وإليهانسبته. نشأ بالشام،ثم تنقل في البادية، ليتأدب بفصاحة أهل البدو وقال الشعر صبياً، وقيل: إنه اتهم وهو مقيم بينهم - في بادية السماوة، بين الكوفة والشام - فتبعه كثيرون، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص، ونائب الإخشيد، فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه ثم خرج من السجن، وأخذ يمدح الرؤساء والأمراء من أهل الشام، وخاصة سيف الدولة الحمداني، صاحب حلب، وكان اتصاله به سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م، ثم فارقه وذهب إلى مصر، فمدح كافوراً الإخشيدي، وطلب منه أن يوليه فلم يفعل، فغضب منه، وانصرف عنه، وهجاه بقصيدة لاذعة - سنذكرها بعد هذه القصيدة - ثم توجه إلى العراق والتقى بالمهلبي الوزير، ولم يمدحه وحاول الاتصال بمعز الدولة في بغداد، ولكنه لم يوفق في مدحه ثم توجه إلى شيراز ماراً بأرجان، فمدح ابن العميد، ثم مدح عضد الدولة بن بويه الديلمي، الذي خرج لاستقباله على حدود إمارته. وبعدئذ عاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه، طمعاً في الأموال العظيمة التي يحملها، وقيل، انتقاماً منه لأنه هجا قريباً له فاقتتل الفريقان وقتل المتنبي وابنه ومن كان معه، بالنعمانية، بالقرب من بغداد، سنة ٣٥٤ هـ/٩٦٥م. وكانت ولادته سنة ٣٠٣ هـ/٩١٥م. انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ١/١١١ - ٢٢٤. والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني. ومقدمة شرح ديوان المتنبي ١/٣- ١٢٦. ووفيات الأعيان ١/٣٦ وما بعدها. ومعاهد التنصيص ١/٢٧ وما بعدها. والأعلام ١/ ١١٥. (وقد أنشد المتنبي هذه القصيدة في ميدان سيف الدولة بحلب سنة ٣٤٢ هـ/٩٥٣م، وهما على فريسهما).

(٢) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، أبو الحسن، (٣٠٣-٣٥٦ هـ/٩١٥ - ٩٦٧ م)،اجتمع ببابه من شيوخ العلم ونجوم الدهر ما لم يجتمع على باب أحد من الملوك. ملك حلب سنة ٣٣٣هـ، وتوفي فيها. أخباره ووقائعه مع الروم كثيرة، وكان شاعراً محباً للعلم، مقرباً لأهل الأدب، وكان المتنبي يعجب بشخصيته وقوته وشجاعته وحروبه مع الروم انظر: يتيمة الدهر ١/١٥-٣٤. والأعلام ٤/٣٠٣.

(٣) يقول: كل امرىء يعمل بعادته، وما تعوده وتربى عليه، ولا يتكلفه، وعادة هذا الممدوح أن يغزوأعداءه ويقتلهم ويطعنهم برمحه. جعله سيفاً، ووصفه بالطعن، فكأنه جعله سيفاً ورمحاً.

(٤) الارجاف: توليد الأخبار الكاذبة، التي يكون معها اضطراب الناس. يقول: وعادته أن يكذب إرجاف=

وَرُبَّ مُـريـدٍ ضَـرَّهُ ضَـرَّ نَـفْسَـهُ ... وهادٍ إليهِ الجَيْشَ أَهْـدى وَما هَـدَى(١)

وَمُسْتَكْبِـرٍ لَـمْ يَعْـرِفِ اللهَ سـاعَـةً ... رأى سَيْفَـهُ فـي كَفِّـهِ فَتَشَـهَّـدَا(٢)

هُـوَ البحـرُ غُصْ فيـهِ إذا كـانَ رَاكِـداً ... عَلى الـدُّرِّ وَاحْذَرْهُ إذا كـانَ مُزْبِـدا(٣)

فـإنّي رأيْتُ البَحْـرَ يَعْثُـرُ بـالفتَى ... وَهَـذَا الَّـذِي يَـأْتِي الفَتى مُتَعَمِّـدا(٤)

تَـظَلُّ مُلُوكُ الأرْضِ خـاشِعَـةً لَـهُ ... تُفـارِقُـهُ هَلْكَـى وَتَلْقَـاهُ سُجَّـدَا(٥)

وَتُحْيِي لَـهُ المَـالَ الصَّـوَارِمُ والقَنـا ... ويَقْتُـلُ مـا يُحْيِي التَّبَسُّمُ والجَـدَا(٦)

ذَكِـيٌّ تَـظَنِّيـهِ طَـلِيعَـةُ عَـيْنِـهِ ... يَـرَى قَلْبُهُ فِي يَـوْمِهِ مـا تَـرَى غَـدَا(٧)

وَصُـولٌ إلى المُسْتَصْعَبـاتِ بِخَيْلِهِ ... فلوْ كـانَ قَـرْنُ الشَّمسِ مـاءً لأَوْرَدَا(٨)

لِـذلِـكَ سَمَّى ابْنُ الـدُّمُسْتُقِ يَـوْمَـهُ ... مَمَـاتـاً وَسَمَّـاهُ الـدُّمُسْتُقُ مَـوْلِـدَا(٩)

= عداته عنه بضد إرجافهم، فهم يرجفون بقصوره وفشله، .وهو يكذبهم بوفوره. وهم ينوون معارضته فيتحرشون به فيكون ذلك سبب ظفره بهم، إذ يمتلك رقابهم، وأموالهم، فيصير أسعد مما كان.

(١) يقول: ورب عدوٍ أراد أن يضره فضرّ نفسه بتحرشه به، وقاد إليه الجيش بنيّة الإيقاع به، فكان الجيش غنيمة له، فكأنه أهدى إليه هدية، وضل بذلك عن القصد. فقوله أهدى: من الهدية. وما هدى: من الهداية.

(٢) يقول: ورب كافر متكبر عن الإيمان بالله رآه والسيف في يده، فآمن وأتى بكلمة الشهادة: إما خوفاً منه، وإما ظناً بأن دينه الحق حين رأى نور وجهه وكمال وصفه.

(٣) يقول: إنه نفاع ضرار، فمن جاءه مسالماً ظفر بإحسانه، ومن جاءه مغاضباً عرض نفسه للتهلكة، مثله في ذلك مثل البحر: إذا سكن البحر أمكن ركوبه، والغوص على ما فيه من الجواهر، وإن جاش وقذف بالزبد وجب الحذر منه. أي: لا تأته وهو غضبان.

(٤) يعثر بالفتى: يهلكه من غير قصد. يقول: إن البحر يهلك راكبه عن غير قصد وعمد، أما الممدوح فإنه يهلك أعداءه متعمداً.

(٥) يقول: من تمرد عليه وفارقه من الملوك هلك، ومن سالمه منهم خضع له وسجد لأنه سيدهم. أي: من فارقه وخالفه هلك، ومن أتاه خضع وسجد، لأنه سيدهم جميعاً.

(٦) الصوارم: السيوف. والقنا: الرماح. والجدا: العطاء. يقول: إنه يأخذ بشجاعته وإقدامه وطعنه وضربه مال الأعداء، ثم يفنيه بالعطاء عند التبسم والنشاط إذا جاءه العفاة.

(٧) التظني: هو التظنن، قلبت النون الثانية ياء، ومعناه الظن. وطليعة الجيش: الربيئة تتقدم أمامه تستطلع طلع العدو. يقول: إنه من الذكاء والنفاذ وثقوب البصيرة بحيث يرى ظنه الشيء قبل أن تراه عينه، كالطليعة تتقدم أمام الجيش، ثم أوضح فقال: يرى قلبه في يومه بظنه ما تراه عينه غدا.

(٨) يقول: إنه يصل بخيله إلى الغايات البعيدة التي يعتذر الوصول إليها حتى لو كان قرن الشمس ـ وهو أول ما يبدو منها عند طلوعها ـ ماء لبلغه وأورده خيله، شجاعة وإقداما. وهذا مبالغة.

(٩) لذلك: أي لأجل ما قلته في البيت السابق. ويومه: أي اليوم الذي أسر فيه. والضمير في سماه: يعود =

سَرَيْتَ إلى جَيْحانَ مِنْ أرْضِ آمِدٍ ... ثَلاثاً لقَدْ أدْناكَ رَكْضٌ وأبْعَدَا (١)
فَوَلَّى وأعْطَاكَ ابْنَهُ وجُيُوشَهُ ... جَميعاً وَلَمْ يُعْطِ الجَميعَ لِيُحْمَدَا (٢)
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الحَياةِ وَطَرْفِهِ ... وأبْصَرَ سَيْفَ الله مِنْكَ مُجَرَّدَا (٣)
ومَا طَلَبَتْ زُرْقُ الأسِنَّةِ غَيْرَهُ ... وَلَكِنَّ قُسْطَنْطِينَ كانَ له الفِدَا (٤)
فَأصْبَحَ يَجْتَابُ المُسُوحَ مَخَافَةً ... وَقَدْ كانَ يَجْتَابُ الدِّلاصَ المُسَرَّدا (٥)
وَيَمْشِي بِهِ العُكَّازُ في الدَّيْرِ تائِباً ... ومَا كانَ يَرْضَى مَشْيَ أشقَرَ أجْرَدَا (٦)
وَمَا تابَ حتَّى غادَرَ الكَرُّ وَجْهَهُ ... جَرِيحاً وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أرْمَدَا (٧)

= إلى اليوم. يقول: لكون سيف الدولة على ما وصفت من الشجاعة والإقدام وما إليهما، لم ينثن حتى أدرك الدمستق وابنه، ففر الدمستق جريحاً، وأُخذ ابنه أسيراً، ومن ثم سمى الابن ذلك اليوم مماتاً، لأنه وقد أسر يئس فيه من الحياة، وسمى أبوه هذا اليوم مولداً لأنه نجا فيه من أظفار المنية، فصار كيوم ولدته أمه. فكان ذلك اليوم مماتاً للابن، وحياة للأب.

(١) جيحان: نهر ببلاد الروم. وآمد: بلد بالثغور. يقول: بلغت جيحان من آمد في ثلاث ليال ـ وهي مسافة بعيدة لا تقطع في مثل هذه المدة، وبذلك أدناك، أي: قربك، الركض من جيحان، وأبعدك عن آمد. أي: أنك وصلت إلى هذا النهر من آمد في ثلاث ليال على ما بينهما من البعد.

(٢) يقول: فانهزم الدمستق وترك ابنه وجيوشه أسرى في يدك، ولم يك ذلك إعطاء منه، يبتغي أن تحمده عليه لأنه إنما تركهم قهراً وعجزاً، لا اختياراً.

(٣) عرضت: ظهرت واعترضت. والطرف: العين. يقول: لما رآك، كنت قيد عينه لعظمك في نفسه فشغلتها بتوقيع بطشك فلم ير حوله سواك. وحلت بذلك بينه وبين الحياة، فصار في حكم الميت في تخاذل الحواس، لأنه أيقن هلاكه، ورأى منك سيف الله مشهوراً مجرداً عليه.

(٤) الأسنة: نصال الرماح، وقسطنطين: هو ابن الدمستق. يقول: إن الرماح لم تكن لتطلب غير الدمستق، ولكن ابنه كان فداء له، لأن الجيش اشتغل بأسره وأسر من معه، فانتهز الدمستق ذلك ونجا بنفسه.

(٥) المسوح: ثياب تنسج من الشعر. ويجتابها: يقطعها ويدخل فيها. والدلاص: الدرع البراقة الصافية. والمسرد: المنظوم المنسوج بعضه في بعض. يقول: إنه ترك الحرب خوفاً منك، وترهب، ولبس المسوح بعد أن كان يلبس الدروع.

(٦) العكاز: عصا في طرفها زج. يقول: وصار يمشي في دير الرهبان على العكاز تائباً من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشي الخيل السراع ـ لأن الجواد الأشقر عند العرب أسرع الخيل ـ بعد أن يئس ونال منه الهم. والأجرد: الفرس القصير الشعر.

(٧) النقع: غبار الحوافر. وغادر: ترك. والكر: عطف القرن (أي الخصم) على قرنه في الحرب. يقول: إنه لم يترك الحرب إلا بعد أن ترك كرّ الفرسان ـ في الطعن والضرب ـ ووجهه جريحاً، وبعد أن رمدت عينه من غبار الجيش، يعني: أنه اضطر إلى ذلك لكثرة ما أصابه من الجراح. . .

فَلَوْ كانَ يُنْجِي مِنْ عَلِيٍّ تَرَهُّبٌ ... تَرَهَّبَتِ الأمْلاكُ مَثْنَى وَمَوْحَدَا[1]

وكُلُّ آمرِىءٍ في الشرقِ والغَربِ بَعْدَها ... يَعِدُّ لَهُ ثَوْباً مِنَ الشَّعْرِ أَسْوَدَا[2]

هنِيئاً لكَ العِيدُ الَّذي أنتَ عِيدُهُ ... وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَّى وضَحَّىٰ وَعَيَّدَا[3]

وَلا زَالَتِ الأعْيادُ لُبْسَكَ بَعْدَهُ ... تُسَلمُ مَخْرُوقاً وتُعْطي مُجَدَّدا[4]

فَذَا اليومُ في الأيامِ مثلُكَ في الوَرَىٰ ... كما كُنْتَ فيهمْ أَوْحَداً كانَ أَوْحَدَا[5]

هُوَ الجَدُّ حتّى تَفْضُلَ العَيْنُ أُخْتَها ... وحتّى يَصِيرَ اليَوْمُ لليَوْمِ سَيِّدا[6]

فَيا عَجَبا مِنْ دَائِلٍ أنْتَ سَيْفُهُ ... أَمَا يَتَوَقَّى شَفْرَتيْ ما تَقَلَّدَا[7]

---

(١) الأملاك: الملوك. يقول: إن ترهّبه هذا، لا ينجيه من سيف الدولة، ولو كان ذلك ينجيه لترهّبت الملوك اثنين اثنين وواحداً واحداً.

(٢) بعدها: أي بعد فعلة الدمستق. يقول: لو كان ينجي من علي ترهُّب لكان كل امرىء من أعداء سيف الدولة يعد له مسوحاً يترهب فيها فينجو منه.

(٣) سمى: أي ذكر اسم الله، يعني عند ذبح الضحايا. يقول: العيد فرح يعود على الناس، يفرحون به، وأنت عيد لكلّ الناس يفرحون بسلامتك، وكذلك العيد يفرح بوصوله إليك، فأنت عيده، أي: تحلّ فيه محلّ العيد، وأنت عيد: أي فرح لكل من سمى الله، يريد ذكر الله في الإحرام، وذبح أضحيته.

(٤) اللبس: ما يلبس، استعاره للأعياد، فأجراها مجرى الملبوسات. وقد سمي العيد عيداً، لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد، والعيد: ما اعتادك من هم أو شوق أو فرح. يقول: لا زلت تلبس الأعياد المتكررة عليك في الأعوام، فإذا مضى عيد جاءك بعده عيد جديد، فصار الماضي خلقاً، والقادم جديداً. ولما ذكر اللبس: استعار له الخلق والجديد.

(٥) لقد خصّ العيد وحده - دون الأيام - بما ذكر من الشرف، وكان ينبغي أن تكون أيامه كلها كذلك؛ لأن جميعها مشتمل عليه، ثم قيل: إن العيد قد اجتمع فيه أمران: أحدهما اشتماله على سيف الدولة - وهو الأظهر - والآخر كونه عيداً، فصار له مزية على غيره مما ليس بعيد. وقيل: ويجوز أن يقال: إنما جعله في الشرف كيوم النحر لأنه من أشرف الأيام.

(٦) هو: ضمير الشأن. والجد: الحظ والبخت. يقول: إن الجد له فعله حتى في المتساويين، مثل العين والعين، واليوم واليوم: فترى العينين تتفاضلان، فتصح إحداهما، وتسقم الأخرى، مع أنهما تجمعهما بنية واحدة، وترى اليوم يسود اليوم، وكلاهما ضوء الشمس. يعني: أن يوم العيد كسائر الأيام في الصورة، ولكن الجد مازه من سائر الأيام فجعله يوم فرح وسرور.

(٧) الدائل: صاحب الدولة، يريد الخليفة. وشفرتا السيف: حداه. يقول: أما يخشى الخليفة - وقد تقلدك سيفاً له - أن تكون سيفاً عليه، فلا يأمن جانبك؟ ولا يخفى ما في هذا البيت وما بعده من التعريض الذي خفي سببه.

وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغامَ بازاً لصَيْدِهِ تَصَيَّدَهُ الضِّرْغامُ فيما تَصَيَّدَا[1]
رأيتُكَ مَحْضَ الحِلْمِ في مَحْضِ قُدرةٍ وَلَوْ شِئتَ كانَ الحِلْمُ منْكَ المُهَنَّدَا[2]
وَما قَتَلَ الأحرارَ كالعَفْوِ عَنْهُمُ وَمَنْ لَكَ بالحُرِّ الَّذي يَحْفَظُ اليَدَا[3]
إذا أنتَ أكْرَمْتَ الكَريمَ مَلَكْتَهُ وَإنْ أنتَ أكْرَمْتَ اللَّئيمَ تَمَرَّدَا[4]
وَوَضْعُ النَّدَىٰ في مَوْضعِ السيفِ بالعُلا مُضِرٌّ كوضعِ السيفِ في موضعِ النَّدى[5]
وَلَكِنْ تَفُوقُ الناسَ رأياً وحِكمةً كَمَا فُقْتَهُمْ حالاً وَنَفْساً وَمحْتِدَا[6]
يَدِقُّ عَلى الأفْكارِ ما أنْتَ فاعِلٌ فَيُتْرَكُ ما يَخْفَى ويُؤْخَذُ ما بَدَا[7]
أزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بكَبْتِهِمْ فأنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لي حُسَّدَا[8]

---

(١) الضرغام: الأسد. يقول: من اتخذ الأسد بازاً يصيد به أتى عليه الأسد فصاده، وقد ضرب هذا مثلاً للمعنى السابق، يعني: أنك فوق من تضاف إليه.

(٢) المهند: السيف. يقول: رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز ولا تقصير، ولو شئت لجعلت القتل بالسيف مكان الحلم.

(٣) الحر: الكريم، ضد اللئيم. ومن لك بالحر: أي من يتكفل لك به نحوه. واليد: النعمة. ويحفظ: أي يقدر العفو عنه، يقول: إن العفو عن الكرام قتل لهم. فمن صفح عن حرّ استرقه بهذا الصفح، فيذل له وينقاد. ثم قال: ومن يتكفل لك بالكريم الذي يحفظ النعمة ويراعي حقّها؟

(٤) هذا البيت تأكيد لما سبقه، يقول: إن الكريم يعرف قدر الإكرام، فيصير كالمملوك لك إذا أكرمته، واللئيم إذا أكرمته يزيد عتوّاً وجراءة عليك.

(٥) يقول: ينبغي أن يعامل كل إنسان حسبما يستحق، فمن استحق العطاء، لم يستعمل معه السيف. ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء، ومن فعل هذا أضر بعلاه وهدم أركان دولته.

(٦) المحتد: الأصل. والمنصوبات في البيت: تمييز. يقول: أنت أعرف بمواقع الإساءة والإحسان من كلِّ إنسان، لأنك فوق كل أحد في الرأي والحكمة، كما أنك فوقهم بالحال: إذا كنت أميراً، وبالنفس: إذا كنت أعلاهم همة، وبالأصل: إذا كنت من أصل شريف.

(٧) بدا: ظهر. يقول: إن ما تفعله أدق من أن تقف عليه الأفكار وتستوضحه، فهي تتناول ما ظهر لها منه، فتجول فيه وتترك ما خفي منه لرأيك، لأنه لا تصل إليه، وتقف دونه ـ يشير إلى تصرفاته مع الخليفة، وهذا المعنى هو الأظهر والأنسب بما تقدم هذا البيت من الأبيات. وقد فسره البعض: إن ما تبتدعه من المكارم يدق على أفكار الشعراء فيذكرون ما ظهر منها، ويتركون ما خفي. وقال البعض الآخر: إن المقتدين بسيف الدولة في المكارم، يأخذون ويتركون ما خفي.

(٨) الكبت: الإذلال. يقول: أنت الذي غمرتني بنعمك حتى صرت محسوداً، ونجم لي حسادٌ يحسدونني ويقصدونني بالسوء، فاكفني شرهم بإذلالهم وردّ كيدهم في نحورهم، وإعراضك عنهم.

إذا شَدَّ زِنْدِي حُسنُ رأيكَ في يَدِي ضرَبْتُ بنَصْلٍ يقطَعُ الهَامَ مُغْمَدَا (١)
وَمـا أنـا إلاَّ سَـمْهَـرِيٌّ حَـمَلْتَـهُ فـزَيَّنَ مَعْـروضـاً وَرَاعَ مُسَـدَّدَا (٢)
ومَـا الـدَّهْـرُ إلاَّ مِن رُوَاةِ قَـلائِـدِي إذا قُلتُ شِعْراً أصْبحَ الدَّهرُ مُنْشِدَا (٣)
فَسـارَ بِـهِ مِنْ لا يَسِيـرُ مُشَمِّـراً وَغَنَّى بِـهِ مَنْ لا يُغَنِّي مُغَـرِّدا (٤)
أجِـزْني إذَا أُنْشِـدْتَ شِعْـراً فـإنَّمَـا بِشِعْـرِي أتاكَ المَـادِحُونَ مُـرَدَّدَا (٥)
وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غيرَ صَوْتِي فـإنَّني أنا الصَّائحُ المحْكِيُّ والآخَرُ الصَّدَى (٦)
تـرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مالـهُ وأنعَلْتُ أفْراسِي بنُعْمـاكَ عَسْجَـدَا (٧)
وَقَيَّـدْتُ نَفْسِي فـي ذَرَاكَ مَحبَّـةً وَمَنْ وَجَـدَ الإحْسـانَ قَيْـداً تقَيَّـدَا (٨)

---

(١) الهام: الرؤوس . يقول: إذا قوّى ساعدي حسنُ رأيك في يدي، بأن آنست منك إعراضاً عنهم، كان ذلك خذلاناً لهم، فلو ضربتهم إذ ذاك بسيفي وهو في غمده لقطع وأصمى. هذا على رواية «رأيك فيهم». أما على الرواية التي أثبتناها، فالمعنى: أنك إذا كنت حسن الرأي في. فما أبالي بالحساد، والقليل من إنكارك عليهم يكفيني، ويروى: «بسيف» بدلاً من: «بنصل».

(٢) السمهري : الرمح. ومعروضاً: أي محمولاً بالعرض، وذلك يكون حين لا يقصد به الطعن. ومسددا: موجها إلى المطعون. يقول: أنا زين لك في السلم. أمدحك وأشيد بذكرك، وشجى لا ينتزع في حلوق أعدائك، أذود عنك وأنافح بلساني، وأكيد أعداءك بقوارع لساني، فأنا لك كالرمح: إن حملته بالعرض كان زيناً لك، أي زانك. وإن حملته مسدداً راغ أعداءك.

(٣) جعل شعره في حسنه كالقلائد التي يتقلد بها. يقول: إن الدهر من رواة شعري، لأن الناس جميعاً يروونه ويتناشدونه في كل وقت، فكأن الدهر كله إنسان ينشد شعري.

(٤) التغريد: رفع الصوت للتطريب. يقول: إن شعري ينشط الكسلان إذا سمعه، فيصير على سماع شعري مُجداً مشمراً، وإذا سمعه من لا يغني استراح إليه وطرب، وغني به مغرداً. والمراد: أن شعره سار في الآفاق حتى لم يبق من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من رواة الشعر.

(٥) يقول: إذا أنشدك شاعر شعراً، فاجعل جائزته لي؛ لأن الذي أُنشدت إنما هو شعري، أتاك به المادحون يرددونه عليك. يعني: أنهم يسلبون معاني أشعاري فيك، ويأخذون ألفاظي فيأتون بها اليك.

(٦) الصدى: الصوت الذي يجيبك من الجبل وغيره، كأنه يحكي قولك وصياحك، وهذا مثل. يقول: لا تحفل بشعر غير شعري، فإن شعري هو الأصل، وغيري كالصدى له. وفي رواية: «أنا الطائر».

(٧) السرى: سير الليل. والعسجد: الذهب. يقول: لقد أثريت بما توالي عليَّ من نعمائك، حتى لو شئت لاتخذت لخيلي نعال الذهب، ومن ثم تركت السير إليك لغيري من المعوزين المقترين، ليسيروا إليك كما سرت، ويحظوا كما حظيت.

(٨) في ذراك: في كنفك. يقول: إنما أقمت عندك حباً لك. لأنك قيدتني بإحسانك.

إذَا سـأَلَ الإنْسَـانُ أيَّـامَـهُ الغِنَـى وكنتَ على بُعْدٍ جعَلْتُكَ مَـوْعِـدَا[1]

ـ شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي البقاء العكبري ١/٢٨١ ـ ٢٩٢.

ـ شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي ٢/٣ ـ ١٥.

١٣ ـ قصيدة المتنبي[2] في هجاء كافور الإخشيدي[3] سنة ٣٥٠ هـ/٩٦١ م

(من البسيط)

عِيـدٌ بأيَّـةِ حالٍ عُـدْتَ يـا عِيـدُ بِمَا مَضَى أمْ بِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ[4]

---

(١) يقول: إذا طلب الإنسان إلى أيامه أن تغنيه، وكنت بعيداً عنه، وعدنه بالغنى لدى وصوله إليك. أي: الدهر يحيل عليك، فمن اقترح عليه الغنى يشير عليه باتيانك.

(٢) قلنا إن المتنبي قدم مصر سنة ٣٤٦ هـ، فأقام بها أربع سنين ونصف سنة، حتى بارحها في ذي الحجة سنة ٣٥٠ هـ، وقد مدح كافوراً حين قدم عليه بقصيدته: (من الطويل) (شرح ديوان المتنبي، للبرقوقي ٤/٤٠٧).

كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافيا وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

وختم مدائحه بقصيدة أنشدها سنة ٣٤٩ هـ، وبقي بعد ذلك سنة وشهرين لم ينشده شيئاً، وبين فاتحة مدائحه وخاتمتها أربعة أشهر وثلاث سنين، مدح فيها المتنبي كافوراً بتسع قصائد وقطعتين، فيها كلها سبعون وثلثمائة بيت، وهو ربع ما مدح به سيف الدولة. وكانت بغية أبي الطيب المتنبي من ذهابه إلى أبي المسك كافور، أن يقطعه ضيعة أو إمارة، ولكن أمله تبخر، ورجاءه خاب، عزم على الرحيل، وقد صرح بشعره عن هذا، لكن كافور منعه من ذلك طمعاً في مدحه، وخوفاً من هجائه، إلا أن المتنبي، صمم على الرحيل، وفي ليلة عيد الأضحى ـ يوم عرفة ـ قبل مسيره من مصر بيوم واحد، نظم الشاعر قصيدته الحزينة الثائرة ـ التي نحن بصددها ـ وقد هجا فيها كافوراً هجاءً مراً، وعرض بإمساكه إياه عن الرحيل. وقد انتهز أبو الطيب غفلة كافور، وانشغاله بالعيد وبما يصحب العيد من سنن، وهمّ بأخذ طريقه التي بيَّت سلوكها، ولا ريب في أن كافوراً ثار لما بلغته القصيدة، وما كان منه إلا أن تبع الشاعر بالخيل والفرسان، وكتب إلى عماله ليسدوا عليه الطريق. وقد استطاع المتنبي الوصول إلى الكوفة. (انظر شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ١/٤٦ ـ ٥٧).

(٣) كافور بن عبد الله الإخشيدي، أبو المسك (٢٩٢ ـ ٣٥٧ هـ/٩٠٥ ـ ٩٦٨ م): الأمير المشهور، كان عبداً حبشياً، اشتراه الإخشيدي ملك مصر سنة ٣١٢ هـ فنسب إليه واعتقه، فترقى عنده، وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥ هـ، وكان فطناً ذكياً حسن السياسة، وكانت مدة إمارته على مصر ٢٢ سنة، تولاها مستقلاً سنتين وأربعة أشهر، وكان يدعى له على المنابر بمكة ومصر والشام إلى أن توفي بالقاهرة وحمل تابوته إلى القدس، فدفن فيها. انظر: وفيات الأعيان ١/٤٣١. والنجوم الزاهرة ٤/١ وما بعدها. وتاريخ مختصر الدول ص ٢٨٩، ٢٩٢. والأعلام ٥/٢١٦.

(٤) عيد: خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا عيد. يقول: هذا اليوم الذي أنا فيه عيد، ثم أقبل يخاطب العيد، =

أمَّـا الأَحِبَّـةُ فـالْبَـيْـدَاءُ دُونَـهُـمُ ... فَلَيْتَ دُونَـكَ بِـيـداً دُونَهَـا بِـيـدُ[1]

لَوْلاَ العُلَى لم تَجُبْ بي ما أجُوبُ بِها ... وَجْنَـاءُ حَـرْفُ وَلا جَـرْدَاءُ قَيْـدُودُ[2]

وكـانَ أطْيَبَ مِنْ سَيْفي مُضَـاجَعَـةً ... أشْبـاهُ رَوْنَقِـهِ الْغِيـدُ الأمـالِيـدُ[3]

لم يتـرُكِ الـدَّهْـرُ مِن قَلْبِي وَلا كَبِدِي ... شَيْئـاً تُـتَيِّـمُـهُ عَيْـنٌ وَلا جِيـدُ[4]

يـا سَاقِيَيَّ: أَخَمْـرٌ في كُئُوسِكُمـا؟ ... أمْ في كُئُـوسِكمـا هَمٌّ وتَسْهِيـدُ؟[5]

أَصَخْـرَةٌ أنـا؟ مَـالي لا تُـغَيِّـرُنِي ... هَـذِي ٱلْمُدَامُ وَلا هَـذِي الأَغَارِيـدُ![6]

إذا أرَدْتُ كُمَيْتَ الخَـمْـرِ صَـافيـةً ... وَجَـدْتُهـا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَـفْقُـودُ[7]

= فقال: يا عيد بأية حال عدت؟ أي مع أية حال عدت؟ ثم فسر الحال فقال: بما مضى أمر بأمر مجدد؟ أي: هل تجدد لي حالة سوى ما مضى، أم بالحال التي أعهد؟.

(١) البيداء: الفلاة، جمعها: بيد، لأنها تبيد من يسلكها. يتأسف الشاعر على بعد أحبته عنه، فيقول: أما الأحبة فبعيدون عني، فليتك أيها العيد كنت بعيداً عنّي، وكان ما بيني وبينك من البعد ضعف ما بيني وبين الأحبة، يعني أنه لا يسر بعود العيد مع بعد الأحبة.

(٢) تجوب: تقطع. وأجوب: أقطع، ومنه قوله تعالى: ﴿الذين جابوا الصخرَ بالواد﴾ (الآية رقم ٩ سورة الفجر) والوجناء: الناقة العظيمة الوجنات. وقيل: الغليظة الخلق، مأخوذه من الوَجين، وهو الغليظ، وهي أيضاً الأرض الصلبة أو الحجارة. والضمير في بها: للوجناء. والحرف: الضامرة. والجرداء: الفرس القصير الشعر. والقيدود: الطويلة، يقول: لولا طلب المعالي لم أفارق أحبتي. ولم تقطع بي الفلاة ناقة ولا فرس. وجعلها تجوب به لأنها تسير به، وهو أيضاً يجوب بها الفلاة.

(٣) الغيد: جمع الغيداء، وهي المتثنية ليناً. والأماليد: الناعمات المستويات القامات، والغلام: الأملود، والجارية: الأملودة. والأملود في الأصل: الغصن الناعم. يقول: لولا طلب العلا لما اخترت مضاجعة السيف، وعدلت عن النساء الحسان اللواتي يشبهن رونق السيف في بياض بشرتهن ونقائها. وقوله مضاجعةً، يروى معانقة، وهو تمييز.

(٤) تيمه الحب: عبده وذلّله. والجيد: العنق. يقول: إن الدهر بأحداثه ونوائبه جرد قلبه من هوى العيون والأعناق فلا ينزع إليها لأنه ترك اللهو والغزل، وتجرد للجد والتشمير.

(٥) يقول لساقييه: أخمر ما سقيتماني أم همّ وسهاد؟ (والسهاد: الأرق)، فلا يزيدني ما أشربه إلا الهمّ، ولا يُسلّي همي، ذلك لبعده عن الأحبة، فهو لا يطرب على الشراب، أو لأن الخمر لا تؤثر فيه لوفور عقله.

(٦) المدام والمدامة: الخمر. والأغاريد: صوت الغناء، والغَرَد: التطريب بالصوت والغناء. يتعجب من حاله، ويقول: إن الخمر والغناء لا يطرباني ولا يؤثران في، حتى كأني صخرة يابسة، لا يؤثر فيها السماع والشراب.

(٧) صافية: حال من الكميت. والكميت من أسماء الخمر، لما فيها من سواد وحمرة. وأصل الكميت: الأحمر فيه سواد، يوصف به المذكر والمؤنث. يريد خمراً كميت اللون. يقول: الخمر لا تطيب إلا مع=

مَـاذَا لَقِيتُ مِنَ آلـدُّنْـيَـا وأعْجَبُهَـا — أَنِّي بِمَـا أنـا بـاكٍ مِنْـهُ مَحْسُـودُ!؟[1]

أمْسَيْتُ أرْوَحَ مُـثْـرٍ خـازِنـاً وَيَـداً — أنـا الغَنِـيُّ وأمْـوَالِي آلـمَـوَاعِيـدُ[2]

إنِّـي نَـزَلْـتُ بِكَـذَّابِـيـنَ ضَـيْفُـهُـمُ — عَنِ القِـرَى وَعَنِ آلتَّرْحَـالِ مَحْدُودُ[3]

جُـودُ الـرِّجَـالِ مِن الأيْـدي وَجـودُهُمُ — مِنَ اللِّسـانِ، فَلا كـانُوا وَلا الجُـودُ[4]

مَـا يَقْبِضُ المَوْتُ نَفْسـاً مِنْ نُفوسِهِمُ — إلاَّ وفـي يَـدِهِ مِـنْ نَـتْـنِـهَـا عُـودُ[5]

أكلَّمـا اغْتـالَ عَبْـدُ السُّـوءِ سَـيِّـدَهُ — أو خـانَـهُ فَلَهُ فِي مِصْـرَ تَمْـهِيـدُ[6]

= الحبيب، وحبيبي بعيد عني، فليس يسوغ لي الخمر. يريد: إذا طلبت الخمر وجدتها، وإذا طلبت حبيبي لم أجده، يتشوق إلى أهله وأحبته. وقال أبو الفتح بن جني: حبيب القلب عنده المجد، وإذا تشاغل بشرب الخمر، فقد المعالي، ويجوز أن يكون عنى بحبيب النفس أهله، لبعده عنهم.

(١) أعجبها: الضمير عائد على الدنيا. يشكو الشاعر ما لقيه من تصاريف الدهر، ونوازل الدنيا وأحوالها، ثم يقول: وأعجب ما لقيته منها أني محسود بما أشكوه ـ يعني انتجاعه كافوراً وانقطاعه إليه ـ يريد أن الشعراء يحسدونه على كافور، وهو علة شكاته وبكائه، أي: هو باك بما يلقى من كافور وبخله. وهذا مأخوذ من قول الحكيم: استبصار العقلاء ضد لتمني الجهلاء. فالجاهل يحسد العاقل على ما يبكيه، فالحال التي يبكي العاقل منها يحسده الجاهل عليها.

(٢) نصب خازناً ويداً على التمييز. وأروح: من الراحة. والمثري: الغني. والثراء: المال. يقول: إنني من الأغنياء ذوي الثراء. ولكن خازني ويدي في راحة من تعب حفظ المال، لأن أموالي إنما هي مواعيد كافور، وهي أموال لا تحتاج لحفظها إلى يدي وخازني. وهذا من قول الحكيم: لا غنى لمن مَلَكه الطمع، واستولت عليه الأماني.

(٣) القرى: قرى الضيف، وهو الإحسان إليه. ومحدود: ممنوع، تقول: حددت فلاناً عن الشر: أي منعته. يريد: أنهم كذابون فيما يعدون، ولا يحسنون إلى ضيفهم، ولا يمكّنونه من الرحيل عنهم.

(٤) يقول: إن هؤلاء الكذابين إنما يجودون بالمواعيد، ولا يجودون بالمال على خلاف المعهود، فإن الأجواد إنما جودهم بالعطاء، ثم دعا عليهم فقال: لا كانوا ولا كان جودهم.

(٥) يقول: الموت يستقذر نفوسهم، أي: أن أرواحهم من النتن والقذارة خسَّة ولؤماً، بحيث إذا أراد الموت قبضها لم يباشرها بيده، وإنما يتناولها بعود كما يفعل بالجيفة.

(٦) اغتاله: قتله غيلة، واخذه على غفلة. يشير إلى ما فعله كافور بالإخشيد وقتله إياه واستقلاله بملك مصر=

صَارَ الخَصِيُّ إمامَ الآبِقِينَ بِها ... فالحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ والعَبْدُ مَعْبودُ[1]

نامَتْ نَواطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعالِبِها ... فَقَدْ بَشِمْنَ وَما تَفْنَى العَناقِيدُ[2]

العَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صالِحٍ بِأخٍ ... لَوْ أنَّهُ في ثِيابِ الحُرِّ مَوْلُودُ[3]

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلّا والعَصا مَعَهُ ... إنَّ العَبِيدَ لأنْجاسٌ مَناكِيدُ[4]

ما كُنْتُ أحْسَبُنِي أبْقى إلى زَمَنٍ ... يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهْوَ مَحْمُودُ[5]

ولا تَوَهَّمْتُ أنَّ النّاسَ قَدْ فُقِدوا ... وأنَّ مِثْلَ أبي البَيْضاءِ مَوْجُودُ[6]

= بعد. يقول: أكلما أهلك عبد سوء سيده مهد أمره في مصر، وملكه أهلوها عليهم، وانقادوا له وأطاعوه. وهذا استفهام إنكار: أي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا.

(١) الآبق: الهارب من سيده. ومستعبد: مذلل. ومعبود: مطاع. يقول: إن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافور عنده وأحسن إليه لأنه مثله في الخيانة والتمرد على سيده، فهو إمام الآبقين.

(٢) النواطير: جمع الناظر، وهو الذي يحفظ الكرم والنخل. ويروى: النواطير بالطاء المهملة، جمع الناطور. ويقال: النواطير بالطاء المهملة غير عربية، إنما هي نبطية، والظاء المعجمة عربية. والمراد بنواطير مصر: ساداتها وأشرافها. والمراد بثعالبها: عبيدها وأرذالها. وبالعناقيد: الأموال. وبشم فلان: أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل. يقول: لقد غفلت سادات مصر عن أرذالها حتى عاثوا في أموال الناس، وأكلوا فوق الشبع. ثم قال: وما تفنى العناقيد: يريد كثرة ما بين أيديهم من الأموال، وأنهم كلما نهبوا شيئاً جدّ لهم غيره، فلا ينفكون يطلبون المزيد.

(٣) المعنى: الحر: لا يؤاخي العبد، لبعد ما بينهما من الأخلاق. يريد: أن كافوراً وإن أظهر له الود فليس له مصاف مخلص.

(٤) المناكيد: جمع المنكود، وهو قليل الخير. يقول: العبد لا يعمل معه الإحسان، ولا يصلح لك إلا بالضرب لسوء خلقه، فلا يجيء إلا على الهوان، لا على الإحسان. وهذا من قول بشار: «الحرُّ يُلْحىٰ والعَصَا للعبد». أي أن الحر يلام ويعاب. وقال الحكم بن عَبدَل من أبيات الحماسة:

والعَبْدُ لا يَطْلُبُ العَلاءَ ولا ... يُرضِيكَ شيئاً إلّا إذا رَهِبا

مِثْلُ الحِمارِ المُوَقَّعِ الظَّهرِ لا ... يُحْسِنُ مَشْياً إلّا إذا ضُرِبا

الموقع الظهر: الذي به آثار الدبر، وهو الجرح الذي يكون في ظهر الدابة.

(٥) أحسبني: أي أحسب نفسي. ويقال: أساء به وأساء إليه. ويجوز أن يكون يسيء بي على معنى يهزأ بي ويسخر مني، فعداه بالباء على المعنى، لا على اللفظ. يقول: ما كنت أظن أجلي يمتد بي إلى زمن يسيء إليّ فيه شرّ الخليقة، وأراني مع ذلك مضطراً إلى مدحه وحمده، ولا أستطيع أن أظهر الشكوى.

(٦) كناه بأبي البيضاء سخرية منه. يقول: ولم أتوهم أن الكرام فقدوا حتى خلت البلاد لمن شاءها، ولا أن مثل هذا موجود حتى رأيته على عرش مصر.

وأنَّ ذا الأسْـوَدَ الـمَثْـقُـوبَ مِشـفَـرُهُ	تُطِيعُـهُ ذِي ٱلعَضَـارِيطُ الـرَّعـادِيـدُ[1]
جَـوْعـانُ يـأكـلُ مِن زَادي ويُمسِكُني	لِكَيْ يُقَـالَ عَـظيمُ القَـدْرِ مَقْصُـودُ[2]
إنَّ آمْـرَأً أَمَـةٌ حُـبْـلَى تُـدَبِّـرُهُ	لَمُسْتَضَـامٌ سَخِينُ العَيْنِ مَـفْؤُودُ[3]
وَيْـلُمِّـهـا خُـطَّةً وَيْـلُمِّ قـابِـلِهـا	لِمِثْلِهـا خُلِقَ الـمَهْـرِيَّـةُ الْقُـودُ[4]
وَعِنْـدَهـا لَـذَّ طَعْمَ المَـوْتِ شـارِبُـهُ	إنَّ المَنِيَّـةَ عِنْـدَ الـذُّلِّ قِـنْـدِيـدُ[5]
مَن عَلَّمَ الأسْـودَ المخْصِيَّ مَكْـرُمَـةً	أَقَـوْمُـهُ البِيضُ أمْ آبـاؤهُ الصِّيـدُ؟[6]
أمْ أُذْنُـهُ فـي يَـدِ النَّخـاسِ دَامِيَـةً	أمْ قَـدْرُهُ وَهْـوَ بـالفَلْسَيْنِ مَـرْدُودُ[7]

(١) العضاريط: جمع العضروط، وهو الذي يخدم الناس بطعام بطنه. والرعديد: الجبان، وجعله مثقوب المشفر تشبيهاً له في عظم مشافره بالبعير الذي يثقب للزمام، والمشفر ـ في الأصل ـ شفة البعير. يقول: ولا توهمت أن الأسود العظيم المشافر يستغوي هؤلاء اللئام الأنـذال الذين حوله يـطيعونـه ويصدرون عن رأيه. يريد: بوصفهم بالعضاريط الرعاديد تقريعهم على طاعتهم إياه، وأنهم قد صاروا بهذه الطاعة كذلك.

(٢) وصفه بالجوع على معنى أنه للؤمه لا تسخو نفسه بشيء. وقوله يأكل من زادي: له وجهان: أحدهما: أن المتنبي أتاه بهدايا وألطاف ولم يكافئه عنها. والآخر: أن المتنبي كان يأكل من خالص ماله عنده، وينفق على نفسه مما حمله، وهو يمنعه من الارتحال، فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئاً، ومنعه من الطلب. وقيل في معنى البيت: كان الأسود، أي: كافور قد جمع له شيئاً من غلمانه وخدمه ثم أخذه لنفسه، ولم يعطه شيئاً. يقول: هو يمسكني عنده كي يتجمل بقصدي إيّاه فيقول الناس: إنه عظيم القدر يقصده المتنبي مادحاً.

(٣) المفؤود: الذي لا فؤاد له، وهو أيضاً الذي أصابه داء في فؤاده. والمستضام: الذي قد ناله الضيم، وهو الذل والظلم. وسخين العين: محزون. جعل الأسود أمة لفقدانه صفات الرجال، لأنه خصي، وجعله حبلى لعظم بطنه، وهذا تعريض.

(٤) ويلمها: كلمة تقال عند التعجب، وأصلها: وي لأمها، ثم حذفت الهمزة، واللام تكسر على الأصل، وتضم على حذف حركتهـا، وينصب ما بعـدها على التمييـز. والخطة: الأمـر والشأن. والمهـرية: المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، بطن من قضاعة تنسب إليه الإبل. والقود: الطوال الظهور والأعناق. يقول: ما أعجب هذه الحال، وما أعجب من يقبلها، وإنما خلقت الإبل للفرار من مثلها.

(٥) القنديد: عصارة قصب السكر إذا جمد، والخمر، يقول: عند هذه الحال ـ طاعة الأسود والنزول على حكمه ـ يستلذ طعم الموت؛ لأن الموت أيسر من ذلك الذل. ولـذ الشيء: وجده لذيذاً.

(٦) البيض هنا: الكرام. أي: بيض الأعراض. والصيد: الملوك ذوو الكبرياء، والمفرد الأصْيد. يقول: من أين لهذا الأسود مكرمة؟ أمن قومه الكرام، أم من آبائه الملوك العظماء؟ ليست له عراقة في الملك، إنما هو دخيل فيه.

(٧) النخاس: بياع الرقيق. والفلس: قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بهـا. ودامية: حال. وبالفلسين: =

أوْلَى اللِّئـامِ كُـوَيْفِيـرٌ بِمَـعْـذِرَةٍ   في كـلِّ لُؤْمٍ وبَعْضُ العُـذْرِ تَفْنِيـدُ[1]
وَذَاكَ أنَّ الـفُحـولَ البِيضَ عـاجِـزَةٌ   عنِ الجَميلِ فكيفَ الخِصْيَةُ السُّودُ[2]

- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي البقاء العكبري ٢/٣٩ - ٤٦.
- شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي ٢/١٣٩ - ١٤٨.

١٤ - قصيدة لأبي فراس الحمداني[3] يخاطب فيها حمامة باكية نائحة[4]

(من الطّويل)

أقـولُ وَقَـدْ نَـاحَتْ بِقُـرْبِي حمـامَـةٌ:   أيَـا جَـارَتَـا، هَـلْ تَشعُـرِينَ بحَـالي؟

= متعلق بمردود. وأذنه - بسكون الذال، وضمها - لغتان. يقول: إنه مملوك اشترى بثمن، إن زيد عليه قدر فلسين لم يُشتر لخسته، وسوء خلقه، وقبح منظره. وهذا غاية في التحقير لشأنه.

(١) التفنيد: اللوم وتضعيف الرأي. وكويفير: تصغير كافور، والمراد: التحقير. يقول: هو أولى اللئام بأن يعذر على لؤمه لخبث أصله وخسة قدره وعجزه عن المكارم. وهذا العذر لوم له وهجاء، وتوبيخ على الحقيقة. وقد صرح بعذره في البيت التالي.

(٢) يقول : إن الكرام عاجزون عن فعل الجميل، فكيف يقدر عليه اللئام؟! يقال: إنه عرّض في المصراع الأول بغيره من الملوك. ويقصد سيف الدولة.

(٣) أبو فراس: هو الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني، ابن عم ناصر الدولة - صاحب الموصل - وسيف الدولة - صاحب حلب - ابني حمدان، وكان أبو فراس فرد دهره، وشمس عصره أدباً وفضلاً وكرماً ومجداً، وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور، سائر بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة والحلاوة، وكان الصاحب بن عباد يقول: بديء الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس، وأبا فراس. . وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز، ويتحامى جانبه، فلا ينبري لمباراته، وإنما لم يمدحه، ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً، لا إغفالاً وإخلالاً. وكان سيف الدولة يعجب بمحاسنه، ويميزه بالإكرام على سائر قومه، ويستصحبه في غزواته، ويستخلفه في أعماله. قلده منبجاً (بين حلب والفرات) وحران وأعمالها، فكان يسكن منبجاً، ويتنقل في بلاد الشام. وقع أسيراً في أيدي الروم، في بعض الوقائع، وهو جريح قد أصابه سهم، بقي نصله في فخذه، ونقلته إلى خرشنة، ثم منها إلى قسطنطينية، وذلك في سنة ٣٤٨ هـ/٩٥٩ م، وفداه سيف الدولة في سنة ٣٥٥ هـ/٩٦٥ م. وله في الأسر أشعار كثيرة عرفت بالروميات. ولد سنة ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م، ومات قتيلاً سنة ٣٥٧ هـ/٩٦٨ م. انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ١/٣٥ - ٨٨. ووفيات الأعيان ٢/٥٨ - ٦٤. والعمدة ١/١٩٥، ٢١٤، ٥٦٠. والأعلام ٢/١٥٥.

(٤) يقال إن الشاعر سمع حمامة، وهو في الأسر، تنوح على شجرة فقال يخاطبها، وكما تلاحظ فإن هذه القصيدة تعبر عن الشعور بالغربة، والحنين إلى الوطن والأهل والأحبة، إلى جانب الشعور بالضعف. لكنه لم يستسلم ولم ييأس رغم كلّ هذه الظروف.

مَعَاذَ الهَوَى! ما ذُقتِ طارِقةَ النّوَى وَلا خَطَرَتْ منكِ الهُمُومُ بِبَالِ ![1]
أتَحْمِلُ مَحْزُونَ الفُؤادِ قَوَادِمٌ عَلى غُصُنٍ نَائي المَسَافَةِ عَالِ ؟[2]
أيَا جَارَتَا، ما أنصَفَ الدّهْرُ بَيْنَنا! تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ الهُمُومَ، تَعَالي ![3]
تَعَالَيْ تَرَيْ رُوحاً لَدَيَّ ضَعِيفَةً، تَرَدّدُ في جِسْمٍ يُعَذَّبُ بَالِ ![4]
أيَضْحَكُ مأسُورٌ، وَتَبكي طَلِيقَةٌ، وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ، وَيَندبُ سالِ ؟[5]
لَقد كنتُ أوْلى منكِ بالدّمعِ مُقلَةً، وَلَكِنّ دَمْعِي في الحَوَادِثِ غَالِ ![6]

ـ ديوان أبي فراس الحمداني، ص ٢٣٨ .

١٥ ـ قصيدة لأبي فراس نظمها في الأسر[7]
وهي من رومياته

(من الطّويل)

أرَاكَ عَصِيَّ الدّمعِ شِيمَتُكَ الصّبرُ، أمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلا أمْرُ؟
بَلى، أنَا مُشتَاقٌ، وعِندِيَ لَوْعَةٌ، وَلَكِنّ مِثْلي لا يُذاعُ لَهُ سِرُّ!
إذا اللّيلُ أضْوَاني بَسَطْتُ يدَ الهَوَى وَأذْلَلْتُ دَمْعاً من خَلائقِهِ الكِبْرُ[8]
تَكَادُ تُضِيءُ النّارُ بَينَ جَوَانِحِي إذا هيَ أذْكَتْهَا الصّبَابَةُ وَالفِكْرُ[9]

---

(١) المعاذ: الملجأ. وقوله: معاذ الهوى: أي أعصم الهوى منك وأحفظه.

(٢) القوادم: جمع القادمة، وهي كبار الريش في جناح الطائر. قيل إنها عشر ريشات. والنأي: البعد.

(٣) جعل الحمامة تشاركه الهموم وتقاسمه إيّاها.

(٤) تردد: أصلها تتردد، حذفت التاء للتخفيف، وإقامة الوزن.

(٥) في البيت طباق بين: الضحك والبكاء. والسكوت والندب. وبين المأسور والطليق. والمحزون والسالي.

(٦) أولى: أحق. والمقلة: العين.

(٧) نظم الشاعر هذه القصيدة وهو في الأسر. وهي إحدى رومياته، ولا نجد لأي منها باعثاً أو مناسبة، وعلى كلّ حال فإنها تمثل واقعه النفسي، وتعبر عن قوته وشجاعته، تعبر عن صبره في مصيبته، ونستشف منها أمله في الحرية. . ويبدأ قصيدته بذكر إبائه وعزته، وعذابه ولوعته. .

(٨) أضواني: أضعفني. ومن خلائقه: من صفاته.

(٩) الجوانح: أوائل الضلوع تحت الترائب. وأذكتها: أشعلتها. والصبابة: الشوق. وهنا يدلل على عظم الشوق.

مُعَلِّلتي بالوَصْلِ، وَالمَوْتُ دُونَهُ، إذا مِتُّ ظَمْآناً فَلا نَزَلَ القَطْرُ![1]

حَفِظْتُ وَضَيَّعْتِ المَوَدَّةَ بَيْنَنَا وَأحسنَ، من بَعضِ الوَفاءِ لكِ، العُذرُ

وَمَا هَذِهِ الأيّامُ إلاّ صَحَائِفٌ لأحْرُفِها، مِنْ كَفِّ كاتِبِها، بَشْرُ[2]

بنَفسي مِنَ الغَادينَ في الحَيّ غَادَةً هَوَايَ لَهَا ذَنْبٌ، وَبَهجتُها عُذْرُ

تَرُوغُ إلى الوَاشِينَ فيَّ، وإنَّ لي لأذْناً بهَا، عَنْ كُلّ وَاشِيَةٍ، وَقْرُ[3]

بَدَوْتُ، وأهْلي حَاضِرُونَ، لأنّني أرَى أنَّ دَاراً،لستِ من أهلها، قَفْرُ[4]

وَحَارَبْتُ قَوْمي في هَوَاكِ، وَإنّهُمْ وإيّايَ، لَوْلا حُبّكِ، المَاءُ وَالخَمرُ

فَإنْ يَكُ مَا قَالَ الوُشَاةُ وَلَمْ يَكُنْ فَقَد يَهدِمُ الإيمانُ مَا شَيّدَ الكُفرُ

وَفَيتُ، وَفي بَعضِ الوَفَاءِ مَذَلَّةٌ، لإنْسَانَةٍ في الحَيّ شِيمَتُها الغَدْرُ[5]

وَقُورٌ، وَرَيْعَانُ الصِّبَا يَسْتَفِزّهَا؛ فَتَأرَنُ، أحْيَاناً، كَمَا أرِنَ المُهْرُ[6]

تُسَائِلُني: مَنْ أنتَ؟ وَهي عَليمَةٌ، وَهَلْ بِفَتىً مِثْلي عَلى حَالِهِ نُكرُ؟

فَقُلتُ كمَا شاءتْ وَشَاءَ لَها الهَوَى: قَتِيلُكِ! قَالَتْ: أيّهُمْ؟ فَهُمُ كُثْرُ

فَقُلتُ لهَا: لَوْ شِئتِ لَمْ تَتَعَنّتي، ولَمْ تَسألي عَني وَعِندك بي خُبْرُ![7]

فَقَالَتْ: لَقَد أزْرَى بكَ الدّهرُ بَعدنا، فَقُلتُ: مَعاذَ الله بَل أنتِ لا الدّهرُ

وَمَا كانَ للأحزَانِ، لَوْلاكِ، مَسلَكٌ إلى القَلْبِ؛ لكِنّ الهَوَى للبِلى جسرُ

* * *

أُسِرْتُ وَما صَحبي بِعُزْلٍ لدى الوَغى، وَلا فَرَسِي مُهْرٌ، وَلا رَبُّهُ غَمْرُ[8]

---

(١) معللتي: مطمعتي. والوصل: اللقاء. وهنا يدلل على حرمانه.

(٢) الصحائف: جمع الصحيفة، وهي الكتاب أو القرطاس. وأراد بالبشر: المحو.

(٣) تروغ: تميل سرّاً، أي تكذب. والواشين: الحاسدين. وقرت أذنه: ثقلت أو ذهب سمعه كلُّه وصُمَّتْ.

(٤) القفر: الخالية.

(٥) يبدأ بوصف حبيبته.

(٦) وقور: أي هي وقور. وريعان الصبا: أوله. ويستفزها: يستخفها. وتأرن: تمرح ويقال: مهر أرن: أي مرح نشيط.

(٧) لم تتعنتي: لم تطلبي أمراً فيه المشقة والعذاب.

(٨) العزل: الواحد أعزل: من لا سلاح معه. ولا فرسي مهر: أي فرسه مجرب. وأراد بربه غمر: أي أنه ليس حديث العهد بخوض المعارك. وهنا يدلل على خبرته وحنكته في القتال.

وَلَكِنْ إذا حُمّ القَضَاءُ على امرِئٍ ... فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يقيهِ، وَلا بَحْرُ[1]
وَقالَ أُصَيْحابي: الفِرَارُ أوِ الرَّدَى؟ ... فَقُلْتُ: هُمَا أمْرَانِ؛ أحلاهُما مُرُّ
وَلَكِنّني أمْضِي لِمَا لا يَعِيبُنِي، ... وَحَسْبُكَ من أمرَينِ خَيرُهمَا الأسْرُ
يَقولونَ لي: بِعتَ السّلامَةَ بالرّدى؛ ... فَقُلْتُ: أمَا وَالله، مَا نَالَني خُسْرُ
وَهَلْ يَتَجَافَى عَنّيَ المَوْتُ سَاعَةً ... إذَا مَا تَجَافَى عَني الأسرُ وَالضّرُّ؟[2]
هُوَ المَوْتُ؛ فاختَرْ ما عَلا لكَ ذِكْرُهُ، ... فَلَمْ يَمُتِ الإنْسَانُ ما حَيِيَ الذكرُ

* * *

يَمُنُّونَ أنْ خَلُّوا ثِيَابي؛ وَإنّمَا ... عَليّ ثِيَابٌ، من دِمائِهِمُ، حُمْرُ[3]
وَقائِمُ سَيْفٍ فيهِمُ انْدَقّ نَصْلُه، ... وَأعقابُ رُمحٍ فيهِمُ حُطِّمَ الصدّرُ
سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدّ جِدُّهُمْ، ... وَفي اللّيْلَةِ الظّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ[4]
فإنْ عِشْتُ فَالطّعنُ الذي يَعْرِفُونَه ... وَتِلْكَ القَنا وَالبِيضُ وَالضُّمّرُ الشُّقرُ[5]
وَإنْ مُتّ فَالإنْسَانُ لا بُدّ مَيّتٌ ... وَإنْ طَالَتِ الأيّامُ، وَانْفَسَحَ العمرُ
وَلَوْ سَدّ غَيرِي ما سددتُ اكتفَوْا بِهِ، ... وَما كانَ يَغلو التّبرُ لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ[6]
وَنَحنُ أُنَاسٌ، لا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا، ... لَنَا الصّدرُ دُونَ العالَمينَ أوِ القَبرُ[7]
تَهُونُ عَلَيْنَا في المَعَالي نُفُوسُنَا؛ ... وَمَنْ خَطَبَ الحَسناءَ لَمْ يُغْلِها المَهرُ[8]

ـ ديوان أبي فراس الحمداني، ص ١٥٧ ـ ١٦١.

---

(١) حم القضاء: أي قضي ونزل.

(٢) يتجافى: يتباعد. والضر: الأذى.

(٣) يقال: إن الروم ادعت انها لم تأسر أحداً، في حين كان أبو فراس قد وقع في الأسر، وقد منّوا عليه بإبقاء ثيابه عليه، وفرسه وسلاحه، فيجيبهم بأن الدماء التي خضّبت ثيابه هي دماؤهم، وهو هنا يفخر، لأنه لم يقع في الأسر إلا بعد أن أصيب. وهنا كناية عن الشجاعة والقوة في القتال.

(٤) يقول: إن قومه سيذكرونه عند اشتداد الخطوب عليهم، ويطلبونه فلا يجدونه، ولا عجب في ذلك لأن البدر يفتقد ويطلب عند اشتداد الظلام. ففي البيت تشبيه ضمني.

(٥) القنا: الرماح. والبيض: السيوف الحادة. والضمر الشقر: الخيول الشقراء السريعة.

(٦) التبر: الذهب. والصفر: النحاس الأصفر. وهنا كناية عن سموّ قيمة بعض الناس على بعض.

(٧) وهنا يدلل على إيثار العلا أو الموت دونه.

(٨) هذا مثل.

١٦ ـ قصيدة للشريف الرضي[1] في الغزل[2]

(من البسيط)

يا ظَبيَةَ البَانِ تَرْعَى في خَمَائِلِهِ، ليَهنَكِ اليَوْمَ أنّ القلبَ مَرْعَاكِ[3]

المَاءُ عِنْدَكِ مَبْذُولٌ لشَارِبِهِ، ولَيسَ يَرْوِيكِ إلاّ مَدمَعي البَاكي

هَبّتْ لَنَا مِنْ رِيَاحِ الغَوْرِ رَائحَةٌ بَعْدَ الرُّقَادِ عَرَفْنَاهَا بِرَيّاكِ[4]

ثمّ انثَنَينَا، إذا مَا هَزّنَا طَرَبٌ عَلى الرِّحَالِ، تَعَلّلْنَا بذِكْرَاكِ

سَهْمٌ أصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ مَن بالعِرَاقِ، لَقد أبعَدْتِ مَرْمَاكِ[5]

وَعْدٌ لعَينَيكِ عِندِي ما وَفَيتِ بِهِ، يَا قُرْبَ مَا كَذَبَتْ عَينيَّ عَينَاكِ

حَكَتْ لِحَاظُكِ ما في الرِّيمِ من مُلَحٍ يَوْمَ اللّقَاءِ فكَانَ الفَضْلُ للحَاكي[6]

كَأنّ طَرْفَكِ يَوْمَ الجِزْعِ يُخبرُنَا بما طَوَى عَنكِ من أسمَاءِ قَتلاكِ[7]

أنتِ النّعيمُ لقَلبي وَالعَذابُ لَهُ، فَمَا أمَرَّكِ في قَلْبي وَأحْلاكِ

عِندِي رَسَائِلُ شَوْقٍ لَست أذكُرُهَا، لَوْلا الرّقيبُ لَقَدْ بَلّغتُهَا فَاكِ

سَقَى مِنىً وَلَيالي الخَيفِ ما شَرِبتْ مِنَ الغَمَامِ وَحَيّاهَا وَحَيّاكِ[8]

---

(١) هو محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي، ولد سنة ٣٥٩ هـ/ ٩٧٠ م ببغداد. ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل، وكان أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلى مع أصله الشريف ومفخره المنيف، بأدب ظاهر، وفضل باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبيين. انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، وخلع عليه بالسواد، وجدد له التقليد سنة ٤٠٣ هـ. قربه الخلفاء منهم، فمدحهم. صور بشعره كثيراً من صور الحياة في القرن الرابع الهجري.. له ديوان شعر مطبوع في مجلدين. وله عدة كتب منها: الحسن من شعر الحسين بن الحجاج. والمجازات النبوية. ومجاز القرآن. توفي سنة ٤٠٦ هـ/١٠١٥ م ببغداد.

(٢) انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ٣/١٣١ ـ ١٥١. ووفيات الأعيان ٤/٤١٤ ـ ٤٢٠. والأعلام ٦/٩٩.

(٢) نظم الشاعر هذه القصيدة في المحرم سنة ٣٩٥ هـ/١٠٠٤ م، وهي من لواحق الحجازيات.

البان: شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه النساء. والخمائل: جمع الخميلة، وهي الأشجار الملتفة الأغصان، الناعمة الأوراق.

الغور: البلاد المنخفضة عن نجد وجبال الحجاز، وتعرف بتهامة على ساحل البحر الأحمر. ورائحة: ريح المساء. والريا: الرائحة الطيبة.

(٥) بذي سلم: موضع بالحجاز، قرب مكة.

(٦) الريم: الظبي الخالص البياض.

(٧) الجزع: موضع بالحجاز قرب الطائف.

(٨) منى: بلدة قريبة من مكة وعرفات. فيها مرمى الجمار، وقربها غار حراء. والخيف: موضع بالحجاز.

إذ يَلتَقي كُلُّ ذي دَينٍ وَماطِلَهُ، مِنّا، وَيَجتَمِعُ المَشْكُوُّ وَالشّاكي

لمّا غَدا السِّرْبُ يَعطُو بَينَ أرْحُلِنَا، مَا كان فيهِ غَريمُ القَلبِ إلاّكِ[1]

هامَتْ بكِ العَينُ لم تَتبَعْ سِوَاكِ هوىً، مَنْ عَلّمَ البَينَ أنّ القَلبَ يَهوَاكِ[2]

حتّى دَنَا السِّرْبُ، ما أحيَيتِ من كمَدٍ قَتلى هَوَاكِ، وَلا فادَيتِ أسرَاكِ[3]

يا حبّذَا نَفحَةٌ مَرّتْ بفيكِ لَنا، وَنُطْفَةٌ غُمِسَتْ فيها ثَنَايَاكِ[4]

وَحَبّذَا وَقفَةٌ، وَالرّكْبُ مُغتَفِلٌ عَلى ثَرىً وَخَدَتْ فيهِ مَطَايَاكِ[5]

لوْ كانَتِ اللِّمّةُ السّوْداءُ من عُدَدي يَوْمَ الغَميمِ، لَما أفْلَتِّ أشرَاكي[6]

- ديوان الشريف الرضي ٢/١٠٧ - ١٠٨.

١٧ - قصيدة لأبي العلاء المعري[7] تتضمن بعض آرائه[8]

(من الطويل)

---

(١) السرب: الجماعة. ويعطو: يسير. وإلاك: أي إلاّ أنتِ.

(٢) هامت: من الهيام من شدة الوجد والشوق. والبين: الفراق.

(٣) فاديت: من الفداء. والكمد: الغم والحزن والمرض.

(٤) النفحة: أي النسمة والريح والرائحة. تقول: نفح الطيب: انتشرت رائحته. ونفحت الريح: هبّت أو نسمت. والنطفة: القليل من الماء. والمقصود: ريقها أو رضابها. والثنايا: وهي أسنان مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل.

(٥) ثرى: أي التراب الندي اللين، ووخدت: أسرعت وصارت ترمي بقوائمها.

(٦) اللمة: الجمع اللمم واللمام، وهي الشعر المجاوز شحمة الأذن. والعدد: جمع العُدَّة، الاستعداد، أي: ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح ونحو ذلك. وأفل: تخلص. والأشراك: جمع الشَرَك، وهي حبائل الصيد.

(٧) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، شاعر فيلسوف، ولد سنة ٣٦٣ هـ /٩٧٣ م في معرة النعمان، كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة. درس على أبيه وأهله، ثم على علماء حلب والشام. حتى أصبح مشهوراً، فرحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ هـ، والتقى هناك بعلمائها ورؤسائها، ومكث بها سنة وسبعة أشهر، وكما يبدو أن الحياة لم ترق له، فهجرها ورجع إلى منزله ولم يخرج منه. وقد سمّى نفسه (رهين المحبسين) يعني: حبس نفسه في المنزل، وحبس بصره عن الرؤية. وقد امتنع عن أكل كلّ ذي روح، وما يخرج منه. ألف خلال حياته كتباً كثيرة، رواها له ياقوت في معجمه، وتدل على ثقافته الواسعة، فهو يعرف الديانات والمعتقدات، وله معرفة باليونانية والفارسية والهندية، ويكاد يكون عالماً قائماً بذاته. توفي في معرة النعمان سنة ٤٤٩ هـ/١٠٥٧م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/١١٣ - ١١٦. ومعجم الأدباء ٣/١٠٧ - ٢١٨. والفكر والفن في شعر أبي العلاء المعري للدكتور صالح حسن اليظي. والأعلام ١/١٥٧.

(٨) عنوان هذه القصيدة كما ورد في اللزوميات: «تحريم أكل الحيوان».

غدَوتَ مريضَ العقلِ والدِّينِ فالقَني ... لتسمَعَ أنباءَ الأمورِ الصَّحائحِ

فلا تأكُلَنْ ما أخرجَ الماءُ، ظالماً، ... ولا تَبْغِ قوتاً من غَريض الذَّبائحِ (١)

وأبيَضَ أُمّاتٍ، أرادتْ صريحَهُ ... لأطفالها، دونَ الغواني الصَّرائحِ (٢)

ولا تفجَعَنَّ الطَّيرَ، وهيَ غوافلٌ، ... بما وضعتْ، فالظُّلمُ شرُّ القبائحِ

ودعْ ضرَبَ النَّحلِ، ٱلّذي بَكَرتْ لَهُ، ... كواسِبَ منْ أزهارِ نبتٍ فوائحِ (٣)

فما أحرزَتهُ كي يكونَ لغيرِها، ... ولا جمَعَتْهُ للنَّدى والمنائحِ (٤)

مَسَحْتُ يدي مِنْ كلِّ هذا، فليتني ... أبَهْتُ لشأني، قَبْلَ شَيْبِ المسائحِ (٥)

بَني زمني، هل تعلمون سرائراً، ... علمتُ، ولكنّي بها غيرُ بائحِ؟

سَريتمْ على غَيٍّ، فهلّا اهتدَيتُم ... بما خيَّرَتْكُمْ صافياتُ القرائحِ

وصاحَ بكم داعي الضَّلال، فما لكم ... أجَبتمْ، على ما خَيَّلتْ، كلَّ صائحِ؟ (٦)

فإن تَرْشُدوا لا تَخْضبُوا السَّيفَ من دمٍ، ... ولا تُلزِموا الأميالَ سَبْرَ الجرائحِ (٧)

ويُعجبني دأبُ الذينَ ترهَّبوا، ... سوى أكلِهِمْ كدَّ النّفوسِ الشَّحائحِ

وأطيبُ منهم مطعَماً، في حياته، ... سُعاةُ حلالٍ، بين غادٍ ورائحِ

فما حبسَ النّفسَ المسيحُ تعبُّداً، ... ولكن مشى، في الأرضِ، مِشيةَ سائحِ

يُغَيِّبُني، في التُّربِ، من هو كارهٌ، ... إذا لم يغيِّبْني كَريهُ الرَّوائحِ (٨)

ومن يَتوقَّى أنْ يجاورَ أعظُماً، ... كأعظُمِ تلك الهالكاتِ الطَّرائحِ

---

(١) الغريض: الطري من اللحم وغيره كالسمك.

(٢) الأبيض: اللبن. والصرائح: واحدتها الصريحة، وهي الخالصة الحسن. والأُمّات: لغة في الأمهات.

(٣) الضرب: العسل.

(٤) الندى: الكرم. والمنائح: جمع المنيحة، وهي ما تعطي تكرما.

(٥) المسائح: جمع المسيحة، وهي الذوائب.

(٦) خيلت السماء: رعدت وبرقت وتهيأت للمطر. والمراد: تتبعون ظواهر الأشياء.

(٧) الأميال: واحدها الميل، وهو الذي يسبر، أي: يقاس به الجرح. والجرائح: المواضع، أو النفوس الجريحة. وهنا ينهى عن الحرب وكل ما ينتج عنه الجراح.

(٨) أي: أنني سأموت سواء أصبت برائحة كريهة أو لم أصب، وحينئذ يدفنني من هو كاره ذلك.

ومن شـرّ أخـلاقِ الأنيس، وفعلِهم، خُـوارُ النّـواعي والْتِـدامُ النّـوائـحِ[1]
وأصفَـحُ عن ذنبِ الصّـديقِ وغيـرِه، لسكنـايَ بيتَ الحقِّ بينَ الصّفائحِ[2]
وأزهدُ في مدح الفتى، عنـد صِدْقـهِ، فكيفَ قبـولي كـاذبـاتِ المـدائـحِ!
ومـا زالتِ النّفسُ اللّجـوجُ مـطِيّـةً، إلى أن غدتْ إحدى الرّذايا الطّلائحِ[3]
ومـا يَنْفَـعُ الانسـانَ أنّ غمـائـمـاً تَسُحُّ عليهِ، تحتَ إحدى الضّرائـحِ[4]
ولو كان، في قُربٍ من الماءِ، رغبـةٌ، لنـافسَ نـاسٌ في قبـورِ البـطـائـحِ[5]

ـ اللزوميات، لزوم ما يلزم ١/٢٩٥ ـ ٢٩٧.

١٨ ـ من قصيدة لأبي العلاء في رثاء فقيه حنفي

(من الخفيف)

غيـرُ مُجـدٍ فـي مِلّتـي وآعتـقـادي نَـوْحُ بـاكٍ ولا تـرنُّـمُ شـادِ[6]
وشـبـيـهٌ صـوتُ الـنّـعِـيِّ إذا قـيـ ـسَ بصـوتِ البشيـرِ في كـلِّ نـادِ[7]
أَبَكَـتْ تِـلْكُـمُ آلـحـمـامـةُ أَمْ غـنّـ ـت علـى فَـرْعِ غُصْنِـهـا الـمـيّـادِ
صاحِ، هـذي قبُـورنـا تَمْـلأُ الـرُّحـ ـبَ فـأينَ القبـورُ منْ عهـدِ عـادِ؟[8]
خـفـفِ الـوطءَ مـا أظـنُّ أديمَ الأ رضِ إلّا مـنْ هـذهِ الأجـسـادِ[9]
وقـبـيـحٌ بـنـا وإنْ قَـدُمَ الـعـهـ ـدُ هَـوَانُ الآباءِ والأجـدادِ[10]

---

(١) خوار: صياح، مأخوذة من خوار الثور، استعملها الشاعر للازدراء. والتدام النوائح: ضربهن صدورهن في نواحهن.

(٢) بيت الحق: القبر.

(٣) الرذايا: واحدتها الرذية، وهي الناقة المهزولة المعيية من السير. والطلائح: واحدتها طليحة: وهي المعيية.

(٤) يستغرب بل ينكر على الناس أن يدعوا لموتاهم السقيا، وهي من العادات المعروفة عند العرب، وخاصة الشعراء، ويعتقدون ان السقيا تنزل بمثابة الرحمة.

(٥) البطائح: جمع البطيحة، وهي المسيل الواسع.

(٦) الشادي: الصائح من الطيور.

(٧) النعي: المخبر بالموت.

(٨) صاح: يا صاحبي.

(٩) أديم الأرض: وجه الأرض. وخفف الوطء: سر على الأرض بتواضع.

(١٠) قبيح بنا: عيب علينا. والهوان: الإهانة والذل.

سِـرْ إنِ آسْطَعْتَ في الهـواءِ رُويداً لا آختيـالاً عـلى رُفـاتِ العبـادِ[1]

رُبَّ لحـدٍ قـد صـارَ لحـداً مـراراً ضـاحـكٍ مِنْ تـزاحمِ الأضـدادِ[2]

ودفـيـنٍ عـلى بـقـايـا دَفِـيـنٍ فـي طـويـلِ الأزمـانِ والآبـادِ[3]

فـاسـألِ الفَـرْقَـدين عَـمَّن أحسَّـا مِنْ قَبـيـلٍ وآنَسَـا مـنْ بـلادِ[4]

كَـمْ أقـامـا عـلى زوالِ نـهـارٍ وأنـارا لـمـدلـجٍ فـي سـوادِ[5]

تـعبٌ كـلُّهـا الحيـاة فمـا أعـجبُ إلّا مـن راغـبٍ فـي ازديـادِ

إنَّ حُـزْنـاً في سـاعةِ المـوتِ أضعـا فُ سـرورٍ فـي سـاعـةِ الـمـيـلادِ

ـ شرح ديوان سقط الزند، ص ١١١ ـ ١١٥.

١٩ ـ قصيدة أبي المظفر الأبيوردي[6] في سقوط بيت المقدس بأيدي الفرنج سنة ٤٩٢ هـ/١٠٩٨ م[7].

(من الطّويل)

مَـزَجْنـا دِمـاءً بـالـدُّمـوعِ السَّـواجِمِ فَلَمْ يَبْقَ مِنَّـا عُـرْضَـةٌ لِلمَـراحِمِ[8]

---

(١) اسطعت: حذفت التاء قبل الطاء المهملة من هذا الفعل للتخفيف. ورويداً: مهلاً. واختيالاً: تكبراً.

(٢) اللحد: القبر. والأضداد: المتعاكسة.

(٣) الآباد: جمع أبد، وهو الدهر.

(٤) الفرقدان: كوكبان في بنات نعش الصغرى، قريباً من القطب، يُهتدى بهما في السير. والقبيل: البشر، أو الجماعة من الناس. وآنسا: أبصرا، وشاهدا.

(٥) المدلج: الساري في الليل.

(٦) هو محمد بن أحمد بن محمد القرشي الأموي، أبو المظفر: كان من الأدباء المشاهير، راوية نسابة شاعراً، يقال: كان من أخبر الناس بعلم الأنساب. وللشاعر ديوانٍ مطبوع قسمه إلى أقسام: منها العراقيات، ومنها النجديات، ومنها الوجديات. وله كتب عديدة، منها: «تاريخ أبيورد» و«المختلف والمؤتلف» في الأنساب، و«طبقات العلماء في كل فن» و«أنساب العرب» يقال: ولد في أبيورد بخراسان، ومات مسموماً في أصبهان سنة ٥٠٧ هـ/١١١٣ م. انظر ترجمته: وفيات الأعيان ٤/٤٤٤ ـ ٤٤٩ ـ والنجوم الزاهرة ٥/٢٠٦ ـ ٢٠٧. والأعلام ٥/٣١٦. والديوان ١/٧ ـ ٢١.

(٧) أخذت الفرنج في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف، وقتلوا به أكثر من سبعين ألفاً، منهم جماعة من العلماء، والعُبّاد، والزُّهاد، وهدموا المشاهد، وجمعوا اليهود في الكنيسة، وأحرقوها عليهم، وورد المستنفرون إلى بغداد، فأوردوا كلاماً أبكى العيون، واختلفت السلاطين السلجوقية، فتمكنت الفرنج من الشام. انظر: تاريخ الخلفاء، ص ٤٢٧.

(٨) العين السجوم: التي تصب وتسيل الدمع. والمراحم: جمع المرحمة: الرحمة. والعرضة: الشيء الذي يعرض. يريد: أنه لم يبق شيء يعرض للرحمة.

وَشَـرُّ سِـلاحِ المَـرْءِ دَمْـعٌ يُفيضُـهُ ... إذَا الحَرْبُ شُبَّتْ نارُهـا بِالصَّـوارِمِ (1)

فَـإيهـاً بَنـي الإسْـلامِ إنَّ وَرَاءَكُـمْ ... وَقـائِـعَ يُلْحِقْنَ الـذُّرَا بِـالمنـاسِمِ (2)

أَتَـهْـويمـةً فـي ظِـلِّ أَمْـنٍ وَغِبْـطَـةٍ ... وَعَيْشٍ كَنُـوَّارِ الـخَميـلَةِ نـاعِـمِ ؟ (3)

وَكَيْفَ تَنـامُ العَـيْنُ مِـلْءَ جُـفـونِهـا ... على هَفَـواتٍ أَيْقَـظَتْ كُـلَّ نـائِمِ ؟ (4)

وإخـوانُكُمْ بـالشَّـامِ يُضْحِي مَقِيلُهُمْ ... ظُهـورَ المذاكي أو بُطونَ القشاعمِ (5)

تَسُـومُهُـمُ الـرُّومُ الـهَـوانَ وَأَنْـتُـمُ ... تَجُرُّونَ ذَيْلَ الخَفْضِ فِعْلَ المُسالِمِ (6)

وكَمْ مِنْ دمـاءٍ قـد أُبيحتْ ومِنْ دُمىً ... تُـوارِي حياءً حُسْنَهـا بـالمعـاصِمِ ؟ (7)

بحيثُ السُّيـوفُ البيضُ مُحْمَّرةُ الـظُّبـا ... وَسُمْـرُ ٱلعـوالي داميـاتُ اللَّهـاذِمِ (8)

وَبَيْنَ ٱختلاسِ الطَّعْنِ وَٱلضَّـرْبِ وَقْفَةٌ ... تَـظَلُّ لَهـا الـوِلْـدَانُ شِيبَ ٱلقَـوَادمِ (9)

وَتِلْكَ حـروبٌ مَنْ يَغِبْ عن غِمـارِهـا ... لِيَسْلَمَ يَقْـرَعْ بَعْـدَها سِنَّ نـادِمِ (10)

---

(١) الصوارم: جمع الصارم، السيف القاطع.

(٢) إيهاً: بكسر الهمزة وتنوين الهاء، اسم فعل أمـر بمعنى: زيدوا.
والوقائع: المحن والمصائب. والذرا: الأعالي. والمناسم: جمع المنسم للإبل: هو كالظفر للإنسان أو هو خف البعير. يريد: إن الوقائع تجعل أعاليكم أسافلكم، أي: تقلبكم رأساً على عقب.

(٣) التهويمة: جولة الطائر أو النحلة أو ما شابه ذلك في الهواء. والنوّار: الزهر، والغبطة: حسن الحال والمسرة. والخميلة واحدة الخمائل: الشجر الكثير الملتف، أو الموضع الكثير الشجر.

(٤) الهفوات: جمع الهفوة، السقطة والغلطة والزلة. ولعلها: «هنوات» جمع الهَنَاة، أي: الداهية، بمعنى الشرور والفساد.

(٥) المقيل: موضع القيلولة. النوم أو الاستراحة في الظهيرة. والمذاكي من الخيل جمع المُذْكي: ما تمت سنُه وكملت قوته. والقشاعم: جمع القشعم: المسنّ من الرجال أو النساء أو النسور. والقشعم: الأسد. وأم قشعم: الحرب.

(٦) تسومهم: تغير عليهم، وتلحق بهم الهوان. والخفض: سهولة العيش ولينه.

(٧) الدمى: النساء الجميلات يشبههن بالتماثيل.

(٨) الظبا: حد السيف. وسمر العوالي: الرماح. واللهاذم: جمع اللهذم، الحادّ القاطع من الأسنة والسيوف.

(٩) الولدان جمع الوليد: المولود، والصبي. القوادم: جمع القادمة، الريشات التي في مقدم الجناح وهي كبار الريش، والخوافي صغاره، وهي تحت القوادم، يريد هنا: مقدمات الرؤوس.

(١٠) غمرة الحرب: مكارهها وشدائدها.

سَلَلْنَ بِـأَيْـدِي المُشْـرِكِينَ قَـواضِبـاً سَتُغْمَدُ مِنْهُمْ في الطُّلا وَالجمـاجِمِ [1]

يَكـادُ لَهُـنَّ الـمُـسْـتَـجِـنُّ بِـطَيْبَـةٍ يُنادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ: يا آلَ هَاشِمِ [2]

أرى أُمَّتي لا يُشْـرِعـونَ إلى الـعِـدا رِمـاحَهُمُ، وَالدِّينُ واهِي الـدَّعـائِمِ [3]

وَيَجْتَنِبُـونَ النّـارَ خَـوْفـاً مِنَ الـرَّدَى وَلا يَحْسبـونَ العـارَ ضَـرْبَـةَ لازِمِ

أَتَـرْضَى صناديـدُ الأعـاريبِ بـالأذى وَيُغْضِي على ذُلٍّ كُمـاةُ الأَعـاجِمِ [4]

فَـلَيْـتَـهُـمُ إذْ لَمْ يَذُودُوا حَـمِـيَّـةً عَنِ الـدِّينِ ضَنُّـوا غَيْـرَةً بِـالمَحـارِمِ

وَإنْ زَهِدُوا في الأَجْرِ إذْ حَمِسَ الوَغى فَهَـلَّا أَتَـوْهُ رَغْبَـةً فـي الغَـنـائِمِ [5]

لَئِنْ أَذْعَنتْ تِلكَ الخَيـاشِيمُ لِلْبُـرَى فَـلا عَـطَسُـوا إلَّا بِـأَجْـدعَ راغِمِ [6]

دَعَـــوْنَـاكُمُ وَالحَـرْبُ تَـرْنُـو مُلِحَّـةً إلَيْنـا بِـأَلحـاظِ النُّسـورِ القَشـاعِمِ

تُـرَاقِـبُ فـيـنـا غـارَةً عَـرَبِـيَّـةً تُطيلُ عليها الرُّومُ عَضَّ الأَبـاهِمِ [7]

فَـإنْ أَنْتُمُ لَمْ تَغْضَبُـوا بَعْـدَ هـذِهِ رَمَيْنَـا إلى أَعْـدائِنـا بِـالحَـرائِمِ [8]

ـ ديوان الأبيوردي ٢/١٥٦ ـ ١٥٧.

ـ البداية والنهاية ١٢/١٥٦ ـ ١٥٧.

ـ نهاية الأرب ٥/٢٢٦ ـ ٢٢٧.

ـ تاريخ الخلفاء، ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

ـ الكامل في التاريخ ١٠/٢٨٤ ـ ٢٨٦.

---

(١) القواضب: جمع قاضب: شديد القطع، يريد السيف. والطُّلا: الأعناق.

(٢) المستجن: المستتر وراء الترس، وهو المجن. وطيبة: المدينة المنورة.

(٣) الواهي: الضعيف.

(٤) الصناديد: جمع الصنديد: السيد الشجاع. والأعاريب: العرب. ويغضي: يصبر ويمسك عنه عفواً.

(٥) حمس الوغى: اشتد.

(٦) البرى: جمع البُرة، وهي حلقة تجعل في أنف البعير أو الأسير. الأجدع واحد الجُدْع: الذي قطع أنفه. وراغم الأنف: الذليل، والجمع الرُغْم الأنوف. تقول: أرغمه: أذله وحمله على فعل ما يكرهه.

(٧) الأباهم والأباهيم: جمع الإبهام: أكبر أصابع اليد أو الرجل.

(٨) الحرائم: النساء.

٢٠ ـ من قصيدة لابن سناء الملك[١] في تهنئة صلاح الدين الأيوبي[٢] بنصر حطين[٣].

(من الخفيف)

لستُ أدْرِي بأيِّ فَتْحٍ تُهنَّا ... يا مُنِيلَ الإسلامِ ما قد تَمنَّى

أنهنِّيكَ إذْ تَملَّكْتَ شاماً ... أم نُهنِّيكَ إذْ تَمَلَّكتَ عَدْنا

قد مَلكتَ الجِنانَ قُطْراً فَقُطْراً ... إذ فَتَحْتَ الشامَ حِصْناً فَحِصْنا

إنَّ دينَ الإسلامِ منٌّ على الخلـ ... ـق وأنتَ الذي على الدِّين منّا

لكَ مدحٌ فوقَ السمواتِ يُنْشا ... وَمَحَلٌّ فوقَ الأسنَّةِ يُبْنى

كم تأنَّى النصرُ العزيزُ على الشا ... مِ ولمّا نَهَضْتَ لم يتأنّا[٤]

قُمْتَ في ظلمةِ الكريهةِ كالبدْ ... رِ سناءً والبدرُ يَطْلُعُ وَهْنا[٥]

---

(١) هو هبة الله بن جعفر بن سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله السعدي، أبو القاسم، القاضي السعيد، شاعر مشهور، عاصر صلاح الدين ومدحه. ولد بمصر سنة ٥٤٥ هـ/١١٥٠ م. كان من الرؤساء النبلاء، جيد الشعر، بديع الإنشاء. وهو أول من استكثر من الموشحات في المشرق، وقد ترك لنا عملاً عظيماً سماه: «دار الطراز في عمل الموشحات» واختصر كتاب الحيوان للجاحظ، باسم «روح الحيوان»، وله العديد من المؤلفات. توفي في مصر سنة ٦٠٨ هـ/١٢١٢ م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٦/٦١. ومعجم الأدباء ١٩/٢٦٥. والأعلام ٨/٧١. وابن سناء الملك، حياته وشعره، تحقيق محمد إبراهيم نصر، ومراجعة د. حسين نصار. وتاريخ الأدب العربي. عصر الدول والإمارات (مصر والشام)، د. شوقي ضيف، ص ٢٠٣.

(٢) هو يوسف بن أيوب بن شاذي أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، ولد سنة ٥٣٢ هـ/١١٣٧ م بتكريت، وهو من قبيلة كردية. كسر الإفرنج وفتح القدس. توفي سنة ٥٨٩ هـ/١١٩٣ م. انظر: الأعلام ٨/٢٢٠.

(٣) معركة حطين: وقعت في ربيع الثاني ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م. انتصر فيها صلاح الدين على الإفرنجة. وأسر ملك بيت المقدس، وأرناط موقد شرارة هذه الحرب. وقد ورد في هامش الديوان: قال ابن سناء هذه القصيدة سنة ٥٨٣ هـ قبل فتح المقدس وقد أشار فيها إلى الانتصارات العظيمة التي أحرزها صلاح الدين كانتصاره العظيم في حطين، واستيلائه على كثير من المعاقل والحصون كفتح طبريا، ونابلس وغيرها من مدن الشام وقلاعها. علماً أن صلاح الدين دخل بيت المقدس في رجب ٥٨٣ هـ/اكتوبر ١١٨٧ م. وقد صادف دخوله إليها يوم ذكرى معراج الرسول ﷺ.

(٤) لم يتأنّا: الألف لضرورة الشعر، والفعل مجزوم بلم.

(٥) وهنا: بعد ساعة من الليل.

لــم تـقــفْ قطُّ فـي الـمـعــاركِ إلاَّ ... كنتَ يــا يــوسفُ كيــوسفَ حُسْنَــا

تجتني الـنصــرَ مـن ظُبــاك كــأنَّ الـ ... ـعضبَ قــدْ صحّفــوه فصــار غُصْنـا

قَصَــدَتْ مَحْوَكَ الأعــادي فــردَّ اللّـ ... ـهُ مَــا أمَّــلُوه عَــنْــكَ وعــنَّــا

حَـمَلُوا كــالـجبــالِ عِــظْمــاً ولـكنْ ... جَعَلْتَهــا حَمْــلاتُ خيلِكَ عِهْنــا[1]

جـمـعــوا كـيــدَهــم وجــاؤوكَ أركــا ... نــاً فَـمَنْ هــدَّ فــارسـاً هــدَّ رُكْـنـا

لـم تُـلاقِ الجيــوشَ منهــمْ ولـكـنَّـ ... ـكَ لاقـيــتَــهــم جـبــالاً وَمُـدْنــا

كــلُّ مَنْ يجعــل الحـديــدَ لــه ثــو ... بــاً وتــاجــاً وطـيلســانــاً ورُدْنــا[2]

خَانَهُ ذلــك الـسـلاحُ فــلا الـرّمـ ... ـحُ يـغـنـي ولا الـمـهـنّـدُ ظَـنَّـا

وتــولَّتْ تـلك الـخـيــولُ ولــم يُـثْـ ... ـنَ عـلـيـهــا بــأنَّـهــا لـيس تُـثْـنَـى

وتـصيَّــدْتَــهــمْ بـحــلْقَــةِ صَـيــدٍ ... تَـجْـمَـعُ الـليثَ والـغـزالَ الأغنَّــا[3]

وجــرتْ مــنـهــمُ الـدمــاءُ بـحــاراً ... فجــرتْ فــوقَهــا الجـزائــرُ سُفْنَــا[4]

صَـنَـعَتْ فـيـهـمُ ولـيـمـةَ عُـرْسٍ ... رَقَصَ الـمَـشْـرَفـيُّ فـيــهــا وغـنَّـى

ظــلَّ مـعـبــودُهـمْ لــديــكَ أسـيــراً ... مستضــامــاً فـاجـعـل لـه النـارَ سِجْنـا[5]

صـلبــوا ربَّـهـمْ فَـلَمْ يُـغْـنِ عـنـهـمْ ... من يُــرى بعــدَ صَلْبِــهِ قطُّ أغنى؟[6]

وحــوى الأسـرُ كــلَّ مَلْكٍ يظنُّ الـدّ ... هــرَ يـفـنـى ومُـلْكَــهُ لــيس يَـفـنـى

ظَـنَّ ظَنّــاً وكـنــتَ أصــدقَ فـي الـلّـ ... ـهِ يــقــيــنــاً وكــانَ أكــذبَ ظــنّــا

كـــم تــمــنّـى الــلقــاءَ حــتّــى رآهُ ... فـتـمـنّـى لــو أنّــه مــا تــمــنّـى

رقّ من رحمــةٍ لــه الـقـيــدُ والـغُــلُّ ... عــلـيــه فــكــلّمــا أنّ أنّــا

---

(١) العظم: العظيم، الكبير. والعهن: الصوف.

(٢) الردن بالضم: أصل الكم والجمع أردان. والمعنى: إن هؤلاء المحاربين ارتدوا الحديد فاختفوا فيه تماماً.

(٣) الغزال الأغن: الذي يخرج صوته من خياشيمه.

(٤) الجزائر: جمع جزور، وهو الشاة المذبوحة أو الناقة. وفي البيت تورية.

(٥) المعبود: صليب الصلبوت.

(٦) ربهم: المسيح. وقد أشار إلى صليب الصلبوت الذي سلب بعد كسرة حطين، وأسر الملك والإبرنس صاحب الكرك وغيرهما من أعاظم الفرنج.

والـلعينُ الإبـرنسُ أصبـحَ مـذبـو ... حَ يَمينٍ لم تُعْـلِمِ الـدينَ يُمْنَـا[1]

أنـتَ ذكَّـيْـتَـهُ فـوفَّـيـتَ نَـذْراً ... كنتَ قـدَّمتَـهُ فجـوزِيْتَ حُسْنـا

وتَهـادتْ عـرائسُ المُـدْن تُجْـلَى ... وثـمـارُ الآمـالِ فـيـهـنَّ تُـجْـنَـى

لا تَـخُـصُّ الشـآمَ منـكَ التهـانـي ... كـلُّ صُـقْـعٍ وكـلُّ قُـطْرٍ يُـهـنَّـا

قـد ملكتَ البـلادَ شـرقـاً وغـربـاً ... وحـويـتَ الآفـاق سهـلاً وحَـزْنـا

واغتـدى الـوصفُ في عُـلاكَ حسيـراً ... أيُّ لـفظٍ يـقـالُ أو أيّ مـعـنـى

- ديوان ابن سناء الملك ٢/٣٤٠ - ٣٤٣.

٢١ - من قصيدة بهاء الدين زهير[2] في مدح السلطان الملك الكامل ناصر الدين بن أيوب حين انتزع ثغر دمياط من الإفرنج[3]

(من الطويل)

بِكَ اهتزّ عِطفُ الدّينِ في حُلل النّصرِ ... وَرُدّتْ عـلى أعقـابِـهـا مِلّةُ الـكُـفْـرِ

تَمِيسُ بِـهِ الأيّـامُ فـي حُلَلِ الـصِّبـا ... وَتَـرْفُـلُ منهُ في مَطَارِفِـهِ الخُضْـرِ[4]

---

(١) الإبرنس: أرناط: كان من ملوك الفرنج الذين غدروا بالمعاهدة، وقتل بعض المسلمين في الهدنـة، وسبّ الدين الإسلامي، فنذر صلاح الـدين إن ظفر بـه ليقطعن عنقـه، وقد ظفـر به وقتله. انـظر: الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة ٢/٨١.

(٢) أبو الفضل بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيي بن الحسن بن جعفر بن المنصور بن عاصم الأزدي المكي، القوصيّ المنشأ المصري الدار، ولد سنة ٥٨١ هـ/١١٨٦ م بوادي نخلة بقرب مكة. وربي بصعيد مصر بقوص، وقرأ الأدب وسمع الحديث وبرع في النظم والنثر، وله الشعر الرائق الفائق. وكان كاتباً وشاعراً مشهوراً معروفاً، ورئيساً فاضلاً حسن الأخلاق. اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب في حياة أبيه الملك الكامل، ودام في خدمته إلى أن توفي سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م. انظر ترجمته: وفيات الأعيان ٢/٣٣٢ - ٣٣٨. والنجوم الزاهرة ٧/٦٢ - ٦٣. والأعلام ٣/٥٢. وتـاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات (مصر والشام) د. شوقي ضيف، ص ٢٧٨ - ٢٨٦. ومقدمة الديوان.

(٣) دمياط: مدينة في مصر على نهر النيل، حاصرها الصليبيون وفتحوها سنة ٦٤٧ هـ/١٢٤٩ م، وانتزعها الملك الكامل سنة ٦٤٨ هـ/١٢٥٠ م، من لويز التاسع.

(٤) العطف: عطف كل شيء جانبه، ومن الإنسان من لدن رأسه إلى وركه. وترفل: من رفل: جرّ ذيله وتبختر في سيره. والمطارف: جمع المِطْرَف: رداء من خزّ مربع ذو أعلام.

ومنْ أُجْلِهِ أضحى المُقَطَّمُ شامخاً يُنافسُ حتى طُورَ سيناءَ في القَدْرِ

فيا ملكاً سامَى الملائكَ رِفْعَةً ففي الملإِ الأعلى لَهُ أطْيَبُ الذِّكْرِ

وما فرحتْ مصرٌ بذا الفتح وَحْدَها لقد فَرِحتْ بغدادُ أكثرَ منْ مِصرِ

فلوْ لم يَقُمْ باللَّهِ حقَّ قيامِهِ لما سَلِمَتْ دارُ السَّلامِ منَ الذُّعْرِ

وأُقْسِمُ لولا هِمَّةٌ كامِليَّةٌ لخافتْ رجالٌ بالمَقامِ وبالحِجْرِ[1]

فقُلْ لرسولِ الله إنَّ سَمِيَّهُ حَمَى بَيْضَةَ الإسلامِ من نُوَبِ الدَهرِ

به آرتُجِعَتْ دِمياطُ قهراً من العِدى وطهَّرها بالسيفِ والمِلَّةِ الطُّهْرِ

ثلاثةَ أعوامٍ أَقَمْتَ وَأَشْهُراً تُجاهِدُ فيهمْ لا بِزَيْدٍ ولا عَمْرِو

وليلةِ غَزْوٍ للعدوّ كأنّها لكثرةِ مَنْ أرْدَيْتَهُ - ليلةُ النَّحْرِ

فيا ليلةً قد شرَّفَ اللّهُ قدرَهَا ولا غَرْوَ إنْ سَمَّيْتُها ليلةَ القَدْرِ

سَدَدْتَ سبيلَ البرِّ والبحرِ عَنْهُمُ بسابحةٍ دُهْمٍ وسابحةٍ غُرِّ[2]

وجيشٍ كمثلِ الليلِ هَوْلاً وهيبةً وإن زانَهُ ما فيهِ من أنجمٍ زُهْرِ[3]

فما زِلْتَ حتى أيّدَ الله حِزْبَهُ وأشرقَ وجهُ الأرضِ جَذْلانَ بالنصرِ[4]

فروّيتَ منهمْ ظاميءَ البيضِ والقَنا وأشبعتَ منهمْ طاويَ الذئبِ والنسرِ[5]

وجاءَ ملوكُ الرومِ نحوكَ خُضّعاً تُجَرِّرُ أذيالَ المهانَةِ والصُّغْرِ

أتَوْا مَلِكاً فَوْقَ السِّماكِ مَحَلُّهُ فمن جودِهِ ذاكَ السّحابُ الذي يسري[6]

---

(١) همة كاملية: أي همة الملك الكامل. والمقام: مقام إبراهيم بمكة. والحجر: ما حواه الحطيم المحاط بالكعبة من جانب الشمال.

(٢) الجياد السابحة: السريعة العدو. والدهم: جمع الأدهم، وهو الفرس الأسود. ولعله أراد: «بسانحة دهم وسابحة غرّ»، أو «بسابحة دهم وسانحة غرّ» ليجانس ويطابق، وذلك في: «سابحة» و«سانحة»، و«دهم» و «غرّ». تقول سنح الطائر أو الظبي: مرّ عن مياسرك إلى ميامنك، فولاك ميامنه، والعرب يتيمنون به فهو سانح. والغر: البيض.

(٣) الأنجم الزهر: يقصد قواد الجيش وجنوده.

(٤) الجذل: الفرح.

(٥) الطاوي: الجوعان. والبيض: السيوف. والقنا: الرماح.

(٦) السماك: السماكان: نجمان نيران أحدهما في الشمال، وهو السماك الرامح والثاني في الجنوب وهو=

فمنَّ عليهمْ بالأمانِ تكرُّماً على الرغمِ من بيضِ الصوارمِ والسُّمْرِ
فللَّهِ يَوْمُ الفتحِ يَوْمَ دُخولِها وقد طارتِ الأعلامُ منها على وَكْرِ
ويا سَعْدَ قَوْمٍ أَدْرَكوا فيه حظَّهمْ لقد جَمَعُوا بينَ الغنيمةِ والأَجْرِ
لكَ اللَّهُ! مَنْ أثْنى عليكَ فإنّما مِنَ القتلِ قد أنْجَيْتَهُ أوْ مِنَ الأسرِ
يُقصِّرُ عَنْك المدحُ من كلِّ مادحٍ ولَوْ جاءَ بالشمسِ المنيرةِ والبَدْرِ

ـ ديوان بهاء الدين زهير، ص ١٢١ ـ ١٢٤.

= السماك الأعزل. ويقال: إنه سمي الرامح: لأن أمامه كوكبا صغيراً يقال له: راية السماك ورمحه. وللآخر: السماك الأعزل: لأن ليس أمامه شيء، وهناك رواية: «فوق السحاب».

ثانيا: النثر

١ ـ عبد الله بن المقفع[١]

(من الأدب الصغير)

لا يُؤَمِننَّك شَرَّ الجاهلِ قرابةٌ ولا جِوارٌ ولا إِلْفٌ[٢]. فإِنَّ أَخْوَفَ ما يكونُ الإنسانُ لحريقِ النارِ أقربُ ما يكونُ منها، وكذلك الجاهلُ إن جَاوَرَكَ أَنْصَبَكَ[٣]، وإِنْ ناسَبَكَ جَنَى عليكَ، وإِنْ أَلِفَكَ حَمَلَ عليكَ ما لا تُطِيقُ، وإِنْ عاشَرَكَ آذاكَ وأَخَافَكَ، مع أنَّهُ عندَ الجوعِ سَبُعٌ ضَارٍ[٤]، وعند الشِّبَعِ مَلِكٌ فَظٌّ، وعندَ الموافقةِ في الدِّينِ قائدٌ إلى جهنَّمَ. فأنتَ بالهربِ منهُ أَحقُّ منكَ بالهربِ مِن: سُمِّ الأَساوِدِ[٥]، والحريقِ المَخُوفِ،

(١) عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة، صاحب الرسائل البديعة، وهو من أهل فارس، كان مجوسياً، فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور الخليفتين من خلفاء بني العباس، ثم كتب له واختص به، وكان يتهم بالزندقة. وكان المهدي بن المنصور الخليفة يقول: ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع. وقد اجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد الفراهيدي، فلما افترقا قيل للخليل: كيف رأيته؟ قال: علمه أكثر من عقله. وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟ قال: عقله أكثر من علمه. وقيل: إنه هو الذي وضع كتاب كليلة ودمنة. وله من الرسائل: الأدب الكبير. والأدب الصغير. والصحابة. مات مقتولاً سنة ١٤٢ هـ/٧٥٩ م. وكانت ولادته سنة ١٠٦ هـ/٧٢٤ م بالعراق. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١٥١/٢ ـ ١٥٥. والأدب المقارن للدكتور طه ندا، ص ١٤١ ـ ١٤٨. وكليلة ودمنة وتاريخها لمحمد حسن نائل المرصفي. والأعلام ١٤٠/٤.

(٢) الإلف: الصداقة.

(٣) أي: أن الإنسان يشتد خوفه كلما قرب من النار، وكذلك الجاهل يخافه الإنسان كلما كان ذا صلة قوية به. وأنصبه: أتعبه.

(٤) الضاري من الحيوانات: المفترس.

(٥) الأساود: جمع الأَسْوَد، وهي الثعابين الكبيرة السوداء.

والــــدَّيْنِ الفــــادحِ[١]، والـــدَّاءِ العَيَـــاءِ[٢].

ـ الأدب الكبير والأدب الصغير، ص ١٧٦ ـ ١٧٧.

٢ ـ عبد الله بن المقفع (من كليلة ودمنة)[٣]

الحمامةُ والثعلبُ ومالكُ الحزين[٤]

قالَ دَبْشَلِيمُ[٥] ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلْفَيْلَسُوفِ: قَدْ سَمِعْتُ هذا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلاً

---

(١) الفادح: المرهق.

(٢) الداء العياء: المرض الذي لا يُبرأ منه.

(٣) يقال: إن ابن المقفع هو الذي وضع كتاب كليلة ودمنة. وقيل: إنه لم يضعه، وإنما كان باللغة الفارسية، فعربه ونقله إلى العربية، وإن الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه. ويقال: إن هذا الكتاب هندي فارسي عربي، هندي باعتبار أصله، فارسي لأنه انتقل إلى أيدي الفرس فترجموه إلى لغتهم وزادوا فيه أبوابا، عربي لأن الترجمة العربية التي أخذت عن الفارسية صارت هي الأصل والمصدر، بعد أن ضاعت الترجمة الفارسية.

أما عن سبب تأليف الهنود له ففي مقدمة الكتاب بيانه، ذلك أن دبشليم الملك نظر فرأى الملوك من قبله وضعوا الكتب التي يذكرون فيها أيامهم وسيرتهم تخليداً لذكرهم من بعدهم، وأحب أن يكون له كتاب على هذا النسق يذكر به، فدعا إليه الحكيم بيدبا وعرض عليه الأمر، وطلب منه أن يضع له كتاباً بليغاً يستفرغ فيه عقله يكون ظاهره سياسة العامة وتربيتها على طاعة الملك، وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية. وطلب منه أن يكون مشتملاً على الجد والهزل واللهو والحكمة والفلسفة. وأقام بيدبا حولاً كاملاً يؤلف الكتاب، جعل فيه الكلام على ألسنة البهائم والسباع والطير، وصار الحيوان لهواً وما ينطق به حكماً وأدباً. وصمته ما يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه وأهله وخاصته، وجميع ما يحتاج إليه من أمر دينه ودنياه وآخرته، وما يحضه على حسن طاعته للملوك. وحمل هذا الكتاب إلى دبشليم الملك وأخبره عن رمز كل باب من أبوابه. فأعجب به لأنه حقق ما أراد، فأمر بتدوينه وحفظه في خزانته، وكان يخاف عليه من أهل فارس. إلا أن الكتاب وصل إليهم، فاطلعوا عليه، ونقلوه إلى لغتهم. (انظر: الأدب المقارن للدكتور طه ندا، ص ١٤٣ ـ ١٤٥ للاطلاع على الطريقة التي نقل بها الكتاب إلى اللغة الفارسية). ومن ثم نقله ابن المقفع إلى العربية، وقدم له بمقدمة أو تمهيد طويل، شرح فيها أغراض الكتاب. ويقال: إن المنصور أمر والي البصرة بقتل ابن المقفع لأسباب سياسية، وكان الوالي يكرهه، فاغتاله، وأماته شرّ ميتة، ويقال: إن الكتاب كان سبباً في قتله. انظر: ابن خلكان ٢/١٥١ ـ ١٥٥. والأدب المقارن، ص ١٤١ ـ ١٥٥. ومقدمة كتاب كليلة ودمنة، طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ/١٩٢٥ م، ص ٦ ـ ٥٨.

(٤) مالك الحزين: يقال له: البلشون، طائر من طيور الماء، زعموا أنه دعي بذلك لأنه لا يزال يقعد بقرب المياه ومواضع نبعها من الأنهار، فإذا جفت يحزن على جفافها، ويبقى حزيناً، كئيباً، وربما ترك الشرب حتى يموت عطشاً، خوفاً من زيادة نقصها إذا شرب منها. انظر: في النقد والأدب، لإيليا حاوي، ص ٢٩٩.

(٥) قيل: إنه ملك هندي من سلالة من قهرهم الإسكندر الأكبر حين زحف إلى الهند سنة ٣٢٦ ق. م.

في شَأْنِ ٱلرَّجُلِ ٱلذي يَرَىٰ ٱلرَّأْيَ لِغَيْرِهِ ولا يَراهُ لِنَفْسِهِ. قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ: إنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْحَمَامَةِ وٱلثَّعْلَبِ وَمَالِكِ ٱلْحَزِينِ. قالَ ٱلْمَلِكُ: ومَا مَثَلُهُنَّ؟.

قالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ: زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَةً كانَتْ تُفْرِخُ في رَأْسِ نَخْلَةٍ طَويلَةٍ ذَاهِبَةٍ في السَّماءِ. فَكَانَتِ ٱلْحمامَةُ تَشْرَعُ في نَقْلِ ٱلْعُشِّ إِلى رَأْسِ تِلْكَ ٱلنَّخْلَةِ، فَلا يُمْكِنُهَا ما تَنْقُلُ مِنَ ٱلْعُشِّ وتَجْعَلُهُ تحْتَ ٱلْبَيْضِ إلَّا بَعْدَ شِدَّةٍ وتَعَبٍ ومَشَقَّةٍ لِطُولِ ٱلنَّخْلَةِ وَسُحْقِهَا[١]. وكانَتْ إذَا فَرَغَتْ مِنَ ٱلنَّقْلِ بَاضَتْ ثُمَّ حَضَنَتْ بَيْضَهَا، فإذا ٱنْقَاضَ[٢] وأَدْرَكَ[٣] فِرَاخُهَا جاءَهَا ثَعْلَبٌ قَدْ تَعَهَّدَ[٤] ذٰلِكَ مِنْهَا لِوَقْتٍ قَدْ عَلِمَهُ رَيْثَمَا يَنْهَضُ فِرَاخُهَا، فَوَقَفَ بِأَصْلِ ٱلنَّخْلَةِ فَصَاحَ بِهَا وَتَوَعَّدَهَا أَنْ يَرْقَىٰ إِلَيْهَا أَوْ تُلْقِي إِلَيْهِ فِرَاخَها فَتُلْقِيهَا إِلَيْهِ. فَبَيْنَمَا هِيَ ذاتَ يَوْمٍ، وقَدْ أَدْرَكَ لهَا فَرْخانِ، إِذْ أَقْبَلَ مالِكُ ٱلْحَزينُ فَوَقَعَ عَلى ٱلنَّخْلَةِ. فَلَمَّا رَأىٰ ٱلْحَمَامَةَ كَئِيبَةً حَزِينَةً شَدِيدَةَ ٱلْهَمِّ قالَ لَهَا: يا حَمَامَةُ! مَالِي أَرَاكِ كَاسِفَةَ[٥] ٱلْبَالِ سَيِّئَةَ ٱلْحالِ؟ فَقَالَتْ لَهُ: يا مَالِكُ ٱلْحَزِينُ، إِنَّ ثَعْلباً دُهِيتُ[٦] بِهِ كُلَّمَا كانَ لِي فَرْخانِ، جاءَنِي يَتَهَدَّدُني ويَصِيحُ في أَصْلِ ٱلنَّخْلَةِ فأَفْرَقُ[٧] مِنْهُ، فأَطْرَحُ إِلَيْهِ فَرخَيَّ.

قَالَ لَهَا مَالِكُ ٱلْحَزِينُ: إذا أَتاكِ لِيَفْعَلَ ما تَقُولِينَ فَقُولِي لهُ لا أُلْقِي إِلَيْكَ فَرْخَيَّ فَٱرْقَ إِلَيَّ وغَرِّرْ[٨] بِنَفْسِكَ، فإذا فَعَلْتَ ذٰلِكَ وأَكَلْتَ فَرْخَيَّ طِرْتُ عَنْكَ وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي.

فَلَمَّا عَلَّمَهَا مَالِكُ ٱلْحَزِينُ هذِهِ ٱلْحِيلَةَ طَارَ فَوَقَعَ عَلى شاطِئِ نَهْرٍ، وأَقْبَلَ

---

(١) السحق: العلو.

(٢) انقاض البيض: انكسر وخرجت منه الأفراخ.

(٣) أدرك: بلغ.

(٤) تعهد: تفقد وعرف.

(٥) كاسفة: متغيرة، عابسة.

(٦) دهيت: بليت وأصبت منه بشر.

(٧) أفرق: أخاف.

(٨) غرر بنفسك: أي عرضها للهلاك.

ٱلثَّعْلَبُ في ٱلْوَقْتِ ٱلَّذي عَرَفَ فَوَقَفَ تَحْتَ ٱلنَّخْلَةِ ثُمَّ صاحَ كَمَا كانَ يَفْعَلُ. فأجابَتْهُ ٱلْحَمَامَةُ بِمَا عَلَّمَهَا مَالِكُ ٱلْحَزِينُ. فَقَالَ لَهَا: أَخْبِرِيني مَنْ عَلَّمَكِ هذا: قالَتْ: عَلَّمَني مَالِكُ ٱلْحَزِينُ.

فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ حَتَّىٰ أَتَى مالِكاً ٱلْحَزِينَ عَلى شاطِىءِ ٱلنَّهْرِ فَوَجَدَهُ وَاقِفاً، فقالَ لَهُ ٱلثَّعْلَبُ: يا مَالِكُ ٱلْحَزِينُ، إذا أَتَتْكَ ٱلرِّيحُ عَنْ يَمِينِكَ فأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ؟ قالَ: عَنْ شِمالي. قالَ: فإذا أَتَتْكَ عَنْ شِمَالِكَ أَينَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ؟ قالَ: أَجْعَلُهُ عَنْ يَمِيني أَوْ خَلْفِي. قالَ: فإذا أَتَتْكَ ٱلرِّيحُ في كُلِّ مَكَانٍ وكُلِّ ناحِيَةٍ، أَينَ تَجْعَلُهُ؟ قالَ: أَجْعَلُهُ تَحْتَ جَنَاحَيَّ، قالَ وكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَناحَيْكَ؟ ما أَراهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ[1]. قالَ: بَلى. قالَ: فأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ، فَلَعَمْرِي، يا مَعْشَرَ ٱلطَّيْرِ، لقَدْ فَضَّلَكُمُ اللهُ عَلَيْنَا إنَّكُنَّ تَدْرِينَ في ساعَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ ما نَدْرِي في سَنَةٍ. وَتَبْلُغْنَ ما لا نَبْلُغُ وَتُدْخِلْنَ رُؤُوسَكُنَّ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُنَّ مِنَ ٱلْبَرْدِ والرِّيحِ، فَهَنِيئاً لَكُنَّ، فأَرِني كَيْفَ تَصْنَعُ؟ فأَدْخَلَ ٱلطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحَيْهِ فَوَثَبَ عَلَيْهِ ٱلثَّعْلَبُ مَكَانَهُ[2]، فأَخَذَهُ، فهَمَزَهُ[3] هَمْزَةً دَقَّ عُنقَهُ[4]، ثُمَّ قالَ: يا عَدُوَّ نَفْسِهِ، تَرَى ٱلرَّأْيَ لِلْحَمامَةِ وَتُعَلِّمُهَا الحيلةَ لِنَفْسِهَا، وتَعْجَزُ عَنْ ذٰلِكَ لِنَفْسِكَ حَتَّىٰ يَتَمَكَّنَ مِنْكَ عَدُوُّكَ، ثُمَّ قَتَلَهُ وأَكَلَهُ.

ـ كليلة ودمنة ص ٤٠٣ ـ ٤٠٥.
(منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٨٣).

٣ ـ الجاحظ [5]

(احتيال الحيَّات للصيد)

حدثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ، وأخوه رَوحٌ الكاتب ورجالٌ من بني

---

(١) ما أراه يتهيأ لك: ما أظنه يمكنك ذلك.

(٢) مكانه: أي في مكانه.

(٣) همزه: عضه.

(٤) دق عنقه: كسرها.

(٥) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، أبو عثمان، ولد سنة ١٦٣ هـ/ ٧٨٠ م بالبصرة، ودرس فيها وفي بغداد، أخذ النحو عن الأخفش، وأخذ الكلام عن النظّام، وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمِرْبَد،=

العنبر، أن عندهم في رمالِ بلْعنبرِ حيةً تصيدُ العصافيرَ، وصِغَارَ الطيرِ بأعجبِ صيدٍ. زعموا أنها إذا انتصفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ في رمالِ بلعنبر، وامتنعت الأرض على الحافي والمنتعل. وَرَمِض الجُنْدَبُ[1]، غَمَسَتْ هذه الحيةُ ذَنَبها في الرملِ، ثم انتصبتْ كأنها رمحٌ مركوز، أو عودٌ ثابت، فيجيء الطائرُ الصغيرُ أو الجرادةُ، فإذا رأى عوداً قائماً، وَكرِهَ الوقوعَ على الرَّمل لشدةِ حرِّه، وقَعَ على رأسِ الحيَّةِ، على أنها عُود. فإذا وقَعَ على رأسها قبضتْ عليه، فإن كان جرادةً أو جُعَلاً[2] أو بعضَ ما لا يُشبعها مثلُه، ابتلعته، وبقيت على انتصابها. وإن كان الواقعُ على رأسِها طائراً يُشبعها مثلُه أكلته وانصرفت. وأنَّ ذلك دأبُها مَنَعَ الرَّملُ جانِبَهُ في الصيف والقيظ، في انتصاب النهار والهاجرة. وذلك أنَّ الطائرَ لا يشكُّ أنَّ الحيَّةَ عود، وأنهُ سيقومُ له مقامَ الجِذْلِ للحِرْباء[3]، إلى أنْ يَسْكنَ الحرُّ وَوَهْجُ الرَّملِ.

(وفي هذا الحديث من ألعَجَبِ أن تكونَ هذه الحيةُ تهتدي لمثل هذه الحيلة. وفيه جهلُ الطائرِ بفرقِ ما بين الحيوانِ والعودِ. وفيه قلة اكتراثِ الحيةِ بالرمل الذي عادَ[4] كالجمر، وصلحَ أن يكون ملةً[5] وموضعاً للخبزة، ثم أن يشتمل ذلك الرمل على ثلث

= يقال: إنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً من كان، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين، ويبيت فيها للنظر. . وكان واسع العلم بالكلام، كثير التبحر فيه، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا. ويقال: إنه كان عالم زمانه، وكبير أئمة الأدب. نسبت إليه فرقة الجاحظية، وهي إحدى فرق المعتزلة. كان دقيق التعليل، حرّ التفكير، ذا ملاحظة دقيقة، وروح مرحة. صور أحوال عصره أجمل تصوير. فلج في آخر عمره، كان مشوه الخلقة. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، فمات والكتاب على صدره، سنة ٢٥٥ هـ/٨٦٩ م. من مؤلفاته: البيان والتبيين، والحيوان، والبخلاء. انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٦/٧٤ ـ ١١٤. ووفيات الأعيان ٣/٤٧٠ ـ ٤٧٥. والأعلام ٥/٧٤.

(١) الجندب: ضرب من الجراد صغير. ورمض: آلمه الرمض وأحرقه، وهو بالتحريك شدة وقع الشمس على الرمل ونحوه.

(٢) الجعل: ضرب من الخنافس.

(٣) الجذل: بالكسر والفتح: ما عظم من أصول الشجر، وما على مثال شماريخ النخل من العيدان. والحرباء: دويبة بطيئة الحركة تتلون ألواناً، لتحفظ نفسها بذلك.

(٤) عاد: بمعنى صار.

(٥) الملة: بالفتح: الرماد الحار. والخبزة، بالضم: عجين يوضع في الملة حتى ينضج.

الحية ساعاتٍ من النهار، والرملُ على هذه الصفة. فهذه أعجوبة من أعاجيب ما في الحيات).

ـ كتاب الحيوان ٤/١٠٧ ـ ١٠٨.

٤ ـ الجاحظ
(قصة أهل البصرة من المسجديّين)[١]

قال أصحابُنا من المسجِدِيّين: اجتمع ناسٌ في المسجدِ ممن يَنْتَحِل[٢] الاقتصادَ في النفقةِ، والتَّنمِيةَ للمال، من أصحاب الجَمْع والمنْع[٣]. وقد كان هذا المذهبُ صار عندهم كالنَّسَب الذي يَجْمَعُ على التَّحابِّ، وكالحَلِفِ[٤] الذي يَجْمَعُ على التَّناصر. وكانوا إذا التقواْ في حَلَقِهم[٥] تذاكروا هذا البابَ[٦]، وتطارحُوه[٧] وتدارسُوه.

فقال شيخ منهم: ماءُ بئرنا ـ كما قد علمتم ـ مِلْحٌ أُجاجٌ[٨] لا يَقْرَبُه الحِمارُ، ولا تُسِيغه[٩] الإبلُ، وتموتُ عليه النخلُ. والنّهرُ منا بعِيدٌ. وفي تكلُّفِ العَذْبِ علينا

---

(١) يظهر أنهم كانوا طائفة خاصة من البخلاء يجتمعون في المساجد، كما يجتمع أهل الصناعة الواحدة، أو الرأي الواحد في أنديتهم لعهدنا هذا. وهذه القصة من كتاب: «البخلاء» الذي يعرفه الجاحظ بقوله: «إنه كتاب في نوادر البخلاء، واحتجاج الأشحاء، وما يجوز من ذلك في باب الهزل، وما يجوز في باب الجدّ». أما عن سبب وضعه الكتاب، فقد كان العصر العباسي، عصر تنازع بين العرب والموالي، يظهر كل منهم مثالب الآخر، ولعل الجاحظ قصد في كتابه إظهار بخل الفرس. . . . إلى جانب إظهار الأساليب القصصية. .

(٢) ينتحل الاقتصاد: يدعيه ويتخذه مذهبا.

(٣) جمع المال ومنعه من أن يتفلت من أيديهم ويذهب.

(٤) الحلف: العهد.

(٥) جمع حَلَقة، بفتح اللام، وهناك لغة أخرى بتسكين اللام في المفرد.

(٦) هذا الباب: أي البخل.

(٧) تطارحوه: طرح كل منهم ما عنده من الآراء فيه على أصحابه.

(٨) ملح أجاج: أي ملح مرّ.

(٩) ساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق.

مُؤْنة [1] . فكنّا نمزُجُ [2] منه للحمارِ، فاعتلَّ عنه[3] ، وانتقَضَ علينا [4] من أجله. فصرنا بعد ذلك نُسقيه العذبَ صِرفا [5] . وكنتُ أنا والنعجةُ [6] كثيراً ما نغتسِل بالعذْبِ، مخافَةَ أن يعترِيَ جلُودَنا منه مثلُ ما اعترى جَوْفَ الحِمارِ. فكان ذلك الماءُ العذبُ الصافي يَذْهبُ باطِلا.

ثم انفتح لي فيه بابٌ من الإصلاحِ ، فعَمَدْتُ إلى ذلك المتوضَّإ [7] ، فجعلتُ في ناحيةٍ منه حُفْرَةً، وصَهْرَجْتُهَا [8] وملَّستُها، حتّى صارتْ كأنّها صخرةٌ مَنْقورةٌ. وصوَّبتُ إليها المَسيلَ [9] . فنحنُ الآن إذا اغتسلنا صار[10] الماءُ إليها صافياً، لم يُخَالِطْه شيءٌ. والحمارُ أيضاً لا تَقَزَّزَ له[11] منه. وليس علينا حَرَجٌ[12] في سَقْيِه منه. وما علِمْنا أن كتاباً حرَّمه[13]، ولا سُنَّةٌ نهتْ عنه. فربحْنا هذه منذ أيّامٍ ، وأسقطنا مُؤْنةً عن النفسِ والمالِ، مَالِ القومِ[14] . وهذا بتوفيقِ الله ومَنِّه[15] .

* * *

(١) أي تكلف جلب الماء العذب. ومؤنة: مشقة وكلفة.

(٢) نمزج منه: نضيف إليه شيئاً من ماء عذب.

(٣) اعتل عنه: أضرب عنه وأحجم. وقد جاءت «اعتل» متعدية بعن ، وهي ليست كذلك، وإنما جاء في اللسان: واعتله: تجنى عليه، فقد ضمن اعتل معنى أحجم أو أضرب، فعداه بعن.

(٤) وانتقض علينا: عصانا وخرج علينا.

(٥) أي: غير ممزوج بماء البئر.

(٦) يريد بالنعجة: امرأته. وفي اللسان: تكنى بالنعجة والشاة عن المرأة.

(٧) اسم مكان من توضأ.

(٨) صهرجتها: عملتها بالصاروج، وهو القطران.

(٩) أي: وجهته إليها. والمسيل: اسم مكان من سال.

صار: بمعنى اتجه وذهب.

(١١) تقزز من الشيء: نفر منه لدنسه.

(١٢) حرج: إثم.

(١٣) حرّمه: أي حرّم سقي الحمار من ماء الاغتسال.

(١٤) فربحنا الخ: الإشارة إلى المسألة المستفادة من الكلام السابق، وهي المحافظة على الماء العذب بإسالته إلى تلك الحفرة المصهرجة. وقوله: مال القوم: يريد بالقوم: أسرته وأهله.

(١٥) منه: فضله ونعمته.

فأقبلَ عليهم شيخٌ فقال: هل شَعَرْتم بموتِ مريمَ الصَّنَاع[1]؟ فإنَّها كانت من ذَواتِ الاقتِصادِ، وصاحبَةَ إِصْلاحٍ، قالوا: فحدِّثنا عنها. قال: نوادِرُها كثيرةٌ، وحديثها طويلٌ. ولكنّي أُخبِركم عن واحدةٍ فيها كِفاية. قالوا: وما هي؟ قال: زَوَّجت ابنتَها، وهي بنتُ اثنتي عَشْرَةَ، فحلَّتها[2] الذهَبَ والفِضَّةَ، وكستها المَرْوِي، والوَشْيَ والقزَّ والخزَّ[3]، وعلَّقتِ المُعَصْفر[4]، ودقَّتِ الطِّيبَ[5]، وعَظَّمتْ أمرَها في عين الخَتَنِ[6]. ورفعت من قَدْرِها عِند الأَحْماءِ[7].

فقال لها زوجُها: أنَّى هذا يا مريم[8]؟ قالت: هو من عند الله. قال: دَعِي عنك الجُمْلَةَ[9]، وهاتي التفسير. والله ما كنتِ ذاتَ مالٍ قديماً، ولا وَرِثْتِهِ حديثا. وما أنتِ بخائنةٍ في نفسِك[10]، ولا في مالِ بَعْلِك. إلاَّ أنْ تكوني قد وَقَعْتِ على كَنْزٍ[11]! وكيفَ دارَ الأمرُ[12] فقد أسقطتِ عَنِّي مُؤْنَةً، وكَفَيْتِني هذه النائِبَةَ[13].

---

(١) امرأة صناع: ماهرة بعمل اليدين. وامرأتان صناعان. ونسوة صنع بضم الصاد والنون. ويظهر أن مريم هذه كانت مشهورة بهذا اللقب.

(٢) حلتها: ألبستها الذهب وغيره.

(٣) المروي: نسبة إلى مرو. أي المروي من الثياب. والوشي: الثياب المنقوشة المنمنمة بالألوان الحسنة. والقز: الحرير. والخز: وبر ولد الأرنب، وهو الخُزَز بضم ففتح. والظاهر أنه نوع خاص من الأرانب كانوا يتخذون منه الثياب الغالية.

(٤) العصفر: نبات تصبغ به الثياب، وعصفر الثوب: صبغه به. أي اتخذت لها الستائر من الثياب المعصفرة.

(٥) ودقت الطيب: أي سحقته وخلطته وجهزته للاستعمال.

(٦) الختن: من كان من قبل المرأة كالأب والأخ والعم والخال. والمعنى: إن والدتها بما جهزتها به رفعت شأنها عند الأختان.

(٧) الأحماء: جمع حم، وهو من كان من قبل الزوج، كأبيه وأخيه وعمه.

(٨) أنى: اسم استفهام بمعنى: من أين.

(٩) دعي الخ: أي لا تجعلي إجابتك جملة، أي غير مفصلة.

(١٠) وما أنت الخ: أي لست ممن يكتسبن المال بعرضهن.

(١١) وقعت على كنز: أصبت كنزاً.

(١٢) وكيف إلخ: أي وعلى أي حال حدثت هذه الثروة فقد إلخ.

(١٣) النائبة: هنا، الأمر العظيم. والمؤنة: المشقة والكلفة.

قالت: اعلم أنّي مُنْذُ يومَ ولدتُها[١] إلى أنْ زوّجْتُها، كنتُ أرفع من دقيق كلّ عَجْنَةٍ حَفْنَة [٢]. وكنّا ـ كما قد علمتَ ـ نَخْبِزُ في كلّ يوم مَرّةً. فإذا اجتمع من ذلك مَكُّوكٌ [٣] بعتُه.

قال زوجُها: ثَبَّتَ اللهُ رأيَكِ وأرشَدكِ! ولقد أسعدَ اللهُ مَنْ كنتِ له سَكَناً [٤]. وبارَكَ لِمن جُعِلْتِ له إلْفا [٥]! ولهذا وشِبْهِه [٦] قال رسول الله ﷺ: «مِن الذَّوْدِ إلى الذَّوْدِ إبلٌ»[٧]. وإنّي لأرجو أن يَخْرُجَ وَلَدُكِ على عِرْقك الصالح [٨]، وعلى مَذْهبك المحمود.

وما فَرَحِي بهذا مِنْكِ بأشدَّ مِن فرحي بما يُثَبِّتُ اللهُ بِك في عَقِبي مِنْ هذه الطريقة المَرْضِية. فنهضَ القومُ بأجْمعِهم إلى جَنازَتِها، وصلُّوا عليها. ثم انْكَفَئُوا [٩] إلى زوجِها، فعزَّوْه على مصيبته، وشاركوه في حُزْنه.

* * *

ثم اندفع شيخ منهم فقال: يا قَوْمُ، لا تَحْقِروا صِغار الأمورِ، فإنَّ أوّلَ كلِّ كبيرٍ صغيرٌ. ومتى شاءَ الله أن يُعَظِّمَ صغيراً عظَّمَهُ، وأن يُكَثِّرَ قليلاً كثَّره، وهل بُيُوتُ الأموالِ

---

(١) منذ: حرف جر بمعنى من. ويوم: مبني على الفتح مضاف إلى جملة ولدتها.

(٢) الحفنة: ملء الكفين من طعام وغيره جمعه حُفَن، بضم ففتح.

(٣) المكوك: مكيال اختلف في مقداره.

(٤) السكن: ما يسكن إليه من أهل ومال وغير ذلك.

(٥) الإلف: من تألفه، والجمع آلاف.

(٦) ولهذا وشبهه: ويعملك هذا، وما أشبهه من أعمال الاقتصاد في المال.

(٧) هذا ليس بحديث شريف، وانما هو مثل، ومعناه: إذا جمعت القليل مع القليل صار كثيراً. والى: بمعنى مع. وفي النهاية لابن الأثير: قوله ﷺ: ليس فيما دون خمس ذود صدقة. واختلف في الذود على أقوال كثيرة. والذود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها. والكثير: أذواد.

(٨) الولد: يكون مفرداً وجمعاً. والمراد هنا الجمع. وعرق كل شيء: أصله. والجمع أعراق وعروق. فهو يطلب من الله أن ينبت أولادها على أصلها وسيرتها الصالحة من الحرص على المال والاقتصاد فيه.

(٩) انكفئوا: رجعوا.

إلّا دِرهمٌ إلى دِرهم[١]؟ وهل الذَّهبُ إلا قِيراطٌ إلى جَنْبِ قيراطٍ؟ وليس[٢] كذلك رَمْلُ عالج[٣] وماءُ البحرِ؟ وهل اجتمعتْ أموالُ بيوتِ الأموالِ إلا بدرهمٍ مِنْ ها هنا ودرهمٍ مِنْ ها هنا؟

فقد رأيتُ صاحبَ سَفَطٍ قد اعْتَقَدَ مائةَ جَرِيبٍ[٤] في أرضِ العربِ. ولَرُبَّما رأيتُه يبيع الفُلْفُلَ بقيراط، والحِمَّصَ بقيراط، فأَعْلَمُ أنّه لم يربح في ذلك الفلفلِ إلا الحبَّةَ والحبتين من خشب الفُلْفُلِ[٥]. فلم يزل يجمع من الصِّغارِ الكِبارَ[٦]، حتّى اجتمعَ ما اشترى بِهِ مائةَ جَرِيب!.

ثم قال: اشْتَكيتُ أيّاماً صَدْرِي من سُعال كان أصابني، فأمرني قَوْمٌ بالفَانِيذ[٧] السُّكَّريّ. وأشار عليّ آخرون بالحَرِيرة تُتَّخذ من النَّشاسْتَج والسكَّر ودُهن اللَّوْز، وأشباهِ ذلك، فاستثقلتُ المُؤْنَة، وكَرِهتُ الكُلْفة، ورجوتُ العافية. فَبَيْنَا أنا أدافعُ الأيامَ، إذْ قال لي بعضُ المُوَفَّقين: عليك بماء النُّخالة[٨] فاحْسُهُ[٩] حاراً. فحسوْتُ، فإذا هو طيِّب جِداً، وإذا هو يَعْصِم[١٠]: فما جُعْتُ ولا اشتهيتُ الغداءَ في ذلك اليوم إلى الظهر. ثم ما فرغتُ من غَدَائي وغَسْلِ يديّ حتى قاربْتُ العصر. فلما قَرُبَ وقتُ

---

(١) وهل بيوت الأموال الخ: أي ما تحويه هذه البيوت، فقد أطلق المحل وأراد الحال. وقوله إلى درهم، إلى: إما أن تكون بمعنى مع، أي: درهم مصحوب بدرهم، وإما أن تكون إلى على معناها الحقيقي.

(٢) وليس كذلك إلخ: استفهام تقريري محذوف الأداة، أي: أو ليس الخ.

(٣) عالج: موضع ببادية العرب مشهور بكثرة رمله.

(٤) فقد رأيت إلخ: الظاهر أنه يريد بائعاً من هؤلاء الجوّالين الذين يحملون بضاعتهم في أسفاط. واعتقد ضيعة ومالاً: اقتناهما. والجريب: القطعة المتميزة من الأرض، ويختلف مقدارها بحسب اصطلاح أهل الإقليم.

(٥) الحبة: جزء صغير من الدرهم.

(٦) من الصغار الكبار: من الأشياء الصغار، أي: الحقيرة، الأرباح الكبار.

(٧) الفانيذ: ضرب من الحلواء، معرب.

(٨) النخالة: هي غير اللباب مما نخل.

(٩) حسا المرق: شربه شيئاً بعد شيء.

(١٠) يقال: هذا طعام يعصم: أي يمنع من الجوع.

غدائي مِن وَقْتِ عَشَائِي طويتُ العشاءَ، وعرفتُ قَصْدِي[1].

فقلتُ للعجوز [2]: لم لا تَطْبُخِين لعيالنا في كُلِّ غَدَاةٍ نُخَالة؟ فإنَّ ماءَها جِلاءٌ للصدر، وقُوتَها غِذاء وعِصْمة ؛ ثم تُجَفِّفين بَعْدُ[3] النُّخالةَ، فتعود كما كانت. فتبيعين إذاً الجميعَ[4] بمثْلِ الثَّمنِ الأوّل، ونكونُ قد ربِحْنَا فَضْلَ ما بين الحالين [5]! قالتْ: أرجو أنْ يكون اللهُ قد جَمَعَ بهذا السُّعالِ مصالِحَ كثيرةً، لِمَا فَتَحَ اللهُ لك بهذه النُّخالةِ التي فيها صَلَاحُ بدنِك، وصلاحُ معاشِك!

وما أَشُكُّ أَنَّ تلك المَشُورَةَ كانت من التوفيق![6]

قال القوم صدقتَ، مِثْلُ هذا لا يُكْتَسَبُ بالرأي، ولا يكون إلَّا سَماوِياً!.

ثم أقبل عليهم شيخ فقال: كُنَّا نَلْقَى من الحُرَاقِ والقَدَّاحَةِ جَهْداً[7]، لأنّ الحِجارة كانتْ إذا انكسرت حُرُوفُها واستدارتْ[8]، كلَّتْ ولم تَقْدَحْ قَدْحَ خَيْرٍ، وأَصْلَدَتْ فلم تُورِ[9]. وربَّما أَعْجَلَنا المطرُ والوَكْفُ[10]. وقد كان الحجرُ[11] أيضاً يَأْخُذُ

---

(١) طويت العشاء : لم أتعش. والقصد: استقامة الطريق. يعني: أنى عرفت طريقي المستقيمة في طعامي على هذا النحو.

(٢) يريد امرأته.

(٣) بعد: أي بعد الطبخ، وبعد أن أتقوت أنا وأنت والعيال بماء النخالة.

(٤) الجميع: أي دقيق القمح ونخالته. أما الدقيق: فلانه باق على حاله . وأما النخالة: فلأنها عادت بالجفاف كما كانت.

(٥) فضل ما بين الحالين: ما تحلب من النخالة في الماء.

(٦) وما أشك الخ : هذا من كلام الشيخ لا من كلام امرأته.

(٧) الحراق: ما تقع فيه النار عند القدح، كعود أو قطعة من خشب ونحو ذلك. والقداحة والقداح: الحجر الذي تقدح به النار. والقدح: ضربك. بالقداح لتخرج النار. وجهداً: عناء ومشقة.

(٨) استدارت: صارت غير حادة الحروف.

(٩) وأصلدت ولم تور: صوتت، ولم تخرج ناراً. يقال: أورى الزند يوري إيراء.

(١٠) أعجلنا: حملنا على العجلة. والوكف: نزول المطر. أي: وقد يعجلنا نزول المطر ونحن نقدح النار، بما يتساقط من مائه فيبل الحراق، فيكون ذلك أيضاً من أسباب عدم الإيراء.

(١١) المراد بالحجر: ذلك الذي تضرب به القدّاحة.

من حُروفِ القدّاحةِ، حتى يَدَعَها كالقَوْسِ. فكنت أشْتَري المَرْقَشِينا[1] بالغَلاءِ، والقدّاحَةَ الغليظةَ بالثمنِ المُوجِعِ.

وكان علينا أيضاً في صَنْعةِ الحُرَاقِ وفي مُعَالجة القُطْنَةِ مُؤْنة، وله رِيح كَرِيهة. والحُرَاقُ لا يجيء من الخِرَق المصبوغةِ، ولا من الخِرَقِ الوَسِخَةِ، ولا من الكَتّان، ولا من الخُلْقان[2]. فكنّا نشتريه بأغلى الثمن. فتذاكرنا مُنْذُ أيام، أهْلَ البَدْوِ والأعرابَ، وقَدْحَهُمُ النّارَ بالمَرْخِ والعَفَار[3]. فزعم لنا صديقُنا الثَّوْرِيُّ [4]، وهو ـ ما علمتُ ـ أحدُ المُرْشِدِين، أنّ عراجِينَ الأعْذاق [5] تَنُوب عن ذلك أجْمَع. وعلّمني كيفَ تُعالَج. ونحن نُؤْتَى بها من أرضِنا بلا كُلْفة. فالخادم اليوم لا تَقْدَحُ ولا تُورِي إلا بالعُرْجُون.

قال القوم: قد مرّتْ بنا اليومَ فوائدُ كثيرة. ولهذا قال الأوّلُ [6]: مُذَاكَرَةُ الرّجال تُلْقِحُ الألباب [7].

ثم انْدفع شيخ منهم فقال: لم أر في وَضْعِ الأمور مواضِعهَا، وفي تَوْفيتِها غايةَ حُقُوقِها، كَمُعَاذَةَ العَنْبَرِيّة. قالوا: وما شأْنُ مُعَاذَةَ هذه؟ قال: أهْدَى إليها العامَ ابنُ عمٍّ لها أضْحِيَّةً [8]. فرأيتُها كَئِيبةً حزينةً، مُفَكِّرةً مُطْرِقةً. فقلتُ لها: مالكِ يا مُعَاذة؟

---

(١) المرقشينا: نوع من الحديد المبلّر، الذي تحولت أجزاؤه إلى ما يشبه البلور. وتقول المعجمات الانجليزية: إن الكلمة ذات أصل عربي، لكنها غير موجودة في المعاجم العربية. والمعنى: أن هذه القطعة من الحديد كانت تقدح عليها النار، فلا تأتكل، ولا تتفتت.

(٢) الخلقان: جمعَ خلق، وهو البالي من الثياب.

(٣) المرخ: شجر سريع الوَرْي، أي: إخراج النار. والعفار: شجر يتخذ منه الزناد، جمع زَنْد، وهو ما تقدح به النار.

(٤) زعم: بمعنى قال. والثوري: هو أبو عبد الرحمن الثوري.

(٥) العرجون: العذق إذا يبس واعوج. والأعذاق: جمع عِذْق، وهو الكِباسة، أو عنقود النخلة. ويريد بالعرجون هنا: الفرع من فروع العذق اليابس.

(٦) الأول: سابق من الحكماء.

(٧) مذاكرة الرجال: مطارحتهم الحديث. وتلقح الألباب: تجعلها مثمرة منتجة.

(٨) الأضحية: الشاة التي تذبح ضحوة، جمعها أضاحيّ، ثم جعلت الكلمة للشاة التي تذبح يوم الأضحى، وتسمى أيضاً ضحية والجمع ضحايا.

قالت: أنا امرأة أَرْمَلَةٌ، وليس لِي[١] قَيِّمٌ. ولا عَهْدَ لي بتدبيرِ لحمِ الأَضَاحِيّ[٢]. وقد ذهب الذين كانوا يُدَبِّرونه ويَقُومُون بِحقِّه[٣]. وقد خِفْتُ أن يَضِيع بعضُ هذه الشَّاة. ولستُ أعرِفُ وَضْعَ جميعِ أجزائها في أماكِنها. وقد علمتُ أنَّ الله لم يَخْلُق فيها ولا في غيرها شيئاً لا منفعةَ فيه. ولكنَّ المرءَ يَعْجِز لا مَحَالَةَ[٤]. ولستُ أخاف مِن تَضْييع القليلِ، إلا أنّه[٥] يَجُرُّ تضييعَ الكثير.

أمّا القَرْنُ فالوَجْهُ فيه معروف، وهو أن يُجْعَل كالخُطَّاف[٦]، ويُسَمَّرَ في جِذْعٍ من جُذُوع السَّقْف، فَيُعَلَّقَ عليه الزُّبُلُ[٧] والكِيرانُ[٨]، وكلُّ ما خِيفَ عليه من الفَأْرِ والنَّملِ والسَّنانيرِ، وبناتِ وَرْدَانَ[٩] والحيَّاتِ، وغيرِ ذلك. وأمّا المُصْرَانُ[١٠] فإنَّه لأوْتار المِنْدَفَةِ[١١] وبنا إلى ذلك أعظمُ الحاجةِ[١٢]، وأمّا قِحْفُ[١٣] الرأس واللَّحْيَانِ[١٤] وسائِرُ العظام[١٥]، فسبيله[١٦] أن يُكَسَّر بعد أن يُعْرَق[١٧]، ثم يُطْبخ. فما ارتفع من

---

(١) القيم: الذي يقوم بأمري ويتعهد شؤوني.

(٢) تريد بتدبير لحمها: استعمال كل جزء منه الاستعمال اللائق.

(٣) أي: مات الذين كانوا يعرفون هذا الفن من أهلي.

(٤) ولكن المرء يعجز لا محالة: هذا مثل، أي: لا تضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز. والمحالة: الحيلة.

(٥) إلا أنه: أي: إلا لأنه.

(٦) الخطاف: حديدة معطوفة، أي: ملوية.

(٧) الزبل: جمع الزبيل، وهو القفة أو الجراب أو الوعاء.

(٨) الكيران: جمع الكور، وهو الرحل. والرحل: كل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وغير ذلك، وجمعه أرحل ورحال.

(٩) بنات وردان: الصراصير.

(١٠) المصير: المعي، جمعه أمصرة ومصران، وجمع الجمع مصارين.

(١١) المندفة: آلة الندف. وهي ما يضرب به القطن ليرق.

(١٢) وبنا... الخ: أي أهل هذا المنزل.

(١٣) القحف: أعلى الدماغ من العظم، والجمع الأقحاف.

(١٤) اللحيان: تثنية لحى (بفتح وسكون)، وهو عظم الحنك الذي عليه الأسنان.

(١٥) سائر العظام: باقي العظام.

(١٦) فسبيله: سبيل الانتفاع به. وكان مقتضى الظاهر أن يقول: فسبيلها. ولكنه ذكر الضمير باعتبار هذا الذي ذكرت.

(١٧) عرق العظمة: أكل ما عليها من اللحم.

الدّسِم كان للمِصباحِ وللإدامِ وللعَصِيدةِ، ولغير ذلك [١] . ثم تؤخذ تلك العِظامُ فَيُوقَدُ بها. فلم يَرَ الناسُ وَقُودا قَطُّ أَصْفَى ولا أحْسَنَ لَهَباً منها. وإذا كانت كذلك فهي أَسْرَعُ في القِدْر [٢] ، لِقِلّة ما يُخالِطها من الدُّخان. وأمّا الإهابُ [٣] فالجِلْدُ نَفْسَهُ جِرَابٌ. وللصُّوف وُجُوه لا تُدْفع [٤] . وأمّا الفَرْثُ [٥] والبَعْرُ فحَطَبٌ إذا جُفِّفَ عَجِيب.

ثم قالت: بَقِيَ الآنَ علينا الانتفاعُ بالدّم. وقد علمتُ أنَّ الله عزّ وجلّ لم يُحَرِّم مِن الدّمِ المَسْفُوح[٦] إلا أكلَه وشُرْبَه، وأنّ له[٧] مواضِعَ يجوز فيها ولا يُمْنع منها. وإنْ أنا لم أَقَعْ على عِلْم ذلك، حتى يُوضَع مَوْضِعَ الانتفاعِ به[٨]، صار كَيَّةً[٩] في قَلْبي، وقَذىً [١٠] في عَيْني، وهَمّاً لا يزال يُعَاوِدُني[١١].

فلم أَلْبَثْ أَنْ رأيتها قد تَطَلَّقتْ وتبسّمت[١٢]. فقلت: ينبغي أن يكون قد انفتح لكِ بابُ الرأي في الدم[١٣]. قالت: أَجَلْ [١٤] ، ذكرتُ أنّ عِندي قُدُوراً شامِيَّةً جُدُدا. وقد زعموا أنَّه ليس شيء أَدْبَغَ [١٥] ولا أَزْيَدَ في قُوَّتِها، من التلطيخ بالدم الحارّ

---

(١) فما ارتفع .. الخ: أي على وجه المرق في القدر. والإدام: ما يؤتدم به، وجمعه أُدُم. والعصيدة: طعام كان يتخذ من الدقيق والسمن والسكر.

(٢) أسرع في القدر: أسرع في إحمائها وإنضاج ما فيها.

(٣) الإهاب: الجلد قبل الدبغ، أو هو الجلد مطلقا.

(٤) وجوه لا تدفع: طرق من النفع لا تنكر.

(٥) الفرث: ما في الكرش من الزبل.

(٦) سفح الدم: أساله. والدم المسفوح: مما حرمه الله تعالى في القرآن.

(٧) أن له مواضع: أي وعلمت أن له.

(٨) حتى يوضع الخ: أي في حالة وقوعي على علمه.

(٩) كَيَّة: اسم مرة من كواه يكويه كيّا.

(١٠) القذى: ما يقع في العين من تراب ونحوه.

(١١) يعاودني: يأتي إلي مرة بعد أخرى.

(١٢) فلم ألبث الخ: أي فلم أبطىء في رؤيتي إياها قد الخ. وتطلقت: انشرحت وانبسطت.

(١٣) في الدم: في كيفية الانتفاع به.

(١٤) أجل: كنعم وَزْناً ومعنى.

(١٥) أدبغ: أي لها.

الدَّسِم. وقد استرحتُ الآن، إذْ وقعَ كلُّ شيء مَوْقِعَهُ!

قال[1]: ثم لقيتُها بعدَ ستّة أشهر، فقلت لها: كيف كان قَدِيدُ[2] تِلك الشَّاةِ؟ قالت: بأَبي أنت[3]! لم يجيءْ وقتُ القَدِيد بَعْدُ! لنا في الشَّحْم والأَلْيةِ والجُنُوبِ والعَظْمِ المَعْرُوق وغيرِ ذلك مَعَاشٌ! ولكلّ شيءٍ إبَّان!

فقبضَ صاحبُ الحمارِ والماءِ العَذْبِ قَبْضَةً من حَصىً، ثم ضرب بها الأرض[4]. ثم قال: لا تعلم أنّك من المُسْرفين، حتى تسمعَ بأخبارِ الصالحين[5]!.

ـ كتاب البخلاء ١/٦٢ ـ ٧٠.

٥ ـ ابن العميد أبو الفضل[6] من رسالة له في التهديد واللوم[7]

[فصل من أولها]

كتابي وأنا مترجِّحٌ بينَ طَمَعٍ فيكَ، ويأسٍ منكَ، وإقبالٍ عليكَ، وإعراضٍ

---

(١) قال: أي الشيخ.

(٢) القديد: اللحم المملوح المجفف في الشمس.

(٣) بأبي أنت: مبتدأ وخبر، أي أنت مفدىً بأبي. وهي جملة تقال غالباً مقدّمة للكلام يأتي بعدها. وهي هنا للتعجب.

(٤) فقبض الخ: ضرب من التعبير عن فرط إعجابه بحكمتها واقتصادها. وصاحب الحمار مضت قصته في بداية قصتنا هذه.

(٥) لا تعلم الخ: يعني أن الإنسان يعلم حال نفسه من طريق الموازنة. فهذا الشيخ لم يكن يعرف أنه مسرف، في زعمه، حتى استمع إلى خبر معاذة.

(٦) هو محمد بن الحسين العميد، عين المشرق ولسان الجبل، وعماد ملك آل بويه، وصدر وزرائهم، وأوحد العصر في الكتابة، وجميع أدوات الرياسة، والضارب في الآداب بالسهام الفائزة، والآخذ من العلوم ـ كالفلسفة والنجوم وغيرها ـ بالأطراف القوية، يدعى الجاحظ الأخير، والأستاذ، والرئيس يضرب به المثل في البلاغة، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة، مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها، إلى براعة المعاني ونفاستها. وكان يقال: بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد، وقد ورث الكتابة عن أبيه أبي عبد الله الحسين. ولم يزل أبو الفضل في حياة أبيه وبعد وفاته بالري وكور الجبل وفارس، يتدرج إلى المعالي ويزداد على الأيام فضلاً وبراعة حتى بلغ ما بلغ، واستقر في الذروة العليا من وزارة ركن الدولة، ورياسة الجبل، وانتجعه الشعراء، وورد عليه أبو الطيب المتنبي عند صدوره من حضرة كافور الإخشيدي، فمدحه بغرر من قصائده، فوهبه ثلاثة آلاف دينار. كان كريماً، قصده جماعة من الشعراء فأجازهم. كانت وزارته أربعاً وعشرين سنة وعاش نيفاً وستين، توفي سنة ٣٦٠ هـ/٩٧٠ م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/٥٧. ويتيمة الدهر ٣/١٥٤ ـ ١٨١. والأعلام ٦/٩٨.

(٧) يقول صاحب يتيمة الدهر: لقد أجمع أهل البصيرة في الترسل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا=

عنكَ، فإنَّكَ تُدِلُّ[1] بسابِقِ حُرْمَةٍ، وتَمُتُّ[2] بسالِفِ خِدْمَةٍ، أَيْسَرُهُما يوجِبُ رعايةً، وَيَقْتَضِي مُحافَظَةً وعِنايةً، ثم تشَفَعُهما بحادثِ غُلولٍ وخيانةٍ[3]، وتُتْبِعُهما بآنِفِ[4] خِلافٍ وَمَعْصِيةٍ. وأدنى ذلك يُحبِطُ أعمالَك[5]، ويمحَقُ كلَّ ما يُرْعى لَك[6]، لا جَرَمَ أني وقفتُ بينَ ميلٍ إليكَ، وميلٍ عَلَيْكَ: أُقَدِّمُ رِجْلاً لِصَدْمِكَ. وأُؤَخِّرُ أخرى عن قَصْدِكَ، وأَبْسُطُ يداً لاصْطِلامِكَ واجتياحِكَ[7]، وأَثْني ثانيةً لاسْتِبْقَائِكَ واستطلاحِكَ، وأتوقَّفُ عن امتثالِ[8] بعضِ المأمورِ فيكَ، ضَنّاً بالنعمةِ عنْدَكَ، ومنافَسَةً في الصنيعةِ[9] لديْكَ، وتأميلاً لفيئَتِكَ[10] وانصرافِكَ، ورجاءً لمراجعتِكَ وانعطافِكَ، فقد يغرُبُ العقلُ ثم يَؤُوبُ[11]، ويَعْزُبُ اللُّبُّ ثم يَثوبُ[12]، ويَذْهَبُ الحَزْمُ ثم يعودُ، ويَفْسُدُ العَزْمُ ثم يَصْلُحُ، ويُضاعُ الرَّأْيُ ثم يُسْتَدْرَكُ، وَيَسْكَرُ المرْءُ ثُمَّ يَصْحو، ويَكْدَرُ الماءُ ثم يَصْفو، وكلُّ ضيِّقَةٍ إلى رَخاءٍ، وكلُّ غَمْرةٍ[13] فإلى انْجِلاءٍ. وكما أنَّكَ أتيْتَ من إساءَتِكَ بما لم تَحْتَسِبْهُ أولياؤُكَ، فلا بِدْعَ أن تأتي من إحسانِكَ. بما لا تَرْتَقِبُهُ

= ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه، وواسطة عقده، وما ظنك بأجود كلام، لأبلغ إمام. . . . ثم قال: بلغني عن بلكا أنه كان يقول: والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس، ولقد ناب كتابه عن الكتائب في عرك أديمي واستصلاحي، وردّي إلى طاعة صاحبه. (٣/١٦٢، ١٦٥).

(١) الإدلال: الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه.

(٢) تمت: تتوسل وتتصل.

(٣) الغلول: الحقد والغش والخيانة.

(٤) آنف: أي جديد.

(٥) يحبط: يبطل ويلغي.

(٦) يمحق: يسحق ويزيل.

(٧) الاصطلام: الاقتطاع من الأصل، والاجتياح مثله.

(٨) الامتثال: أي الطاعة.

(٩) الصنيعة: الإحسان.

(١٠) لفيئتك: لرجوعك إلى الطاعة.

(١١) يغرب: يذهب ويغيب. ويؤوب: يرجع ويعود.

(١٢) يعزب: يذهب ويغيب. ويثوب: يرجع ويعود.

(١٣) الغمرة: هنا، حدوث الشدائد والمحن والمصائب، وأصل الغمرة: التغطية بالماء، كموجة البحر تغمر الشيء ثم تنكشف عنه.

أعداؤُكَ، وكما استمرَّتْ بك الغَفْلَةُ حتّى رَكِبْتَ ما رَكِبْتَ، واخْتَرْتَ ما اخْتَرْتَ. فلا عَجَبَ ان تَنْتَبِهَ انتباهةً تُبْصِرُ فيها قُبْحَ ما صَنَعْتَ، وسوءَ ما آثَرْتَ. وسأُقيمُ على رَسْمي[1] في الإبْقاءِ والمُماطَلَةِ ما صَلَحَ، وعلى الاستيناءِ[2] والمطاوَلَةِ ما أمْكَنَ، طَمَعاً في إنابَتِكَ[3]، وَتَحْكيماً لحُسْنِ الظَنِّ بِكَ، فلستُ أُعْدَمُ فيما أُظاهِرُهُ من أعْذارٍ[4]، وأُرادِفُهُ من إنذارٍ، احتجاجاً عليك واستِدْراجاً لَكَ، فإن يشأ اللّهُ يُرْشِدْكَ، ويَأْخُذْ بكَ إلى حَظِّكَ ويُسَدِّدْكَ، فإنَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابَةِ جَدِيرٌ[5].

- يتيمة الدهر ١٦٣/٣ - ١٦٤.

٦ - بديع الزمان الهمذاني[6]
المقامة[7] المَضِيريَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ:

كُنْتُ بِالْبَصْرَةِ، وَمَعِيَ أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ رَجُلُ الْفَصَاحَةِ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ،

---

(١) الرسم: يريد ما رسمه لنفسه من تأجيل مؤاخذاته.

(٢) الاستيناء: التمهل والانتظار.

(٣) إنابتك: عودتك إلى ما كنت عليه، أو الرجوع عما أنت عليه.

(٤) أي: من عمل ينفي عذرك في المعصية ويكفل الرضا عنك.

(٥) يرجع إلى يتيمة الدهر للوقوف على نص آخر من الرسالة (١٦٥/٣ - ١٦٦).

(٦) هو أحمد بن الحسين بن يحيي بن سعيد الهمذاني، أبو الفضل، صاحب الرسائل الرائقة الرائعة، والمقامات الفائقة، وكان ذكي القريحة، سريع الخاطر، صافي الذهن، قوي النفس، مطبوعاً، ولم يبلغ أحد مبلغه من لب الأدب وسره، ولم يأت بمثل إعجازه وسحره، فقد كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب. ولد في همذان سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٩ م، ثم ورد نيسابور سنة ٣٨٢ هـ، فلقي أبا بكر الخوارزمي، فشجر بينهما ما دعاهما إلى المساجلة، فطار ذكر الهمذاني في الآفاق، ولم يترك ملكاً أو أميراً أو وزيراً إلا فاز بجوائزه. يقال: إنه كان يترجل مقاماته ارتجالاً، وكان - أيضاً - يكتب الكتاب مبتدئاً بآخر سطر من سطوره، ويسير من آخر هذا الكتاب، حتى يصل إلى السطر الأول، فيخرجه دون عيب فيه، ويقال: إنه مات من السكتة، وعجل دفنه، فأفاق في قبره، وسمع صوته بالليل، فنبش عنه، فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر سنة ٣٩٨ هـ/١٠٠٨م. انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ٢٥٦/٤ - ٣٠١. ووفيات الأعيان ١٢٧/١ - ١٢٩. ومعجم الأدباء ١٦١/٢ - ٢٠٢. والأعلام ١١٥/١. ومجتمع الهمذاني من خلال مقاماته، د. مازن المبارك، ص ٩ - ٢٥.

(٧) المقامة لغة: المجلس، والسادة، ويقال للجماعة من الناس يجتمعون في مجلس «مقامة» أيضاً. =

وَٱلْبَلاَغَةِ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ[١]، وَحَضَرْنَا مَعَهُ دَعْوَةَ بَعْضِ ٱلتُّجَّارِ، فَقُدِّمَتْ إِلَيْنَا مَضِيرَةٌ[٢]، تُثْنِي عَلَى الْحَضَارَةِ[٣]، وَتَتَرَجْرَجُ في الْغَضَارَةِ[٤]، وَتُؤْذِنُ بِالسَّلاَمَةِ[٥]، وَتَشْهَدُ لِمُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ الله بِٱلإِمَامَةِ[٦]، في قَصْعَةٍ يَزِلُّ عَنْهَا الطَّرْفُ، وَيَمُوجُ فيهَا ٱلظَّرْفُ[٧]،

= ومقامات الناس مجالسهم. والمقامة: حديث أدبي بليغ وضع في صورة قصصية، أقرب إلى الحيلة منه إلى القصة. ويقال: إنها عبارة عن قصة قصيرة مسجوعة تتضمن عظة أو مُلحة أو نادرة، كان الأدباء يتبارون في كتابتها إظهاراً لما يمتازون به من براعة لغوية (أي أوابد اللغة) وأدبية. وبتوضيح أكثر: هي عبارة عن حكاية قصيرة، قد تكون في صفحتين أو أكثر، تعتمد على المغامرة، وتنتهي عادة بمفاجأة غير متوقعة يقوم بها شخص ذكي أديب، أو شاعر لبيب، يحسن التخفي ونصب الشراك والتقليد والمخادعة والتلون، فيمرق عبر المآزق، وهدفه النهائي أن ينال إعجاب الناس، ويفوز بدراهمهم وطعامهم. فالحكاية هي القالب العام لفن المقامة، الذي سمي بهذا الاسم، لأنها تروى في مجلس واحد، من راوية يقوم بين يدي الجالسين حاكياً لهم. ولكنها تختلف عن الحكاية في أنها تشتمل على الحوار، وربما الجدل والمناظرة، وتقتبس الشعر أو يضعه المؤلف نفسه، ولغتها مسجوعة دائماً أو غالباً، وفيها محسنات لفظية كثيرة. والمقامة تصور أهل الكدية والبائسين الضائعين، وما يعانون من شقاء في كسب العيش. وأشهر كتابها بديع الزمان الهمذاني، وراوية مقاماته عيسى بن هشام، وعلى منواله نسج الحريري مقاماته (ت ٥١٦ هـ) واحتذى حذوه، واقتفى أثره، واعترف في خطبته بفضله، وأنه هو الذي أرشده إلى سلوك هذا النهج. نعود ونقول: إن راوية مقامات الهمذاني هو عيسى بن هشام، وهو الحارث بن همّام عند الحريري. وبطل كل حكاية عند الهمذاني هو أبو الفتح الاسكندريّ، وعند الحريري هو أبو زيد السَّرُوجيّ. انظر: لسان العرب (مادة قوم). ومجتمع الهمذاني من خلال مقاماته، د. مازن المبارك. ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٢٠٧. والفن ومذاهبه في النثر العربي، للدكتور شوقي ضيف، ص ٢٤٦ ـ ٢٥٤. وفنون الأدب، للدكتور محمد حسن عبد الله، ص ٢٤ ـ ٢٥. والأدب العربي في الأندلس، للدكتور عبد العزيز عتيق، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٩.

(١) أي: أنه الوحيد المالك لزمام البلاغة، والمصرِّفُ لأعنتها، والقدير على رياضتها، وهي لا تعصي لا أمراً، ولا تخالف له رغبة، ما شاء تشاء، وما كره تكره.

(٢) المضيرة: نوع من الطعام يتخذ من اللحم واللبن والحامض، وربما أضيف إليه الحليب، ثم يوضع على ذلك التوابل والأبزار.

(٣) أي: تدل على أن أهل الحَضَر أقدرُ في صنعها من البدو فتشهد لهم بطول الباع في صنع ألوان الطعام.

(٤) تترجرج: تموج وتتحرك. والغضارة: القصعة.

(٥) أي: أن من يأكلها لا يتشكى ولا يتألم، وذلك من أسباب الإقبال عليها ودواعي التسارع إليها.

(٦) كان جلساء معاوية يقولون: إن طعامه دسمٌ، ولم يشايعه في إمامته حال حياة علي كرم الله وجهه غيرُ من يريدون ذلك، فلو كانت هذه المضيرة عنده لكانت من دواعي التفافهم حولَهُ.

(٧) يزل: ينبو ويبعد ويزلق. والطرف: العين. والظرف: يريد، الحسن والجمال. وأصل الظرف: ذلاقة =

فَلمَّـا أَخَذَتْ مِنَ الْخِـوَانِ مَكَـانَهَـا[١]، وَمِنَ الْقُلُوبِ أَوْطَـانَهَـا[٢]، قَـامَ أَبُـو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ يَلْعَنُهَا وَصَاحِبَهَا، وَيَمْقُتُهَا وَآكِلَهَا، وَيَثْلِبُهَا وَطَابِخَهَا[٣]، وَظَنَنَّاهُ يَمْزَحُ فَإِذَا الأَمْرُ بِالضِّدِّ، وَإِذَا ٱلْمِزَاحُ عَيْنُ الْجِدِّ[٤]، وَتَنَحَّى عَنِ الْخِوَانِ[٥]، وَتَرَكَ مُسَاعَـدَةَ الإِخْوَانِ، وَرَفَعْنَاهَا فَٱرْتَفَعَتْ مَعَهَا الْقُلُوبُ، وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا الْعُيُونُ[٦]، وَتَحَلَّبَتْ لَهَا الأَفْـوَاهُ[٧]، وَتَلَمَّظَتْ لَهَـا الشِّفَاهُ[٨]، وَٱتَّقَـدَتْ لَهَـا الأَكْبَـادُ، وَمَضَى فِي إِثْـرِهَـا ٱلْفُؤَادُ[٩]، وَلٰكِنَّا سَاعَدْنَاهُ عَلَى هَجْرِهَا، وَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِهَا[١٠]، فقَالَ: قِصَّتِي مَعَهَا أَطْوَلُ مِنْ مُصِيبَتِي فِيهَا، وَلَوْ حدَّثْتُكُمْ بِهَا لَمْ آمَنِ ٱلْمَقْتَ، وَإِضَاعَةَ ٱلْوَقْتِ[١١]، قُلْنَا: هَات، قَالَ: دَعَانِي بَعْضُ التُّجَّارِ إِلَى مَضِيرَةٍ وَأَنَا بِبَغْدَادَ، وَلَزِمَنِي مُلاَزَمَةَ الْغَرِيمِ[١٢]،

= اللسان وحسن البيـان . . والمعنى: إن هذه القصعة كانت برّاقة كثيرة التألق، شديدة اللمعان، بهيجة الرواء، حتى إن البصر لا يستطيع إدامة رؤيتها.

(١) الخوان: بكسر وضم الخاء المعجمة، معرب، وهو ما يوضع عليه الطعام.

(٢) الوطن: هو المحل الذي يلازمه الإنسان في أغلب حياته، وذلك كناية عن أن جمال المضيرة قد شغف قلوبهم، وحلَّ منها محل الحبيب من قلب المحب.

(٣) يمقتها: يبغضها ويكرهها. ويثلبها: يعيبها. والمعنى: إنه ما فتيء يسب ويشتم ويلوم ويلعن كل من كانت له يد في تقديم هذه المضيرة.

(٤) المعنى: إننا ما كنا نتوهم أن يكون جاداً في كلامه لما كانت عليه المضيرة من البهاء والرونق، ولكنه كان جاداً حقيقة.

(٥) تنحّى: ابتعد.

(٦) يعني: أننا كنا نتمنى لو دامت أمامنا، فلما رفعناها كراهية منّا توجهت إليها قلوبنا وانصرفت نحوها أعيننا.

(٧) أي: سال لعابها وجرى ريقها.

(٨) أصل التلمظ، إخراج اللسان ليأخذ ما على الشفتين من آثار الطعام، وقد أسنده إلى الشفتين لأنه لا بدَّ من حركتهما حينذاك، وكأنهم تخيلوا أنهم طعموا منها فتلمظوا.

(٩) اتقدت: احترقت. وإنما يحترق كبد المرء إذا فقد عزيزاً عليه، وذلك كناية عن شدة تألمهم لتفويته عليهم لذة التمتع بأكلها. ومضى الفؤاد: أي أنه قد ذهل كل منا وأخذته الدهشة فكأنه قد ضاع صوابه وفقد رُشْدَه.

(١٠) المعنى: أننا وافقناه على ما فعل، وأظهرنا له الرضا عنه والقبول لتركها، غير أننا سألناه عن الذي دعاه إلى ذلك، إذ لم يكن تركها مما يعد أمراً مَرْضياً، فنسكت عنه.

(١١) أي أن الحادثة يطول بي شرحها، فلو أني حدثتكم بها لخفت منكم كراهيتي، ولم آمن أن يضيع في سردها وقت نكون في حاجة إليه.

(١٢) الغريم: صاحب الدين، وهو لا يفارق مَدِينَهُ ولا يخفف عليه الطلب، والجمع غرماء وغرّام.

وَالْكَلْبِ لأصْحَابِ الرَّقِيمِ [١]، إِلَى أَنْ أَجَبْتُهُ إِلَيْهَا، وَقُمْنَا فَجَعَلَ طُولَ الطَّرِيقِ يُثْني عَلَى زَوْجَتِهِ، وَيُفَدِّيهَا بِمُهْجَتِهِ، وَيَصِفُ حِذْقَهَا في صَنْعَتِهَا، وَتَأَنُّقَهَا في طَبْخِهَا[٢] وَيَقُولُ: يَا مَوْلايَ لَوْ رَأَيْتَهَا، وَالْخِرْقَةُ في وَسَطِهَا[٣]، وَهْيَ تَدُورُ في الدُّورِ، مِنَ التَّنُّورِ إِلَى الْقُدُورِ وَمِنَ الْقُدُورِ إِلَى التَّنُّورِ[٤]، تَنْفُثُ بِفِيهَا النَّارَ[٥]، وَتَدُقُّ بِيَدَيْهَا الأَبْزَارَ[٦]، وَلَوْ رَأَيْتَ الدُّخانَ وَقَدْ غَبَّرَ في ذٰلِكَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ، وأَثَّرَ في ذٰلِكَ الْخَدِّ الصَّقِيلِ [٧]، لَرَأَيْتَ مَنْظَراً تَحارُ فيهِ الْعُيُونُ، وأَنَا أَعْشَقُهَا لأَنَّهَا تَعْشَقُنِي، وَمِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُرْزَقَ الْمُسَاعَدَةَ مِنْ حَلِيلَتِه، وَأَنْ يَسْعَدَ بِظَعِينَتِهِ[٨]، وَلاَ سِيما إِذَا كانَتْ مِنْ طِينَتِهِ، وهْيَ ابْنَةُ عَمِّي لَحّاً[٩]، طِينَتُهَا طِينَتي، وَمَدِينَتُهَا مَدِينَتِي، وَعُمُومَتها عُمُومَتِي، وَأَرُومَتُهَا أَرُومَتِي [١٠]، لٰكِنَّها أَوْسَعُ مِنِّي خُلْقاً، وَأَحْسَنُ خَلْقاً[١١]، وَصَدَّعَنِي بِصِفاتِ زَوْجَتِهِ،

---

(١) أصحاب الرقيم : هم أصحاب الكهف، الذين جرى ذكرهم في الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصحابَ الكهفِ والرقيمِ كانوا من آياتِنا عَجَباً﴾ (الآية ٩ سورة الكهف)، وكان لهم كلب لم يفارقهم.

(٢) يثني على زوجته: يمدحها ويذكر محاسنها. ويفديها بمهجته: يجعل نفسه فداء لها، وذلك كناية عن عزتها عليه ومحبته لها. والحذق: بالكسر والفتح، المهارة. وتأنق في عمله: صنعه بالإتقان والحكمة. أي: أنها إذا كانت ماهرة في جميع أعمالها فهي لا شك حاذقة في صنع المضيرة.

(٣) الخرقة: لباس يجعله الطباخ فوق صدره، ويرسله إلى آخر ثيابه، وهنا كناية عن نظافتها واهتمامها بالتأنق والإجادة.

(٤) التنور: ما يخبز فيه أنواع الخبز. والقدور: جمع قِدْر، وهو الإناء الذي يطبخ فيه.

(٥) تنفث: تنفخ.

(٦) الأبزار والأبازير: ما يوضع على الطعام لتمليح طعمه وإعطائه نكهة طيبة كالفُلْفُل والقَرَنْفُل ونحوهما.

(٧) الخد الصقيل: المجلو النظيف، . ويروى: «الأسيل»، وهو اللين المستطيل.

(٨) أصل الظعينة: المرأة في الهودج، وأراد هنا المرأة فقط. أي: من تمام رفاهية الإنسان واطمئنان عيشه، واستتباب راحته أن تكون زوجته مساعدة لا مخالفة ولا مشاكسة، بحيث تطيعه إذا أمر، وتسره إذا نظر، وتحفظه إذا غاب.

(٩) لحا: أي قرابة متصلة.

(١٠) الارومة: الاصل، والجمع الأروم. وأراد من الطينة: المنبت. والمعنى: إنني وإياها نشترك في المنبت والمقام والعمومة والأصل، فهي أشبه الناس بي، وأنا أشبه الناس بها، ولم تكن تليق إلا لي، ولم أكن أصلح إلا لها.

(١١) أي: أنها أجمل مني وأحسن أخلاقاً. والخلق ـ بضمتين ـ واحد الأخلاق. والخلق ـ بفتح فسكون ـ الخِلْقة.

حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَحَلَّتِهِ [1]، ثُمَّ قَالَ: يا مَوْلَايَ تَرَى هٰذِهِ الْمَحَلَّةَ؟ هِيَ أَشْرَفُ مَحَالِّ بَغْدَادَ، يَتَنَافَسُ الأَخْيارُ في نُزُولِها، وَيَتَغَايَرُ الْكِبَارُ في حُلُولِها[2]، ثُمَّ لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُ التُّجَّارِ، وَإِنَّمَا المَرْءُ بِالْجَارِ[3] وَدَارِي في السِّطَةِ مِنْ قِلَادَتِهَا[4]، وَالنُّقْطَةِ مِنْ دَائِرَتِهَا، كَمْ تُقَدِّرُ يَا مَوْلَايَ أُنْفِقَ عَلَى كُلِّ دَارٍ مِنْهَا؟ قُلْهُ تَخْمِيناً، إِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ يَقِيناً[5]، قُلْتُ: الْكَثِيرُ، فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! مَا أَكْبَرَ هٰذَا الغَلَطَ! تَقُولُ الْكَثِيرَ فَقَطْ؟ وَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ[6]، وَقَالَ: سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ الأَشْيَاءَ، وَانْتَهَيْنَا إِلَى بَابِ دَارِهِ، فَقَالَ: هٰذِهِ دَارِي، كَمْ تُقَدِّرُ يَا مَوْلَايَ أَنْفَقْتُ عَلَى هٰذِهِ الطَّاقَةِ[7]؟ أَنْفَقْتُ وَاللهِ عَلَيْهَا فَوْقَ الطَّاقَةِ[8]، وَوَرَاءَ الْفَاقَةِ[9]، كَيْفَ تَرىٰ صَنْعَتَهَا وَشَكْلَهَا؟ أَرَأَيْتَ بِاللهِ مِثْلَهَا؟ اُنْظُرْ إِلَى دَقَائِقِ الصَّنْعَةِ فِيهَا، وَتَأَمَّلْ حُسْنَ تَعْرِيجِهَا، فَكَأَنَّمَا خُطَّ بِالْبِرْكَارِ[10]، وَانْظُرْ إِلَى حِذْقِ النَّجَّارِ في صَنْعَةِ هٰذا الْبَابِ، اتخذَهُ مِنْ[11] كَمْ؟ قُلْ: وَمِنْ أَيْنَ أَعْلَمُ، هُوَ سَاجٌ مِنْ

---

(١) صدعني : جلب إليّ الصداع. أي أنه ظل يكثر من الكلام في شأن زوجته والحديث عنها حتى أورثني الصداع وجلب إليّ وجع الرأس، ومحلته: الجهة التي يسكنها من بغداد، والحي الذي يقيم به.

(٢) يتغايرون : يتعارضون ويتبادلون. والمعنى: أن هذه المحلة أفضل محال بغداد وأحسنها، لذلك ترى الكبار والعلية يتبارَوْن في سكناها، ويتسابقون للحلول بها، ويتعارضون في دورها ومنازلها، أو يتبادلون ذلك فيها.

(٣) وهذا التاجر يقول : إن جميع جيرانه تجار، فهو يريد: أن يتمدح جيرانه ليلزم من ذلك امتداح نفسه ومنزله.

(٤) السِّطه: الوسط ، وأنفس ما يكون في العقود والقلائد من حبات اللؤلؤ هي الواسطة، فكأنه يقول: إنه يقطن في أشرف نقطة في هذه المحلة.

(٥) أي: ان كنت لا تستطيع أن تقدر على وجه اليقين نفقاتي على هذه الدار فلا بأس من أن تقول كم تتوهم أنني أنفقت.

(٦) أي: أظهر حزنه وأسفه بتنفسه من أعماق صدره تنفساً عالياً على عدم مبالغتي له في النفقات.

(٧) الطاقة: النافذة (الشباك).

(٨) فوق الطاقة: أي فوق القدرة والإمكان.

(٩) الفاقة: الفقر والإملاق. والمعنى: إنه أنفق عليها مقداراً يسوق إليه الفاقة، ويجلب له الفقر، ويجرّ عليه الإملاق.

(١٠) البركار ـ ويسمونه أيضاً الفرجار ـ آلة لتحديد الدوائر وتنظيمها.

(١١) يريد: من كم قطعة صنع النجار هذا الباب؟

قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ لا مَأْرُوضٌ وَلاَ عَفِنٌ[١]، إذَا حُرِّكَ أَنَّ[٢]، وَإذا نُقِرَطَنَّ [٣]، مَنِ اتَّخَذَهُ يا سَيِّدي؟ اتَّخَذَهُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيُّ، وَهُوَ وَاللّٰهِ رَجُلٌ نَظِيفُ الأَثْوابِ، بَصِيرٌ بِصَنْعَةِ الأَبْوَابِ [٤] خَفِيفُ الْيَدِ فِي الْعَمَلِ، للهِ دَرُّ ذٰلِكَ الرَّجُلِ! بِحَيَاتِي لا اسْتَعَنْتَ إِلَّا بِهِ عَلَى مِثْلِهِ[٥]، وَهٰذِهِ الْحَلْقَةُ تَرَاهَا اشْتَرَيْتُهَا فِي سُوقِ الطَّرائِفِ مِنْ عِمْرَانَ الطَّرائِفيِّ بِثَلاثَةِ دَنَانِيرَ مُعِزِّيَّة[٦]، وكَمْ فِيهَا يَا سَيِّدي مِنَ الشَّبَهِ؟ [٧] فِيهَا سِتَّةُ أَرْطَالٍ، وَهِيَ تَدُورُ بِلَوْلَبٍ فِي الْبَابِ، بِاللهِ دَوِّرْهَا، ثُمَّ انْقُرْهَا وَأَبْصِرْهَا، وَبِحَيَاتِي عَلَيْكَ لاَ اشْتَرَيْتَ الْحَلَقَ إِلَّا مِنْهُ؛ فَلَيْسَ يَبِيعُ إِلَّا الأَعْلاَقَ[٨]، ثُمَّ قَرَعَ الْبَابَ وَدَخَلْنَا الدِّهْلِيزَ، وَقَالَ: عَمَّرَكِ اللهُ يَا دَارُ، وَلاَ خَرَّبَكَ يَا جِدارُ، فَمَا أَمْتَنَ حِيطَانَكِ، وَأَوْثَقَ بُنْيانَكِ، وأَقْوَىٰ أَسَاسَكِ، تَأَمَّلْ بِاللهِ مَعَارِجَهَا [٩]، وَتَبَيَّنَ دَوَاخِلَهَا وَخَوَارِجَهَا، وَسَلْنِي: كَيْفَ حَصَّلْتَهَا؟ وَكَمْ مِنْ حِيلَةٍ احْتَلْتَهَا، حَتَّى عَقَدْتَهَا[١٠]؟ كانَ لِي جَارٌ يُكْنَى أَبَا سُلَيْمانَ يَسْكُنُ هٰذِهِ الْمَحَلَّةَ، وَلَهُ مِنَ الْمَالِ مَا لا يَسَعُهُ الْخَزْنُ، وَمِنَ الصَّامِتِ مَا لاَيَحْصُرُهُ الْوَزْنُ[١١]، مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ وخَلَّفَ خَلْفاً أَتْلَفَهُ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالزَّمْرِ[١٢]، وَمَزَّقَهُ بَيْنَ النَّرْدِ وَالْقَمْرِ[١٣]،

---

(١) الساج: شجر يطول ويرتفع جداً ويوجد بالهند. والمأروض: الذي أكلته الأرضة. والعفن: الذي أصابته الرطوبة.

(٢) أي: إذا فتح أو أغلق سمع صوت يشبه الأنين.

(٣) أي: وإذا دق عليه كان له طنين، وذلك دليل سلامته وجودة خشبه وصنعته.

(٤) أراد من وصف الصانع بأنه نظيف الأثواب أن يصف مصنوعاته بالنظافة والبهجة، وأراد من كونه بصيراً بالصنعة أنها بالغة حدَّ الإتقان، متناهية في الجودة والمتانة.

(٥) أي: إذا شئت أن تعمل مثل هذا الباب فلا تطلب غير ذلك الرجل الماهر الذي دلّت صنعته في هذا الباب على حِذْقه. ولله دره: أي لله ما حرج منه من خير. ويقال: لا دَرُّه: أي لا كثر خيره.

(٦) الحلقة: هي التي يدق بها عند الاستفتاح، ويجذب منها عند الإغلاق. وسوق الطرائف: كان ببغداد لبيع النفائس والذخائر. والدنانير المعزية: المنسوبة إلى المعز لدين الله الفاطمي.

(٧) الشبه: النحاس الأصفر.

(٨) الأعلاق: النفائس، جمع علق.

(٩) المعارج: جمع معراج، وهو الدُّرج تصعد به إلى سطح الدار ونحو ذلك، وهو السلم أيضاً.

(١٠) عقدتها: ملكتها، وأجريت بيني وبين بائعها عقد الشراء.

(١١) الصامت: الذهب والفضة ونحوهما.

(١٢) خلف: ترك. ويقال للولد الصالح خَلَف بفتحتين، وللفاسد الطالح خَلْف بفتح فسكون.

(١٣) المراد أنه بدّد أموال أبيه في الملاهي والمفاسد.

وَأشْفَقْتُ أَنْ يَسُوقَهُ قَائِدُ الاضطِرَارِ، إِلَى بَيْعِ آلـدَّارِ، فَيَبِيعَهَا في أَثْنَـاءِ الضَّجَرِ، أَوْ يَجْعَلَهَا عُرْضَةً لِلْخطَرِ، ثُمَّ أَرَاهَا، وَقَدْ فَاتَنِي شِرَاهَا، فَأَتَقَطَّعُ عَلَيْهَا حَسَرَاتٍ، إِلَى يَوْمِ المَمَاتِ[١]، فَعَمِدْتُ إِلَى أَثْوابٍ لا تَنِضُّ تِجَارَتُهَا فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِ، وَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ[٢]، وَسَاوَمْتُهُ عَلَى أَنْ يَشْتَرِيهَا نَسِيَّـةً[٣]، وَالْمُدْبِـرُ يَحْسَبُ النَّسِيَّةَ عَـطِيَّةً[٤]، وَالْمُتَخَلِّفُ يَعْتَدُّهَا هَدِيَّةً، وَسَأَلْتُهُ وَثِيقَةً بِأَصْلِ الْمَالِ، فَفَعَـلَ وَعَقَدَهَـا لِي[٥]، ثُمَّ تَغَافَلْتُ عَنِ اقْتِضَائِهِ[٦]، حَتَّى كادَتْ حَاشِيَةُ حَالِهِ تَرِقُّ، فَأَتَيْتُهُ فاقْتَضَيْتُهُ، وَاسْتَمْهَلَنِي فَأَنْظَرْتُهُ[٧]، وَالْتَمَسَ غَيْرَهَا مِنَ الثِّيابِ فَأَحْضَرْتُهُ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ دَارَهُ رَهِينَةً لَدَيَّ[٨]، وَوَثِيقَةً في يَدَيَّ، ففعل، ثُمَّ دَرَّجْتُهُ بِالْمُعَامَلاَتِ إِلَى بَيْعِهَا حَتَّى حَصَلَتْ لِي بِجَدٍّ صَاعِدٍ[٩]، وَبَخْتٍ مُسَاعِدٍ، وَقُوَّةٍ سَاعِدٍ، وَرُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ[١٠]، وَأَنَا بِحَمْدِ اللهِ مَجْدُودٌ[١١]، وَفِي

---

(١) أي أنني خفت أن تتحكم فيه دواعي السرف وشهوة الإنفاق ـ وقد أضاع ما كان تحت يده من أموال أبيه ـ فتسوقه الضرورة لبيع هذه الدار، ثم يشتريها منه سواي، فأظل آسفاً عليها إلى أن أفارق الحياة الدنيا.
والضجر: التبرم والتألم مع الملل والسآمة.

(٢) نضّت التجارة: كسدت ولم ترُجْ، أو تحولت نقداً بعد أن كانت متاعاً (ضدان) والثاني هو المراد هنا.
والمعنى: أنني أخذت بعض أثواب لا يتصور أن يتجر فيها لعدم رَوَاج سوقها وحملتها إليه.

(٣) النسية: تأخير الثمن، وأصله نسيئة ـ بالهمز ـ فقلب الهمزة ياء ثم أدغم.

(٤) المدبر: الذي يسير إلى الخلف، وأراد منه المفلس، لأنه كان بعد العز والغنى يسير في طريق عكس الذي كان يسلكه.

(٥) الوثيقة: الصك الذي يكتب فيه الدين. وعقدها: أي حرَّرها والتزم بما فيها.

(٦) اقتضاؤه: مطالبته بالدين الذي عليه.

(٧) أي: انتظرت حتى علمت أنه موشك على الإفلاس، فجئته أطلب منـه الأداء، فطلب مني أن أمهله فأمهلته: أي أعطيته مُهْلة.

(٨) الرهن: عين توضع في يد الدائن لتكون تأميناً له على ماله، حتى إذا أفلس المدين استوفى الدائن منها.

درجته: واستدرجته، معناهما: أدنيته مما أريد على التدريج، فتدرج، أي: دنا. وجد صاعد: حظ موفور، وبخت مرتفع.

(١٠) رب ساع لقاعد: أي أن بعض الناس يكدُّ نفسه ويجهدها ويحملها العناء والمشقة، ثم لا ينال من سعيه ودأبه فائدة، ولا يصيب من جده شيئاً، بل يكون عليه الغرم ولغيره الغنم، وتكون مهمته العمل ولسواه الربح والجزاء.

(١١) مجدود: محظوظ.

مِثْلِ هٰذِهِ الأَحْوَالِ مَحْمُودٌ، وَحَسْبُكَ يَا مَوْلَايَ أَنِّي كُنْتُ مُنْذُ لَيَالٍ نَائماً فِي الْبَيْتِ مَعَ مَنْ فِيهِ إِذْ قُرِعَ عَلَيْنَا الْبَابُ، فَقُلْتُ: مَنِ الطارِقُ الْمُنْتَابُ [1]، فَإِذَا آمْرَأَةٌ مَعَهَا عِقْدُ لآلٍ، فِي جِلْدَةٍ مَاءٍ، وَرِقَّةِ آلٍ [2]، تَعْرِضُهُ لِلْبَيْعِ، فَأَخَذْتُهُ مِنْهَا إِخْذَةَ خَلْسٍ، وَآشْتَرَيْتُهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ [3]، وَسَيَكُونُ لَهُ نَفْعٌ ظَاهِرٌ، وَرِبْحٌ وَافِرٌ، بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى وَدَوْلَتِكَ، وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ سَعَادَةَ جَدِّي فِي التِّجَارَةِ، وَالسَّعَادَةُ تُنْبِطُ الْمَاءَ مِنَ الْحِجَارَةِ [4]، اللهُ أَكْبَرُ! لَا يُنْبِئُكَ أَصْدَقُ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا أَقْرَبُ مِنْ أَمْسِكَ [5]، آشْتَرَيْتُ هٰذَا الْحَصِيرَ فِي الْمُنَادَاتِ، وَقَدْ أُخْرِجَ مِنْ دُورِ آلِ الْفُرَاتِ، وَقْتَ الْمُصَادَرَاتِ، وَزَمَنَ الْغَارَاتِ [6]، وَكُنْتُ أَطْلُبُ مِثْلَهُ مُنْذُ الزَّمَنِ الأَطْوَلِ فَلَا أَجِدُ، وَالدَّهْرُ حُبْلَى لَيْسَ يُدْرَى مَا يَلِدُ [7]، ثُمَّ اتَّفَقَ أَنِّي حَضَرْتُ بَابَ الطَّاقِ، وَهٰذَا يُعْرَضُ فِي الأَسْوَاقِ، فَوَزَنْتُ فِيهِ كَذَا وَكَذَا دِيناراً، تَأَمَّلْ بِاللّهِ دِقَّتَهُ وَلِينَهُ، وَصَنْعَتَهُ وَلَوْنَهُ، فَهُوَ عَظِيمُ الْقَدْرِ، لَا يَقَعُ مِثْلُهُ إِلَّا فِي النَّدْرِ [8]، وَإِنْ كُنْتَ سَمِعْتَ بِأَبِي عِمْرَانَ الْحَصِيرِيِّ فَهُوَ عَمَلُهُ، وَلَهُ ابْنٌ يَخْلُفُهُ الآنَ فِي

(١) المنتاب: الذي أتى دارك في وقت لا يأتي فيه الناس، وأصله الطارق مرة بعد مرة.

(٢) لآل: أصله لآلىء، وهو جمع لؤلؤة، ثم سهلت الهمزة. والآل: السراب. يقول: إن هذا العقد في الصفاء واللمعان يشبه الماء، وفي الرقة يشبه الآل.

(٣) ثمن بخس: قليل. والخلس: يشبه السرقة، فكأنه حين أخذه بالقليل من الثمن قد سرقه.

(٤) تنبط: تُخرج، يقول: إن من رُزق السعادة ويُمنَ الطالع وحسن الحظ، وَجَدَ الربح في الذي لا يتوهمه فيه، وأتاه من حيث لا ينتظره.

(٥) الله أكبر: كلمة أجراها مجرى التعجب كسبحان الله. وينبئك: أي يخبرك. والمعنى: أنه لا يخبرك عن أحوالك ولا يحدثك بشؤونك أصدقُ من نفسك، لأنها هي التي تعلم مقدار الحقيقة، كما لا يكون أقرب للصدق ولا أدعى إليه من الحديث عن أقرب أيامك الماضية، وهو الأمس، لأنه أعلقها بالذهن وأقربها للتذكر والحفظ.

(٦) المنادات: يشبه ما يسمى الآن بالمزاد. ودور الفرات: منازل أسرة كان لها هذا اللقب، وكان منهم علي ابن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وزيراً للمقتدر بالله العباسي. فهو يشير بذلك إلى أنه نفيس عالي القدر، عظيم القيمة مما اقتناه الرؤساء واختزنته الأمراء ورغبه كبار الدولة.

(٧) شبه الدهر في مجيئه بما لا يفكر فيه وإتيانه على خلاف الظنون بالمرأة الحبلى، فإنك تعلم أنها تلد، ولكن لا تتحقق من نوع المولود. وكذلك الزمان تعلم أن فيه حوادث ولا تدري ما هي.

(٨) الندر والنادر: القليل. والمعنى: إنه لا يتفق مثل هذا الحصير في كل حين، بل إنه يغلب عدم وجوده، وذلك ـ بعد وصفه بالنفاسة ودقة الصنعة وجودتها ـ شبه تأكيد.

حَانُوتِهِ لا يوجَدُ أَعْلاقُ الْحُصُرِ إِلاَّ عِنْدَهُ؛ فَبِحَيَاتِي لاَ اشْتَرَيْتَ الْحُصُرَ إِلاَّ مِنْ دُكَّانِهِ، فَالْمُؤْمِنُ نَاصِحٌ لإِخْوَانِهِ، لاَ سِيَّما مَنْ تَحَرَّمَ بِخُوَانِهِ[1]، وَنَعُودُ إِلَى حَدِيثِ الْمَضِيرَةِ، فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الظُّهِيرَةِ، يَا غُلامُ الطَّسْتَ وَالْمَاءَ[2]. فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ، رُبَّمَا قَرُبَ الْفَرَجُ، وسَهُلَ الْمَخْرَجُ، وَتَقَدَّمَ الْغُلامُ، فَقَالَ: تَرَى هٰذَا الغُلاَمَ؟ إِنَّهُ رُومِيُّ الأَصْلِ، عِرَاقِيُّ النَّشْءِ[3]. تَقَدَّمْ يَاغُلاَمُ، وَاحْسِرْ عَنْ رَأْسِكَ[4]، وَشَمِّرْ عَنْ سَاقِكَ، وَانْضُ عَنْ ذِرَاعِكَ[5]، وَافْتَرَّ عَنْ أَسْنَانِكَ[6]، وَأَقْبِلْ وَأَدْبِرْ، فَفَعَلَ الْغُلاَمُ ذٰلِكَ، وَقَالَ التَّاجِرُ: بِاللهِ مَنِ اشْتَرَاهُ؟ اشْتَرَاهُ وَاللّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ، مِنَ النَّخَّاسِ[7]، ضَعِ الطَّسْتَ، وَهَاتِ الإِبْرِيقَ، فَوَضَعَهُ الْغُلاَمُ، وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ وَقَلَّبَهُ وَأَدَارَ فِيهِ النَّظَرَ ثُمَّ نَقَرَهُ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَى هٰذَا الشَّبَهِ كَأَنَّهُ جَذْوَةُ اللَّهَبِ، أَوْ قِطْعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ[8]، شَبَهُ الشَّامِ، وَصَنْعَةُ الْعِرَاقِ[9]، لَيْسَ مِنْ خُلْقَانِ الأَعْلاَقِ[10]، قَدْ عَرَفَ دُورَ الْمُلُوكِ ودَارَهَا[11]، تَأَمَّلْ حُسْنَهُ وَسَلْنِي مَتَى اشْتَرَيْتُهُ؟ اشْتَرَيْتُهُ واللّهِ عَامَ الْمَجَاعَةِ، وادَّخَرْتُهُ لِهٰذِهِ السَّاعَةِ، يَا غُلاَمُ! الإِبْرِيقَ، فَقَدَّمَهُ، وأَخَذَهُ التَّاجِرُ فَقَلَّبَهُ، ثُمَّ قَالَ: وأُنْبُوبُهُ مِنْهُ[12]، لاَ يَصْلُحُ هٰذَا الإِبْرِيقُ

---

(١) حُرَمُ الإنسان وحريمه: ما يحميه ويقاتل عنه ويمنع دونه. وأبو الفتح سيتناول مع ذلك التاجر المضيرة على خوان واحد، فكأنه لاذ بجواره، ولجأ إليه، ولذلك تجب عليه نصيحته وتوضيح الأمر له.

(٢) الطست والماء: مفعولان لفعل مضمر، أي: أحضرهما.

(٣) النشء: المنشأ. والمعنى: أنه رومي، تربّى بالعراق، وتعلم الخدمة فيها، ونشأ عند أهلها.

(٤) احسر: اكشف، ليظهر شعرك وسلامة رأسك.

(٥) انض: انزع، من نضا ثوبه ينضوه، إذا خلعه.

(٦) وافتر: أي اضحك حتى تكشف عن أسنانك.

النخاس: الذي يبيع العبيد، ويطلق العبد على الأبيض والأسود بالسواء.

(٨) أي: أن نحاس هذا الإبريق في صفائه ولمعانه يشبه القطعة من النار، لأنها تبرق وتلمع، أو القطعة من الذهب لأنها صافية براقة.

(٩) أي: أنه من نُحاس الشام، وكانت مشهورة بجودة نحاسها. وقد صنع في العراق، وهي إذ ذاك مَهْبِطُ الحذْق.

(١٠) خلقان: جمع خَلَق، وهو البالي. والأعلاق: جمع عِلق وهو النفيس، والمعنى: إنه نفيس، ولكن لم يتطرق إليه البلى مع طول العهد به، وذلك مما يؤكد جودة أصله.

(١١) أي أنه كان عند بعض الملوك.

(١٢) الأنبوب: المكان الذي ينزل منه الماء.

إلاَّ لِهٰذا الطَّسْتِ، وَلاَ يَصْلُحُ هٰذَا الطَّسْتُ إلاَّ مَعَ هٰذَا الدَّسْتِ[1]، ولاَ يَحْسُنُ هٰذَا الدَّسْتُ إلاَّ فِي هٰذَا الْبَيْتِ، ولاَ يَجْمُلُ هٰذَا الْبَيْتُ إلاَّ مَعَ هٰذَا الضَّيْفِ، أَرْسِلِ الْمَاءَ يَا غُلاَمُ، فَقَدْ حَانَ وقْتُ الطَّعَامِ، بِاللهِ تَرَىٰ هٰذا الْماءَ مَا أَصْفَاهُ، أَزْرَقُ كَعَيْنِ السِّنَّوْرِ[2]، وصَافٍ كَقَضِيبِ الْبِلَّوْرِ[3]، اسْتُقِيَ مِنَ الْفُرَاتِ[4]، واسْتُعْمِلَ بَعْدَ الْبَيَاتِ[5] فَجَاءَ كلِسانِ الشَّمْعَةِ، فِي صَفَاءِ الدَّمْعَةِ، وَلَيْسَ الشَّانُ فِي السَّقَّاءِ، الشَّانُ في الإِنَاءِ، لاَ يَدُلُّكَ عَلَى نَظَافَةِ أَسْبَابِهِ، أَصْدَقُ مِنْ نَظَافَةِ شَرَابِهِ[6]، وَهٰذَا الْمِنْدِيلُ سَلْنِي عَنْ قِصَّتِهِ، فَهُوَ نَسْجُ جُرْجَانَ[7]، وَعَمَلُ أَرَّجَانَ، وَقَعَ إِلَيَّ فَاشْتَرَيْتُهُ، فَاتَّخَذَتِ امْرَأَتِي بَعْضَهُ سَرَاوِيلاً[8]، وَاتَّخَذْتُ بَعْضَهُ مِنْدِيلاً، دَخَلَ في سَرَاوِيلِهَا عِشْرُونَ ذِرَاعاً، وَانْتَزَعْتُ مِنْ يَدِهَا هٰذَا الْقَدْرَ انْتِزَاعاً[9]، وَأَسْلَمْتُهُ إلى الْمُطَرِّزِ حَتَّى صَنَعَهُ كَمَا تَرَاهُ وَطَرَّزَهُ[10]، ثُمَّ رَدَدْتُهُ مِنَ السُّوقِ،وخَزَنْتُهُ فِي الصُّنْدُوقِ، وَادَّخَرْتُهُ لِلظِّرَافِ، مِنَ الأَضْيَافِ[11]، لَمْ تُذِلَّهُ عَرَبُ الْعَامَّةِ بِأَيْدِيهَا،وَلاَ النِّسَاءُ لِمَآقِيهَا[12]، فَلِكُلِّ عِلْقٍ يَوْمٌ، وَلِكُلِّ آلَةٍ قَوْمٌ[13]، يَا غُلاَمُ! الْخُوَانَ، فَقَدْ طَالَ الزَّمَانُ، وَالْقِصَاعَ، فَقَدْ طَالَ

---

(1) الدست: المكان المهيأ لمقابلة الضيفان، وهو أشرف ما يكون في البيت وصدر الدار.

(2) السنور: القط.

(3) البلور: نوع من الزجاج، وقيل: إنه جوهر، يريد هذا، ويضرب به المثل في النقاء والصفاء.

(4) استقى: أخذ.

(5) أي: ولم نستعمله إلا بعد أن ظل ليلته في إناء ليبرد ويتم صفاؤه.

(6) أي: أن الإناء الذي بات فيه هو سبب صفائه ونظافته.

(7) المنديل: خرقة تستعمل في تجفيف الأيدي من الماء. وأرجان: إحدى بلاد فارس.

(8) سراويل: جمع سروال، وهو نوع من الثياب.

(9) انتزعت: أخذت بشدة، والمعنى: أنها كانت تريد أن تستبقيه كله لنفسها ضنا به، وحرصا عليه لجودته ونفاسته، ولكني لم أشأ أن أوافقها على ذلك، بل أخذته منها رغماً عنها.

(10) طرزه: وشّى أطرافه بالحرير ونحوه.

(11) ادخرته: أبقيته. والظراف: جمع ظريف، وهو الحسن الزي الجميل المنظر.

(12) اي: لم أخرجه لأحد حتى تتبذله العامة فتذله، وكأنه جعل غير الظراف له مذلّة وهوانا. والمعنى: أهنته واحتقرته وهوّنت من شأنه، ولم أحسن القيام عليه. والمآقي: جمع مؤق، وهو مؤخر العين مما يلي الأنف، فأما مما يلي الصدغ فهو اللّحاظ.

(13) يعني: أنه لا يجوز أن يجعل كل شيء من النفائس لكل ضيف طارق، بل ينبغي أن ترتّب مُعَدَّات البيوت على قدر الناس ومستواهم.

الْمِصَاعُ[1]، وَالطَّعَامَ، فَقَدْ كَثُرَ الْكَلَامُ، فَأَتَى الْغُلَامُ بِـالْخِوَانِ، وَقَلَّبَـهُ التَّاجِـرُ عَلَى الْمَكَانِ، وَنَقَرَهُ بِالْبَنَانَ، وعَجَمَهُ بِالأَسْنَانِ[2]، وَقَالَ: عَمَّرَ اللَّهُ بَغْدَادَ فَمَا أَجْوَدَ مَتَاعَهَا، وَأَظْرَفَ صُنَّاعَهَا، تَأَمَّلْ بِاللَّهِ هٰذَا الْخِوَانُ، وَانْظُرْ إِلَى عَرْضِ مَتْنِهِ، وَخِفَّةِ وَزْنِـهِ[3]، وَصَلَابَةِ عُودِهِ، وَحُسْنِ شَكْلِهِ، فَقُلْتُ: هٰذَا الشَّكْلُ، فَمَتَى الأَكْلُ[4]؟ فَقَالَ: الآنَ، عَجِّلْ يَا غُلَامُ! الطَّعَامَ[5]، لٰكِنَّ الْخِوَانَ قَوَائِمُهُ مِنْهُ[6]، قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ: فَجَاشَتْ نَفْسِي[7]، وَقُلْتُ: قَدْ بَقِيَ الْخُبْزُ وَآلَاتُهُ، وَالْخُبْزُ وَصِفَاتُهُ[8]، وَالْحِنْطَةُ مِنْ أَيْنَ آشْتُرِيَتْ أَصْلاً[9]؟ وَكَيفَ اكْتَرَى لَهَا حَمْـلاً[10]؟ وَفِي أَيِّ رَحىً طَحَنَ[11]، وَإِجَّـانَةٍ عَجَنَ[12]؟ وَأَيَّ تَنُّـورٍ سَجَرَ[13]، وَخَبَّـازٍ اسْتأْجَرَ؟ وَبَقِيَ الْحَطَبُ، مِنْ أَيْنَ

(١) المصاع: أصله المجالدة. وما أشبه هذا الحديث البارد والكلام الممل بالمقاتلة والمكافحة، ولعمري لو أن أبا الفتح كان في معركة القتال لما لقي من الضيق وتألم النفس وشدة الكرب عُشَيْر ما لقيه من صاحبه، ولما كان يحتمل من بأس خصمه وشجاعته وقوته نصفَ ما لقيه من نذالة هذا الأحمق وبرود طبيعته. والقصاع: جمع قصعة.

قلبه على المكان: أي على الفور. ونقره: ضربه. والبنان: أطراف الأصابع. وعجمه بالأسنان: عضّه بها ليخبره. والمعنى: أنه فعل كل هذه الأفعال ليمتدحه ويثني عليه.

(٣) عمر الله بغداد: جعلها عامرة آهلة بالسكان. والمتن: الظهر. وأراد منه المكان الذي يوضع عليه الطعام من الخوان. أراد أن يبين جودة خشبه الذي صنع منه، فذكر أنه خفيف الوزن وليس كما يتبادر إلى الذهن من ثقله وصعوبة حمله. .

(٤) أي: لقد طال بي الانتظار، وسمعت منك كثيراً، ورأيت شكل خوانك، ولكن متى يحين الوقت لتحضر الأكل؟

(٥) عجل الطعام: أحضره في العاجل.

(٦) أي أن له مزية خليقة بأن تلتفت إليها، وهي أن ظهره وقوائمه التي يقف عليها قطعة واحدة.

(٧) جاشت: تحركت وعلت.

(٨) المعنى: أنه قد بقي أن يتكلم حينما يأتي الطعام على كيفية الخبز ، ويشرح لي كيف اشترى آلاته، ويصفها وصفاً يطيل الأمد، ويزيد الكمد، ثم يتكلم عن الرغفان: فينعتها ويمدحها ويثني عليها. وفي ذلك المضيعة للوقت، وازدياد الألم الناجم عن كثرة كلامه.

(٩) أي: من أي مكان اشترى أصلها وهو الحبُّ؟

(١٠) حملاً: المراد منه الحامل، لأنه هو الذي يكترى، وكثيراً ما يعبر بالمصدر عن اسمي الفاعل والمفعول.

(١١) الرحا: معروفة، وهي مؤنثة. والمثنى رَحَوَان وَرَحَيَان، والجمع أَرْحٍ وأَرْحَاء.

(١٢) الإجانة: إناء يستعمل في الغسيل والعجين ونحوهما.

(١٣) التنور: الموقد الذي يخبز فيه، وسجره: أشعله وأوقده.

احْتُطِبَ؟ وَمَتَى جُلِبَ؟ وَكَيْفَ صُفِّفَ حَتَّى جُفِّفَ؟ وَحُبِسَ، حَتَّى يَبِسَ، وَبَقِيَ الْخَبَّازُ وَوَصْفُهُ، وَالتِّلْمِيذُ وَنَعْتُهُ [١] وَالدَّقِيقُ وَمَدْحُهُ وَالْخَمِيرُ وَشَرْحُهُ، وَالْمِلْحُ وَمَلاحَتُهُ، وَبَقِيَتِ السُّكُرُّجَاتُ مَنِ اتَّخذَهَا [٢]، وَكَيْفَ انْتَقدَهَا[٣]؟ وَمَنِ اسْتَعْمَلَهَا؟ وَمَنْ عَمِلَهَا؟ وَالْخلُّ كَيفَ انْتُقِيَ عِنَبُهُ أَوْ اشْتُرِيَ رُطَبُهُ[٤]؟ وَكَيفَ صُهْرِجَتْ مِعْصَرتُهُ[٥]؟ وَاسْتُخْلِصَ لُبُّهُ؟ وَكَيفَ قُيِّرَ حُبُّهُ[٦]؟ وَكَمْ يُساوِي دَنُّهُ؟ وَبَقِيَ الْبَقْلُ كَيْفَ احْتِيلَ لَهُ حَتَّى قُطِفَ[٧]؟ وَفي أَيِّ مَبْقَلَةٍ رُصِفَ[٨]؟ وَكَيْفَ تُؤُنِّقَ حَتَّى نُظِّفَ[٩]؟ وَبقيَتِ الْمَضِيرَةُ كَيْفَ اشْتُرِيَ لَحْمُهَا؟ وَوُفِّيَ شَحْمُهَا؟ وَنُصِبَتْ قِدْرُهَا، وَأُجِّجَت نَارُهَا [١٠]، وَدُقَّتْ أَزَارُهَا، حَتَّى أُجِيدَ طَبْخُها وَعُقِدَ مَرَقُها؟ وَهذَا خَطْبٌ يَطُمُّ [١١]، وَأَمْرٌ لا يَتِمُّ، فَقُمْتُ، فَقالَ: أَينَ تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: حاجَةً أَقْضِيها، فقال: يامَوْلاي! تُرِيدُ كَنِيفاً يُزْرِي بِرَبِيعِيِّ الأَمِيرِ، وَخرِيفيِّ الْوَزِيرِ [١٢]،

---

(١) أي: أنه بقي الكلام على أشياء كثيرة، لأنه لم يترك شيئاً يتعلق بالطعام إلا ذكره. والمراد بالتلميذ: فتى الخباز.

(٢) السُّكُرَّجات: جمع سُكُرَّجة، وهي الصحفة، وجمعها صحاف كجفنة وجفان وزنا ومعنى، والمراد: أنه لا بد أن يتكلم عن الأواني التي سيكون فيها ألوان الطعام، كيف وقعت له؟ وعند أي الأمراء والملوك كانت؟ وأي صانع ماهر ذلك الذي صنعها؟ وكيف اشتراها؟ وهلم جرا.

(٣) انتقذها: أي استخلصها من بائعها بالشراء.

(٤) كان المعروف عندهم إذ ذاك خل العنب وخل الرطب فحسب، ولا بدّ أن يكون أحدهما على الخوان، وهو سيتكلم عنه وعن كيفية شرائه والسبيل التي سلكها حتى وصل إليه.

(٥) صهرجت: طليت بالصاروج، وهو أخلاط من النُّورة ونحوها، والنورة: حجر الكلس.

(٦) الحُب: بالضم هنا، بمعنى الخابية. وقُيِّر: طلي بالقار الذي هو القطران.

(٧) أي قُطع ورقُه دون جذره.

(٨) المبقلة: مكان البقل الذي يزرع فيه. ورصف: أي نظم بعضه فوق بعض.

(٩) تأنق: استعمل الدقة في عمله، والمعنى: كيف استعملت الدقة والحذق في تنظيف هذا البقل مما لا بدّ أن يكون عالقاً به من طين ونحوه.

(١٠) أججت: أي أوقدت وأشعلت.

يطم: يشتد ويعظم، والمعنى: إن هذا رزء لا قدرة لي على احتمال مثله، وبلية لا قبل لي بها، فيجب أن أتدارك نفسي بالنجاء منها.

(١٢) الربيعي: المكان يتخذ للإقامة فيه أثناء زمن الربيع. والخريفي: يتخذ لزمن الخريف. ويقال: أزرى به وازدراه: إذا حقره وتهاون بشأنه. وصاحب المضيرة: يزعم أن كنيفه خير من من ربيعيِّ الأمير، وأحسن من خريفيّ الوزير، وأنهما بجواره مزدريان، مستخف بهما، قبحه الله فما أقل عقله، وأكثر سماجته، وإنه لحريٌّ بأن يقطع عمره بين جدران ذلك الذي أعجبه وراق في نظره.

قَدْ جُحِّصَ أَعْلاَهُ وَصُهْرِجَ أَسْفَلُهُ(١)، وَسُطِّحَ سَقْفُهُ، وَفُرِشَتْ بِالمَرْمَرِ أَرْضُهُ، يَزِلُّ عَنْ حائِطِهِ الذَّرُّ فَلاَ يَعْلَقُ(٢)، وَيَمْشِي عَلى أَرْضِهِ الذُّبَابُ فَيَزْلَقُ(٣)، عَلَيْهِ بَابٌ غيرَ أَنهُ مِنْ خَلِيطَيْ ساجٍ وعاجٍ(٤)، مُزْدَوجَيْنِ أَحْسَنَ ازْدِواجٍ، يَتَمَنَّى الضَّيْفُ أَنْ يأْكُلَ فيهِ، فَقُلْتُ: كُلْ أَنْتَ مِنْ هَذا الجِرابِ، لَمْ يَكُنِ الْكَنِيفُ في الحِسابِ، وَخَرَجْتُ نَحْوَ البابِ، وَأَسْرَعْتُ في الذَّهَابِ، وَجَعَلْتُ أَعْدُو(٥) وَهُوَ يَتْبَعُنِي وَيَصِيحُ: يَا أَبا الْفَتْحِ! المَضِيرَةَ، وَظَنَّ الصِّبْيانُ أَنَّ الْمَضِيرَةَ لَقَبٌ لِي فَصاحُوا صِياحَهُ(٦)، فَرَمَيْتُ أَحَدَهُمْ بِحَجَرٍ، مِنْ فَرْطِ الضَّجَرِ(٧)، فَلَقِيَ رَجُلٌ الْحَجَرَ بِعِمامَتِهِ، فَغَاصَ في هامَتِهِ(٨)، فأُخِذْتُ مِنَ النِّعالِ بمَا قَدُمَ وَحَدُثَ، وَمِنَ الصَّفْعِ بمَا طَابَ وَخَبُثَ(٩)، وَحُشِرْتُ إِلَى الْحَبْسِ، فأَقَمْتُ عامَيْنِ في ذٰلِكَ النَّحْسِ، فَنَذَرْتُ أَنْ لا آكُلَ مَضيرَةً ما عِشْتُ، فَهَلْ أَنا فِي ذَا يا لَهَمْدَانَ ظالِمٌ(١٠)؟.

قالَ عِيسى بْنُ هِشَامٍ: فَقَبِلْنا عُذْرَهُ، وَنَذَرْنَا نَذْرَهُ، وَقُلْنَا: قَديماً جَنَتِ الْمَضِيرَةُ عَلَى الأَحْرَارِ(١١)، وَقَدَّمَتِ الأَراذِلَ عَلى الأَخْيارِ.

ـ شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص.١٢١ ـ ١٤٣.

---

(١) جصص: طلى بالجص، وهو الجير.

(٢) الذر: جمع ذرة، وهي أصغر النمل، وعلِقَ بالشيء عُلُوقا: تعلَّق، والمعنى: أنه لا يثبت على حائطه، ولا يستطيع البقاء عليه لملاسته.

(٣) أراد أنه شديد الملاسة أيضاً.

(٤) غير أنه: أي الفواصل بين ألواحه. والعاج: سن الفيل.

(٥) أعدو: أي أسير بسرعة.

(٦) أي: أنهم صاروا ينادونني بما سمعوا منه.

(٧) فرط الضجر: شدة السآمة والملل.

(٨) هامة الرجل: رأسه. وغاص الحجر فيها: أي شجها ودخل فيها.

(٩) الصفع: الضرب على القَفَا خاصة.

(١٠) أي: هل ظلمتكم حين أنكرت عليكم أكل المضيرة ما دام هذا هو السبب؟ أو هل ظلمت في نَذْرِي هذا؟

(١١) اللهم إنه لا توجد جناية أعظم إيلاماً للنفس وأشد تنكيلاً بها من هذه الجَريمة، وإنما أسندها إلى المضيرة لأنها سببها.

٧ ـ من كتاب للقاضي الفاضل[١]
(كتب به عن صلاح الدين الأيوبي صاحب الديار المصرية إلى الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد)[٢].

«أدامَ اللهُ أيّامَ الديوان العزيز النبويّ الناصريّ[٣]، ولا زال مظَفَّرَ الجِدّ بكلِّ جاحد[٤]، غَنِيَّ التوفيقِ عن رَأْيِ كلِّ رائد[٥]، موقوفَ المَساعي علىٰ اقتناءِ مُطْلَقات المَحامد[٦]، مستَيْقِظَ النَّصر والسيفُ في جَفْنِه راقِد[٧]، واردَ الجُود والسحابُ علىٰ الأرض غيرُ وارِد[٨]، متعدِّدَ مَسَاعِي الفضل وإن كان لا يلْقي إلا بشُكْرٍ واحد[٩]، ولا

---

(١) هو أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين بن علي بن السعيد اللخمي: وزير، من أئمة الكتاب. ولد بعسقلان (بفلسطين) سنة ٥٢٩ هـ/١١٣٥ م. انتقل إلى الإسكندرية، ثم إلى القاهرة وتوفي فيها سنة ٥٩٦ هـ/١٢٠٠ م. كان من وزراء السلطان صلاح الدين، يقال: «كانت الدولة بأسرها تأتي إلى خدمته». وكان صلاح الدين يقول: «لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل». لقد برز في صناعة الإنشاء، وفاق المتقدمين، وله فيه الغرائب مع الإكثار. يقال: إذا جمعت مسوّدات رسائله في المجلدات والتعليقات في الأوراق فإنها ما تقصر عن مائة مجلد، وهو مجيد في أكثرها، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١٥٨/٣ ـ ١٦٣. والنجوم الزاهرة ١٥٦/٦. والخريدة، العماد الأصبهاني، قسم مصر ٣٥/١. والأعلام ٣٤٦/٣. والفن ومذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف ص ٣٦٨ ـ ٣٧٥.

(٢) من كتاب كتب به القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الديار المصرية، إلى الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد، بفتح القدس وما معه، واقتلاع ذلك من أيدي الفرنج وإعادته إلى ما كان عليه من الإسلام. ونلاحظ أن القاضي أخذ على نفسه أن يأتي بالمحسنات اللفظية في كل جملة أو عبارة من: سجع وجناس وطباق ومقابلة... إلى جانب تأثره الواضح بالقرآن الكريم.

(٣) يريد ديوان الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء الخليفة العباسي رقم (٣٤) (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ/ ١١٨٠ ـ ١٢٢٥ م) قضى على نفوذ قادة الجيش في بغداد وأعاد للخلافة هيبتها منهياً تسلط السلجوقيين... اشتهر بحزمه ودهائه.. بلغت جيوشه خوزستان سنة ٩٥٣ هـ/١١٩٦ م، واذربيجان سنة ٦١١ هـ/١٢١٤ م. انظر: تاريخ مختصر الدول، ابن العبريّ، ص ٣٧٨ وما بعدها.

(٤) أي: حظّه مظفر رغم كلّ جاحد. يريد: موفق في جدّه رغم كل جاحد. والجد: الاجتهاد في الأمر.

(٥) يريد: أنه يستغني بتوفيق الله له عن آراء الآخرين.

(٦) أي: جعل عمله وقفاً لوجه الله ابتغاء حمد كلّ حامد.

(٧) أي: أنه يهزم الأعداء هزيمة معنوية حتّى ولو كان سيفه في غمده.

(٨) يقول: إن جوده موجود رغم انقطاع الخير عن الأرض.

(٩) أي: مساعيه متعددة، وهو لا يأمل إلا بشكر الله الواحد الأحد.

زالتْ غُيوثُ فضلِهِ إلىٰ الأولياء أنواءً إلىٰ المَرَابع، وأنواراً إلىٰ المساجد[1]، وبُعُوث رُعْبه إلىٰ الأعداء خَيْلاً إلىٰ المَرَاقِب وخَيالا إلىٰ المَرَاقد.[2]

كتب الخادمُ هذه الخدمةَ تِلْوَ ما صدَر عنه مما كانَ يَجْرِي مَجْرىٰ التَّباشير بصُبْح هذه الخِدْمة[3]، والعُنْوانِ لكتابِ وصف هذه النعمة[4]؛ فإنها بَحْرٌ للأقلام فيه سَبْحٌ طويل[5]، ولُطْفُ الحقّ للشُّكر فيه عبءٌ ثَقِيل[6]، وبُشْرىٰ للخواطر في شَرْحِها مآرِب[7]، ويُسْرىٰ للأسرار في إظهارها مَسَارب[8]؛ ولله في إعادة شُكْره رِضَا، وللنعمة الراهنةِ به دوامٌ لا يُقال معه هذا مَضىٰ[9]. وقد صارت أمورُ الإسلام إلىٰ أحسن مَصَايرها، وآستَتَبَّتْ عقائدُ أهلِهِ علىٰ بصائرها؛ وتقلَّص ظِلُّ رجاء الكافِر المبْسُوط، وصَدَق اللهُ أهلَ دينه فلمَّا وقع الشرطُ حصَل المشروطُ[10]؛ وكان الدِّين غريباً فهو الآنَ في وَطَنه، والفوزُ معروضاً فقد بُذِلت الأنفُس في ثَمَنه؛ وأَمِرَ أمرُ الحق وكان مستضْعفاً[11]، وأَهِلَ رَبْعُه وكان قد عِيفَ حين عَفَا[12]. وجاء أَمرُ اللهِ وأُنوف أهل

---

(١) يقول : لا تزال عطاياه إلى الخاصة، كالغيث للربوع، وكالنور في المساجد. والأنواء: جمع النوء، وهو المطر، والعطاء.

(٢) يقول : تصل طلائع جيشه (الخيول) إلى الأعداء في مراقبهم، ويغشاهم الرعب والخوف في مصاجعهم. والمراقب: جمع المَرْقبة، الموضع المرتفع يعلوه الرقيب. والمراقد: جمع المرقد، أي المضجع.

(٣) أي: كتب الخادم هذه الرسالة بعد الذي جرى من الانتصارات التي تشابه تباشير الصباح.

(٤) يريد: الانتصارات والفتوحات.

(٥) أي: ان هذه الانتصارات نبع لا ينضب يمدّ الأقلام بمداد دائم. .

(٦) أي: حمد الله على هذه النعم لا يوفيه ما يستحقه من الشكر.

(٧) يريد: وبشرى نجد في شرحها لك مآرب نتمتع بذكرها. و «بشرى»: مبتدأ، وخبره الجملة الاسمية بعده،وهي «للخواطر في شرحها مآرب».

(٨) يقول: لقد يسر الله لنا فيها تيسيراً عظيماً، وشرح أسرارها متعدد الجوانب. و «يسرى»: مبتدأ، وخبره الجملة الاسمية بعده، وهي «للأسرار في اظهارها مسارب». والمسارب: جمع المَسْرب، وهو المذهب. يقال: «للوحش مسارب ومسارح» أي: أمكنة تذهب فيها وتسرح.

(٩) أي: أن نعمة مستمرة دائمة للحاضر والمستقبل لا يقال عن شيء فيها مضى.

(١٠) يريد قوله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾.

(١١) أي: ظهر أمر الحق وكان ضعيفاً.

(١٢) أي: امتلأ بالأهل، وكان قد عيف، أي: ترك، وهجر عندما هزم المسلمون.

الشرك راغمه [1] فأدْلَجتِ السيوفُ إلىٰ الآجال وهي نائمة [2] ، وصَدَق وعدُ الله في إظهـار دينه علىٰ كـلّ دين، وآستطارتْ لـه أنوارٌ أبـانَتْ أن الصباحَ عنـدهـا حِيان الحين [3] ؛ وآستردّ المسلمونَ تُراثا كان عنهم آبِقا [4] ، وظَفرُوا يقظةً بما لم يُصَدِّقوا أنهم يظفَرون به، طَيْفاً علىٰ النأْيِ طارِقا [5] ؛ وآستقرّتْ علىٰ الأعلىٰ أَقدامُهم [6] ، وخفَقَتْ علىٰ الأقْصىٰ أعلامُهُم [7] ، وتلاقَتْ علىٰ الصَّخْرة قُبَلُهم [8] ، وشُفيتْ بها وإن كانت صخرةً كما تُشْفىٰ بالماء غُلَلُهم [9] .

ولما قَدِم الدينُ عليها عرف منها سُوَيْداءَ قلبه [10] ، وهَنَّأ كفؤُها الحجرُ الأسودُ بِبَتِّ عِصْمَتِها من الكافر بحَرْبه [11] ؛ وكان الخادم لا يَسْعىٰ سعْيَه إلا لهذه العُظْمىٰ [12] ، ولا يُقـاسِي تلك البُؤْسىٰ إلا رجـاءَ هـذه النُّعمى [13] ؛ ولا يُناجـز من آستَمْـطَلَه في حَرْبه [14] ولا يُعاتِب بأطراف القنَا من تَمَادىٰ في عَتْبه؛ إلا لتكونَ الكلمةُ مجموعه، والدعوةُ إلىٰ سامعها مَرْفُوعه؛ فتكون كلمةُ الله هي العُلْيا، وليفوز بجوهر الآخرة لا

---

(١) أي: جاء أمر الله بالنصر وأنوف الأعداء راغمه، أي: لصقت بالتراب.

(٢) أي: أخفينا سيوفنا إلى وقت حاجتنا إليها. . .

(٣) أي: تجلت الأنوار، وأظهرت أنه قد جاء وقت الصباح، أي: النصر.

(٤) آبقاً: فاراً.

(٥) أي: ظفروا ـ باليقظة ـ بنصر حقيقي ما كانوا ليحلموا به في منامهم. يريد: أن يطابق بين اليقظة والمنام. والنأي: البعد.

(٦) أي: أنهم وصلوا في انتصاراتهم إلى أعلى الأماكن.

(٧) الأقصى: المسجد الأقصى.

(٨) الصخرة: قبة الصخرة.

(٩) يقول: شفيت غللهم بهذه القبل كما يرتوي الظمآن بالماء النمير.

(١٠) سويداء قلبه: حبة قلبه.

(١١) أي: هنّأ الحجر الأسود الصخرة لطلاقها من الكافر وخلاصها، حين حاربهم صلاح الدين.

(١٢) أي: أن صلاح الدين بذل كل هذا البذل ليحقق هذا النصر العظيم (ولعله أراد أن يحرر المسجد الأقصى كما تحرر المسجد الحرام من الشرك قبلاً).

(١٣) أي: أنه لا يعاني قسوة المشقة إلّا ابتغاء نعمة النصر.

(١٤) أي: لا يقاتل إلّا من تمادى في حربه وأصرّ على ذلك. . .

بالعَرَض ِ الأدْنىٰ من الدنيا[١]؛ وكانت الألسنةُ ربما سَلَقَتْه فأنضجَ قُلوبَها بالاحتقار[٢]، وكانتِ الخواطرُ رُبَّما غلَتْ عليه مَرَاجِلُها فأطفأها بالاحتمال والاصْطبار[٣]؛ ومنَ طلب خطيراً خاطَرْ[٤]، ومَنْ رام صَفْقَةً رابحة تجاسَرْ، ومَنْ سَمَا لأنْ يُجَلِّي غَمْرَةً غامَرْ[٥]؛ وإلا فإنَّ القُعُود يُلين تحت نُيُوب الأعداء المَعاجِمَ فتعَضُّها[٦]، ويُضْعِف في أيديها مَهْرَ القوائم فتقضُّها[٧]؛ هذا إلىٰ كون القُعود لا يَقْضِي فرضَ الله في الجِهاد، ولا يُرْعىٰ به حقُّ الله في العباد؛ ولا يُوفىٰ به واجبُ التقليد الذي تطوّقَهُ الخادمُ من أئمة قضَوْا بِالحقِّ وبه كانُوا يَعْدِلُون[٨]، وخلفاءُ الله كانُوا في مثل هذا اليوم لله يَسْأَلون[٩]؛ لا جَرَمَ أنهم أوْرَثُوا سرورَهُمْ وسَريرهم خَلَفَهُم الأطْهر، ونَجْلَهم الأكبر؛ وبَقِيَّتهم الشَّريفة[١٠]، وطَلْعتهم المُنيفة[١١]،وعُلْوانَ صحيفةِ فضلهم[١٢] لا عَدِم سوادَ العَلم ِ وبياضَ الصَّحِيفة[١٣]؛ فما غابُوا لَمَّا حَضَر،ولا غَضُّوا لَمَّا نَظَر[١٤]،بل وصلَهم

(١) أي: لا يعاتب بالرماح إلاّ من تطاول عليه... حتى تكون كلمة المسلمين مجتمعة ودعوة قائدها مسموعة، وذلك كلّه إعلاءً لكلمة الله، فيفوز بجوهر الآخرة عن عرض الدنيا، وهو بهرجها وزينتها...

(٢) أي: ربما لاكته ألسنة الحساد، فسكت عنها، فصارت تغلي، فكأنه أنضجها.

(٣) المرجل: القدر أو الوعاء على النار. يقول: ربما تأججت أفكارهم فغلت في قدورها. استعار المرجل إلى القدر، فكان احتماله لهم واصطباره عليهم سبباً في إطفاء نارهم، وامتصاص حقدهم. ولعل هذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿قل موتوا بغيظكم﴾.

(٤) جانس بين خطير وخاطر.

(٥) أي: من كان هدفه أن يفرج كربة غامر في سبيل ذلك...

(٦) يقول: القعود عن الجهاد يلين معاجم المسلمين ، فتعضّها أنياب الأعداء. والمعاجم: جمع معجم، وهي الأسنان، أطلقها، وأراد بها مطلق القوة.

(٧) أي: أن القعود يضعف خيول المسلمين فيرسل الأعداء خيولهم.

(٨) يقول: لا يفي الخادم بالعهد الذي طوق عنقه آخذاً به من أئمة يقضون بالحق، وبه يعدلون...

(٩) أي: يتضرعون إلى الله.

(١٠) أي: لا شك أنهم أورثوا السرور والهدوء، وسلموا العرش لخلفهم الطاهر. ولعله يعني: ولده الأكبر وأخوته.. والسرير: العرش.

(١١) أي: المُشْرفة العالية.

(١٢) أي: كذلك أورثوهم علو فضلهم.

(١٣) يدعو لهم بألاّ يغيب سوادهم، أي: كثرتهم، وبياض أعمالهم.وقد كنّى عن كثرتهم بالسواد، وعن جودة أعمالهم ببياض الصحيفة.

(١٤) لقد طابق بين غابوا وحضر، وبين غضوا ونظر . يريد: أنهم قد شاركوه في الجهاد.

الأجرُ لما كان به موصولا، وشاطروه العملَ لما كان عنه منقولاً ومنه مقبولا[1]؛ وخَلَص إليهم إلى المضاجع ما آطمأنَّتْ بهِ جُنُوبها[2] وفاز منها بذِكْر لا يَزَالُ الليلُ به سَمِيرا، والنهارُ به بَصِيرا[3]؛ والشرقُ يهتَدي بأنْوارِه، بل إن أبدى نُورا من ذاته هَتَف به الغَرْبُ بأنْ وَارِهِ [4]؛ فإنَّه نور لا تُكِنُّه أغساقُ السُّدَف[5]، وذكر لا تُوارِيه أوراقُ الصُّحُف.

وكتاب الخادم هذا وقد أظفَر الله بالعَدُو الذي تشظَّت قَناتُه شَفَقا[6]، وطارتْ فِرُقُهُ فَرَقاً[7]. وفُلَّ سيفُه فصار عصا [8]، وصُدِعتْ حَصَاتُه وكان الأكثَرَ عدداً وحصا [9]، فكَلَّت حَمَلاتُه[10]، وكانت قدرةُ الله تُصَرِّفُ فيه العِنَان بالعِيان[11]، عقوبةً من الله ليس لصاحبِ يَدٍ بهَا يَدَان[12]؛ وعَثَرتْ قدمُه وكانت الأرض لها

---

(١) أي: أنه وصلهم الأجر، وقاسموه إيّاه، وكانوا عند الله من المقبولين.

(٢) أي: حتى أوصلهم إلى مضاجع تطمئن إليها جنوبهم.

(٣) أي: وفاز منها بشهرة وسمعة ما زال يذكرها الليل ويبصرها النهار.

(٤) أي: أن الشرق يهتدي بنوره (أي: بجهاده وانتصاراته) بينما يتمنى الغرب موته حتى يواريه في التراب. وقد استخدم الجناس التام بين بأنواره وبأن واره.

(٥) أي: أن نوره لا يستره ظلام الليل، وذكره لا يندثر.

(٦) أي: كتب لك صلاح الدين هذا الكتاب، وقد أظفره الله بالعدوّ الذي تكسَّرت رماحه شفقا. والشفق: الخوف. والقنا: الرماح.

(٧) أي: تبددت جموعه هلعاً وخوفاً.

(٨) أي: تثلم سيفه فصار كالعصا بلا فائدة.

(٩) أي: تفرقت جموعه بعد أن كان أكثر الناس عدداً، والحصاة: العدد. وربما أراد بالحصاة: السحر، أي: بطل السحر والساحر، وتكون عصاه باطلة المفعول. ولعله أراد أيضاً بالحصاة: العقل، فيكون المعنى: أنه شتت عقولهم بعد أن كانت مجتمعة على رأي واحد.

(١٠) أي: تلاشت حملاته وانهارت.

(١١) أي: وكأن قدرة الله تسيِّر ركبهم، وتقود جمعهم عياناً، أي: مشاهدة. (يقال: عيانا، ولا يقال: بأم عينه). وقدرة الله ـ هنا ـ التي تسيِّر الركب، إن كان المقصود منها ركب المسلمين، فهو إلى النصر، وإن كان المقصود منها جحافل الشرك، فهو إلى الهزيمة والثبور، وبئس المصير. والعنان بالفتح: السحاب. والعنان بالكسر: رسن الدابة.

(١٢) أي: أن الله قد عاقبهم عقوبة، ليس لهم قدرة على ردّها، وكأنما شلّت أيديهم. واليد ـ هنا ـ المقدرة. تقول: له عليّ يد، أي: فضل. واليدان ـ هنا ـ على الحقيقة والواقع.

حَليفه [١] ، وغُضَّت عينُه وكانتْ عُيونُ السيوف دونها كَسيفه [٢] ؛ ونامَ جَفْنُ سيفهِ [٣] وكانت يَقَظَتُه تُريق نُطَفَ الكَرىٰ من الجُفُون [٤] ، وجُدِعتْ أُنُوفُ رِمَاحه [٥] ، وطالَمَا كانت شامخةً بالمُنىٰ أو راعِفَةً بالمَنُون [٦] . وأضحتِ الأرضُ المقدّسةُ الطاهرةَ وكانت الطامِثْ [٧] . والربُّ المعبودُ الواحدَ وكان عندهم الثالِثْ [٨] ؛ فبُيوتُ الشِّرْك مَهْدُومه، ونُيُوب الكُفْر مهْتُومه [٩] . وطوائفُه المحاميه، مجتمعةً علىٰ تسليم البلاد الحامِيه [١٠] ، وشُجعَانُهُ المتوافية، مُذْعنةً ببذل المَطَامع الوافِيةَ [١١] ؛ لا يَرَوْن في ماءِ الحَدِيـد لهم عُصْره [١٢] ، ولا في فِنَاء الأفْنِيةِ لهم نُصْره [١٣] ؛ وقد ضُرِبَـتْ عليهم الذِّلَّة والمَسكَنة، وبَدَّل الله مكانَ السيئةِ الحَسَنة، ونَقَل بيتَ عبادته من أيدي أصحابِ المَشْأمـةِ إلىٰ أيدي أصحاب المَيْمَنة.

وقد كان الخادمُ لَقِيَهُم اللَّقاةَ الأُولىٰ فأمدّه الله بمداركته، وأنْجَده بملائِكتـه؛ فكسرهُمْ كَسْرةً ما بعدها جَبْر، وصَرعُهمْ صَرْعةً لا يَعيش معها بمشيئة الله كُفْر؛ وأسَرَ منهم من أُسِـرَتْ بـه السَّـلاسِـل [١٤] ، وقَتَـل منهم من فَتَكتْ بـه المَنَـاصِـل [١٥] ؛

(١) يقول: لقد كانت الأرض حليفة له، أي: مناصرة له، ثم أعرضت عنه وتخلت، فعثر وزلّ.

(٢) أي: كان العدو شامخاً ، وأصبح مهيض الجناح، كاسف البال.. وربما يكون قـد عنى: أن العيون الحادة كالسيوف تغض الطرف حياءً وخجلاً منه لقوته. وقد أصبحت العيون كاسفة حسيرة.

(٣) أي: نام سيفه في غمده. وإضافة السيف إلى الجفن مجاز مرسل يراد به الغمد.

(٤) أي: لا تترك يقظته أثراً لسنة أو نوم في الجفون.

(٥) كناية عن تكسرها بعد أن كانت مرتفعة بالأماني.

(٦) يقول: بينما كانت بالأمس شامخة بأماني النصر، أصبحت تنزف منها دماء الهزيمة والموت.

(٧) وأشرقت الأرض المقدسة (أرض القدس) بنور ربّها طاهرة بعد أن كانت (طامثة) أي ملوثة.

أي: اعترفوا بالله الواحد الأحد بعد أن كانوا يشركون معه ما ليس لهم به علم.

(٩) مهتومة: مكسرة.

(١٠) أن جنوده المدافعين عن المحميات، قد اتفقوا مجتمعين على تسليم هذه المحميات. ولعله يريد بالحامية: أنها تحمي ما وراءها من بلاد العرب، وقد قاموا بتسليمها.

(١١) أي: أن شجعانه المتوافية، أي: المتكاملة، مذعنة بالتنازل عن مطامعها الوافية، أي: العريضة.

(١٢) يقول: ما تبذله السيوف من دماء لهم عُصره، أي: نَجاءً وملجأً.

(١٣) يقول: لا يحسون في فسحة الدور الكبيرة من ينجدهم ويأخذ بيدهم.

(١٤) أي: أن السلاسل أصبحت أسيرة في أيدي هؤلاء الأسرى، وهنا تشبيه مقلوب.

(١٥) أي: قتل منهم من فتكت به السيوف، لعله يريد: قتلوا تحت أرجلهم من كثرتهم، ومن شدة القتال.

وأَجْلَتِ[1] المعركةُ عن صَرْعىٰ من الخيل والسِّلاح فكم أهِلَّةِ سيوف تقارضن الضِّرابَ بها حتى عادتْ كالعَرَاجين[2]، وكَمْ أنْجُم رِماحٍ تبادَلتِ الطِّعان حتّى صارتْ كالمَطَاعِين[3]؛ وكم فارسيَّةٍ ركَضَ عليها فارسُها السَّهمَ إلىٰ أجلٍ فاختلَسه[4]؛ وفَغَرتْ تلك القوسُ فاهَا فإذا فُوها قد نهشَ القِرْنَ[5] على بُعْد المسافة فافترَسه؛ وكان اليومُ مشهوداً، وكانتِ الملائكةُ شُهوداً[6]؛ وكان الكُفرُ مفقودا، والإسلام مولوداً، وجعل الله ضلوعَ الكُفَّار لنار جهنَّم وَقُودا؛ وأُسِر المَلِكُ وبيده أوثقُ وثائقه[7]، وآكدُ وَصْلِه بالدِّين وعلائقه: وهو صليبُ الصَّلَبوت، وقائدُ[8] أهل الجَبَرُوت؛ وما دُهِمُوا قطُّ بأمر إلا وقام بين دهائمهم يَبْسُط لهم باعَهْ، ويحرِّضُهُم[9]. وكان مدُّ اليديْن في هذه الدَّفعة وَدَاعه[10]؛ لا جَرَمَ أنهم تهافَتَ علىٰ نارهم فَرَاشُهم[11]،وتجمَّعَ في ظِلِّ ظلامه خَشاشُهُم[12]؛ فيقاتلون تحت ذلك الصَّليب

---

(١) أجلت: كشفت.

(٢) أي: أن سيوفهم المنحنية كالأهلة ما زالت تضرب بهم حتّى غدت مثلمة كالعراجين، والعراجين: جمع العرجون، وهو أصل العذق الذي يعوّج ويبقى على النخل يابساً.

(٣) أي: وكم أبطال من حملة الرماح ما زالوا يتطاعنون بها، حتى غدت رماحهم متهلهلة متكسرة. وأنجم رماح: أي الأبطال. ولعله يريد بنجم رماح: اللمعان الناتج عن رؤوس الرماح، بعد تصادمها واشتداد القتال فيها. . ويفهم من هذا: أن السيوف تثلمت والرماح تكسرت، وكثر القتلى، ونال كل فريق بثاره من الآخر، وذلك كناية عن شدة القتال.

(٤) أي: وكم قوس فارسية رمى عنها صاحبُها السّهمَ إلى هدفه، فأصابه. والفارسية: القوس.

(٥) أي: إذا فتحت القوس فمها، فإذا بالسهم ينهش القِرن. والقرن: الكفؤ والنظير في الشجاعة والعلم وغيرهما، يريد العدو والخصم.

(٦) كأنه يشير إلى الآية: ﴿وشاهد ومشهود﴾ فالملائكة هي الشاهد، واليوم هو المشهود.

(٧) أي: أسر الملك وبيده كل ما يدينه، وما يؤكد نصرانيته، وما يعلقه في رقبته من الأشياء النفيسة وعلى رأسها: صليب الصلبوت، وهو صليب الصلبان، أي ما تتصدر الصلبان.

(٨) وقائد: خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو قائد أهل الجبروت.

(٩) أي: وما هُوجموا مرة إلاّ وقام هذا الملك بين عامتهم يمدّ يديه ليباركهم ويحرضهم.

(١٠) يقول: أما هذه المرة فقد كان مدّ اليدين آخرة مرة.

(١١) يقول: لا شك أنهم تهافتوا على الوقوع في نار الحرب كما يتهافت الفراش على النار.

(١٢) أي: تجمّع حول صليبهم حثالتهم. والخشاش: الرديء من كلّ شيء.

أصلَبَ قتال وأصدَقه، ويَرَوْنه ميثاقاً يَبْنُون عليه أشدَّ عَقْدٍ وأوثَقه، ويَعُدُّونه سُوراً تَحْفِرُ حوافرُ الخيلِ خَنْدَقَه[1].

وفي هـذا اليوم أُسِـرتْ سَـرَاتُهم، وذهبَتْ دُهـاتُهم؛ ولم يُفْلِتْ معـروفٌ إلا القَوْمص[2] وكان لَعَنه الله مليّاً يومَ الظَّفَر بالقتال[3]، ويومَ الخِذْلان بالاحتيال؛فنَجَا، ولكن كَيْفَ؟ وطار خَوْفا من أن يلحقه مِنْسَرُ الرُّمْح وجَناحُ السَّيف، ثم أخذه الله بعد أيّام بيده[4]، وأهلَكَه لمَوْعـده[5]؛ فكان لعِـدَّتهم فذَالِـكَ[6]؛ وانتقَل من مَلَكِ الموتِ إلىٰ مالِكٌ[7].

- صبح الأعشى ٤٩٦/٦ - ٥٠٠.

٨ - التوقيعات[8]

نماذج من نثر التوقيعات في العصر العباسي الأول:

---

(١) أي: يعدون الصّليب موحّد جمعهم، ورائد تكتلهم، وتحت ظلّه تحفر خيولهم خنادقها. وهنا يطابق بين السور والخندق، ويجانس بين تحفر وحوافر.

(٢) القومص: قائد من قواد الصليبيين.

(٣) مليّاً: كثيراً. أي: كان القومص موجوداً في المعركة يوم الظفر.

(٤) يقول: وقد احتال بالصلاة حتّى نجا، ثم هرب خوفاً من أن يلحقه منسر الرمح وحد السيف، وبعد أيام قتل بقدرة الله.

(٥) وأهلكه لموعده: أي جاء أجله.

(٦) أي: كان القومص آخر من قتل منهم. وفذالك: جمع فذلكة، آخر ما يحسب في الحساب ونتيجته.

(٧) أي: فانتقل من ملك الموت إلى مالك خازن النار وبئس المصير.

(٨) التوقيع في الكتاب: إلحاق شيء فيه بعد الفراغ منه. وقيل: توقيع الكاتب المكتـوب أن يُجْمِلَ بين تضاعيف سطوره مقاصدَ الحاجة ويحذف الفضول، وهو مأخوذ من توقيعِ الدَّبَرِ ظهر البعير، (والتوقيع: الدَّبَرُ وبعيرٌ موقَّعُ الظهر: به آثار الدبر، وقيل: هو إذا كان به الدبرُ. والموقع: الذي بظهره آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه وركب فهو ذلول مجربٌ) فكأن الموقِّع في الكتاب يؤثِّر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكِّده ويوجبه. والتوقيع: ما يوقَّعُ في الكتاب. والتوقيع في الأدب العربي: هو رأي الحاكم يكتبه على ما يقدَّم إليه من شؤون الدولة. وكانت التوقيعات تتكون من جُمل موجزة بليغة يكتبها الخلفاء على ما يقدَّم إليه من ظُلامات الرعية وشكاواها، أو ما يقدم إليه من طلب نوال ونحو ذلك. وكما قلنا فإن التوقيعات تمتاز في الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة. وقد تكون آية، أو مثلاً، أو بيت شعر، أو عبارة موجزة جزلة الألفاظ، وربما تكون هذه العبارة مسجوعة. انظر: لسان العرب (مـادة وقع). ومعجم =

. . . .

= المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٧١. والفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ١٩٤ وما بعدها. وتاريخ الأدب العربي، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

ولم يكن نثر التوقيعات وليد العصر العباسي - كما يتبادر إلى الذهن - وإنما استحدث هذا الفن في عصر الخلفاء الراشدين، بدليل أننا نجد بعض هذه التوقيعات في هذا العصر، كتوقيع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص: «كن لرعيتك كما تحبُّ أن يكونَ لك أميرك». وقد وقع عثمان بن عفان رضي الله عنه في قصة رجل شكا عَيْلَةً (أي: الفقر): «قد أمرنا لك بما يُقيمك، وليس في مال الله فضل للمسرف». وهذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوقع إلى طلحة بن عبيد الله: «في بيته يؤتى الحكم». (انظر مزيداً من الأمثلة في: العقد الفريد ٤/٢٨٧ - ٢٨٨).

وقد أخذ هذا الفن بالنمو في العصر الأموي، ولا نكاد نجد خليفة - في هذا العصر - إلّا وله توقيعات، من ذلك: وقع معاوية بن أبي سفيان في كتاب ربيعة بن عِسل اليربوعي حين سأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة باثني عشر ألف جذع: «أدارُك في البصرة، أم البصرة في دارك»؟. ووقع يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد: «أنت أحد أعضاء ابن عمك، فاحرص أن تكون كلَّها». ووقع عبد الملك بن مروان في كتاب أتاه من الحجاج يشكو إليه نفراً من بني هاشم ويُغريه بهم: «جنِّبني دماءَ بني عبد المطلب، فليس فيها شفاءٌ من الطلب». ووقع الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز: «قد رأب الله بك الداء، وأوذمَ بك السُّقاء» (رأب: أصلح. وأوذم: شدّ. والسقاء: وعاء من جلد للماء واللبن ونحوهما. والجمع أسقية وأسقيات وأساقٍ). ووقع سليمان بن عبد الملك في كتاب بعث به إليه قتيبة بن مسلم، يتهدده بالخلع:

زعم الفرزدق أنْ سيقتُلَ مِرْبَعاً أبشر بطُولِ سلامةٍ يا مِرْبَعُ

(مربع: هو راوية جرير، وكان مربع ضرب والد الفرزدق، وقيل إنه مات إثر ذاك، وإن الفرزدق أقسم ليقتلنه، فطيّبه جرير، وقال له: أبشر، فإنك لن تموت إلّا حتف أنفك، أي: تموت من غير قتل ولا ضرب بل على فراشك. فلا قِبل للفرزدق بقتلك، وكان سيفه ينبو بين يديه) انظر: (شرح ديوان جرير، ص ٤٢٤). ووقع عمر بن عبد العزيز في كتاب أتاه من عدي والي الكوفة، يخبره بسوء طاعة أهلها: «لا تطلب طاعة من خذل علياً، وكان إماماً مرضياً». ووقع يزيد بن عبد الملك في قصة متظلم: ﴿سيعلمُ الذين ظَلموا أيَّ مُنقلَب ينقلبون﴾ (الآية ٢٢٧ سورة الشعراء). ووقع هشام بن عبد الملك في كتاب عامله يخبره فيه بقلة الأمطار في بلده: «مُرْهُم بالاستغفار». ووقع يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان إلى صاحب خراسان: «نَجمَ أمرٌ أنت عنه نائم، وما أراك منه أو منّي بسالم». ووقع مروان بن محمد إلى ابن هبيرة أمير خراسان: «الأمر مضطرب، وأنت نائم، وأنا ساهر». (انظر مزيداً من الأمثلة في: العقد الفريد ٤/٢٨٧ - ٢٨٨).

وما أن نصل إلى العصر العباسي، حتى نجد أن اهتمام الخلفاء والولاة والكتاب قد زاد بهذا الفن، محاكاة لملوك الفرس ووزرائهم، وأصبح هذا الفن أكثر شهرة من ذي قبل، وأخذت معالمه تتبلور =

(١) كَتب إلى السَّفاح[١] جماعة من الأنبار، يـذكرون أن منـازلهم أُخِذَت منهم، وأُدْخِلَت في البناء الذي أمر به، ولم يُعْطَوا أثمانها، فوقَّع:

«هذا بناءٌ أُسِّسَ على غيرِ تقوى»

ثم أمر بدفعِ قِيَمِ منازلهم إليهم[٢].

(٢) جاء كتاب من أبي مُسْلِم[٣] يستأذنه في الحج وفي زيارته، فوقَّع إليه:

«لا أُحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام وخليفته، وإذْنُكَ لك»[٤].

(٣) وقَّع السفاح في كتاب جماعةٍ يشكون إليه احتباسَ أرزاقهم:

«مَنْ صَبَر في الشِّدَّةِ، شُورِكَ في النعمةِ».

ثم أمر بأرزاقهم[٥].

(٤) وقَّع أبو جعفر المنصور[٦] في كتاب عبد الحميد صاحب خُراسان:

= وراح الكتاب يتأنقون في توقيعاتهم، وإظهار مقدرتهم الأدبية. يذكر لنا الجهشياري صاحب كتاب الوزراء والكتاب، (ص ٢٠٤) عن جعفر بن يحيي البرمكي صاحب الدواوين في عهد الرشيد، فيقول: «وكان إذا وقَّع نُسخت توقيعاته، وتُدورست بلاغاته».

وتدل هذه التوقيعات على سرعة وقوة البديهة، وعمق التفكير، وسعة الاطلاع، وطول التجربة، ودقة استخدام اللغة. ومن دواعي ازدهار هذا الفن: (١) انتشار الفتوحات الإسلامية. (٢) اتساع الرقعة الإسلامية. (٣) حاجة الولاة إلى الردود السريعة على مكاتباتهم أو رسائلهم. (٤) كثرة الأعباء الملقاة على كاهل الحكام، لتنوع إدارات وشؤون الدولة. (٥) مواقف بعض الحكام أو الولاة من الرعية، مما يدفع بهم إلى الكتابة مباشرة إلى من هو أعلى منهم، لعرض حاجاتهم ومطالبهم. (٦) ظهور العديد من الكتاب في بلاط الخلفاء والحكام، ومقدرتهم على التأنق في حياتهم الأدبية.

(١) السفاح: عبد الله بن محمد أبو العباس، أو الخلفاء العباسيين (١٣٢ ـ ١٣٦ هـ/ ٧٥٠ ـ ٧٥٤ م) اتخذ الأنبار عاصمة له، فجدّدها وأقام فيها القصور، فدعيت بالهاشمية نسبة إلى هاشم جدّ الأسرة، أقام بها حتى مات.

(٢) العقد الفريد ٤/٢٩٣.

(٣) أبو مسلم الخراساني (ت ١٣٧ هـ/ ٧٥٥ م) من القواد الذين ساعدوا على قيام الدولة العباسية وانهيار الدولة الأموية، قتله المنصور الخليفة العباسي الثاني.

(٤) العقد الفريد ٤/٢٩٣.

(٥) المصدر السابق نفسه. وانظر بعض التوقيعات للسفاح ٤/٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٦) هو عبد الله بن محمد، أبو جعفر، الخليفة العباسي الثاني (١٣٦ ـ ١٥٨ هـ/٧٥٤ ـ ٧٧٥ م) بنى بغداد ودعاها دار السلام، نظم الشؤون الإدارية والمالية والبريد، أخضع ثورات العلويين: ثورة محمد=

«شكوتَ فأشكَيْناكَ[1]، وَعَتَبْتَ فأَعْتَبْنَاكَ[2]، ثم خرجت عن العامة، فتـأهَّبْ لِفراق السلامة»[3].

(٥) وقّع أبو جعفر المنصور في كتاب أهل الكوفة، وقد شكوا عاملهم:

«كما تكونوا يُؤَمَّر عليكم»[4].

(٦) وقّع أبو جعفر المنصور في كتاب رجلٍ شكا عَيْلَةً:

«سَلِ اللهَ من رِزْقِهِ»[5].

(٧) رفع رجل من العامة إلى أبي جعفـر المنصور رُقعـةً في بناء مسجد في مَحلَّته، فوقع:

«إنَّ مِنْ أشراط الساعة أن تَكْثُر المساجدُ، فَزِدْ في خُطاكَ يُزَدْ في أَجْرِكَ»[6].

(٨) وقّع المنصور إلى صاحب مصر حين كتب له، يذكر نقصان النيل:

«طهِّر عسكركَ من الفساد، يُعْطِكَ النيلُ القيادَ»[7].

(٩) وقّع المنصور في كتاب أتاه من صاحب الهند، يخبره أن الجند شَغِبـوا عليه، وكسروا أقفال بيت المال، فأخذوا أرزاقهم منه:

«لو عَدَلْتَ لم يَشْغَبوا، ولو وَفَّيْتَ لم يَنْهَبُوا»[8].

= الملقب بالنفس الزكية في المدينة، وثورة إبراهيم أخي محمد في الكوفة، كما قضى على ثورة المقنع في فارس والبربر في شمالي أفريقيا. قيل: إنه توفي محرماً بالحج.

(١) أشكاه: أزال شكايته. (وأشكاه أيضاً: زاده أذى وشكاية، من الأضداد).

(٢) أعتبه: أرضاه. والعامة: الناس.

(٣) العقد الفريد ٤/٢٩٤. وفتأهب الخ: أي للعزل.

(٤) العقد الفريد ٤/٢٩٤. ولعله أخذ هذا من قول الرسول ﷺ، فيما يروى عنه أنه قال: «وكما تكونون يولّى عليكم أو يؤمر عليكم». انظر: المقاصد الحسنة للسخاوي، ص ٣٢٦.

(٥) العقد الفريد ٤/٢٩٤. والعيلة: الفقر.

(٦) المصدر السابق نفسه. والأشراط: جمع الشَرَط، وهو العلامة. والساعة: القيامة.

(٧) المصدر السابق ٤/٢٩٥.

(٨) المصدر السابق نفسه.

(١٠) رفع رجل إليه يشكو عامله أنه أخذ حدّاً من ضيعته، فأضافه إلى ماله، فوقّعَ إلى عامله في رقعة المتظلّم:

«إنْ آثرتَ العدلَ صَحِبَتْكَ السَّلامةُ، فأنْصِف هذا المتظلّمِ من هذه الظُّلامة»[١].

(١١) وقّعَ المهدي[٢] في كتاب رجل شكا إليه حاجته:

«أتاك الغوْثُ»[٣].

(١٢) وقّع المهدي في كتاب رفع إليه، يذكرُ قصة رجلٍ حُبِسَ في دم:

«ولكم في القِصاصِ حياةٌ يا أُولي الألبابِ»[٤].

(١٣) وقّع هارون الرشيد[٥] إلى صاحب خراسان، وقد تذمر أهل خراسان منه:

«داوِ جُرْحَك لا يتسع»[٦].

(١٤) وقّع هارون الرشيد في قصة البرامكة (في نكبة جعفر بن يحيى):

«أنبتّه الطاعةُ، وحَصَدَتْه المعصيةُ»[٧].

(١٥) وقّع هارون الرشيد في رقعة متظلّم من عامله على الأهواز ـ وكان بالمتظلّم عارفاً:

«قد ولّيناك موضِعَهُ، فتنكّبْ سيرَتَه»[٨].

---

(١) السابق نفسه.

(٢) المهدي: هو محمد بن عبد الله المنصور، ثالث الخلفاء العباسيين (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ/٧٧٥ ـ ٧٨٥ م)، ازدهرت التجارة في عهده، وتعقب الخوارج في خراسان، ولاحق الزنادقة، وحارب البيزنطيين، فتوغلت جيوشه حتى أنقرة والبوسفور.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق ٢٩٦/٤. (الآية رقم ١٧٩ من سورة البقرة).

(٥) هارون الرشيد بن المهدي والخيزران (١٧٠ ـ ١٩٣ هـ/٧٨٦ ـ ٨٠٩ م) الخليفة العباسي الخامس، جاء إلى العرش بعد اغتيال أخيه الهادي. حارب البيزنطيين. ازدهرت في عهده التجارة والأدب والعلوم ولعب البرامكة دوراً هاماً في خلافته قبل أن يوقع بهم.

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) المصدر السابق نفسه.

(٨) المصدر السابق ٢٩٧/٤. وتنكب سيرته: أي أعدل عنها.

(١٦) وقَّع المأمون[١] إلى علي بن هشام في أمر تظلّم:

«من علامةِ الشريفِ أن يَظلمَ مَنْ فوقه، ويظلمه من دونه؛ فأيُّ الرجلين أنت»[٢].

(١٧) وقَّع المأمون إلى الرستمي، وقد تظلّم منه رجل كان دائناً له:

«ليس من المروءة أن تكون آنِيَتُكَ من ذهب وفضّة، وغريمُك خاوٍ وجارُك طاوٍ»[٣].

(١٨) وقَّع أبو مسلم الخراساني إلى محمد بن صُول حين كتب إليه بسلامة أطرافه:

«وأمّا بنعمةِ ربِّكَ فحدِّث»[٤].

(١٩) وقَّع أبو مسلم الخراساني إلى عامله ببلخ:

«لا تؤخر عمل اليوم لغد»[٥].

(٢٠) وقَّع جعفر بن يحيـي[٦] في قصة محبوس:

«الجنايةُ حبَسَتْهُ، والتوبةُ تُطْلِقه»[٧].

(٢١) وقَّع جعفر بن يحيـي في قصة مستمنح كان قد وصله مراراً:

«دع الضَّرْعَ يَدِرُّ لغيرك كما درَّ لك»[٨].

---

(١) هو عبد الله بن هارون الرشيد (١٧٠ ـ ٢١٨ هـ/٧٨٦ ـ ٨٣٣ م) الخليفة العباسي السابع، أمه جارية فارسية، احتل بغداد، وقتل الأمين. قضى على الخوارج في خراسان، حارب الامبراطور البيزنطي تيتوفيل، وأجبره على قبول الصلح سنة ٨٢٠ م، وأنشأ بيت الحكمة، وعني بالثقافة والأدب والعلوم.

(٢) العقد الفريد ٤/٢٩٨.

(٣) المصدر السابق نفسه. والغريم: الدائن. والطاوي: الجائع.

(٤) العقد الفريد ٤/٣٠١. (الآية ١١ من سورة الضحى). وتجدر الإشارة إلى أن هناك بعض التوقيعات لأمراء بني أمية أمثال: زيادبن أبيه، والحجاج بن يوسف الثقفي.. انظر: العقد الفريد ٤/٢٩٩ ـ ٣٠١.

(٥) العقد الفريد ٤/٣٠١.

(٦) هو جعفر بن يحيـي بن خالد البرمكي، أبو الفضل، وزير الرشيد العباسي، ولد ونشأ في بغداد، واستوزره هارون الرشيد، فكان يحكم بما يشاء فلا تُرَدّ أحكامه إلى أن نقم الرشيد على البرامكة نقمته، فقتله سنة ١٨٧ هـ/٨٠٣ م. وقد عرف بفصاحته وبلاغته وبيانه، وله توقيعات مشهورة، انظرها في: العقد الفريد ٤/٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٧) المصدر السابق ٤/٣٠٢.

(٨) المصدر السابق نفسه.

(٢٢) وقَّع الفضل بن سهل[١] إلى صاحب الشرطة:
«تَرفَّقَ تُوفَّق»[٢].

(٢٣) وقَّع الفضل بن سهل في قصة متظلِّم:
«كفى بالله للمظلوم ناصراً»[٣].

(٢٤) وقَّع الفضل بن سهل في كتاب رجل شكا إليه الدَّيْن:
«الدينُ سوءٌ يَهيضُ الأعناق، وقد أمرنا بقضائه»[٤].

(٢٥) وقَّع الحسن بن سهل[٥] في قصة قوم تظلموا من واليهم:
«الحقُّ أولى بنا، والعدل بُغْيَتنا، وإن صحَّ ما ادّعيتم عليه صرفناه وعاقبناه»[٦].

(٢٦) ووقَّع أيضاً في قصة آمرأة حُبس زوجُها:
«الحقُّ يحبسه والإنصاف يطلقه»[٧].

---

(١) الفضل بن سهل كان وزير المأمون ه.وكان موالياً للبرامكة. ويقال: إن المأمون أمر بقتله، توفي سنة ٢٠٢ هـ/٨١٨ م.

(٢) العقد الفريد ٤/٣٠٣.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق نفسه. وهاض العظم: كسره بعد الجبور.

(٥) هو أبو محمد السرخسي، وأخو الفضل بن سهل، ووزير المأمون العباسي، ووالد زوجته بوران، كان مجوسياً فأسلم. لقب بذي الرياستين (السيف والقلم). توفي سنة ٢٣٦ هـ/٨٥١ م.

(٦) العقد الفريد ٤/٣٠٤.

(٧) المصدر السابق نفسه. انظر مزيداً من نماذج التوقيعات في: العقد الفريد ٤/٢٨٧ ـ ٣٠٧. وجمهرة رسائل العرب ٤/٣٦٧ ـ ٤٠١.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الرومي، حياته من شعره، عباس محمود العقاد، ط ٣، مطبعة حجازي، القاهرة ١٣٦٩/ ١٩٥٠.
- ابن الرومي، حياته وشعره، ابراهيم عبد القادر المازني، المكتبة الحديثة، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧.
- ابن الرومي، حياته وشعره، رفون جست، ترجمة د. حسين نصار، دار الثقافة، بيروت. د. ت.
- ابن الرومي، شاعر الغربة النفسية، د. فوزي عطوي، ط ٢، دار الفكر الحديثة، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧.
- ابن الرومي، فنه ونفسيته من خلال شعره، ايليا الحاوي، ط ٢، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت ١٩٦٨.
- ابن سناء الملك، حياته وشعره، محمد ابراهيم نصر، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٣٨٧/ ١٩٦٧.
- أبو تمام وقضية التجديد في الشعر، د. عبده بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥ .
- أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق د. شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، دمشق ١٣٨٤/ ١٩٦٥.
- اتجاهات الشعر في العصر الأموي، د. صلاح الدين الهادي، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٧/١٩٨٦.
- الأخطل، شاعر بني أمية، د. السيد مصطفى غازي، دار المعارف، القاهرة. د. ت.

- الأدب الجاهلي، د. طه حسين، ط ١٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.
- الأدب الكبير والأدب الصغير، ابن المقفع، دار الجيل، بيروت. د. ت.
- الأدب المقارن، د. طه ندا، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٥.
- الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل، ط ٧. دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٨.
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين، الأعلم الشنتمري، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، ط ٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣.
- الأصمعيات، الأصمعي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط ٥، بيروت. د. ت.
- إعجاز القرآن. الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط ١، دار الفكر، بيروت ١٩٨٦.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق لجنة من الأدباء، ط ٦، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، (مصور عن طبعة دار الكتب)، دار احياء التراث العربي، بيروت. د. ت.
- أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٠.
- البداية والنهاية، الحافظ بن كثير، ط ٦، مكتبة المعارف، بيروت ١٤٠٥/ ١٩٨٥.
- بشار بن برد وفاتحة العصر العباسي، د. عمر فروخ، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٦/ ١٩٨٦.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٥، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٥ / ١٩٨٥.
- تاج العروس، للزبيدي.
- تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، ط ٨، ذار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.

ـ تاريخ الأدب العربي ـ العصر الإسلامي د. شوقي ضيف، ط ٧، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧ .
ـ تاريخ الأدب العربي ـ عصر الدوَل والإمارات، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤ .
ـ تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤ .
ـ تاريخ الأمم والملوك، الطبري، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩ .
ـ تاريخ الخلفاء، السيوطي، ط ٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٨٩/١٩٦٩ .
ـ تاريخ مختصر الدول، ابن العبري، تحقيق الأب انطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣ .
ـ جمهرة أشعار العرب، القرشي، دار بيروت، بيروت ١٤٠٤/١٩٨٤ .
ـ جمهرة أشعار العرب، القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٨١ .
ـ جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط ٢، دار الجيل، بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨ .
ـ جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت. د. ت.
ـ جمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩١/١٩٧١ .
ـ حسان بن ثابت، حياته وشعره، د. احسان النص، ط ٣، دار الفكر، دمشق ١٤٠٥/١٩٨٥ .
ـ خزانة الأدب، البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هاورن، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٦/١٩٨٦ .
ـ خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع، دراسة تحليلية، د. هاشم مناع، دار الفكر بيروت ١٩٨٩ .
ـ دراسات في الأدب العربي، كاظم حطيط، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ط ١، بيروت ١٩٧٧ .

- ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٤.
- ديوان ابن سناء الملك، تحقيق محمد ابراهيم نصر ود. حسين نصار، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٨٨/١٩٦٩.
- ديوان أبي فراس الحمداني، رواية ابن خالويه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٦
- ديوان الأبيوردي، تحقيق د. عمر الأسعد، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧.
- ديوان أشعار الأمير أبي العباس، تحقيق د. محمد بديع شريف، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.
- ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤.
- ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط ٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨.
- ديوان بهاء الدين زهير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦.
- ديوان جميل بثينة، تحقيق د. عبد المجيد زراقط، ط ١، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٠٨/١٩٨٩.
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د. سيد حنفي حسنين، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣.
- ديوان الحطيئة، شرح ابن السكيت، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، ط ١، مطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٧/١٩٨٧.
- ديوان الحطيئة، شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت ١٣٨٧/١٩٦٧.
- ديوان الخنساء، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت. د. ت.
- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي، ط ٢، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت ١٩٧٢.
- ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت. د. ت.
- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت. د. ت.

- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت. د. ت.
- ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣.
- ديوان الفرزدق، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٤.
- ديوان الفرزدق، تحقيق علي فاعور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت. د. ت.
- ديوان مجنون ليلى، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مكتبة القاهرة، القاهرة. د. ت.
- الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة، شهاب الدين الشافعي، دار الجيل، بيروت. د. ت.
- سنن الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣.
- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت. د.ت.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢/١٩٨٢.
- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط ٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٥/١٩٥٥.
- الشافي في العروض والقوافي، د. هاشم مناع، ط ٢، دار الفكر العربي ودار الوسام، بيروت ١٩٨٩.
- شرح ابن عقيل، تأليف محيي الدين عبد الحميد، ط ١٦، دار الفكر، بيروت ١٣٩٤/١٩٧٤.
- شرح ديوان أبي تمام، التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣.

- شرح ديوان أبي تمام، ايليا الحاوي، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١.
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، أبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- شرح ديوان جرير، ايليا الحاوي، ط ١، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت ١٩٨٢.
- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، عبد الرحمن البرقوقي، ط ٣، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٣.
- شرح ديوان الحماسة،التبريزي،تحقيق محمد عبد القادر سعيد الرافعي، دار القلم، بيروت. د. ت.
- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٧/١٩٦٧.
- شرح ديوان ذي الرمة، تحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، دار مكتبة الحياة، بيروت. د. ت.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبي العباس ثعلب، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط ١، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٢/١٩٨٢.
- شرح ديوان سقط الزند، أبي العلاء المعري، تحقيق د. ن. رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧.
- شرح ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد الأنصاري) تحقيق د. سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥.
- شرح ديوان كعب بن زهير، السكري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٦٩/١٩٥٠.
- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٩/١٩٧٩.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ابن الأنباري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩.

- شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط ٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٠/ ١٩٨٠.
- شرح القصائد المشهورات، ابن النحاس، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥/١٩٨٥.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام الأنصاري، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٦٣.
- شرح المعلقات السبع، الزوزني، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥/١٩٨٥.
- شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت. د. ت.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٥.
- شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق د. داود سلوم ود. نوري حمودي القيسي، ط ٢، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦.
- شعر الأخطل، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط ٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٣٩٩/١٩٧٩.
- الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري، ط ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٢.
- صبح الأعشى، القلقشندي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣.
- طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١.
- طبقات الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، اعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٨.

- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٨٠.
- العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه، تحقيق د. عبد المجيد الترحيني، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤/١٩٨٣.
- العمدة، ابن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت ١٣٥٣/١٩٣٤.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة، دار الكتاب العربي، بيروت. د. ت.
- الفرزدق، شاكر الغمام، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٧.
- الفكر والفن في شعر أبي العلاء المعري، د. صالح حسن، دار المعارف، القاهرة. د. ت.
- الفن ومذاهبة في النثر العربي، د. شوقي ضيف، ط ٦، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١.
- فنون الأدب، د. محمد حسن عبد الله، ط ٢، دار الكتب الثقافية، الكويت ١٣٩٨/١٩٧٨.
- فيض القدير (شرح الجامع الصغير)، المناوي، دار المعرفة، بيروت ١٣٩١/١٩٧٢.
- في النقد والأدب، ايليا الحاوي، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٠.
- القسطاس في علم العروض، جار الله الزمخشري، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب ١٣٩٧/١٩٧٧.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت ١٤٠٢/١٩٨٢.
- الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦.
- كتاب الاختيارين، الأخفش الأصغر، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤/١٩٨٤.
- كتاب الأمالي، أبي علي القالي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط ٢، دار الآفاق الجديدة ودار الجيل، بيروت ١٤٠٧/١٩٨٧.

ـ كتاب البخلاء، الجاحظ، تحقيق أحمد العوامري بك وعلي الجارم بك، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣ .
ـ كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٣، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٣٨٨/١٩٦٩ .
ـ كتاب شعراء النصرانية في الجاهلية، الأب لويس شيخو، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٨٢ .
ـ كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق، مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٥ .
ـ كعب بن مالك الأنصاري، شاعر العقيدة الإسلامية، د. سامي مكي العاني، ط ١، دار القلم، دمشق ١٣٩٩/١٩٧٩ .
ـ كليلة ودمنة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٣ .
ـ كليلة ودمنة، طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٤٣/١٩٢٥ .
ـ كليلة ودمنة وتاريخها، محمد حسن نائل المرصفي، ط ٣، المؤسسة المتحدة للكتاب، بيروت ١٩٨٧ .
ـ لزوم ما يلزم، اللزوميات، أبي العلاء المعري، دار صادر، بيروت. د. ت.
ـ لسان العرب، ابن منظور.
ـ مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته، د. مازن المبارك، ط ٢، دار الفكر، دمشق ١٤٠١/١٩٨١ .
ـ مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت. د. ت.
ـ مروج الذهب، المسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت ١٩٤٨/١٣٦٨ .
ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٦ .
ـ المصباح المنير، الفيومي.
ـ معاهد التنصيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت ١٣٦٧/١٩٤٧ .

- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨/١٤٠٨.
- المعجم المفصل في اللغة والأدب، تأليف د. اميل بديع يعقوب و د. ميشال عاصي، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٤٤/١٩٧٩.
- المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر، ط ٧، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣.
- المقاصد الحسنة، السخاوي، تحقيق عبد الله محمد الصديق وعبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩/١٩٧٩.
- مقدمة ابن خلدون، دار الشعب، القاهرة، د. ت.
- مقدمة في النقد الأدبي، د. محمد حسن عبد الله، ط ١، دار البحوث العلمية، الكويت ١٣٩٥/١٩٧٥.
- من حديث الشعر والنثر، د. طه حسين، ط ١١، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٥.
- منح المدح، ابن سيد الناس، تحقيق عفت وصال حمزة، ط ١، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧/١٤٠٧.
- المؤتلف والمختلف، الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨١/١٩٦١.
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الآمدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت ١٣٦٣/١٩٤٤.
- النجوم الزاهرة، ابن تغري بردى، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة. د. ت.
- نظرية الأدب، أوستن وارين ورينيه ويليك، ترجمة محيي الدين صبحي، مطبعة خالد الطرابيشي ١٣٩٢/١٩٧٢.
- نقائض جرير والأخطل، أبي تمام، تحقيق الأب انطون صالحاني اليسوعي،

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٢ .
- النقد الأدبي، أحمد أمين، ط ٥ ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨٣ .
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت. د. ت.
- نقد النثر، قدامة بن جعفر، المكتبة العلمية، بيروت ١٤٠٠/١٩٨٠ .
- نهاية الأرب، النويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة. د. ت.
- نهج البلاغة، الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، دار الهدى الوطنية، بيروت. د. ت.
- الهجاء والهجاءون في الجاهلية، د. محمد محمد حسين، ط ٣، دار النهضة العربية، بيروت ١٣٨٩/١٩٧٠ .
- الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام، د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١ .
- الوساطة بين المتني وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت ١٣٨٦/١٩٦٦ .
- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت. د. ت.
- يتيمة الدهر، الثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢ ، دار الفكر، بيروت ١٣٩٣/١٩٧٣ .

الفهرس

العصر الإسلامي

العصر الأموي:

العصر العباسي